المُحَرِّرُ وَسَيِّدُ الأَحْرَارِ الجَلِيّ

السَيِّد المَسِيح أَم الحُسَيْن بِنْ عَلِي؟

بقلم

مَتَّى عِمَّانُوئِيل





المُحَرِّرُ وَسيِدُ الأَحْرَارِ الجَلِي

السَيِّد المَسِيح أمِ الحُسَيْن بِنْ عَلِي؟

بقلم

مَتَّى عِمَّانُوئِيل

تنبيه:

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي المؤلف ولا تمثل بالضرورة رأي أي كنيسة. كما أنها ينبغي أن لا تمثل أي رأي لأي منظومة سياسية، منظومة دينية، أو منظمات حقوقية.

الإهــداء

اعزائي وَ احبائي

الأخوة وَ الاخوات

من المسلمين الشِّيْعَة

الذين هم في الحقيقة يعتبرون

أعزاء وَ غالين على قلب الرب يسوع المسيح

له كل المجد

أُهديهم هذا الكتاب المتواضع

تنبيه:

بدءا ذي بدء أود أن أشير هنا إلى دماثة خلق الأخوة الأحباء الشيعة، خاصة أولئك الذين ينأون بأنفسهم عن السياسة أو غمس أيديهم في دماء الأبرياء من المدنيين و سواهم من مختلف الأعراق و الأديان و الأفكار. فحسهم الروحي الصوفي يتضح جلياً في تعاملهم مع الآخرين، بشكل طيب ولطيف. ومع ذلك فأني لا أريد أن اغفل عن توضيح أمر هام هنا، و هو أن دماثة الأخلاق أو الحس الصوفي لا يعني أو يدل أن هذا الدين أو ذاك هو الحق، بقدر ما هو خلق وحس إنساني نبيل يتحلى بها الكثيرون من البشر، على اختلاف أديانهم و أعراقهم و ألوانهم و أفكارهم، ولا يختص بدين أو طائفة بذاتها.

الشيعة، و أنا بالمناسبة كنت شخص أتبع هذا المذهب الإسلامي قبل إيماني(١) بالسيد المسيح، يُعرَفون بالطيبة و التسامح. و هذه أيضاً من صفات وخلق المؤمن المسيحي. بل هي أصل و أساس نهج السيد المسيح، التي تحث الشخص المؤمن بالتحلي بالخلق الرفيع و التعامل الراقي، بكل محبة و عدالة و سلام و تسامح و غفران مع كافة البشر، دون النظر لانتماءاتهم الدينية أو العرقية أو الفكرية.

أني أرجو وأتمنى من كل أعماق قلبي أن لا يفهم أو يفسر أي شخص أن الغرض من هذا الكتاب هو التهجم على مذهب أهل البيت، أو رموزه التي تعتبر مقدسة لدى كافة الشيعة الإمامية. بل أني أعتبر هذا الكتاب هو مجرد رسالة لأخواني وَ أخواتي وَ اعزائي وَ احبائي الشيعة، الذين يتعطشون لينبوع الحياة الذي لا ينضب، والسلام الغير متناهٍ، والمحبة التي لا حدود لها، و الطريق الوحيد إلى الله، والحق الذي لا يشوبه شك. ذلك أنه لا توجد سفينة نجاة أو طوق أمان لهم من الغرق سوى التفتيش في الكتب، من أجل سعادتهم وحياتهم الأبدية.

لقد قال السيد المسيح: "فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي.(٢) **".**

المتفق عليه لدى كافة الشيعة وسواهم من المسلمين أن القرآن معصوم من الخطأ. فالقرآن ذاته يشهد للسيد المسيح بأنه كان الوحيد الذي له القوة والسلطان على خلق كائنات حية، بعد أن كونها و بث الروح فيها. تماماً مثلما خلق الله آدم، ثم نفخ فيه من روحه. وهذه هي شهادة القرآن للسيد المسيح: (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّين كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا)(٣). وفي ذات الوقت يتحدى القرآن كل آلهة البشر الباطلة أن يخلقوا ذباباً: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَو اجْتَمَعُوا لَهُ)(٤).

لا يوجد سوى إله خالق وحيد قد صنع هذا الكون بما فيه الإنسان والطير. و هذا الإله لم وَ لن يسمح أن يشاركه أحد في مهمة الخلق والتكوين. وهذا ما يشهد به القرآن أيضاً أمام الملأ من المسلمين و سواهم:

"وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ **كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ** وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ(٥)**".**

المسيحيون يؤمنون بأن الله هو واحد في ثلاثة اقانيم (الآب والإبن وروح القدس) فهو غير مركب، وليس ثلاثة آلة، وهو روح، لذا لا يمكن رؤيته. الله سبحانه يسمو عن تشبيهه أو تمثيله بمخلوقاته. لكن لتقريب الفكرة، فالله خلق الإنسان ليكون له ثلاث عناصر، جسد وروح ونفس، وهم يمثلون كائن واحد هو الإنسان.

١- كان لي اسم إسلامي في السابق و استبدلته بآخر يدل على هويتي المسيحية.

٢- الآية:٣٩ - الإصحاح الخامس ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٣- سورة آل عمران - سورة ٣ ، آية: ٤٩.　٤- سورة الحج - سورة ٢٢ ، آية:٧٣.　٥- سورة المؤمنون - سورة ٢٣ ، آية:٩١.

مقدمة الكتاب

الحرية تلك الكلمة ذات الأحرف القليلة الكثيرة المعاني الصعبة المنال. الحرية تلك التي كان ولا زال يتطلع إليها بشغفٍ كافة شعوب العالم بمختلف مأكلهم ومشربهم على أنها الحل السحري لحل الكثير من المشاكل بكافة تنوعاتها، الفردية والجماعية، الدينية و السياسية والاقتصادية. الحرية ذلك الحلم الجميل الذي ظل ولا يزال يراود الشعوب المستضعفة والمضطهدة والمقهورة للحصول عليها مهما كلفهم الأمر. الحرية تلك التي لم يتم نيلها والحصول عليها من قبل المجتمعات البشرية وخاصة المتقدمة منها إلا بعد نضال و كفاح و تضحيات جسام استمرت عدة قرون من الزمن.

لم تك الحرية في يوم من الأيام مجرد مشروع شخصي، يتم نيله أو الحصول عليه بمجهود شخصي. بل أنها كانت ولازالت تعتبر مشروع دولي وعالمي. ففي العصر الحديث استطاعت المجتمعات البشرية بكافة تنوعها العرقي والجنسي والديني والإقليمي، خاصة المتقدمة منها، بتبني قرارات دولية حاسمة أقرتها منظومة الأمم المتحدة. يفترض بتلك القرارات والقوانين أن تكون ملزمة لكافة الدول دون استثناء، ومن ضمنها الدول العربية والإسلامية، التي وللأسف الشديد لا تزال تمارس وتطبق التعاليم الإسلامية التي ما لبثت تضطهد وتناهض أبسط حقوق الإنسان في العالمين العربي والإسلامي. وأهم قرار صنعته البشرية هو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي كفل لكل إنسان حقوقه المشروعة و الكاملة، و التي يجب مراعاتها و احترامها من قبل كافة الدول و الشعوب و الأفراد، دون استثناء اي بند من بنوده أو مادة من مواده.

الحرية قد تكون لها مدلولاتها الأخرى غير ما هو أرضي أو ترابي. وهي لا تقل بأي حال من الأحوال عن مفهوم الحرية بمعناها القانوني. بل الحري أن لها مدلولاتها السمائية و الإلهية، كالتحرر من عبودية الخطية، التحرر من المشاكل النفسية، التحرر من أسر الرغبات الجسدية، التحرر من الغضب الآتي (يوم الحساب)، بل و التحرر من هذا العالم المادي.

من هذا المنطلق يمكننا أن نرى أن السيد المسيح - الذي من ضمن أسمائه المُحَرِّرُ- قد أتى بحلول شاملة للإنسان ومشاكله في هذا العالم. فتعاليمه قد استفادت منها منظومات إنسانية وحقوقية، ويمكننا أن نرى ذلك بجلاء، في طي صفحات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي يتماشى و تعاليم السيد المسيح الواردة في الكتاب المقدس، خاصة تلك التي في العهد الجديد. وإن ذلك يعد بحق انتصار لكل من يصبح ابن أو بنت للسيد المسيح له كل المجد.

فالحلول الشاملة التي أتى بها السيد المسيح هي تحرير الإنسان من العبودية، ومن الخطية وأسر الشيطان والارتقاء به روحياً ونفسياً. فإلى جانب تحرير الإنسان من الإنحطاط الأخلاقي والسلوكي، حث ودعم السيد المسيح على زرع المحبة بين جميع البشر، و تبني السلم ونبذ العنف، و نشر مبدأ التسامح والغفران بجانب تقييم الإنسان على اساس أنه إنسان بغض النظر عن خلفيته أو انتماءاته الدينية أو العرقية أو الفكرية، إضافة إلى بناء وتكوين علاقة حميمة وراسخة بين المخلوق والخالق تكون مبنية على المحبة المتبادلة بينهما، وليس بناء على ممارسة طقوس دينية لا هدف منها ولا معنى. كل ذلك يتم عن طريق إرشاد الرب بروحه القدوس. تكوين تلك العلاقة يتم بالكلمة دونما استخدام قوة السيف، أو السلاح أو النار والحديد أو القهر. تلك العلاقة لا يجب أن يتدخل فيها رجال الدين، لأن الإنسان لا يحتاج لوسيط يقربه إلى الله، ولا إلى رجال السياسة لأنهم أفسدوا المجتمعات.

من جانب آخر يقدم الإسلام، خاصة مذهب أهل البيت - الشيعة الإمامية الإثناعشرية، الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب على أنه شخصية فذة ونادرة. فمن ضمن ما جاء به الإمام الحسين ابن علي - حسب المفهوم الإسلامي، إصلاح الأمة الإسلامية و تحرير مستضعفيها من القوى الظالمة والفاسدة والمستبدة من الخلافة الإسلامية الغاشمة والطاغية، وذلك من خلال أحيائه للشعائر الإسلامية الصحيحة لدين جده محمد رسول الاسلام. لذلك استحق الإمام الحسين ابن علي أن يُدعى اباً للأحرار. و بناء على ذلك تم منحه لقب صاحب النهضة التحررية من قبل بعض علماء المسلمين. وقد أشغل هؤلاء العلماء البشر في اصقاع العالم بهذا الفكر. لكننا نتذكر القاعدة التي تقول "ما قام على أساس باطل نتيجته الحتمية باطلة"، وما كانت بدايته خراب ودمار نهايته الحتمية أيضاً فساد وظلم. وما أعنيه هنا هو تعاليم رسول الإسلام المبنية على التفرقة بين البشر على أساس الدين والعرق والفكر. ولتوضيح ذلك نضرب على سبيل المثال لا الحصر بعض الأمثلة البسيطة، فالإسلام لا يعطي للشخص حرية المعتقد أو التفكير. الإنسان غير المسلم يعتبر نجس والمرتد يجب قتله. الإسلام يقر الرق والإتجار بالبشر (مثل امتلاك وبيع وشراء ملكات اليمين) حيث يتم معاملتهم و/أو معاملتهن وكأنهن سلعة أو بضاعة تجارية تباع وتشترى. والشي اليقيني أنه لم يأتي الإسلام بنص صريح، أو حتى شبه صريح يحرم ويجرم تلك الأفعال المحرمة دولياً. إن تلك الأمثلة وسواها يعتبرها القانون الدولي والحقوقيون انتهاك خطير وَ صريح لأبسط حقوق الإنسان، التي أقرها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. الإمام الحسين بن علي لم يعارض جده محمد - رسول الإسلام- في تلك التعاليم الظالمة للإنسان. فكيف بعد هذا يُدعى أباً للأحرار. إن من يتبنون هذا الفكر الإسلامي يظلمون معانى ومبادئ الحرية، سواء الحرية بمعناها الحضاري أو الحرية الشمولية التي أتى بها السيد المسيح.

في كتابنا هذا، سنستعرض بمشيئة الإله القدير، الحقائق الجلية التي تحيط بكلا من الشخصيتين (السيد المسيح له كل المجد و الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب). لذا سنبحر سوياً نحو المعرفة الحقيقية التي لا يشوبها لغط أو تحريف أو خرافة. و سيتجلى حينها لنا الصورة البهية لذلك الشخص العظيم، الذي هو وحده وليس آخر يمكننا وصفه بالصالح في قيادة البشر على اختلاف الوانهم وأعراقهم وأديانهم وأفكارهم. وهو وحده فقط يمكن وصفه بشكل جلي بالمحرر وسيد الأحرار. فالمحرر الحقيقي هو من ساهمت تعاليمه الراقية في نشر السلم العالمي و بناء المحبة والإخاء بين البشر جميعاً و احترام الكرامة الإنسانية.

قد يعتقد البعض أنها مقارنة ظالمة، فالمسيحي يتساءل: كيف نقارن الإله القدوس المتجسد من جهة وبين شخص مخلوق لا نعلم عنه إلا النزر اليسير. وعلى طرف نقيض، يتساءل المسلم: كيف تقارنونا نحن المسلمون، وهي أفضل أمة أخرجت للناس - حسب المعتقد الإسلامي - بأمة أخرى حرفت كتابها.

نجيب على ذلك بإجابة بسيطة ومختصرة، وهي أن هذ الكتاب يمكن النظر إليه على أنه دراسة مقارنة بين ما يعطيه السيد المسيح، وهو وحده دون سواه الممثل الحقيقي للإيمان المسيحي، و ما يعطيه الإمام الحسين بن علي للبشرية، مستندين في ذلك على الدليل الذي يقبله كلا من الطرفين.

والهدف الأساسي من هذا الكتاب هو توضيح وكشف ما خفي أو التبس على البعض. معتمدين في ذلك على الكثير من المراجع الإسلامية و سواها. فالكثير من الأشخاص لا يحلل ما يقرأ أو ما يسمع من مواعظ وخطب، يلقيها عليهم هنا وهناك بعض الخطباء، سواء من مشايخ الإسلام أو غيرهم من الوعاظ. خاصة تلك المواعظ والخطب التي لها علاقة بالسيد المسيح، وهو الممثل الحقيقي والأوحد للمسيحية، أو بشخصية الامام الحسين بن علي وهو أحد الممثلين الحقيقيين للإسلام. نتيجة لذلك يقع المسلم البسيط والمغلوب على أمره فريسة و ضحية سهلة الانغضاض عليها، نتيجة لجهله ببعض الأمور الدينية والتاريخية والعلمية، أو عدم توفر معلومات وافية لديه. فلا يجد مناص سوى الاستسلام لتلقي تلك الكتب والمواعظ المشحونة بالمغالطات والأكاذيب بصدر رحب أحياناً. وأحايين أخرى بالقهر والقوة. إذ قد تم سلب حريته وإرادته بالكامل دون ان يشعر هو بذلك. فأصبح عاجز على الاعتماد على نفسه، لأنه إما لم تعد له حرية أو استطاعة في تفكير، أو لأنه قد تم تقييده بقوانين لا تسمح له بالاطلاع على أي كتاب يبين له الحقائق البديهية، و من ضمنها تلك الكتب التي تنير ذهنه بوجود الحق في الطرف الآخر.

وبحسب فكر مشايخ الإسلام، فالمسلم يجب أن يكون وعاء فارغ مخصص لحمل تصورات أو إيمان مبني على الوهم المصطنع أو المتوارث، أو التضليل المتعمد، أو الكذب البحت، أو الجهل سواء كان ذلك بشكل مقصود أو غير مقصود. وهذا ما أدى في كثير من الأحايين إلى الاضطهاد الديني والقمع السياسي في العالمين العربي الإسلامي. لذا يمكننا أن نصف ذلك الوضع المزري بطاعون العصر، الذي ما فتئ ينتشر و يتفشى هنا وهناك فاتكاً تلك المجتمعات العربية والإسلامية، فاصبح العلاج صعب المنال. إذ كلما ازداد تطبيق الشريعة الإسلامية في بلد عربي أو إسلامي ازدادت حدة واحتمالية تعرض حياة وسلامة الإنسان المسلم وغير المسلم للمهانة والتحقير والاضطهاد الممنهج. والمحصلة النهائية هي إهانة كرامته والمساس بحياته، أو سلامته الشخصية، أوهتك كامل أو أغلب حقوقه المشروعة التي يقرها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إضافة إلى المواثيق والعهود الدولية.

فهل من مصغ للعقل والحكمة والحق؟ وهل من متطلع للحرية الحقيقية؟ وهل من يأبى إلا أن يتحرر من الأسر والأغلال والقيود، ليستمتع بالعيش في هذه الحياة بعزة و كرامة، وفي الحياة الآخرة بسعادة و سلامة مع المسيح؟

متى عمانوئيل ١٦ أكتوبر ٢٠١٠م

الفصل الأول

الحرية

الباب الأول: الحرية وحقوق الإنسان

ما هي الحرية وماذا تعني؟

في اللغة: قال ابن الأعرابي: حَرَّ يَحَرُّ حَراراً إذا عَتَقَ، وحَرَّ يَحَرُّ حُرِّيَّة من حُرِّيَّة الأصل، وحَرَّ الرجلُ يَحَرُّ حَرَّةً عَطِشَ؛ قال الجوهري: فهذه الثلاثة بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل. وفي حديث الحجاج: أنه باع مُعْتَقاً في حَراره؛ الحرار، بالفتح: مصدر من حَرَّ يَحَرُّ إذا صار حُرّاً، والاسم الحُرِّيَّة. وتَحْريرُ الولد: أن يفرده لطاعة الله عز وجل وخدمة المسجد. وقوله تعالى: إني نذرت لك ما في بطني مُحَرَّراً فتَقبَّلْ مِنِّي؛ قال الزجاج: هذا قول امرأة عمران ومعناه جعلته خادماً يخدم في مُتَعَبَّداتك. والحُرُّ من الناس: أخيارهم وأفاضلهم. وتَحْريرُ الرقبة: عتقها. المحرَّر: الذي جُعل من العبيد حرّاً فأعتق. يقال: حَرَّ العبدُ يَحَرُّ حَرارَةً، بالفتح، أي صار حُرّاً. والحُرُّ من الناس: أخيارهم وأفاضلهم. وفرس حُرٌّ: عَتِيقٌ. وحُرُّ الفاكهةِ: خِيارُها. والحُرُّ: رُطَبُ الأزَاذ. والحُرُّ: كلُّ شيء فاخِرٍ من شِعْرٍ أو غيره. وحُرُّ كل أرض: وسَطُها وأطيبها. والحُرَّةُ والحُرُّ: الطين الطَّيِّبُ؛ قال طرفة: وتَبْسِمُ عن ألْمَى كأنَّ مُنَوِّراً، تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ، دِعْصٌ له نَدُّ وحُرُّ الرمل وحُرُّ الدار: وسطها وخيرها؛ قال طرفة أيضاً: تُعَيِّرُني طَوْفِي البلادَ ورحْلَتِي، ألا رُبَّ يومٍ لي سِوَى حُرّ دارك وطينٌ حُرٌّ: لا رمل فيه. ورملة حُرَّة: لا طين فيها، والجمع حَرائِرُ. والحُرَّةُ: الكريمة من النساء.

وسحابة حُرَّةٌ: بِكْرٌ يصفها بكثرة المطر. الجوهري: الحُرَّةُ الكريمة؛ يقال: ناقة حُرَّةٌ وسحابة حُرَّة أي كثيرة المطر؛ قال عنترة: جادَتْ عليها كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ، فتَرَكْنَ كلَّ قرارَةٍ كالدِّرْهَمِ أراد كل سحابة غزيرة المطر كريمة. وحُرُّ البَقْل والفاكهة والطين: جَيِّدُها. وحُرُّ الوجه: ما بدا من الوجنة.

وتحرير الكتابة: إقامة حروفها وإصلاح السَّقَطِ. وتَحْريرُ الحساب: إثباته مستوياً لا غَلَتَ فيه ولا سَقطَ ولا مَحْوَ. والمُحَرَّرُ النَّذِيرُ.(١) والحُرُّ بالضم: خلاف العبد. والحُرَّةُ: خلاف الأمَة. وتَحْريرُ الرقبة: عِتْقُها.(٢) حر :الحاء والراء في المضاعف له أصلان: فالأوّل ما خالف العُبودِيّة وبَرِئَ من العيب والنَّقص. يقال هو حُرٌّ بيِّنُ الحَرُوريّة والحُرِّيّة.(٣)

١- لسان العرب - ابن منظور.

٢- الصَّحَاح في اللغة - الجوهري.

٣- مقاييس اللغة - ابن فارس.

معاني الحرية

الحرية في الفكر المعاصر لها معانٍ سامية كثيرة، فالكثير من الفلاسفة والمفكرين يرى الحرية من عدة جوانب أو زوايا، فيمكن وصف الحرية كالتالي:

"الحرية هي غياب الإكراه."(١)

"بمعنى أن الحرية هي حالة التحرر من القيود التي تكبل طاقات الإنسان وإنتاجه سواء كانت قيوداً مادية أو قيوداً معنوية، فهي تشمل التخلص من العبودية لشخص أو جماعة، التخلص من الضغوط المفروضة على شخص ما لتنفيذ غرض ما، أو التخلص من الإجبار والفرض. الحرية هي إمكانية الفرد بدون أي جبر أو ضغط خارجي على اتخاذ قرار أو تحديد خيار من عدة إمكانيات موجودة. مفهوم الحرية يعين بشكل عام شرط الحكم الذاتي في معالجة موضوع ما.(١)"

الحرية الشاملة حسب اعتقادي هي عدم وجود حاجز أو عقبة أو شريعة أو دين أو فكر أو قانون يمنع الفرد من ممارسة حقوقه/حقوقها التي أقرها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بشكل كامل ومطلق، فله/لها حرية اعتناق الآراء و الأفكار والنظريات الفلسفية و السياسية و الدينية و الاقتصادية و الاجتماعية و النفسية و العلمية، والتعبير عنها بأي شكل من الأشكال، على أن لا يؤدي ذلك التعبير أو الممارسة إلى الإضرار أو تجاوز أو سلب حقوق وحريات الآخرين. ومن ضمنها عدم الاعتداء الجسدي على الآخرين أو على حياتهم، وعدم تعريض سلامتهم الجسدية و النفسية للخطر، وعدم تعريض أموالهم و ممتلكاتهم للسلب والنهب، وعدم هتك أعراضهم، أو تعريض كراماتهم للمهانة أو الإساءة والتحقير. وعدم إرغام أي شخص سواء بالقوة أو التهديد، أو بواسطة مبدأ العصا و الجزرة على اعتناق أو ترك فكر أو دين أو نظرية أو الانتماء لجماعة دينية أو فكرية أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية. و الحرية من الجانب الروحي هو التحرر من سلطان الشهوات بكافة أنواعها ودرجاتها، وسلطان المادة والعالم، وسلطان الجسد وسلطان الشيطان، وسلطان الخطية ، وسلطان الهموم والمشاكل النفسية، وهذه جميعاً لا تتحقق إلا باتباع السيد المسيح له كل المجد.

هذه بعض معاني ومبادئ الحرية التي استقيتها من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، التي أقرتها الأمم المتحدة في ١٠ ديسمبر من عام ١٩٤٨م، في قصر شايو في باريس. فهذا الإعلان يعد بحق نصر كبير للإنسان والإنسانية المعذبة. وجدير بنا أن نشير هاهنا إلى أن الكثير من مكونات ذلك الإعلان قد بنيت على أساس تعاليم السيد المسيح له كل المجد.

١- موسوعة ويكيبيديا- الموسوعة الحرة.

الباب الثاني: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

الديباجة

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم. ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم. ولما كان من الجوهري تعزيز تنمية العلاقات الودية بين الدول، ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها. ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد.

فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

المادة ١

- **يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.**

المادة ٢

١- لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة ٣

- **لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.**

المادة ٤

- **لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما.**

المادة ٥

- **لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.**

المادة ٦

- **لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية.**

المادة ٧

- **كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تميز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.**

المادة ٨

- **لكل شخص الحق في أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية لإنصافه عن أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون.**

المادة ٩

- **لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.**

المادة ١٠

- **لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظراً عادلاً علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه.**

المادة ١١

- **(١) كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته قانوناً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.**
- **(٢) لا يدان أي شخص من جراء أداة عمل أو الامتناع عن أداة عمل إلا إذا كان ذلك يعتبر جرماً وفقاً للقانون الوطني أو الدولي وقت الارتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.**

المادة ١٢

- **لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.**

المادة ١٣

- **(١) لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة.**
- **(٢) يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه.**

المادة ١٤

- **(١) لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء إليها هرباً من الاضطهاد.**
- **(٢) لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.**

المادة ١٥

- **(١) لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.**
- **(٢) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها.**

المادة ١٦

- **(١) للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.**
- **(٢) لا يبرم عقد الزواج إلا برضى الطرفين الراغبين في الزواج رضى كاملاً لا إكراه فيه**
- **(٣) الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.**

المادة ١٧

- **(١) لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.**
- **(٢) لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.**

المادة ١٨

- **لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة.**

المادة ١٩

- **لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.**

المادة ٢٠

- **(١) لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.**
- **(٢) لا يجوز إرغام أحد على الانضمام إلى جمعية ما.**

المادة ٢١

- (١) لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً.
- (٢) لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.
- (٣) إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

المادة ٢٢

- لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية وفي أن تحقق بوساطة المجهود القومي والتعاون الدولي وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

المادة ٢٣

- (١) لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له حق الحماية من البطالة.
- (٢) لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر متساو للعمل.
- (٣) لكل فرد يقوم بعمل الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان تضاف إليه، عند اللزوم، وسائل أخرى للحماية الاجتماعية.
- (٤) لكل شخص الحق في أن ينشئ وينضم إلى نقابات حماية لمصلحته

المادة ٢٤

- لكل شخص الحق في الراحة، وفي أوقات الفراغ، ولاسيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر.

المادة ٢٥

- (١) لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز

والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته.

- **(٢) للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أو بطريقة غير شرعية.**

المادة ٢٦

- **(١) لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.**
- **(٢) يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام.**
- **(٣) للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم.**

المادة ٢٧

- **(١) لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه.**
- **(٢) لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني.**

المادة ٢٨

- **لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحققاً تاما.**

المادة ٢٩

- **(١) على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نمواً حراً كاملاً.**
- **(٢) يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير و حرياته و احترامها و لتحقيق المقتضيات العادلة للنظام**

العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي.

- (٣) لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوقِ ممارِسة تتناقضِ مع أغراضِ الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة ٣٠

- ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه.

الباب الثالث: حقوق الإنسان وحرية المعتقد حسب المفهوم الإسلامي

ان من المسلم به لدى كافة المسلمين على اختلاف طوائفهم أن أبا بكر قد حارب العرب الذين ارتدوا عن دين الإسلام، سواء كان ارتدادهم بالقول أو الفعل. فأصحاب محمد رسول الإسلام قد عرفوا معنى قول كاتب القرآن: " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين"(١) وقد أدركوا متيقنين أنها كانت آية منسوخة. بل أن الشيعة الإمامية يبررون عدم قيام علي ابن أبي طالب باسترداد حقه في الخلافة، أو حتى عدم المطالبة بها في وقتها، مرجعين سبب ذلك إلى ردة العرب عن الإسلام، وانشغاله بإرجاعهم مكرهين بقوة السيف. فقد وقف مع الخليفة الأول في ارغامهم على اعتناق الإسلام مجدداً كما اعتنقوه في أيام حياة محمد - رسول الإسلام - مكرهين على ذلك.

١ - الإكراه في الدين

الإسلام لا يتبني حرية المعتقد أو الدين أو الفكر وذلك حسب نصوص صريحة وَ واضحة من أمهات الكتب الإسلامية الشيعية الإمامية الإثناعشرية:

أ- فقد ورد في كتاب نهج البلاغة أن الإمام علي ابن ابي طالب كتب إلى مالك الأشتر لما ولاه حاكماً على مصر، وكان مما جاء فيه: "أما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا (صلعم) نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين ، فلما مضى (صلعم) تنازع المسلمون الامر من بعده، فو الله ما كان يلقي في روعي ، ولا يخطر ببالي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده (صلعم)عن أهل بيته ، ولا انه منحوه عنّي من بعده (صلعم) فما راعني الا انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون الى محق دين محمد (صلعم) فخشيت ان لم أنصر الاسلام وأهله ان أرى فيه ثلما او هدما ، تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع ايام قلائل يزول منها ما كان ، كما يزول السراب وكما يتقشع السحاب ، فنهضت في تلك الاحداث حتى راح الباطل وزهق ، وطمأن الدين وتنهنه". فهذا نص صريح على مباردة الإمام علي بإكراه الناس وارغامهم على اعتناق دين الإسلام مجدداً. فالآية: " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين" آية منسوخة، وها هو الإمام علي يتجاهل تلك الآية وكأنها لم تكن قد كتبت في المصحف، لعلمه الأكيد أن حكمها لم تعد له قيمة تذكر، أي منسوخة حكماً. فلو أن لتلك الآية أي مفعول لما جيَّش الخليفة الأول تلك الجيوش الجرارة لمحاربة المرتدين عن الإسلام، وأيضاً لما سانده كبار صحابة محمد - رسول الإسلام - ومن ضمنهم طبعاً الإمام علي، الذي قدم له كامل دعمه ومساندته. فقد غض الطرف عن حقه في الخلافة حتى عاد الإسلام لقوته بالقوة.

١- سورة البقرة - آية: ٢٥٦.

ب - أن سبب نزول الآية ومن ثم نسخها :"لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين قد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " : قيل نزلت الآية في رجل من الأنصار كان لـه غلام أسود يقال لـه صبيح وكان يكرهه على الإسلام عن مجاهد، وقيل "نزلت في رجل من الأنصار يدعى أبا الحصين كان لـه ابنان فقدم تُجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبعدهما الله هما أول من كفر" "فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما فأنزل الله "فلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ(١)" الآية قال، وكان هذا قبل أن يؤمر النبي بقتال أهل الكتاب ثم نسخ وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة عن السدي، وهكذا قال ابن مسعود وابن زيد أنها منسوخة بآية السيف(٢) وقال الباقون هي محكمة وقيل "كانت امرأة من الأنصار تكون مقلاتاً فترضع أولاد اليهود فجاء الإسلام وفيهم جماعة منهم فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من الأنصار فقالوا يا رسول الله أبناؤنا وإخواننا فنزلت "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين" فقال: "خيروا أصحابكم فإن اختاروكم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم" عن ابن عباس(٣)".

ج- قيل في معنى قوله "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين" أربعة أقوال: أولها - قال الحسن وقتادة والضحاك: إنها في أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية. الثاني - قال السدي وابن زيد: إنها منسوخة بالآيات التي أمر فيها بالحرب نحو قوله: "فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ(٤)" وقوله: "فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ(٥)"، الثالث - قال ابن عباس وسعيد بن جبير: إنها نزلت في بعض أبناء الانصار وكانوا يهوداً فأريد إكراههم على الاسلام. الرابع - قيل " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين " أي لا تقولوا لمن دخل فيه بعد حرب إنه دخل مكرها، لأنه إذا رضي بعد الحرب، وصح اسلامه فليس بمكره(٦)، فان قيل كيف تقولون " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين " وهم يقتلون عليه! قلنا المراد بذلك لا إكراه فيما هو دين في الحقيقة، لأن ذلك من أفعال القلوب إذا فعل لوجه بوجوبه، فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين، فليس بدين، كما أن من أكره على كلمة الكفر لم يكن كافراً(٧)".

١- سورة النساء، آية: ٦٥.

٢- آية السيف هي آية ٢٩ - سورة التوبة " قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ".

٣- تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن- الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي .

٤- سورة التوبة - آية: ٥ "فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ".

٥- سورة محمد - آية: ٤" فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ".

٦- تبرير علماء الإسلام عن معنى الإكراه والتلاعب بالكلمات من أجل تلميع الصورة النمطية للإسلام. الرجاء ملاحظة ما بعده من تبريرات غير منطقية أيضاً، هذا هو الخداع الذي دام ١٤ قرن من الزمن.

٧- تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن - شيخ الطائفة ابو جعفر محمد الطوسي.

د - يعلل آية الله السيد الطباطبائي مؤلف تفسير الميزان، ضمن تفسيره للآية (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين) بقوله:" وهذه إحدى الآيات الدالة على أن الإسلام لم يبتن على السيف و الدم، و لم يفت بالإكراه و العنوة على خلاف ما زعمه عدة من الباحثين من المنتحلين و غيرهم أن الإسلام دين السيف استدلوا عليه: بالجهاد الذي هو أحد أركان هذا الدين". ويضيف أيضاً: " ويظهر مما تقدم أن الآية أعني قوله: لا إكراه في الدين غير منسوخة بآية السيف كما ذكره بعضهم". انتهى

طبعاً أي عاقل لن يقول إن الإسلام قد انتشر بتبادل القبلات والابتسامات، بل أن التاريخ يشهد على انتشار الإسلام بقوة السيف وحسب. وقد قال المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي(١):" إن الجهاد مع الكفار من أحد أركان الدين الاسلامي وقد تقوى الاسلام وانتشر أمره في العالم بالجهاد مع الدعوة إلى التوحيد في ظل راية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن هنا قد اهتم القرآن الكريم به في ضمن نصوصه التشريعية، حيث قد ورد في الآيات الكثيرة وجوب القتال والجهاد على المسلمين مع الكفار المشركين حتى يسلموا أو يقتلوا". وهذه الفتوى تمثل اعتراف وإقرار صريح بأن الإسلام لم يعطي خيار إلا القتل، وهو ما يعطي صورة مغايرة عما يتشدق به مشايخ الإسلام من أن الدين الإسلامي لم يكن دين سيف أو لم يبتن على السيف والدم، مثلما صرح بذلك مؤلف كتاب (الميزان في تفسير القرآن) آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي. وللدلالة على عدم صحة ما ذهب إليه مؤلف تفسير الميزان، نورد أيضاً ما ذكره الشيخ محمد باقر المجلسي في كتابه بحار الأنوار، فقد استشهد برواية تتناسق والمنطق القرآني والتاريخي، فقال:" عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه قال إن الله بعث محمدا (ص) بخمسة أسياف فسيف على أهل الذمة قال الله "وَ قُولُوا لِلنَّاس حُسْناً" نزلت في أهل الذمة ثم نسختها أخرى قوله "قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ" إلى "وَهُمْ صاغِرُونَ" فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلا أداء الجزية أو القتل و يؤخذ مالهم و تسبى ذراريهم فإذا قبلوا الجزية ما حل لنا نكاحهم و لا ذبحهم و لا يقبل منهم إلا أداء الجزية أو القتل(٢)". أيضاً ورد في نفس المصدر رواية أخرى تفيد و تؤكد أن دلالة إرغام أهل الكتاب بدفع الجزية ما هي إلا وسيلة قهر واستبداد لإكراههم على اعتناق الإسلام في المحصلة النهائية: "عن زرارة قال قلت لأبي عبد الله (ع) ما حد الجزية على أهل الكتاب و هل عليهم في ذلك شيء يوصف لا ينبغي أن يجوز إلى غيره فقال ذلك إلى الإمام يأخذ من كل إنسان منهم ما شاء على قدر ماله و ما يطيق إنما هم قوم فدوا أنفسهم من أن يستعبدوا أو يقتلوا فالجزية تؤخذ منهم على قدر ما يطيقون له أن يأخذ منهم بها حتى يسلموا فإن الله قال "حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ" قلت و كيف يكون صاغرا و هو لا يكترث لما يؤخذ منه قال لا حتى يجد ذلا لما أخذ منه و يألم لذلك فيسلم(٣)".

١- منهاج الصالحين - المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي - الجزء الأول ، الصفحة ٣٦٣.
٢- بحار الأنوار - الشيخ محمد باقر المجلسي - الجزء ٩٧، باب ١٢- الجزية و أحكامها.
٣- بحار الأنوار - الشيخ محمد باقر المجلسي - الجزء ٩٧، باب ١٢- الجزية و أحكامها.

مما سبق يتأكد لنا بنصوص صريحة وَ واضحة أن الآية: "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين" هي منسوخة، قال بذلك جمع من علماء المسلمين. ومن لم يذهب إلى ذلك الرأي حاول التدليس ليوفق بين الواقع في ممارسة الإسلام للإكراه والتعسف لإرغام الآخرين على اعتناقه كراهية وبين نصوص بالية ليس بالإمكان تطبيقها، ذلك أن رسول الإسلام محمد وأهل بيته قد قاموا بشكل فعلي وقطعي، وحسب نصوص إسلامية شيعية صحيحة، بممارسات غير إنسانية بحق الكثير من المدنيين الأبرياء، وصلت إلى حد القتل والتعذيب والنفي والسبي والاستعباد (الاسترقاق)، إضافة إلى مصادرة أموالهم بقوة السيف والسلاح. وقد قمت بتقديم أدلة وبراهين من افواه المراجع الكبار و العلماء الشيعة الإثناعشرية في هذا الباب من هذا الفصل، فليراجع.

٢- قتل و/أو تعذيب المرتد عن الإسلام

الإسلام ينص وبكل صراحة وَ وضوح تامين بوجوب قتل كل من يرفض أن يعتنق الإسلام أو أن يدفع الجزية، وذلك بالنسبة لليهود والمسيحيين (والبعض أضاف إليهم المجوس والصابئة). أو التخيير بين القتل أو اعتناق الإسلام لأي شخص لا يعد من أهل الكتاب. وبالنسبة للمرتد الفطري فلا يوجد لديه خيار سوى مواجهة مصيره الحتمي بالقتل بدم بارد. و للبرهنة على ذلك نستشهد بنص صريح جداً لأحد أكبر مراجع الشيعة الإثناعشرية. فقد تم توجيه السؤال التالي إلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني: ما هو تعريفكم للمرتد بالتفصيل؟

الجواب :"المرتد وهو من خرج عن الاِسلام واختار الكفر على قسمين: فطري وملّي، والفطري من ولد على اسلام احد ابويه أو كليها ثم كفر، وفي اعتبار اسلامه بعد التمييز قبل الكفر وجهان اقربهما الاعتبار. وحكم الفطري انه يقتل في الحال، وتبين منه زوجته بمجرد ارتداده وينفسخ نكاحها بغير طلاق، وتعتد عدة الوفاة - على ما تقدم - ثم تتزوج ان شاءت، وتُقسّم امواله التي كانت له حين ارتداده بين ورثته بعد اداء ديونه كالميت ولا ينتظر موته، ولا تفيد توبته ورجوعه الى الاسلام في سقوط الاحكام المذكورة مطلقاً على المشهور، ولكنه لا يخلو عن شوب اشكال، نعم لا اشكال في عدم وجوب استتابته. وأما بالنسبة الى ما عدا الاحكام الثلاثة المذكورات فالأقوى قبول توبته باطناً وظاهراً، فيطهر بدنه وتصح عباداته ويجوز تزويجه من المسلمة، بل له تجديد العقد على زوجته السابقة حتى قبل خروجها من العدة على القول ببينونتها عنه بمجرد الارتداد، والظاهر انه يملك الاموال الجديدة بأسبابه الاختيارية كالنجارة والحيازة والقهرية كالإرث ولو قبل توبته. واما المرتد الملّي - وهو من يقابل الفطري - فحكمه انه يستتاب، فان تاب وإلاّ قتل، وانفسخ نكاح زوجته إذا كان الارتداد قبل الدخول أو كانت يائسة أو صغيرة ولم تكن عليها عدة، وأما إذا كان الارتداد بعد الدخول وكانت المرأة في سن من تحيض وجب عليها ان تعتد عدة الطلاق من حين الارتداد، فان رجع عن ارتداده الى الاسلام قبل انقضاء العدة بقي الزواج على حاله على الاقرب وإلاّ انكشف انها قد بانت عنه عند الارتداد. ولا تقسم أموال المرتد

الملي إلاّ بعد موته بالقتل أو غيره، وإذا تاب ثم ارتد ففي وجوب قتله من دون استتابة في الثالثة أو الرابعة اشكال. هذا إذا كان المرتد رجلاً، واما لو كان امرأة فلا تقتل ولا تنتقل اموالها عنها الى الورثة إلاّ بالموت، وينفسخ نكاحها بمجرد الارتداد بدون اعتداد مع عدم الدخول أو كونها صغيرة أو يائسة وإلاّ توقف الانفساخ على انقضاء العدة وهي بمقدار عدة الطلاق كما مر في المسألة (٥٦٣). وتحبس المرتدة ويضيّق عليها وتضرب على الصلاة حتى تتوب فان تابت قبلت توبتها، ولا فرق في ذلك بين أن تكون مرتدة عن ملة أو عن فطرة"(١).

فالفتوى السابقة هي مبنية أساساً على أحاديث وروايات تأكدت صحتها لدى غالبية علماء ومراجع الطائفة الشيعية الإمامية الإثناعشرية، كونها مروية عن الإمام المعصوم لديهم. ويمكننا تحليها كالتالي:

أ - عقوبة المرتد الفطري: وهو الشخص البالغ والعاقل من الذكور، وهو الذي ولد على الاسلام من أبوين مسلمين أو من أبوين أحدهما مسلم:

- **القتل فوراً ودون استتابة.**
- **ينفسخ عقد النكاح (الزواج)، وتبين (تحرم) منه زوجته بمجرد ارتداده وينفسخ (يبطل) نكاحها (زواجها) بغير طلاق، وتعتد عدة الوفاة. ثم تتزوج ان شاءت بأي شخص آخر.**
- **تُقسّم امواله التي كانت له حين ارتداده بين ورثته بعد اداء ديونه كالميت ولا ينتظر موته.**
- **لا تفيد توبته ورجوعه الى الاسلام.**
- **لو أسلم من جديد (مجبوراً ومكرهاً خوفاً من القتل) فيطهر بدنه (لأن الكافر يعد من الأعيان النجسة) وتصح عباداته ويجوز تزويجه من المسلمة، بل له تجديد العقد على زوجته السابقة حتى قبل خروجها من العدة على القول ببينونتها عنه (بحرمتها عليه) بمجرد الارتداد.**

ب - عقوبة المرتد الملي: وهو الشخص البالغ والعاقل من الذكور، وهو من أسلم عن كفر ثم ارتد ورجع إليه:

- **انه يستتاب، فان تاب وإلاّ قتل.**
- **ينفسخ نكاح (عقد الزواج) زوجته إذا كان الارتداد قبل الدخول أو كانت يائسة أو**

١- مسألة ٩٦٧ - منهاج الصالحين - الجزء الثالث - زعيم الحوزة العلمية بالنجف المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني. وقد نقلنا نص السؤال من الموقع الإلكتروني للسيد السيستاني.

صغيرة ولم تكن عليها عدة، وأما إذا كان الارتداد بعد الدخول وكانت المرأة في سن من تحيض وجب عليها ان تعتد عدة الطلاق من حين الارتداد، فان رجع عن ارتداده الى الاسلام قبل انقضاء العدة بقي الزواج على حاله على الاقرب وإلاّ انكشف انها قد بانت (حرمت عليه) عنه عند الارتداد.

- لا تقسم أموال المرتد الملي إلاّ بعد موته بالقتل أو غيره.
- إذا تاب ثم ارتد ففي وجوب قتله من دون استتابة في الثالثة أو الرابعة اشكال.

ج - عقوبة المرأة المرتدة (عن ملة أو عن فطرة): وهي أي شخص بالغ وعاقل من الإناث، و المولودة من أبوين مسلمين أو غير مسلمين، أو أحدهما مسلم. فبالإضافة إلى فتوى السيد السيستاني هناك فتوى أخرى للمرجع الأعلى آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي بخصوص عقوبة المرأة المرتدة عن الدين الإسلامي تم ذكرها في تكملة منهاج الصالحين(١)، تنص على التالي:

" إذا ارتدت المرأة ولو عن فطرة لم تقتل وتبين من زوجها وتعتد عدة الطلاق وتستتاب فإن تابت فهو، وإلا حبست دائما وضربت في أوقات الصلاة، واستخدمت خدمة شديدة، ومنعت الطعام والشراب إلا ما يمسك نفسها، وألبست خشن الثياب".

- لا تقتل.
- لا تنتقل اموالها عنها الى الورثة إلاّ بالموت.
- ينفسخ نكاحها (يبطل عقد زواجها) بمجرد الارتداد بدون اعتداد مع عدم الدخول أو كونها صغيرة أو يائسة وإلاّ توقف الانفساخ على انقضاء العدة وهي بمقدار عدة الطلاق.
- تحبس ويضيّق عليها بشكل دائم(تعذيب نفسي).
- تضرب على الصلاة حتى تتوب (تعذيب جسدي).
- تستخدم خدمة شديدة إلى درجة الإرهاق(تعذيب نفسي وجسدي).
- تمنع الطعام والشراب إلا ما يمسك نفسها، و تلبس خشن الثياب(تعذيب نفسي وجسدي).

وهكذا يتضح مدى الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان من خلال هذه الفتاوى الإسلامية الشيعية، التي ُبنِيَتْ على روايات قد ثَبُتَ صحتها عن الإمام المعصوم من أهل البيت، بدليل قيام المجتهدين الكبار من علماء الشيعة الإمامية باستنباط الأحكام الشرعية منها، ثم الإفتاء بناء على ذلك.

١- (مسألة ٢٧١)- تكملة منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي - الصفحة ٥٣.

و نستنتج من هذا إن نصوص غير قليلة من مواد وبنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان قد تم انتهاكها وضربها بعرض الحائط، وذلك بفضل التعاليم الإسلامية المستسقاة من القرآن وأحاديث أهل البيت. وأرقام تلك المواد التي تم انتهاكها هي كالتالي(١): المادة١، المادة٢، المادة٣، المادة٥، المادة٧، المادة٩، المادة ١٧(٢)، المادة١٨، المادة١٩.

وهذه الفتوى، التي تعبر عن رأي الإسلام، تعتبر أيضاً تحدٍ لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٥٥/٣٦ المؤرخ في ٢٥ نوفمبر ١٩٨١م بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد، فقد نصت المادة الأولى منه على ما يلي:

١- لكل إنسان الحق في حرية التفكير والوجدان والدين. ويشمل هذا الحق حرية الإيمان بدين أو بأي معتقد يختاره، وحرية إظهار دينه أو معتقده عن طريق العبادة وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، سواء بمفرده أو مع جماعة، وجهرا أو سرا. ٢- لا يجوز تعريض أحد لقسر يحد من حريته في أن يكون له دين أو معتقد من اختياره. ٣- لا يجوز إخضاع حرية المرء في إظهار دينه أو معتقداته إلا لما قد يفرضه القانون من حدود تكون ضرورية لحماية الأمن العام أو النظام العام أو الصحة العامة أو الأخلاق العامة أو حقوق الآخرين وحرياتهم الأساسية".

وقد وصفت المادة الثالثة من ذلك القرار الأممي أن أي عمل من شأنه أن يشكل تمييز بين البشر على أساس ديني يعد إهانة للكرامة الإنسانية وانتهاك صريح لحقوق الإنسان وحرياته المصانة بموجب المواثيق الدولية، حيث نصت:" يشكل التمييز بين البشر على أساس الدين أو المعتقد إهانة للكرامة الإنسانية وإنكارا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، ويجب أن يشجب بوصفه انتهاكا لحقوق الإنسان والحريات الأساسية التي نادى بها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والواردة بالتفصيل في العهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان، وبوصفه عقبة في وجه قيام علاقات ودية وسلمية بين الأمم".

وقد فصلت المادة السادسة جميع الحقوق التي شملها ذلك القرار الأممي، فنصت على أنه:" وفقا للمادة ١ من هذا الإعلان، ورهنا بأحكام الفقرة ٣ من المادة المذكورة، يشمل الحق في حرية الفكر أو الوجدان أو الدين أو المعتقد، فيما يشمل، الحريات التالية:(أ) حرية ممارسة العبادة أو عقد الاجتماعات المتصلة بدين أو معتقد ما، وإقامة وصيانة أماكن لهذه الأغراض، (ب) حرية إقامة وصيانة المؤسسات الخيرية أو الإنسانية المناسبة، (ج) حرية صنع واقتناء واستعمال القدر الكافي من المواد والأشياء الضرورية المتصلة بطقوس أو عادات دين أو معتقد ما، (د) حرية كتابة وإصدار وتوزيع منشورات حول هذه المجالات، (هـ) حرية تعليم الدين أو المعتقد في

١- الرجاء مراجعة الصفحات ١٥ إلى ٢١ للاطلاع على كامل المواد و البنود ذات العلاقة.

أماكن مناسبة لهذه الأغراض، (و) حرية التماس وتلقى مساهمات طوعيه، مالية وغير مالية، من الأفراد والمؤسسات، (ز) حرية تكوين أو تعيين أو انتخاب أو تخليف الزعماء المناسبين الذين تقضي الحاجة بهم لتلبية متطلبات ومعايير أي دين أو معتقد، (ح) حرية مراعاة أيام الراحة والاحتفال بالأعياد وإقامة الشعائر وفقا لتعاليم دين الشخص أو معتقده، (ط) حرية إقامة وإدامة الاتصالات بالأفراد والجماعات بشأن أمور الدين أو المعتقد على المستويين القومي والدولي". انتهى.

٣- وجوب قتل أو قتال غير المسلمين بقوة السلاح

لأضع القارئ الكريم في الصورة وحتى يتأكد مما نقوله صحيح ١٠٠% ، فأني لم اسرد أحاديث مروية عن طريق أهل البيت بشكل مباشر، إذ لربما شك بعضهم بصحتها أو ضعفها في الإسناد أو المتن. عوضاً عن ذلك قمت بسرد فتاوي لأكبر المراجع الدينية للشيعة الإمامية الإثناعشرية في العصر الحديث، وذلك من أجل أن يطمئن القارئ الكريم إلى صحة ما ننقله.

لقد أفتى آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي في رسالته العملية[١] بما يلي:" فيمن يجب قتاله، وهم طوائف ثلاث: الطائفة الأولى: الكفّار المشركون غير أهل الكتاب، فإنه يجب دعوتهم إلى كلمة التوحيد والإسلام، فإن قبلوا وإلا وجب قتالهم وجهادهم إلى أن يسلموا أو يُقتلوا وتطهّر الأرض من لوث وجودهم. ولا خلاف في ذلك بين المسلمين قاطبة، ويدلّ على ذلك غير واحد من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: «فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة[٢]» وقوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله[٣]» وقوله تعالى: «حرّض المؤمنين على القتال[٤]» وقوله تعالى: «فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين[٥]» وقوله تعالى: «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة[٦]» وغيرها من الآيات. والروايات المأثورة في الحثّ على الجهاد ـ وأنه ممّا بُني عليه الإسلام ومن أهم الواجبات الإلهية ـ كثيرة، والقدر المتيقّن من مواردها هو الجهاد مع المشركين. الطائفة الثانية: أهل الكتاب من الكفّار، وهم اليهود والنصارى، ويلحق بهم المجوس والصابئة، فإنه يجب مقاتلتهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ويدل عليه الكتاب والسنّة. قال الله تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[٧]» والروايات الواردة في اختصاص أهل الكتاب بجواز أخذ الجزية منهم كثيرة وسيجيء البحث عنه". انتهى.

١- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي - الجزء الأول ، الصفحة ٣٦٠ ، الطبعة: الثامنة والعشرون - ١٤١٠هـ.
٢- سورة النساء الآية: ٧٤. ٣- سورة الأنفال، الآية: ٣٩. ٤- سورة الأنفال، الآية: ٦٥. ٥- سورة التوبة، الآية: ٥.
٦- سور التوبة، الآية: ٣٦. ٧- سورة التوبة، الآية: ٢٩.

وحيث كما قلنا سابقاً أن الفتاوى الصادرة من المراجع الشيعية الإمامية الإثناعشرية هي مبنية أساساً على أحاديث وروايات تيقنت صحتها عن الإمام المعصوم لديهم. لذا يمكننا تحليل تلك الفتوى بما يلي:

- **وجوب قتال غير المسلمين وجهادهم إلى أن يسلموا أو يُقتلوا وتطهّر الأرض من لوث وجودهم.**
- **لا خلاف في ذلك بين المسلمين قاطبة، ويدلّ على ذلك غير واحد من الآيات القرآنية. بجانب الروايات المأثورة في الحثّ على الجهاد.**
- **يجب مقاتلة اليهود والنصارى، والمجوس والصابئة حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ويدل عليه الكتاب والسنّة.**

لنفترض جدلاً أن أحد حاخامات اليهود من الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية قام بإصدار هذه الفتوى؟ وكانت فتوى ذلك الحاخام تقرأ هكذا: "وجوب قتال غير اليهود وجهادهم إلى أن يتهودوا أو يُقتلوا وتطهّر الأرض من لوث وجودهم"، ألن يمقتها ويستنكرها حينها كل مسلم حول العالم؟ لما تحمل تلك الفتوى من تمييز عنصري بغيض، و تشجيع على أعمال القتل والمجازر الجماعية بدعوى تطهير الأرض من المخالفين عقائدياً. اني افترض هذا جدلاً و ليس دفاعاً عن الدولة العبرية لأنني لست من المؤيدين لسياسات هذه الدولة الصهيونية على الإطلاق. فهذا ما يتجلى لنا بوضوح تام من خلال قراءتنا هذه الجملة من تلك الفتوى: "تطهّر الأرض من لوث وجودهم"، أنها ليست دعوى للكراهية و لممارسة التمييز العنصري المبني على الدين فحسب، بل انها دعوى صريحة وعلنية للتطهير الجماعي، أي القتل الجماعي. ويمكننا تحسس روح الغطرسة والتعالي المثير للاشمئزاز في هذه الفتوى أيضاً ، وهو مما يؤسف له في الواقع.

من جانب آخر هذه الفتوى تبرهن لنا أن دين الإسلام هو من يمثل الطرف المعتدي على الآخرين وليس العكس. فقد خير الإسلام غير المسلمين بأمرين أحلاهما مر وعلقم، فأما أن يتخلوا عن معتقدهم ويسلموا، أو يقتلوا بدم بارد. وهذا ما نصت عليه بوضوح تلك الفتوى: " إلى أن يسلموا أو يُقتلوا". فأرجوا أن لا يأتي شخص بعد ذلك ويزعم أن الإسلام دين سلام ومحبة!!

والمرجع الأعلى آية الله العظمى السيد الخوئي يرى أن ذلك الأمر متفق عليه لدى جميع الطوائف الإسلامية دون استثناء، إذ يقول في فتواه تلك: "ولا خلاف في ذلك بين المسلمين قاطبة". وحيثيات الفتوى لم تأت من فراغ، بل هي من وحي القرآن والعترة من أهل البيت، إذ يقول آية

الله السيد الخوئي:" ويدلّ على ذلك غير واحد من الآيات القرآنية. بجانب الروايات المأثورة في الحثّ على الجهاد".

فلا يوجد خيار لليهود والنصارى والمجوس والصابئة سوى دفع الجزية أو اعتناق الإسلام أو الموت قتلاً بالسيف. فلا يوجد لهم مفر آخر. فليت شعري أهذا ما يدعيه علماء الإسلام بالحرية وحقوق الإنسان في الإسلام؟ أم مقولة عمر بن الخطاب تلك التي قيلت عن لسانه :" كيف تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟". إنها فقط شعارات فارغة المحتوى والمضمون. الجدير ذكره أن ابا لؤلؤة (المجوسي) الذي تم سبيه من فارس ثم أصبح عبد للمغيرة بن شعبة، ثم بعد ذلك قام باغتيال عمر بن الخطاب، ثأراً لوطنه ومواطنيه الفرس المعتدى عليهم من قبل الجيوش العربية بحجة نشر الدين الإسلامي هناك، حيث ارتكبوا مجازر رهيبة وبشعة بحق المدنيين الأبرياء تقشعر لها الجلود. إضافة إلى ذلك فقد تم سبي الكثير من نساء وأطفال الفرس، حيث تم ثم جلبهم إلى مدينة الرسول محمد مقيدين بالأصفاد والسلاسل. لقد حدث ذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكتب التاريخ التي سطرها المؤرخون المسلمون انفسهم خير شاهد على ذلك. فقد ذكر ابن الأثير واحدة من تلك المجازر البشعة التي قام بارتكابها المسلمون في بلاد فارس، حيث يقول في تاريخه[١] :" وقتل يومئذ منهم مائة ألف فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم فهي جلولاء الوقيعة".

ونعرج مرة أخرى إلى فتوى آية الله السيد الخوئي، التي ذكرنا سلفاً أنه تم بنائها على مصادر أحكام القرآن والروايات الصحيحة عن أهل البيت، وهو أقر به آية الله السيد الخوئي، حيث يقول:" ويدل عليه الكتاب والسنّة". وتلك الفتوى تعكس أيضاً روح الإسلام الحقيقي من غير رتوش أو تجميل أو تلميع. فهي بحق تنتهك المعاهدات والمواثيق الدولية التي تحرم وتجرم قتل الإنسان لمجرد رفضه الانصياع لقبول فكر أو دين. كذلك هذه الفتوى تعد دعوى تحريضية علنية ومباشرة على ارتكاب الإبادة الجماعية التي يجرمها القانون الدولي. فلا يوجد طريقة أسهل بنشر هذه الفتوى بشكل علني ومباشر إلا من خلال بثها إذاعيا، أو تضمينها في كتاب، ثم طبعه وتوزيعه في جميع اصقاع العالم. فقد نصت الفقرة (ج) من المادة الثالثة من اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها على أنه: "يُعاقب على الأفعال التالية: (ج) التحريض المباشر والعلني على ارتكاب الإبادة الجماعية". وقد نصت المادة الرابعة منه أنه" يعاقب مرتكبو الإبادة الجماعية أو أي فعل من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة، سواء كانوا حكاما دستوريين أو موظفين عامين أو أفرادا". كذلك بينت المادة الثانية الأفعال التي يعاقب عليها ذلك القانون، حيث نصت:" في هذه الاتفاقية، تعني الإبادة الجماعية أيا من الأفعال التالية، المرتكبة على قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو اثنية أو عنصرية أو دينية، بصفتها هذه:

١- الكامل في التاريخ - ابن الأثير- الجزء الثاني ، صفحة ٣٦٥.

(أ) قتل أعضاء من الجماعة،
(ب) إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة،
(ج) إخضاع الجماعة، عمدا، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كليا أو جزئيا،
(د) فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة،
(هـ) نقل أطفال من الجماعة، عنوة، إلى جماعة أخرى".

ويمكننا القول أيضاً أن تلك الفتوى، المبنية على أحكام القرآن والروايات الصحيحة، تنتهك وتضرب عرض الحائط الكثير من مواد وبنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، التي أقرتها هيئة الأمم المتحدة. وأرقام تلك المواد والبنود التي انتهكتها تلك الفتوى هي كما يلي(١): المادة ١، المادة ٢، المادة ٣، المادة ٥، المادة ٧، المادة ١٨ و المادة ١٩.

٤- جواز قتل الشيخ الفاني والمرأة والصبيان من غير المسلمين والمسلمين

ويسترسل آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي الموسوي في المسألة رقم (١٧)(٢) فيقول أنه يجوز قتل الشيخ الفاني والمرأة والصبيان من غير المسلمين والمسلمين في حالة تم استخدامهم كدروع بشرية من قبل أعداء الإسلام :"قد استثني من الكفار الشيخ الفاني والمرأة والصبيان، فإنه لا يجوز قتلهم، وكذا الأسارى من المسلمين الذين أسروا بيد الكفار، نعم لو تترس الأعداء بهم جاز قتلهم إذا كانت المقاتلة معهم أو الغلبة عليهم متوقفة عليه". و قد توصل السيد الخوئي إلى ذلك الحكم الشرعي بعد تيقنه لرواية صحيحة ثبت سندها عن طريق أهل البيت، فيقول:" وتؤيد ذلك رواية حفص بن غياث، قال: سألت أبا عبد الله عن مدينة من مدائن الحرب، هل يجوز أن يرسل عليها الماء أو تحرق بالنار أو ترمى بالمنجنيق حتى يقتلوا ومنهم النساء والصبيان والشيخ الكبير والأسارى من المسلمين والتجار؟ فقال: " يفعل ذلك بهم، ولا يمسك عنهم لهؤلاء، ولا دية عليهم للمسلمين ولا كفارة ".

يظن المسلم الشيعي بشكل خاطئ أن فكر وفقه أهل البيت في هذه المسائل يختلف جذرياً عن الفكر السلفي الوهابي أو السني. لكن في الحقيقة والواقع أنه لا يوجد أي خلاف بينهم في هذه المسألة بالذات. وفتوى السيد الخوئي هي خير شاهد على ذلك. فهي تنتهك بشكل صارخ وخطير جميع العهود والمواثيق الدولية، التي تحرم وتجرم جميع الأفعال التي تؤدي إلى ارتكاب مجازر جماعية أو قتل للمدنيين الأبرياء. لكن الواضح أن المذهب السلفي يصرح بذلك علانية دون خجل، أما علماء الشيعة فهم يحالون إخفاء تلك الحقيقة عن عامة الأحباء من الأخوة والأخوات

١- الرجاء مراجعة الصفحات ١٥ إلى ٢١ للاطلاع على تفاصيل المواد و البنود ذات العلاقة.
٢- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي الموسوي - الجزء الأول ، الصفحة ٣٧١.

الشيعة. ربما لعدم رغبتهم في أن لا يعرفوا الحقيقة المجردة التي مفادها أن مذهب أهل البيت ليس بخالٍ من العنف والإرهاب.

بالنسبة لأهل السنة والجماعة فقد أفرد مسلم في صحيحه باباً أطلق عليه "جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد"، والبيات معناه الإغارة عليهم ليلاً. فقال(١):" حدثنا يحيى بن يحيى وسعيد بن منصور وعمرو الناقد جميعا عن ابن عيينة قال يحيى أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن الصعب بن جثامة قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذراري من المشركين يبيتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال هم منهم".

ويعلق الإمام النووي أحج شُرَّاح صحيح مسلم على الحديث السابق بقوله: "وَهَذَا الْحَدِيث الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ جَوَاز بَيَاتهمْ وَقَتْل النِّسَاء وَالصِّبْيَان فِي الْبَيَات ، هُوَ مَذْهَبنَا وَمَذْهَب مَالِك وَأَبِي حَنِيفَة وَالْجُمْهُور. وَمَعْنَى (الْبَيَات ، وَيَبِيتُونَ) أَنْ يُغَار عَلَيْهِمْ بِاللَّيْلِ بِحَيْثُ لَا يُعْرَف الرَّجُل مِنْ الْمَرْأَة وَالصَّبِيّ. وَأَمَّا (الذَّرَارِيّ) فَبِتَشْدِيدِ الْيَاء وَتَخْفِيفهَا لُغَتَانِ، التَّشْدِيد أَفْصَح وَأَشْهَر، وَالْمُرَاد بِالذَّرَارِيِّ هُنَا النِّسَاء وَ الصِّبْيَان . وَفِي هَذَا الْحَدِيث : دَلِيل لِجَوَازِ الْبَيَات، وَجَوَاز الْإِغَارَة عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُمْ الدَّعْوَة مِنْ غَيْر إِعْلَامهمْ بِذَلِكَ".

ففتوى آية الله العظمى السيد الخوئي، المبنية على أحكام القرآن و الروايات الصحيحة عن أهل البيت، تنتهك أيضاً وبكل صراحة اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب، التي بدء سريان مفعولها في ٢١ أكتوبر ١٩٥٠م. فقد نصت المادة الثالثة من تلك الاتفاقية على أنه: " في حالة قيام نزاع مسلح ليس له طابع دولي في أراضي أحد الأطراف السامية المتعاقدة، يلتزم كل طرف في النزاع بأن يطبق كحد أدني الأحكام التالية:

١- الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم، والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر، يعاملون في جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أي تمييز ضار يقوم علي العنصر أو اللون، أو الدين أو المعتقد، أو الجنس، أو المولد أو الثروة أو أي معيار مماثل آخر. ولهذا الغرض، تحظر الأفعال التالية فيما يتعلق بالأشخاص المذكورين أعلاه، وتبقي محظورة في جميع الأوقات والأماكن:

(أ) الاعتداء علي الحياة والسلامة البدنية، وبخاصة القتل بجميع أشكاله، والتشويه، والمعاملة القاسية، والتعذيب،
(ب) أخذ الرهائن،

١- صحيح مسلم، الجهاد والسير- جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد.

(ج) الاعتداء علي الكرامة الشخصية، وعلي الأخص المعاملة المهينة و الحاطة بالكرامة،
(د) إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات دون إجراء محاكمة سابقة أمام محكمة مشكلة تشكيلا قانونيا، وتكفل جميع الضمانات القضائية اللازمة في نظر الشعوب المتمدنة". انتهى

الجدير ذكره وملاحظته أن الدولة الصهيونية قد نهجت نفس النهج الذي جاء في فتوى آية الله العظمى السيد الخوئي، حيث تم قتل الكثير من المدنيين في الأراضي الفلسطينية واللبنانية، فلم تفرق بين مدني أو عسكري، كما لم تفرق بين مسلم أو مسيحي أو درزي في ذلك. فماذا يفهم من تلك الفتوى التي طبقتها دولة إسرائيل على المسلمين والمسيحيين والدروز؟ وهل صفق المسلمون و طربوا لتلك العمليات الحربية التي قام الجيش الصهيوني ضد المدنيين هناك؟!!

٥- جواز تجارة الرقيق (ملك اليمين) أو الإتجار بالبشر

قبل أن أشرع في سرد أدلتنا في انتهاك الإسلام لحرمة الأعراض والمتاجرة بالجنس أو البشر، أود أن أذكر حكمة عظيمة قالها السيد المسيح له كل المجد، لعلها تذكرنا بتقوى الله سبحانه وتعالى في تصرفاتنا وأفعالنا تجاه إخواننا وأخواتنا في الإنسانية، حيث قال: " وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ هَكَذَا(١)". فهذه هي القاعدة الذهبية أي عامل الآخرين بلطف ومحبة كما تحب أن يعاملوك به. الملاحظ أن شيعة أهل البيت يعقدون مآتم دائمة طوال السنة، ينوحون فيها على الإمام الحسين وما جرى لأهل بيته من بعد مقتله على أيدي الجيش الأموي. وأكثر ما يشد انتباهي في ذلك هو رفضهم واستنكارهم التام لصنيع بني أمية، حيث تم أسر السيدة زينب بنت الإمام علي (أخت الإمام الحسين)، التي يعتقدون خطأً أنها كانت مسبية من سبايا أهل البيت. وهذا الأمر لا يمت للواقع بصلة ولا يوافقهم في ذلك أي مؤرخ مسلم، سواء كان ذلك المؤرخ سني أو شيعي. بل كانت السيدة زينب وأهل بيت الإمام الحسين أَسْرَى وحسب. والفرق بين الأسيرة والمسبية في الإسلام هو فرق ما بين السماء والأرض. فالأسيرة تحجز وربما تسجن، لكن لا يجوز بيعها أو شرائها أو مضاجعتها جنسياً. ولا يوجد في الإسلام تشريع يجوز سبي النساء المسلمات، بل يوجب سبي النساء الغير مسلمات، حيث يجوز بيعهن وشرائهن ومضاجعتهن جنسياً. وهذا مالم يحدث لأهل بيت الإمام الحسين بعد معركة الطف.

ولقد أشار آية الله العظمى السيد الخوئي ضمن المسألة رقم (٢٢)(٢) إلى جواز امتلاك المرأة الغير مسلمة التي يتم سبيها في الحرب، التي تعد أيضاً ضمن الغنائم الحربية التي يتقاسمها المقاتلون المسلمون فيما بينهم، فقال: "إذا كان المسلمون قد أسروا من الكفار المحاربين في

١-الآية: ٣١ - الإصحاح السادس - الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.
٢- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد الخوئي - الجزء الأول ، ص: ٣٧٣-٣٧٤.

أثناء الحرب، فإن كانوا إناثا لم يجز قتلهن كما مر. نعم يملكوهن بالسبي والاستيلاء عليهن، وكذلك الحال في الذراري غير البالغين، والشيوخ وغيرهم ممن لا يقتل، وتدل على ذلك ـ مضافا إلى السيرة القطعية الجارية في تقسيم غنائم الحرب بين المقاتلين المسلمين ـ الروايات المتعددة الدالة على جواز الاسترقاق حتى في حال غير الحرب منها معتبرة رفاعة النخاس، قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): إن الروم يغيرون على الصقالبة فيسرقون أولادهم من الجواري والغلمان، فيعمدون على الغلمان فيخصونهم ثم يبعثون بهم إلى بغداد إلى التجار، فما ترى في شرائهم ونحن نعلم أنهم قد سرقوا وإنما أغاروا عليهم من غير حرب كانت بينهم؟ فقال: " لا بأس بشرائهم، إنما أخرجوهم من الشرك إلى دار الاسلام"". و قال أيضاً ضمن المسألة (٣٦)(١) شارحاً أنواع الغنائم التي تكون ملك للمسلمين نتيجة ذلك القتال المسلح: "إن ما أستولى عليه المسلمون المقاتلون من الكفار بالجهاد المسلح يكون على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يكون منقولا كالذهب والفضة والفرش والأواني والحيوانات وما شاكل ذلك.
النوع الثاني: ما يسبى كالأطفال والنساء.
النوع الثالث: ما لا يكون منقولا كالأراضي والعقارات". انتهى.

وقبل تحليلنا لهذه الفتوى والرواية الصحيحة التي أستند عليها السيد الخوئي في بناء فتواه تلك، أود أن أعرف بعض المصطلحات التي وردت فيها، و التي لم تعد متداولة في أيامنا هذه، مثل:

النخاس: النَّخَّاسُ بائع الدواب، سمي بذلك لنَخْسِه إياها حتى تَنْشَط، وحِرْفته النِّخاسة والنَّخاسة، وقد يسمى بائعُ الرقيق نَخَّاساً، والأول هو الأصل(٢).

الرق: الرِّقُّ، بالكسر: المِلك والعُبودِيَّة، والرَّقيقُ المملوك، واحد وجمع، فَعِيل بمعنى مفعول وقد يُطلق على الجماعة كالرَّفيق، تقول منه رَقَّ العبدَ وأَرَقَّه واسْترقَّه. الليث: الرِّقُّ العُبودة، والرَّقيق العبد، ولا يؤخذ منه على بناء الاسم. وقد رَقَّ فلان أي صار عبداً. أبو العباس: سمي العبيد رَقِيقاً لأنهم يَرقُّون لمالكهم ويَذِلُّون ويَخْضَعون(٣).

الإسلام لا يحرم المتاجرة من بيع وشراء النساء (الجواري)، أو الأطفال (الغلمان)، أو الرجال (العبيد). فهي لا تزال تجارة مباحة وجائزة في الإسلام. وكانت تعد تجارة رائجة ما بين المسلمين على امتداد عصور الخلافة الإسلامية المتلاحقة، بدء من العصر الإسلامي الأول بقيادة محمد رسول الإسلام وحتى قبيل انقضاء القرن العشرين، حيث حرمتها وجرمتها المواثيق الدولية. لكن بعض الدول الإسلامية، مثل موريتانيا، لا تزال تصرح وتجيز ممارسة تجارة الرقيق

١- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد الخوئي - الجزء الأول ، الصفحة: ٣٧٩.
٢- لسان العرب - ابن منظور.
٣- لسان العرب - ابن منظور.

على أراضيها.

وبالنسبة لفتوى السيد الخوئي فهي تعد وثيقة مهمة، فهي تعرفنا كيف ينظر و يتعامل الإسلام مع الرقيق، وبالأخص المرأة المسبية. فهي - أي الفتوى - قد سلطت الضوء على الأمور التالية:

- **إمكانية امتلاك المرأة الغير مسلمة، أثناء الحرب، عن طريق سبيها بقوة السلاح.**
- **المرأة المسبية، التي يطلق عليها القرآن ملكة اليمين، تعتبر سلعة تجارية يجوز المتاجرة بها، حيث يجوز بيعها و شرائها في سوق النخاسة.**
- **الغلمان والشيوخ الذين يتم سبيهم بقوة السلاح يعدون سلع تجارية أيضاً، حيث يعاملون كعبيد فيجوز بيعهم و شرائهم في سوق النخاسة.**
- **الإسلام يجوز الاسترقاق حتى في حالة السلم. حيث يمكن شراء و بيع الرقيق من النساء والغلمان والرجال الذين لم يتم سبيهم في حرب: مثل الحالة التي وردت في رواية رفاعة النخاس.**

إن التعاليم الإسلامية في هذا الشأن قد انتهكت بشكل صارخ وخطير مواد وبنود الاتفاقية التكميلية لإبطال الرق وتجارة الرقيق والأعراف والممارسات الشبيهة بالرق التي حررت في جنيف في ٧ سبتمبر ١٩٥٦م. حيث نصت الفقرة ١ من المادة ٦، بأنه:" يشكل استرقاق شخص آخر، أو إغراؤه بأن يتحول هو نفسه أو يحول شخصا آخر من عياله إلى رقيق، جرما جنائيا في نظر قوانين الدول الأطراف في هذه الاتفاقية، يستحق العقاب من يثبت ارتكابهم له. وينطبق الأمر نفسه في حالة المحاولة أو التدخل أو الاشتراك في مؤامرة على هذا القصد". كذلك عرفت المادة ٧ بعض المصطلحات الواردة في تلك الاتفاقية، إذ نصت أنه:" لأغراض هذه الاتفاقية:(أ) يعني مصطلح "الرق" كما هو معرف في الاتفاقية الخاصة بالرق المعقودة عام ١٩٢٦م وصفا لحال أو وضع أي شخص تمارس عليه السلطات الناجمة عن حق الملكية، ويعني "الرقيق" أي شخص يكون في هذه الحالة أو يكون في هذا الوضع،(ب) ويعني المصطلح "شخص ذو منزلة مستضعفة" شخصا يكون في حال أو وضع هو نتيجة أي من الأعراف أو الممارسات المذكورة في المادة ١ من هذه الاتفاقية،(ج) ويعني مصطلح "تجارة الرقيق"، ويشمل، جميع الأفعال التي ينطوي عليها أسر شخص ما أو احتجازه أو التخلي عنه للغير على قصد تحويله إلى رقيق، وجميع الأفعال التي ينطوي عليها احتياز رقيق ما بغية بيعه أو مبادلته وجميع أفعال التخلي، بيعا أو مبادلة، عن رقيق تم احتيازه على قصد بيعه أو مبادلته، وكذلك، عموما، أي اتجار بالأرقاء أو نقل لهم أيا كانت وسيلة النقل المستخدمة". انتهى.

واضافة إلى انتهاكه للاتفاقية المشار إليها أعلاه، فقد أنتهك الإسلام أيضاً حقوق الإنسان التي أقرتها الأمم المتحدة من خلال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ويمكننا إيجاز تلك البنود والمواد المنتهكة كالتالي(١): المادة١، المادة٢، المادة٣، المادة٤، المادة٦، المادة٧، المادة٩ وَ المادة ٢٨.

أن النخاسين، وهم الأشخاص الذين يمتلكون و يمتهنون تجارة بيع وشراء الجواري، لم يكونوا خائفين الله في تصرفاتهم اللا أخلاقية مع الجواري، لأن الإسلام أباح لهم حرية التصرف في سلعتهم وملك يمينهم، التي كانت في الغالب الأعم من النساء الشابات. فقد كانوا يداعبونهن و يضاجعونهن في الفراش، ولا يوجد عقاب شرعي في الإسلام يجرم أو يحرم ذلك. بل العكس هو الصحيح، حيث أجاز كاتب القرآن للمسلمين عمل ذلك الفعل اللا أخلاقي، حيث يقول: " وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٢)".

وقد فسر آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي(٣) تلك الآيتين بقوله :" قوله تعالى: «و الذين هم لفروجهم حافظون» إلى آخر الآيات الثلاث، الفروج جمع فرج و هو - على ما قيل - ما يسوء ذكره من الرجال و النساء، و حفظ الفروج كناية عن الاجتناب عن المواقعة سواء كانت زنا أو لواطا أو بإتيان البهائم و غير ذلك. و قوله: «إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين» استثناء من حفظ الفروج، و الأزواج الحلائل من النساء، و ما ملكت أيمانهم الجواري المملوكة فإنهم غير ملومين في مس الأزواج الحلائل و الجواري المملوكة". انتهى.

ومن المثير للانتباه أن نصف أمهات الأئمة المعصومين - حسب معتقد الشيعة - كن جواري تم شرائهن من سوق النخاسة، أو أنهن تم اغتنامهن بطرق أخرى. لن أسمح لنفسي بالتفوه بكلمة تخدش أو تجرح مشاعر أخوتي وأخواتي الأحباء من الشيعة. ولكني سأفرد رواية ذكرها الشيخ الكليني في الكافي(٤)، ثم أسلط الضوء على الشاهد منها، حيث قال متحدثاً عن مولد الإمام موسى بن جعفر الكاظم: " أمه أم ولد يقال لها: حميدة. ١- الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن علي بن السندي القمي قال: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: دخل ابن عكاشة بن محصن الأسدي على أبي جعفر وكان أبو عبد الله عليه السلام قائما عنده فقدم إليه عنبا، فقال: حبة حبة يأكله الشيخ الكبير والصبي الصغير وثلاثة وأربعة يأكله من يظن أنه لا يشبع وكله حبتين حبتين، فإنه يستحب فقال لأبي جعفر عليه السلام: لأي شئ لا تزوج أبا عبد الله فقد أدرك التزويج؟ قال وبين يديه صرة مختومة فقال: أما إنه سيجيئ نخاس من أهل

١- الرجاء مراجعة الصفحات ١٥ إلى ١٨ للاطلاع على تفاصيل المواد و البنود ذات العلاقة.
٢- الآيتان: ٥ وَ ٦ من سورة المؤمنون.
٣- الميزان في تفسير القرآن - آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي - تفسير الآيات ١-١١ من سورة المؤمنون.
٤- الكافي - الشيخ محمد يعقوب الكليني - الجزء الأول - باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام - الصفحة ٤٧٦.

بربر فينزل دار ميمون، فنشتري له بهذه الصرة جارية، قال: فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا يوما على أبي جعفر عليه السلام فقال: ألا أخبركم عن النخاس الذي ذكرته لكم قد قدم، فاذهبوا فاشتروا بهذه الصرة منه جارية، قال: فأتينا النخاس فقال: قد بعت ما كان عندي إلا جاريتين مريضتين إحداهما أمثل من الأخرى، قلنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما فأخرجهما، فقلنا: بكم تبيعنا هذه المتماثلة قال: بسبعين دينارا قلنا أحسن قال: لا أنقص من سبعين دينار، قلنا له نشتريها منك بهذه الصرة ما بلغت ولا ندري ما فيها وكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية قال: فكوا وزنوا، فقال النخاس: لا تفكوا فإنها إن نقصت حبة من سبعين دينارا لم أبايعكم فقال الشيخ: ادنوا، فدنونا وفككنا الخاتم ووزنا الدنانير فإذا هي سبعون دينارا لا تزيد ولا تنقص فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر عليه السلام وجعفر قائم عنده فأخبرنا أبا جعفر بما كان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها: ما اسمك؟ قالت: حميدة، فقال حميدة في الدنيا، محمودة في الآخرة، أخبريني عنك أبكر أنت أم ثيب؟ قالت: بكر قال: وكيف ولا يقع في أيدي النخاسين شيء إلا أفسدوه، فقالت: قد كان يجيئني فيقعد مني مقعد الرجل من المرأة فيسلط الله عليه رجلا أبيض الرأس واللحية فلا يزال يلطمه حتى يقوم عني، ففعل بي مرارا وفعل الشيخ به مرارا فقال: يا جعفر خذها إليك فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر عليه السلام".

فها هي السيدة حميدة تعترف بما كان يفعله النخاس معها، وذلك بعد أن علم الإمام الباقر منها مستغرباً أنها لا تزال بكراً، بالرغم من كونها سلعة تجارية وملك يمين في يد ذلك النخاس، حيث قال مستفهماً ومقراً في نفس الوقت بما كان يفعله النخاسون - في ذلك الزمن - من ممارسات لا أخلاقية بالجواري:" قال: وكيف ولا يقع في أيدي النخاسين شيء إلا أفسدوه؟!!" فاعترفت السيدة حميدة حينها للإمام محمد الباقر عن تلك الممارسات و المحاولات اللا أخلاقية التي كان يفعلها النخاس معها: " فقالت: قد كان يجيئني فيقعد مني مقعد الرجل من المرأة". و هناك تأكيد آخر قالته السيد حميدة يفيد تكرار هذا الأمر الشنيع من قبل ذلك النخاس مرة بعد مرة، حيث تقول: " ففعل بي مرارا". وهو كما يظهر من الرواية أن تلك الأمور كانت شيء مألوف جداً، إذ لم تكن من المحرمات عندهم، ولهذا لم يكونوا يشعرون بالضيق أو الحرج من ممارستها أو حتى إعلانها.

في الحقيقة تلك الرواية تأكد إباحة الإسلام لتجارة الرقيق من أجل ممارسة الجنس في المقام الأول، التي قد مارسها أئمة أهل البيت أنفسهم. وكما قلنا آنفاً أن نصف أمهات أئمة أهل البيت كن جواري، فهن إما تم شرائهن من سوق النخاسة، أو تم اغتنامهن بطرق أخرى. فقد روي الشيخ الصدوق في حديث مطول جاء فيه[١] :" قال جابر: فقرأت فإذا فيها: " أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى، أمه آمنة بنت وهب. أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى، أمه فاطمة

١- كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - الصفحة ٣٠٧.

بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. أبو محمد الحسن بن علي البر. أبو عبد الله الحسين بن علي التقي، أمهما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، أبو محمد علي بن الحسين العدل، أمه شهربانويه بنت يزدجرد ابن شاهنشاه، أبو جعفر محمد بن علي الباقر، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن - أبي طالب. أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة، أمه جارية اسمها حميدة. أبو الحسن علي بن موسى الرضا، أمه جارية اسمها نجمة. أبو جعفر محمد بن علي الزكي، أمه جارية اسمها خيزران. أبو الحسن علي بن محمد الأمين، أمه جارية اسمها سوسن أبو محمد الحسن بن علي الرفيق، أمه جارية اسمها سمانة وتكنى بأم الحسن. أبو القاسم محمد بن الحسن، هو حجة الله تعالى على خلقه القائم، أمه جارية اسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين". انتهى.

فهذه الرواية تشهد أن نصف أمهات الأئمة من أهل البيت كن جواري. ومن المعلوم أيضاً أن الإسلام لم يحرم الاسترقاق، حتى لو اعتنق الرقيق الإسلام وأدى فروضه. فقد ذكر آية الله العظمى السيد الخوئي في منهاجه أنه لا يوجد دليل يسقط الاسترقاق أو العبودية عن أي شخص يتم سبيه في الحرب، حتى لو أعتنق ذلك الشخص الإسلام بعد السبي أو الأسر، حيث يقول(١): " وهل عليهم بعد الاسلام من أو فداء أو الاسترقاق؟ الظاهر هو العدم، حيث إن كل ذلك بحاجة إلى دليل، ولا دليل عليه". انتهى.

فإلى جانب انتهاكه للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ينتهك الإسلام كذلك البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الاباحية الذي اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٦٣ الدورة الرابعة والخمسون المؤرخ في ٢٥ مايو ٢٠٠٠م. فقد نصت المادة الأولى منه على أنه :"تحظر الدول الأطراف بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الإباحية كما هو منصوص عليه في هذا البروتوكول". أما المادة الثانية، فقد فنصت على أنه: " لغرض هذا البروتوكول:

(أ) يُقصد ببيع الأطفال أي فعل أو تعامل يتم بمقتضاه نقل طفل من جانب أي شخص أو مجموعة من الأشخاص إلى شخص آخر لقاء مكافأة أو أي شكل آخر من أشكال العوض؛
(ب) يُقصد باستغلال الأطفال في البغاء استخدام طفل لغرض أنشطة جنسية لقاء مكافأة أو أي شكل آخر من أشكال العوض؛
(ج) يُقصد باستغلال الأطفال في المواد الإباحية تصوير أي طفل، بأي وسيلة كانت، يمارس ممارسة حقيقية أو بالمحاكاة أنشطة جنسية صريحة أو أي تصوير للأعضاء الجنسية

١-منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي - الجزء ١ - الصفحة ٣٧٤.

للطفل لإشباع الرغبة الجنسية أساسا". كما نصت المادة الثالثة على أنه: "١ - تكفل كل دولة طرف أن تغطي، كحد أدنى، الأفعال والأنشطة التالية تغطية كاملة بموجب قانونها الجنائي أو قانون العقوبات فيها سواء أكانت هذه الجرائم ترتكب محلياً أو دولياً أو كانت ترتكب على أساس فردي أو منظم:
(أ) في سياق بيع الأطفال كما هو معرَّف في المادة ٢: '١'عرض أو تسليم أو قبول طفل بأي طريقة كانت لغرض من الأغراض التالية: (أ) الاستغلال الجنسي للطفل؛ (ب) نقل أعضاء الطفل توخياً للربح؛ (ج) تسخير الطفل لعمل قسري". انتهى

وقد اعتبرت الفقرة (١) من المادة الخامسة من نفس القرار ان الأعمال الواردة في المادة الثالثة هي جرائم يعاقب عليها القانون، فقد نصت على التالي:

"١- تعتبر الجرائم المشار إليها في الفقرة ١ من المادة ٣ مدرجة بوصفها جرائم تستوجب تسليم مرتكبيها في أي معاهدة لتسليم المجرمين قائمة بين الدول الأطراف وتدرج بوصفها جرائم تستوجب تسليم مرتكبيها في كل معاهدة لتسليم المجرمين تبرم في وقت لاحق فيما بين هذه الدول وفقاً للشروط المنصوص عليها في هذه المعاهدات". انتهى.

٦- جواز قتل الأسير الغير مسلم

ربما كان الإسلام هو الدين الوحيد في أيامنا هذه الذي ينفرد بجواز قتل الأسير في بعض الحالات. إن التعاليم الإسلامية قد شرعت قتل الأسير، وتطبيق ذلك يتوقف على توفر بعض الأمور، وأيضاً حسب وضع الحرب الناشبة بين المسلمين وخصومهم. فمنها يختص بعمر الأسير وجنسه. وقد حدد الفقه الجعفري (المذهب الشيعي) سن البلوغ وجعله ١٥ سنة للذكور و ٩ سنوات للإناث. فقد روى الشيخ محمد يعقوب الكليني[١] :" عن حمزة بن حمران، عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام قلت له: متى يجب على الغلام أن يؤخذ بالحدود التامة وتقام عليه ويؤخذ بها؟ فقال: إذا خرج عنه اليتم وأدرك، قلت: فلذلك حد يعرف به؟ فقال: إذا احتلم أو بلغ خمسة عشر سنة أو أشعر أو أنبت قبل ذلك أقيمت عليه الحدود التامة واخذ بها واخذت له، قلت: فالجارية متى تجب عليها الحدود التامة وتؤخذ لها ويؤخذ بها؟ قال: إن الجارية ليست مثل الغلام إن الجارية إذا تزوجت ودخل بها ولها تسع سنين ذهب عنها اليتم ودفع إليها مالها وجاز أمرها في الشراء والبيع وأقيمت عليها الحدود التامة واخذ لها بها، قال: والغلام لا يجوز أمره في الشراء والبيع ولا يخرج من اليتم حتى يبلغ خمسة عشر سنة أو يحتلم أو يشعر أو ينبت قبل ذلك".

١- الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني - الجزء ٧ ، ص: ١٩٧- ١٩٨، باب (حد الغلام والجارية اللذين يجب عليهما الحد تاما).

و قد أفتى المرجع الأعلى آية الله السيد الخوئي في المسالة (٢٣) بوجوب قتل الأسير إذا كان ذكراً بالغاً، فقال(١)" إذا كان المسلمون قد أسروا من الكفار المحاربين في أثناء الحرب...إذا كانوا ذكورا بالغين فيتعين قتلهم إلا إذا أسلموا، فإن القتل حينئذ يسقط عنهم". وهذا الأمر يكون سارياً قبل أن تتوقف الحرب. أما بعد توقفها فيقول السيد الخوئي(٢):" وأما إذا كان الأسر بعد الاثخان والغلبة عليهم فلا يجوز قتل الأسير منهم وإن كانوا ذكورا، وحينئذ كان الحكم الثابت عليهم أحد أمور: إما المن أو الفداء أو الاسترقاق. وهل تسقط عنهم هذه الأحكام الثلاثة إذا اختاروا الاسلام؟ الظاهر عدم سقوطها بذلك، ويدل عليه قوله تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) بضميمة معتبرة طلحة بن زيد الآتية الواردة في هذا الموضوع". وقد بنى آية الله السيد الخوئي فتواه تلك بناء على رواية أستشهد بها في منهاجه فقال:" نص معتبرة طلحة بن زيد، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: " كان أبي يقول: إن للحرب حكمين: إذا كان الحرب قائمة ولم يثخن أهلها فكل أسير أخذ في تلك الحال فإن الإمام عليه السلام فيه بالخيار، إن شاء ضرب عنقه، وإن شاء قطع يده ورجله من خلاف بغير حسم، ثم يتركه يتشحط في دمه حتى يموت وهو قول الله عز وجل: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) - إلى أن قال: - والحكم الآخر إذا وضعت الحرب أوزارها وأثخن أهلها فكل أسير أخذ على تلك الحال فكان في أيديهم فالإمام فيه بالخيار إن شاء من عليهم فأرسلهم، وإن شاء فاداهم أنفسهم وإن شاء استعبدهم فصاروا عبيدا"".

وهنا أمور أود أن أسلط الضوء عليها، فالفتوى تشير إلى تعاليم الإسلام الصريحة بممارسات تحمل في طياتها انتهاكات بشعة لحقوق الإنسان والطفل والأسير، تتمثل في الآتي:

- يوجب الإسلام قتل الأسير حتى لو كان طفل لم يبلغ ١٨ سنة.
- يجوز الإسلام استعباد الطفل والمتاجرة به من بيع أو شراء.
- يكره الإسلام الأسير على اعتناق الإسلام، أو مواجهة عقوبة تصل إلى الإعدام.
- الإسلام يجيز قتل الأسير بطرق وحشية وبربرية وبشعة تدينها وَ تستنكرها جميع الأعراف و المواثيق الدولية والمؤسسات الحقوقية والقانونية.
- يجيز الإسلام استرقاق الأسير واستخدامه كسخرة أو عبد.

و بهذا يتضح لنا جلياً أن التعاليم الإسلامية تحط من كرامة الإنسان وتنتهك حقوقه بشكل صارخ، وتضرب بعرض الحائط المواثيق والعهود والقرارات الدولية التالية:

١- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي - الجزء ١ ، الصفحة ٣٧٤.
٢- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي - الجزء ١ ، الصفحة ٣٧٤.

انتهك الإسلام بشكل صارخ إعلان حقوق الطفل الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب قرارها رقم ١٣٨٦ (د-١٤) المؤرخ في ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٩م. فقد نص المبدأ الأول منه على أنه "يجب أن يتمتع الطفل بجميع الحقوق المقررة في هذا الإعلان. ولكل طفل بلا استثناء أن يتمتع بهذه الحقوق دون أي تفريق أو تمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس أو الدين أو الرأي سياسيا أو غير سياسي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الثروة أو النسب أو أي وضع آخر يكون له أو لأسرته".

كما نص المبدأ الثامن من نفس القرار على أنه "يجب أن يكون الطفل، في جميع الظروف، بين أوائل المتمتعين بالحماية والإغاثة". كما أن اتفاقية حقوق الطفل، التي اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٤٤/٢٥ المؤرخ في ٢٠ نوفمبر ١٩٨٩م، قد حددت المادة ١من الجزء الأول السن القانوني للطفل، فقد نصت على أنه:" لأغراض هذه الاتفاقية، يعنى الطفل كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه". كما جرمت الفقرة (أ) من المادة ٣٧ من نفس الاتفاقية إنزال عقوبة الإعدام أو التعذيب أو السجن المؤبد للطفل الذي يقل عمره عن ١٨ سنة، فنصت على أنه:" تكفل الدول الأطراف: (أ) ألا يعرض أي طفل للتعذيب أو لغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة. ولا تفرض عقوبة الإعدام أو السجن مدى الحياة بسبب جرائم يرتكبها أشخاص تقل أعمارهم عن ثماني عشرة سنة دون وجود إمكانية للإفراج عنهم.". أما الفقرة (ب) من نفس المادة المشار إليها آنفاً فقد أكدت على حماية حرية الطفل وعدم المساس بها:" (ب) ألا يحرم أي طفل من حريته بصورة غير قانونية أو تعسفية. ويجب أن يجرى اعتقال الطفل أو احتجازه أو سجنه وفقا للقانون ولا يجوز ممارسته إلا كملجأ أخير ولأقصر فترة زمنية مناسبة". انتهى.

كما انتهك الإسلام بشكل صارخ وخطير المادة الثالثة من بروتوكول منع وقمع ومعاقبة الاتجار بالأشخاص، وبخاصة النساء والأطفال، المكمل لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية الذي ينص على أنه: " لأغراض هذا البروتوكول: (أ) يقصد بتعبير "الإتجار بالأشخاص" تجنيد أشخاص أو نقلهم أو تنقيلهم أو إيواؤهم أو استقبالهم بواسطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع أو استغلال السلطة أو استغلال حالة استضعاف، أو بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا لنيل موافقة شخص له سيطرة على شخص آخر لغرض الاستغلال. ويشمل الاستغلال، كحد أدنى، استغلال دعارة الغير أو سائر أشكال الاستغلال الجنسي، أو السخرة أو الخدمة قسرا، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق، أو الاستعباد أو نزع الأعضاء؛ (ب) لا تكون موافقة ضحية الاتجار بالأشخاص على الاستغلال المقصود المبيّن في الفقرة الفرعية (أ) من هذه المادة محل اعتبار

في الحالات التي يكون قد استُخدم فيها أي من الوسائل المبيّنة في الفقرة الفرعية (أ)؛(ج) يعتبر تجنيد طفل أو نقله أو تنقيله أو إيواؤه أو استقباله لغرض الاستغلال "اتجارا بالأشخاص"، حتى إذا لم ينطو على استعمال أي من الوسائل المبينة في الفقرة الفرعية (أ) من هذه المادة؛ (د) يقصد بتعبير "طفل" أي شخص دون الثامنة عشرة من العمر". انتهى.

وقد الزمت المادة الخامسة من نفس البروتوكول جميع الدول الأعضاء الموقعة بتجريم تلك الأفعال المذكورة في المادة الثالثة، حيث نصت على التالي:" ١-تعتمد كل دولة طرف ما قد يلزم من تدابير تشريعية وتدابير أخرى لتجريم السلوك المبين في المادة ٣ من هذا البروتوكول، في حال ارتكابه عمدا. ٢- تعتمد أيضا كل دولة طرف ما قد يلزم من تدابير تشريعية وتدابير أخرى لتجريم الأفعال التالية: (أ) الشروع في ارتكاب أحد الأفعال المجرمة وفقا للفقرة ١ من هذه المادة، وذلك رهنا بالمفاهيم الأساسية لنظامها القانوني؛ (ب) المساهمة كشريك في أحد الأفعال المجرمة وفقا للفقرة ١ من هذه المادة؛ (ج) تنظيم أو توجيه أشخاص آخرين لارتكاب أحد الأفعال المجرمة وفقا للفقرة ١ من هذه المادة". انتهى.

كما انتهك الإسلام الفقرة (٥) من المادة السادسة من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذي ينص على أنه " لا يجوز الحكم بعقوبة الإعدام على جرائم ارتكبها أشخاص دون الثامنة عشرة من العمر، ولا تنفذ هذه العقوبة بالحوامل". انتهى.

أما المادة الثامنة من ذلك البروتوكول فقد نصت على التالي:

١. لا يجوز استرقاق أحد، ويحظر الرق والاتجار بالرقيق بجميع صورهما.
٢. لا يجوز إخضاع أحد للعبودية.
٣. (أ) لا يجوز إكراه أحد على السخرة أو العمل الإلزامي".

وأيضاً ينتهك الإسلام اتفاقية جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب، فقد نصت الفقرة (١) من المادة الثالثة على أنه "في حالة قيام نزاع مسلح ليس له طابع دولي في أراضي أحد الأطراف السامية المتعاقدة، يلتزم كل طرف في النزاع بأن يطبق كحد أدني الأحكام التالية:
١. الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم، والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر، يعاملون في جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أي تمييز ضار يقوم علي العنصر أو اللون، أو الدين أو المعتقد، أو الجنس، أو المولد أو الثروة، أو أي معيار

مماثل آخر. ولهذا الغرض، تحظر الأفعال التالية فيما يتعلق بالأشخاص المذكورين أعلاه، وتبقي محظورة في جميع الأوقات والأماكن: (أ) الاعتداء علي الحياة والسلامة البدنية، وبخاصة القتل بجميع أشكاله، والتشويه، والمعاملة القاسية، والتعذيب،(ب) أخذ الرهائن، (ج) الاعتداء علي الكرامة الشخصية، وعلي الأخص المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة، (د) إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات دون إجراء محاكمة سابقة أمام محكمة مشكلة تشكيلا قانونيا. وتكفل جميع الضمانات القضائية اللازمة في نظر الشعوب المتمدنة". انتهى.

أما أسرى أو أسيرات الحرب، وهم/ هن من شارك في القتال ثم وقعوا/ وقعن في قبضة العدو، فقد نصت المواد ١٣ وَ١٤ وَ١٥ وَ ١٦على التوالي، بما يلي:

"المادة ١٣: يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات. ويحظر أن تقترف الدولة الحاجزة أي فعل أو إهمال غير مشروع يسبب موت أسير في عهدتها، ويعتبر انتهاكا جسيما لهذه الاتفاقية. وعلى الأخص، لا يجوز تعريض أي أسير حرب للتشويه البدني أو التجارب الطبية أو العلمية من أي نوع كان مما لا تبرره المعالجة الطبية للأسير المعني أو لا يكون في مصلحته. وبالمثل، يحب حماية أسرى الحرب في جميع الأوقات، وعلى الأخص ضد جميع أعمال العنف أو التهديد، وضد السباب وفضول الجماهير. وتحظر تدابير الاقتصاص من أسرى الحرب.

المادة ١٤: لأسرى الحرب حق في احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال. ويجب أن تعامل النساء الأسيرات بكل الاعتبار الواجب لجنسهن. ويجب على أي حال أن يلقين معاملة لا تقل ملاءمة عن المعاملة التي يلقاها الرجال. يحتفظ أسرى الحرب بكامل أهليتهم المدنية التي كانت لهم عند وقوعهم في الأسر. ولا يجوز للدولة الحاجزة تقييد ممارسة الحقوق التي تكفلها هذه الأهلية، سواء في إقليمها أو خارجه إلا بالقدر الذي يقتضيه الأسر.

المادة ١٥: تتكفل الدولة التي تحتجز أسرى حرب بإعاشتهم دون مقابل وبتقديم الرعاية الطبية التي تتطلبها حالتهم الصحية مجانا.

المادة ١٦: مع مراعاة أحكام هذه الاتفاقية فيما يتعلق برتب الأسرى وجنسهم، ورهنا بأية معاملة مميزة يمكن أن تمنح لهم بسبب حالتهم الصحية أو أعمارهم أو مؤهلاتهم المهنية، يتعين علي الدولة الحاجزة أن تعاملهم جميعا علي قدم المساواة، دون أي تمييز ضار علي أساس العنصر، أو الجنسية، أو الدين، أو الآراء السياسية، أو أي معايير مماثلة أخري". انتهى.

٧- قطع و حرق مزارع غير المسلمين

لعله ليس من المستغرب أن لا يعلم المسلم الشيعي أن رسول الإسلام محمد قد قطع وحرق نخيل أعدائه، الذي برره فيما بعد أن إلهه قد أمره بذلك، فقد قال كاتب القرآن:" مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ"(١).

وقد علق آية الله السيد محمد حسين الطبطبائي(٢) على تلك الآية قائلاً:" قوله تعالى: «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله و ليخزي الفاسقين» ذكر الراغب أن اللينة النخلة الناعمة من دون اختصاص منه بنوع منها دون نوع، رووا: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بقطع نخيلهم فلما قطع بعضها نادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال النخيل تقطع فنزلت الآية فأجيب عن قولهم بأن ما قطعوا من نخلة أو تركوها قائمة على أصولها فبإذن الله و لله في حكمه هذا غايات حقة و حكم بالغة منها إخزاء الفاسقين و هم بنو النضير. فقوله: «و ليخزي الفاسقين» اللام فيه للتعليل و هو معطوف على محذوف و التقدير: القطع و الترك بإذن الله ليفعل كذا و كذا و ليخزي الفاسقين". وقال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في تفسيره(٣):" «ما قطعتم من لينة» أي نخلة كريمة من أنواع النخيل عن مجاهد و ابن زيد و قيل كل نخلة سوى العجوة عن ابن عباس و قتادة «أو تركتموها قائمة على أصولها» فلم تقطعوها و لم تقلعوها «فبإذن الله» أي بأمره كل ذلك سائغ لكم علم الله سبحانه ذلك و أذن فيه ليذل به أعداءه «و ليخزي الفاسقين» من اليهود و يهينهم به لأنهم إذا رأوا عدوهم يتحكم في أموالهم كان ذلك خزيا لهم". وأضاف أيضاً قائلاً: " أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقطع النخل و التحريق فيها فنادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل و تحرقها فأنزل الله «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها» الآية". انتهى.

٨- نفي غير المسلمين من أوطانهم ومصادرة ممتلكاتهم (احتلال بلاد غير المسلمين)

أني لا أود أن أقارن ما قامت به الدولة العبرية من نفي للمواطنين العرب من فلسطين ومصادرة ممتلكاتهم منذ نشأتها (الاحتلال). لكنني في الواقع لا أجد فرق بين ما فعلته هذه الدولة الصهيونية بالعرب وما فعله محمد رسول الإسلام باليهود العرب في الجزيرة العربية، والذي سانده في ذلك ابن عمه الإمام علي وجموع كثيرة من صحابته. فمن ضمن ما صادره رسول الإسلام من اليهود العرب مزارع فدك. وللبرهنة على ذلك استشهدت بالآيات القرآنية التالية:

١- الآية: ٥، سورة الحشر.

٢- الميزان في تفسير القرآن - آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي - تفسير سورة الحشر.

٣- مجمع البيان في تفسير القرآن - الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي - تفسير سورة الحشر.

قال كاتب القرآن: "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ"(١).

ويعلق آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي على الآيتين السابقتين بقوله(٢):

" قوله تعالى: «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر» تأييد لما ذكر في الآية السابقة من تنزهه تعالى و عزته و حكمته، و المراد بإخراج الذين كفروا من أهل الكتاب إجلاء بني النضير حي من أحياء اليهود كانوا يسكنون خارج المدينة و كان بينهم و بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد أن لا يكونوا له و لا عليه ثم نقضوا العهد فأجلاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ستأتي قصتهم في البحث الروائي التالي إن شاء الله. و الحشر إخراج الجماعة بإزعاج، و «لأول الحشر» من إضافة الصفة إلى الموصوف، و اللام بمعنى في كقوله: «أقم الصلاة لدلوك الشمس»: إسراء: ٧٨.و المعنى: الله الذي أخرج بني النضير من اليهود من ديارهم في أول إخراجهم من جزيرة العرب. ثم أشار تعالى إلى أهمية إخراجهم بقوله: «ما ظننتم أن يخرجوا» لما كنتم تشاهدون فيهم من القوة و الشدة و المنعة «و ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله» فلن يغلبهم الله و هم متحصنون فيها و عد حصونهم بحسب ظنهم مانعة من الله لا من المسلمين لما أن إخراجهم منها منسوب في الآية السابقة إليه تعالى و كذا إلقاء الرعب في قلوبهم في ذيل الآية، و في الكلام دلالة على أنه كانت لهم حصون متعددة. ثم ذكر فساد ظنهم و خبطهم في مزعمتهم بقوله: «فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا» و المراد به نفوذ إرادته تعالى فيهم لا من طريق احتسبوه و هو طريق الحصون و الأبواب بل من طريق باطنهم و هو طريق القلوب «و قذف في قلوبهم الرعب» و الرعب الخوف الذي يملأ القلب «يخربون بيوتهم بأيديهم» لئلا تقع في أيدي المؤمنين بعد خروجهم و هذه من قوة سلطانه تعالى عليهم حيث أجرى ما أراده بأيدي أنفسهم «و أيدي المؤمنين» حيث أمرهم بذلك و وفقهم لامتثال أمره و إنفاذ إرادته «فاعتبروا» و خذوا بالعظة «يا أولي الأبصار» بما تشاهدون من صنع الله العزيز الحكيم بهم قبال مشاقتهم له و لرسوله. و قيل: كانوا يخربون البيوت ليهربوا و يخربها المؤمنون ليصلوا. و قيل: المراد بتخريب البيوت اختلال نظام حياتهم فقد خربوا بيوتهم بأيديهم حيث نقضوا الموادعة، و بأيدي المؤمنين حيث بعثوهم على قتالهم. و فيه أن ظاهر قوله: «يخربون بيوتهم» إلخ أنه بيان لقوله: «فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا» إلخ، من حيث أثره فهو متأخر عن نقض الموادعة. قوله تعالى: «و لو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا و لهم في الآخرة عذاب النار» الجلاء ترك الوطن و كتابة الجلاء عليهم قضاؤه في حقهم،

١- الآيتان: ٢ وَ ٣ - سورة الحشر.

٢- الميزان في تفسير القرآن - آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير سورة الحشر.

والمراد بعذابهم في الدنيا عذاب الاستئصال أو القتل و السبي. المعنى: و لو لا أن قضى الله عليهم الخروج من ديارهم و ترك وطنهم لعذبهم في الدنيا بعذاب الاستئصال أو القتل و السبي كما فعل ببني قريظة و لهم في الآخرة عذاب النار". وينقل السيد الطباطبائي الحوار الذي جرى بين رسول الإسلام وقادة بني النضير، فقال:" قالوا: يا محمد نخرج من بلادك فأعطنا مالنا، فقال: لا و لكن تخرجون و لكم ما حملت الإبل، فلم يقبلوا ذلك فبقوا أياما ثم قالوا: نخرج و لنا ما حملت الإبل، فقال: لا و لكن تخرجون و لا يحمل أحد منكم شيئا، فمن وجدنا معه شيئا من ذلك قتلناه. فخرجوا على ذلك". انتهى.

فهذا نص صريح يفيد قيام رسول الإسلام بمصادرة ممتلكات وأراض وحصون قبيلة يهودية عربية كاملة تحت تهديد السلاح، ومن ثم نفيهم من وطنهم الأصلي، فقد قال رسول الإسلام مهدداً بني النضير: " تخرجون و لا يحمل أحد منكم شيئا، فمن وجدنا معه شيئا من ذلك قتلناه". وهذا الفعل الأثيم ذاته قد طبقته ولا تزال تطبقه الدولة الصهيونية على العرب المسلمين والمسيحيين والدروز. فهي قد نفتهم من أوطانهم و صادرت ممتلكاتهم وأراضيهم وعقاراتهم (احتلال). فما الفرق بين ما فعله رسول الإسلام وما تفعله الدولة العبرية الآن؟!!

ولذلك استدل آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي في بناء فتواه، التي تجيز الاستيلاء على أراضي و عقارات غير المسلمين التي يغتنمها المسلمون بقوة السلاح (جواز احتلال بلاد غير المسلمين)، فقال في المسألة (٣٦)[١]: "إن ما أستولى عليه المسلمون المقاتلون من الكفار بالجهاد المسلح يكون على ثلاثة أنواع:
النوع الأول: ما يكون منقولا كالذهب والفضة والفرش والأواني والحيوانات وما شاكل ذلك. النوع الثاني: ما يسبى كالأطفال والنساء. النوع الثالث: ما لا يكون منقولا كالأراضي والعقارات". وأضاف السيد الخوئي[٢] أيضاً أن:" النوع الثالث: وهو ما لا ينقل كالأراضي أو العقارات، فإن كانت الأرض مفتوحة عنوة وكانت محياة حال الفتح من قبل الناس، فهي ملك لعامة المسلمين بلا خلاف بين الأصحاب ، وتدل عليه صحيحة الحلبي الآتية وغيرها، وإن كانت مواتا أو كانت محياة طبيعية ولا رب لها، فهي من الأنفال". ويضيف أيضاً في المسألة ٤٣ أن[٣]: "الأرض المفتوحة عنوة التي هي ملك عام للمسلمين أمرها بيد ولي الأمر في تقبيلها بالذي يرى، ووضع الخراج عليها حسب ما يراه فيه من المصلحة كما وكيفا". انتهى.

وقال أيضاً كاتب القرآن:" وَأَنــزَلَ الَّذِينَ ظَاهَـرُوهُم مِّنْ أَهْـل الْكِتَابِ مِن صَيَاصِـيهِمْ وَقَذَفَ فِـي

١- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد الخوئي - الجزء الأول ، الصفحة ٣٧٩.
٢- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد الخوئي - الجزء ١ ، الصفحة ٣٨١.
٣- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد الخوئي - الجزء ١ ، الصفحة ٣٨١.

قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا"(١).

هاتان الآيتان تشرعان احتلال حصن وأراضي وعقارات وممتلكات قبيلة بني قريظة وسبي ذراريهم ونسائهم. ويشرح آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي ما جرى بعد فتح الحصن الذي تم محاصرته لمدة ٢٥ ليلة، فيقول(٢): " بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سعد بن معاذ فجيء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتلوهم و تسبى ذراريهم و نساؤهم و تغنم أموالهم و أن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار و قال للأنصار: إنكم ذو عقار و ليس للمهاجرين عقار، فكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و قال لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله عز و جل، و في بعض الروايات: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة و أرقعة جمع رقيع اسم سماء الدنيا. فقتل رسول الله مقاتليهم، و كانوا فيما زعموا: ستمائة مقاتل، و قيل: قتل منهم أربعمائة و خمسين رجلا و سبى سبعمائة و خمسين، و روي أنهم قالوا لكعب بن أسد و هم يذهب بهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إرسالا: يا كعب ما ترى يصنع بنا؟ فقال كعب: أ في كل موطن تقولون؟ أ لا ترون أن الداعي لا ينزع و من يذهب منكم لا يرجع هو و الله القتل. و أتي بحيي بن أخطب عدو الله عليه حلة فاختية قد شقها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما بصر برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أما و الله ما لمت نفسي على عداوتك و لكنه من يخذل الله يخذل ثم قال: يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب الله و قدرة ملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه. ثم قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نساءهم و أبناءهم و أموالهم على المسلمين و بعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصاري فابتاع بهم خيلا و سلاحا". انتهى.

لقد قسم رسول الإسلام نساء وأطفال بني قريظة على أصحابه وكأنهن سلع أو بضائع تجارية لا مشاعر إنسانية لهن. وأقسى من ذلك أنه باع بعض من تلك النسوة واطفالهن (أو ربما أستبدلهن) مقابل الحصول على الخيل والسلاح. أما رجالهن الأسرى، الذي كان يتراوح تعدادهم ما بين ستمائة إلى تسعمائة شخص، فقد تم إعدامهم، إذ تم فصل رؤوسهم عن أجسادهم. فهؤلاء الأسرى كانوا قد استسلموا ووضعوا أسلحتهم جانباً، فقد قال آية الله الطباطبائي(٣):" أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسلاحهم فجعل في قبّته وأمر بهم فكتفوا و أوثقوا وجعلوا في دار أسـامة". و يقول المولى الفيض الكاشـاني في تفسيره(٤):" و ساقـوا الاسارى الى المدينة فأمر

١- الآيتان:٢٦ وَ ٢٧- سورة الأحزاب.
٢- الميزان في تفسير القرآن - آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي ، تفسير الآيتين: ٢٦ وَ ٢٧ من سورة الأحزاب.
٣- الميزان في تفسير القرآن - آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي ، تفسير الآية ٢٧ من سورة الأحزاب.
٤- الصافي في تفسير كلام الله الوافي - الشيخ الفيض الكاشاني ، تفسير آية: ٢٧ من سورة الأحزاب.

رسول الله صلّى الله عليه وآله بأخدود فحفرت بالبقيع فلمّا امسى أمر بإخراج رجل رجل فكان يضرب عنقه". ويقول آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره(١):" فقتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البردين بالغداة والعشيّ في ثلاثة أيام". انتهى.

وقد فعل رسول الإسلام ما هو أنكى وأقسى من ذلك بكثير، فقد قتل الأطفال الذكور لمجرد أنهم أنبتوا، أي لمجرد ظهور الشِّعْرَةُ في عانة(٢) ذلك الصبي أو ذاك. أي أن رسول الإسلام أمر بقتل أي طفل ذكر لم يبلغ الثالثة عشر أو الرابعة عشر من العمر، وذلك بسبب تفاوت سن البلوغ من شخص لآخر - فطبياً وَ علمياً يبدئ ظهور الشِّعْرَةُ لدى بعض الأطفال الذكور من سن الثانية عشر تقريباً. ويذكرني ذلك الفعل الشنيع بمقتل الطفل البريء محمد الدرة على أيد القوات الصهيونية الآثمة، فقد كان في سن الثانية عشر من العمر عند مقتله رحمه الله.


الطفل القتيل محمد الدرة
رحمه الله تعالى

وقد روى العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي(٣) في بحاره أنه:" عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام قال: عرضهم رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ - يعني بني قريظة - على العانات فمن وجده أنبت قتله ومن لم يجده أنبت ألحق بالذراري." وقال أيضاً(٤):" عن جعفر بن محمد بن نصير عن الحسين بن كميت عن المعلى بن مهدي، عن أبي شهاب، عن الحجاج بن أرطاة، عن عبد الملك بن عمر عن عطية رجل من بني قريظة قال: عرضنا على رسول الله صلى الله عليه وآله فمن كانت له عانة قتله، ومن لم تكن له عانة تركه، فلم تكن لي عانة فتركني".

وقد قتل رسول الإسلام امرأة يهودية كانت من ضمن أسرى بني قريظة قد أخذتها الحمية عن شرفها وعرضها، إذ كانت تدافع ايضاً عن أهلها وقومها، ذكر ذلك المجلسي في بحاره(٥)، حيث

١- الميزان في تفسير القرآن - آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي ، تفسير الآية ٢٧ من سورة الأحزاب.
٢- العانة مَنْبت الشعر فوق القُبُل من المرأة، وفوق الذكر من الرجل، والشَّعَر النابتُ عليهما يقال له الشِّعْرَةُ والإِسْبُ؛ قال الأزهري: وهذا هو الصواب. أنبت الغلامُ إذا نبتتْ عانته. (لسان العرب - ابن منظور).
٣- بحار الأنوار - العلامة المجلسي ، المجلد ١٠٠ - الصفحة ١٦١.
٤- بحار الأنوار - العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ، الجزء ٢٠ – ص ٢٤٦ وَ ٢٤٧.
٥- بحار الأنوار - العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ، الجزء العشرون - الصفحة ٢٦٤.

قال:" وقتل من نسائهم امرأة واحدة كانت أرسلت عليه حجرا ، وقد جاء باليهود يناظرهم قبل مباينتهم له فسلمه الله تعالى من ذلك الحجر" .

أن تعاليم الإسلام تنتهك الكثير من المواثيق والعهود الدولية التي تحرم وتجرم الاحتلال كذلك تحرم وتجرم الإتجار بالبشر، وكذلك تحرم وتجرم قتل الأسرى أو تعذيبهم. أيضاً تحرم وتجرم قتل الأطفال النساء. لكن مما يؤسف له فعلاً أن كل تلك الأفعال قد مارسها رسول الإسلام نفسه، والقرآن خير شاهد على ما ذكرناه.

٩- نهب مقدرات الشعوب المحتلة وعدم السماح لهم بحق تقرير المصير

هناك فرق بين الحرب والغزوة. فالفرق كبير، فبينهما بون شاسع. فالحرب هي قتال بين طرفين جراء نزاع ديني أو سياسي أو عرقي أو خلافه، لكن الغزوة تعني القتال من أجل النهب وحسب. قال ابن منظور في (غزو): والغَزْوُ السيرُ إِلى قِتالِ العَدُوِّ وانْتِهابه، وأَخْفَقَ الغازي إِذا لم يَغْنَم ولم يَظْفَرْ. وفي القاموس المحيط: وغَزَاهُ غَزْواً العَدُوَّ: سارَ إلى قتالِهِمْ وانْتِهابِهِم غَزْواً وغَزَوَاناً وغزاوَةً، وهو غازٍ.

أيضاً هناك فرق بين غزوة وسرية، ويعلق آية الله الشيخ جعفر السبحاني[١] على ذلك فيقول:" هناك مصطلحان رائجان في كتابات المؤرخين وكُتّاب السيرة أكثر من أي مصطلح آخر وهما لفظة: «الغزوة» وَ «السريّة»، والمقصود من «الغزوة» تلك العمليات العسكرية الّتي كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يشارك فيها بنفسه، ويتولى قيادتها بشخصه .على حين يكون المقصود من «السريّة» إرسال مجموعات عسكرية وفرق وكتائب نظاميّة لا يشترك فيها رسول الله بنفسه بل يؤمِّرُ عليها أحدَ قادته العسكريّين ويوجّهها إلى الوجهة الّتي يريدُها. وقد أُحصيت غزواتُ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فكانت (٢٧) أو (٢٦) غزوة. ويعود الاختلاف في العدد إلى أن بعض المؤرخين يعتبر غزوة «خيبر» و غزوة «وادي القرى» اللتين حدثتا تباعاً ومن دون فاصلة غزوتين والبعض الآخر عدَّهما غزوةً واحدةً . وقد وقع نظير هذا الخلاف في تعداد سرايا النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ أيضاً فأحصى المؤرخون (٣٥)، (٣٦)، (٤٨)، و حتّى (٦٦) سرية". انتهى.

وكما قلنا سابقاً أن الغزو يعني في اللغة القتال من أجل النهب، وعلى هذا يذكر آية الله السبحاني

١- سيد المرسلين - آية الله الشيخ جعفر السبحاني ، الجزء الثاني، ص ٣٥.

بعض الغزوات التي شارك فيها رسول الإسلام محمد إضافة إلى السرايا التي بعثها بنفسه. فبالنسبة للسرايا فيقول(١):

" ١- لم يكن يمضي على إقامة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ في المدينة أكثر من ثمانية أشهر عندما عقد النبىّ أوّل لواء لقائد عسكرىّ شجاع هو «حمزة بن عبدالمطلب» وقد أمّره على ثلاثين رجلا من المهاجرين بعثهم إلى سواحل البحر الأحمر حيث الطرق التجارية الّتي تمر فيها قافلة قريش التجارية، فالتقوا قافلة قريش في «العيص» فيها أبوجهل في ثلاثمائة رجل من أهل مكة، فاصطفّوا للقتال، ولكنهما تفرقا ولم يقع قتال لوساطة قام بها «مجدىّ بن عمرو» الّذي كان حليفاً للفريقين، فانصرف حمزة راجعاً إلى المدينة، وتوجّه أبوجهل في عيره وأصحابه إلى مكة. ٢- في نفس الوقت الّذي بعث فيه رسولُ الله سريّة حمزة، عقد لواءً آخر لعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وبعثه في ستين راكباً من المهاجرين بهدف التعرض لقافلة قريش التجارية، فسار حتّى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل «ثنية المُرة». فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش يبلغ مائتين بقيادة أبي سفيان، ولكن لم يكن بينهم قتال إلاّ أن «سعد بن أبي وقاص» رُميَ يومئذ بسهم، كما أنه التحق رجلان مسلمان كانا في صفوف أبي سفيان بالمسلمين وقد خرجا مع الكفار وجعلا ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين والالتحاق بهم. ٣- بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ في شهر ذي القعدة في السنة الأولى من الهجرة سريّة أُخرى بقيادة «سعد بن أبي وقاص» على رأس ثمانية أشخاص آخرين من المهاجرين للتحقيق في تنقلات قريش ورصد تحرّكاتها خارج المدينة، فخرجوا حتّى بلغوا منطقة «الخرّار» ولكنهم لم يجدوا أحداً فعادوا إلى المدينة". وبالنسبة لملاحقة رسول الإسلام قريشاً بنفسه، فيقول آية الله السبحاني(٢):" ٤- في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة استعمل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ على المدينة «سعد بن عبادة» وأناط إليه ادارة أُمورها الدينية وخرج بنفسه مع جماعة من المهاجرين والأنصار، لملاحقة ركب قريش التجاري واعتراضه، وعقد معاهدة موادعة مع «بني ضمرة» حتّى بلغ الابواء، ولكنه لم يلق أحداً من قريش، فرجع ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ هو ومن معه إلى المدينة. ٥- وفي شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة استعمل ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ مرة أُخرى على المدينة: «السائب بن عثمان» أو «سعد بن معاذ» وخرج هو على رأس مائتين من الرجال يريد قريشاً حتّى بلغ بَواط (وهو جبلٌ من جبال بقرب ينبع على بُعد ٩٠ كيلومتراً من المدينة تقريباً) ولكنه لم يظفر بقافلة قريش الّتي كان يقودُها «أميّة بن خلف» وعلى رأس مائة رجل من قريش، فرجع إلى المدينة . ٦- وفي منتصف شهر جمادى الأُولى من السنة الثانية للهجرة جاءَ الخبر أن قافلة قريش التجارية تخرج من مكة بقيادة أبي سفيان تريد الشام للتجارة، وقد جمعت قريش كل أموالها في تلك القافلة، فخرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في جمع من أصحابه لاعتراضـها حتّى بلغ «ذات العشيرة»

١- سيد المرسلين - آية الله الشيخ جعفر السبحاني ، الجزء الثاني ، صفحات: ٣٣ إلى ٣٦.
٢- سيد المرسلين - آية الله الشيخ جعفر السبحاني ، الجزء الثاني ، صفحات: ٣٦ إلى ٣٩.

وقد استعمل على المدينة هذه المرة «أبا سلمة بن عبدالأسد»، وبقي ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ في ذات العشيرة إلى أوائل شهر جمادى الآخرة ينتظر قافلة قريش، ولكنه لم يظفر بها". ثم يضيف آية الله السبحاني فيقول:" ٧- بعد أن رجع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ إلى المدينة بعد اليأس من قافلة قريش لم يقم بالمدينة ألاّ ليالي قلائل لا تبلغ العشر حتّى هاجم «كرز بن جابر الفهري» على ابل أهل المدينة ومواشيهم الّتي كانت قد سرحت للرعي بالغداة. فخرج رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ في طلبه وقد استعمل على المدينة زيد بن حارثة حتّى بلغ واديا من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر فلم يدركه ثم رجع ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ ومن معه إلى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجباً وشعبان. ٨- وفي شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ «عبدالله بن جحش» على رأس ثمانية رجال من المهاجرين لملاحقة قافلة قريش التجارية، وقد كتب له كتاباً بالمهمة الّتي يجب ان ينفّذها، وأمره أن لا ينظر فيه قائلا له: «قد استَعمَلتُكَ على هؤلاء النَفر فامضِ حتّى إذا سرتَ ليلتين فانشُر (إي افتح) كتابي ثم امض (اي نفّذ) لما فيه». ثم عيّن له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ الوجهة الّتي يجب أن يتوجّه اليها. فانطلق عبدُالله ورفقاؤه وساروا يومين كاملين كما أمرهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ ثم فتح عبدالله كتاب النبيّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ وقرأ ما فيه، فاذا فيه:«إذا نَظرتَ في كتابي هذا فامض حتّى تنزلَ نَخلَة بينَ مكّة والطائِفَ على اسم الله وبركته فترصَّد بها قريشاً، وتعلّم (أي حصّل) لنا من أخبارهم ولأتكرهنّ أحداً من أصحابكَ وامضَ لأمري فيمن تبعك». فلما قرأ الكتاب قال لاصحابه: قد أمرني رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ أن امضيَ إلى نخلة أرصد بها قافلة قريش حتّى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن استكره أحَداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع فأمّا أنا فماض لأمر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ ، ومن أرادَ الرجعة فمن الآن. فقال أصحابه اجمعون: نحن سامعون مطيعون لله ولِرسوله ولكَ فسِر على بَرَكة الله حيث شئتَ، فسارَ هو ومن معه لم يتخلَّف منهم أحدٌ حتّى جاء نخلة فوجد قافلةً لقريش يرأسها «عمرو بن الحضرمي» وهي عائدة من الطائف إلى مكة، فنزل المسلمون بالقرب منهم، ولكي لا يكتشفهم العدوّ، ولا يعرف بأمرهم ومهمّتهم حلقوا رؤوسهم ليتصوّر العدو أنهم عمّار يعتزمون الذهاب إلى مكة للعمرة فلما رآهم رجالُ قريش على هذه الحال اطمأنوا وأمنوا جانبهم وقالوا: عُمّارٌ لا بأس عليكم منهم. ثم تشاور المسلمون فيما بينهم في جلسة عسكرية للنظر فيما يجب عمله فتبين لهم: أنهم إذا تركوا القوم (أي قريشاً) في تلك الليلة (وكانت آخر ليلة من شهر رجب) لدخلوا الحَرَم، ولم يمكن قتالهم فيه، وان خرج الشهر الحرام . فأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، من هنا باغتوا تلك القافلة، ورمى «واقدُ بن عبدالله» قائدها «عمرو بن الحضرمي» بسهم فقتله، وفرَّ رجالُه إلاّ نفرين هما: «عثمان بن عبدالله» و «الحكم بن كيسان» حيث أسرهما المسلمون، وعاد عبدالله بن جحش وأصحابه بالقافلة مع ما فيها من أموال قريش والاسيرين إلى المدينة". انتهى.

وكما يقال "وشهد شاهد من أهلها"، فهل هناك أكبر من هذه الشهادة التي توضح الغايات والأهداف من وراء الغزوات والسرايا أو ما يسمى بجهاد غير المسلمين التي شرعها الدين الإسلامي؟ وقد يقول قائل أن هذا استنتاج خاطئ مني فلم تكن الغزوات من أجل النهب بل لأجل نشر الدين الإسلامي. وأجيب على هذا السؤال: أن ذلك ليس رأيي الشخصي بل أن القرآن نفسه يشرع ذلك، فهنالك سورة بهذا المعنى، و أقصد بذلك سورة الأنفال، فقد ذكر شيخ الطائفة الشيعية محمّد بن الحسن الطوسي(١):" عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام (أن الانفال كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال إذا انجلى عنها أهلها). ويسميه الفقهاء فيئاً، وميراث من لا وارث له، وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب، والآجام وبطون الأودية والموات وغير ذلك مما ذكرناه في كتب الفقه. وقالا: هو لله وللرسول وبعده للقائم مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه ومن يلزمه مؤنته ليس لاحد فيه شيء. وقالا: إن غنائم بدر كانت للنبي صلى الله عليه وآله خاصة، فسألوه أن يعطيهم". وقد ذكر آية الله السيد الخوئي(٢):" (الغنائم) (مسألة ٣٦) إن ما استولى عليه المسلمون المقاتلون من الكفار بالجهاد المسلح يكون على ثلاثة أنواع". وأضاف قائلاً:" أما النوع الأول: فيخرج منه الخمس وصفايا الأموال وقطايع الملوك إذا كانت، ثم يقسم الباقي بين المقاتلين". وأرجو من القارئ الكريم التركيز على جملة " يقسم الباقي بين المقاتلين" الواردة في فتوى آية الله السيد الخوئي آنفة الذكر. وبهذا يتبرهن لنا أن الغزوات الإسلامية كان من أجل النهب وحسب، وهو ما يطلق عليه الفقهاء المسلمون بالغنائم.

وهكذا استمر الوضع على ما هو عليه في زمن محمد رسول الإسلام، وأقصد بذلك الإغارة على القبائل العربية من أجل ما يسمى بالغنائم تحت ستار نشر دين لا برهان على صحة اتصاله بخالق السماء. وبعد موت محمد رسول الإسلام استمر أصحابه على نفس المنوال، فواصلوا الإغارة والغزو بلا رحمة ولا هوادة. وكان الهدف الأسمى من ذلك هو الثروة وحسب، فقد ذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي في تاريخه(٣) تنامي الثروة المالية للقرشيين جراء فرض الجزية على غير المسلمين، فيقول:" واجتمع الدهاقين إلى عثمان بن حنيف في الكرم، فقالوا: إنما في قرب من المصر يباع العنقود منه بدرهم، فكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر أن يحمل من هذا، ويوضع على هذا بقدر الموضعين. وكان عمر يأخذ الجزية من أهل كل صناعة من صناعتهم بقيمة ما يجب عليهم، وكذلك فعل علي، وكتب عمر إلى أبي موسى أن يضع على أرض البصرة من الخراج مثل ما وضع عثمان بن حنيف على أرض الكوفة، وكتب إلى عثمان بن حنيف: ان احمل إلى أهل المدينة أعطياتهم، فإنهم شركاؤهم. فكان يحمل ما بين العشرين ألف ألف إلى الثلاثين ألف ألف. و دون عمر الدواوين وفرض العطاء سنة ٢٠، و قال: قد كثرت

١- التبيان الجامع لعلوم القرآن - شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي - تفسير الآية:١ من سورة الأنفال.

٢- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد الخوئي ، الجزء الأول ، الصفحة ٣٧٩.

٣- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي - الجزء الثاني - الصفحة ١٥٢-١٥٣.

الأموال، فأشير عليه أن يجعل ديوانا، فدعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف، وقال: اكتبوا الناس على منازلهم، وابدأوا ببني عبد مناف. فكتب أول الناس علي بن أبي طالب في خمسة آلاف، والحسن بن علي في ثلاثة آلاف، والحسين بن علي في ثلاثة آلاف، وقيل بدأ بالعباس بن عبد المطلب في ثلاثة آلاف، وكل من شهد بدرا من قريش في ثلاثة آلاف، ومن شهد بدرا من الأنصار في أربعة آلاف، ولأهل مكة من كبار قريش مثل أبي سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان في خمسة آلاف، ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدرا، ولأمهات المؤمنين ستة آلاف ستة آلاف، ولعائشة وأم حبيبة وحفصة في اثني عشر ألفا، ولصفية وجويرية في خمسة آلاف خمسة آلاف، ولنفسه في أربعة آلاف، ولابنه عبد الله ابن عمر في خمسة آلاف، وفي أهل مكة الذين لم يهاجروا في ستمائة وسبعمائة، وفرض لأهل اليمن فئ أربعمائة، ولمضر في ثلاثمائة، لربيعة، في مائتين". انتهى.

ولمن لا يعرف قيمة الدينار في ذلك الزمان، يذكر لنا السيد موسى الحسيني المازندراني(١): " يقدرون وزن الدينار أيضا باثنين وسبعين حبة شعير، أي ستة آلاف حبة خردل من الوسط، وهذا يساوي ثمانية دوانق، ويعد الدانق قيراطين ونصفا، ويساوي ٤/٢٦٥ غراما". أي أن دينار واحد يساوي ٤,٢٦٥ جرام من الذهب الخالص. ويبلغ سعر جرام الذهب وقت كتابة هذه السطور ٥١ دولار أمريكي. وهذا يعني أن الإمام الحسين بن علي، على سبيل المثال، كان يخصص له عطية سنوية من أموال مغتصبة من المستضعفين الذين كانوا يرزحون تحت نير الاحتلال الإسلامي في العراق، تقدر بمبلغ يعادل (٦٥٢,٥٤٥/٠٠) دولار امريكي سنوياً، هذا عدا الأموال المجبية من المستضعفين في الشام و مصر وفارس والسند وأفريقيا وسواهم. وكان ذلك المبلغ يكفي لإدارة دويلة صغيرة في ذلك الوقت. أما المبلغ الإجمالي الذي كان يُحمل للخليفة أو أمير المسلمين في المدينة - من العراق وحدها - فهو يعادل ما بين ٤،٣٥٠،٣٠٠،٠٠٠ دولار أمريكي إلى ٦،٥٢٥،٤٥٠،٠٠٠ دولار أمريكي سنوياً، وهو ما يكفي لإدارة إمبراطورية ضخمة في ذلك الزمان. لكن يتضح من سرد اليعقوبي أن مآل تلك الأموال كانت تذهب لجيوب المسلمين انفسهم وليس لإعمار البلدان المحتلة إسلامياً.

ويذكر اليعقوبي(٢) أيضاً أن ما كان يؤخذ من أهل مصر وحدها كجزية مفروضة على كل مسيحي كان يقدر بـ١٤ مليون دينار، فيقول:" وفي هذه السنة فتح عمرو بن العاص الإسكندرية وسائر أعمال مصر، واجتباها أربعة عشر ألف ألف دينار من خراج رؤوسهم، لكل رأس دينارا، وخراج غلاتهم من كل مائة إردب إردبين، وأخرج أصحاب هرقل، ومات هرقل ملك الروم، فزاد ذلك في وهنهم وضعفهم". وذلك المبلغ يعادل في وقتنا الراهن ٣،٠٤٥،٢١٠،٠٠٠ دولار أمريكي.

١- العقد المنير - السيد موسى الحسيني المازندراني ، الصفحة: ٩٦.

٢- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي ، الجزء الثاني ، الصفحة: ١٥٤.

بل أن ابن عبدالبر[١] ذكر ان ما كان يؤخذ من سواد أهل الكوفة[٢] وحدهم كان يبلغ مائة مليون، وهو ما يعادل في أيامنا الحالية مبلغ قدره ٢١،٧٥١،٥٠٠،٠٠٠ دولار أمريكي، فقال:" فبلغت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مائة الف الف". انتهى.

كانت مصر والعراق والشام وفارس والسند وافريقيا وسواها من البلدان المحتلة إسلامياً تحرم من هذا المال المنهوب، الذي كانت هي أحوج ما تكون إليه في تطوير البلاد، ذلك أن الاحتلال الإسلامي لم يكن يجيز توزيعه على المحتاجين والفقراء من غير المسلمين هناك. بل كان يرسل بالكامل لعاصمة الخلافة الإسلامية. وهكذا تم نهب مقدرات الشعوب بحجة نشر دين لا يحترم حقوق الإنسان وحرياته في البلدان المحتلة إسلامياً. فمن الواضح أن الهدف من تلك الغزوات والاحتلال الإسلامي للبلدان الغير مسلمة هو الغنائم التي لم يكن لها حدود او طموح. فالإنسان (المرأة، الطفل، والرجل) يسبون ويملكون كالبهائم، فيجوز الإتجار بهم، وهذا ما برهنا عليه سلفاً. إضافة إلى نهب الماشية والزروع والأراضي والعقارات والذهب والفضة. وعلى هذا يذكر آية الله العظمى السيد الخوئي عن ذلك النهب، الذي يسميه بالغنائم، فيقول[٣]:"إن ما أستولى عليه المسلمون المقاتلون من الكفار بالجهاد المسلح يكون على ثلاثة أنواع: النوع الأول: ما يكون منقولا كالذهب والفضة والفرش والأواني والحيوانات وما شاكل ذلك. النوع الثاني: ما يسبى كالأطفال والنساء. النوع الثالث: ما لا يكون منقولا كالأراضي والعقارات". انتهى.

والإسلام لم يعطي أهل الكتاب، الذين احتلت ديارهم، حرية ممارسة معتقدهم دون ضغوط، أو حتى السماح لهم بتقرير مصيرهم، حيث أجبروا على تغيير معتقدهم بقوة السلاح أو بفرض جزية يصعب على الإنسان البسيط دفعها ومن ثم يرغم على اعتناق الإسلام خوفاً من القتل، فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه[٤] أن رسول الإسلام محمد قد بعث بكتاب إلى رجال الدين المسيحيين في اليمن يهددهم ويتوعدهم فيه، فيقول :"وكتب إلى نجران: بسم الله، من محمد رسول الله إلى أسقفة نجران: بسم الله فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، أما بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية وإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام". انتهى.

وبهذا يكون الإسلام قد انتهك أغلب المواثيق والعهود الدولية، و التي منها بالطبع العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذي تم اعتمادهما وعرضهما للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ابن عبد البر - المجلد الثالث - صفحة ١٠٣٣ - باب (عثمان) ، الطبعة الأولى لدار الجيل - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢- السواد: سَواد الكوفة والبَصرة: قُراهما (الصّحّاح في اللغة).
٣- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد الخوئي - الجزء الأول - الصفحة ٣٧٩.
٤- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي – الجزء الثاني - الصفحة ٨١.

العامة للأمم المتحدة رقم ٢٢٠٠ ألف (د-٢١) المؤرخ في ١٦ ديسمبر ١٩٦٦م. فقد نصت المادة الأولى منهما على التالي:

١. لجميع الشعوب حق تقرير مصيرها بنفسها، وهى بمقتضى هذا الحق حرة في تقرير مركزها السياسي وحرة في السعي لتحقيق نمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

٢. لجميع الشعوب، سعيا وراء أهدافها الخاصة، التصرف الحر بثرواتها ومواردها الطبيعية دونما إخلال بأية التزامات منبثقة عن مقتضيات التعاون الاقتصادي الدولي القائم على مبدأ المنفعة المتبادلة وعن القانون الدولي. ولا يجوز في أية حال حرمان أي شعب من أسباب عيشه الخاصة.

٣. على الدول الأطراف في هذا العهد، بما فيها الدول التي تقع على عاتقها مسئولية إدارة الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي والأقاليم المشمولة بالوصاية أن تعمل على تحقيق حق تقرير المصير وأن تحترم هذا الحق، وفقا لأحكام ميثاق الأمم المتحدة.

كذلك ينتهك الإسلام قرار الجمعية العامة ١٨٠٣ (د-١٧) المؤرخ في ١٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٢م المعنون "السيادة الدائمة علي الموارد الطبيعية"، حيث نصت الفقرة الأولى من ذلك القرار على أنه:" يتوجب أن تتم ممارسة حق الشعوب والأمم في السيادة الدائمة على ثرواتها ومواردها الطبيعية وفقا لمصلحة تنميتها القومية ورفاه شعب الدولة المعنية". أما الفقرة السابعة فقد أكدت على أنه: "يعتبر انتهاك حقوق الشعوب والأمم في السيادة على ثرواتها ومواردها الطبيعية منافيا لروح ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه ومعرقلا لإنماء التعاون الدولي وصيانة السلم".

كذلك الإسلام ينتهك بالفعل إعلان الحق في التنمية الذي اعتمد ونشر على الملأ بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٢٨/٤١ المؤرخ في ٤ ديسمبر ١٩٨٦م. فقد نصت المادة الأولى على التالي:

١. الحق في التنمية حق من حقوق الإنسان غير قابل للتصرف وبموجبه يحق لكل إنسان ولجميع الشعوب المشاركة والإسهام في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية والتمتع بهذه التنمية التي يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية إعمالا تاما.

٢. ينطوي حق الإنسان في التنمية أيضا على الإعمال التام لحق الشعوب في تقرير المصير، الذي يشمل، مع مراعاة الأحكام ذات الصلة من العهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان،

ممارسة حقها، غير القابل للتصرف، في ممارسة السيادة التامة على جميع ثرواتها ومواردها الطبيعية.

وبهذا يتضح لنا جلياً، من خلال هذه الفقرة والفقرة السابقة (رقم٨) من هذا الفصل، أن الإسلام قد انتهك بشكل صارخ وخطير مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[١] التالية: المادة ١، المادة ٢، المادة ٣، المادة ٤، المادة ٥، المادة ٧، المادة ٩، المادة ١٢، المادة ١٣، المادة ١٤، المادة ١٧، المادة ١٨، المادة ١٩، المادة ٢١، المادة ٢٢، المادة ٢٨.

أيضاً ينتهك الدين الإسلامي الاعلان الخاص بشأن حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة الذي اعتمد ونشر على الملأ بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣٣١٨ (د-٢٩) المؤرخ في ١٤ ديسمبر ١٩٧٤م، حيث نصت الفقرة الخامسة منه بأنه:" تعتبر أعمالا إجرامية جميع أشكال القمع والمعاملة القاسية واللاإنسانية للنساء والأطفال، بما في ذلك الحبس والتعذيب والإعدام رميا بالرصاص والاعتقال بالجملة والعقاب الجماعي وتدمير المساكن والطرد قسرا، التي يرتكبها المتحاربون أثناء العمليات العسكرية أو في الأقاليم المحتلة".

كما أن تعاليم الدين الإسلامي تنتهك البرتوكول الإضافي الأول الملحق باتفاقيات جنيف المعقودة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩م والمتعلق بحماية ضحايا المنازعات المسلحة الدولية، حيث نصت المادة ٤٠ بحرمة قتل أو التهديد بالقتل أي خصم أو أسير حرب :" يحظر الأمر بعدم إبقاء أحد على قيد الحياة، أو تهديد الخصم بذلك، أو إدارة الأعمال العدائية على هذا الأساس". أما المادة الحادي والأربعون من نفس البرتوكول فقد نصت على التالي:

١. لا يجوز أن يكون الشخص العاجز عن القتال أو الذي يعترف بأنه كذلك لما يحيط به من ظروف، محلا للهجوم.

٢. يعد الشخص عاجزا عن القتال إذا:

(أ) وقع في قبضة الخصم،

(ب) أو أفصح بوضوح عن نيته في الاستسلام،

(ج) أو فقد الوعي أو أصبح عاجزا علي نحو آخر بسبب جروح أو مرض ومن ثم غير قادر علي الدفاع عن نفسه.

١- الرجاء مراجعة الصفحات: ١٥ إلى ٢٠ للاطلاع على كامل المواد و البنود ذات العلاقة.

شريطة أن يحجم في أي من هذه الحالات عن أي عمل عدائي وألا يحاول الفرار.

٣. يطلق سراح الأشخاص الذين تحق لهم حماية أسرى الحرب الذين يقعون في قبضة الخصم في ظروف قتال غير عادية تحول دون إجلائهم على النحو المذكور في الباب الثالث من القسم الأول من الاتفاقية الثالثة، ويجب أن تتخذ كافة الاحتياطات المستطاعة لتأمين سلامتهم".

لقد ذكرت بشكل موجز بعض النزر اليسير من أهم الانتهاكات الخطيرة التي يقوم بها الإسلام ضد العهود والمواثيق الدولية، وإلا فأنه يوجد هناك الكثير والكثير من الانتهاكات الصارخة الأخرى لحقوق الإنسان نتيجة تطبيق الشريعة الإسلامية في الوطن العربي والإسلامي لم نوردها في كتابنا هذا خشية الإطالة. ومن ضمن تلك الانتهاكات الشنيعة ما يخص حقوق وحريات المرأة، التي تركت آثار نفسية واجتماعية لدى أغلبية النساء في العالم الإسلامي. إني لم أذكر أي مثل لتلك الانتهاكات لوجود كتب شرحت بإسهاب تفاصيل تلك الحقوق والحريات التي للأسف الشديد يتم سلبها وسحقها تحت أقدام الشريعة الإسلامية. لكني أعتقد أن ما ذكرته يعد كافيا فيما يخص موضوع هذا الفصل، الذي يسلط الضوء على مفهوم الحرية وحقوق الإنسان في الإسلام. فقد برهنا على أن الإسلام لا يقر بحرية الإنسان أو احترام حقوقه التي تقرها المواثيق والعهود الدولية. وعلى هذا الأساس فأن ما يتشدق به دعاة الإسلام أن دينهم يحترم حقوق الإنسان ماهي إلا كذبة كبرى لم تعد تنطلي إلا على البسطاء والجهلاء. كما أن الادعاء أن الإمام الحسين بن علي يعتبر أبا للأحرار مسألة غير قابل للتصديق، بسبب بسيط هو عدم مخالفته لشريعة جده محمد - رسول الإسلام - في تلك التعاليم التي تدينها وتستنكرها الهيئات الحقوقية. بل أنه، أي الإمام الحسين قد شارك في حملات الاحتلال الإسلامية التي طالت وغطت ثلاث قارات حول العالم. هي: قارة آسيا وقارة افريقيا وقارة أوروبا. الرجاء طالع الصفحة٣١٠ وما يليها، للمزيد من التفاصيل.

أني أرجو من الله العلي القدير أن يفهم ويعي القارئ الكريم ما كان خافٍ عنه من تلك الحقائق الجلية والخطيرة، التي لطالما حاول مشايخ الإسلام إخفائها عن المسلمين البسطاء، أو التكتم عليها، بحيث تكون غائبة عن عيون وقلوب وأفكار الأخوة والأخوات الأحباء من المسلمين الشيعة والسنة على السواء.

الفصل الثاني

الرب يسوع المسيح

الباب الأول: شخصية السيد المسيح

يعتبر السيد المسيح رأس الكنيسة والمؤمنون به هم أعضاء في جسده المبارك. وليس المقصود بالكنيسة مبنى أو غرفة أو صالة مبينة من طابوق أو حجارة وإنما تعني - حسب اللغة اليونانية - جماعة المؤمنين بالرب يسوع المسيح. ويسمى الرب يسوع بالعبرية بِـ "يشوع" ومعناه الرب يخلص.

المسيح له طبيعتين، طبيعة بشرية كاملة: فهو كان يأكل ويشرب وينام ويتعب...الخ، ولكنه من غير خطية. وله أيضاً طبيعة لاهوتية كاملة: فهو يخلق ويرزق ويعلم الغيب ويقيم الأموات ويشفي المرضى بشكل ذاتي من نفسه، ودون الحاجة لطلب ذلك بالدعاء أو بالصلاة من الآب السماوي لتحقيق ذلك. وهو – الرب يسوع المسيح – يعتبر الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس (الآب والأبن والروح القدس). ولقد تنبأ جميع أنبياء العهد القديم عن ولادته المعجزية وَ عن مجيئه الخلاصي وَ عمله الكفاري، الذي يعني أنه قد جاء لعالمنا من أجل تخليصنا نحن جميع البشر من خطايانا. و الرب يسوع المسيح هو الله الظاهر بالجسد - أي ظهر بصورة بشرية، وقد نص بذلك الإنجيل المقدس(١):

٢:٦ الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ.

٢:٧ لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ.

٢:٨ وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.

أيضاً الرب يسوع المسيح هو الكلمة (اللوجوس) أي عقل الله الناطق أو نطق الله العاقل(٢).

١:١ فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.

١:٢ هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ.

١:٣ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.

١:٤ فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ

١:٥ وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ.

١:١٤ وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً.

١- الآيات:٦ إلى ٨ - الإصحاح الثاني ، رسالة بولس الرسول إلى أهل فِيلِبِّي، الكتاب المقدس.
٢- الآيات:١ إلى ٥ ، والآية ١٤ - الإصحاح الأول ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

لذا لا يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح كان إنسان ثم أصبح الله، أو أنه كان الله ثم أصبح إنساناً. بل أن المسيح هو الله المتحد بالطبيعة البشرية، لكن من غير امتزاج أو اختلاط بينهما.

سلسلة نسب السيد المسيح

يعود نسب السيد المسيح من ناحية الجسد إلى أبائه داود و إبراهيم و اسحاق و يعقوب. و يذكر البشير لوقا هذا النسب العريق بشكل مفصل في الإصحاح الثالث، فيقول(١):

٣:٢٣ وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ بْنِ هَالِي

٣:٢٤ بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي بْنِ مَلْكِي بْنِ يَنَّا بْنِ يُوسُفَ

٣:٢٥ بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ عَامُوصَ بْنِ نَاحُومَ بْنِ حَسْلِي بْنِ نَجَّايِ

٣:٢٦ بْنِ مَآثَ بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ شِمْعِي بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَهُوذَا

٣:٢٧ بْنِ يُوحَنَّا بْنِ رِيسَا بْنِ زَرُبَّابِلَ بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ بْنِ نِيرِي

٣:٢٨ بْنِ مَلْكِي بْنِ أَدِّي بْنِ قُصَمَ بْنِ أَلْمُودَامَ بْنِ عِيرِ

٣:٢٩ بْنِ يُوسِي بْنِ أَلِيعَازَرَ بْنِ يُورِيمَ بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي

٣:٣٠ بْنِ شِمْعُونَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوسُفَ بْنِ يُونَانَ بْنِ أَلِيَاقِيمَ

٣:٣١ بْنِ مَلَيَا بْنِ مَيْنَانَ بْنِ مَتَّاثَا بْنِ نَاثَانَ بْنِ دَاوُدَ

٣:٣٢ بْنِ يَسَّى بْنِ عُوبِيدَ بْنِ بُوعَزَ بْنِ سَلْمُونَ بْنِ نَحْشُونَ

٣:٣٣ بْنِ عَمِّينَادَابَ بْنِ آرَامَ بْنِ حَصْرُونَ بْنِ فَارِصَ بْنِ يَهُوذَا

٣:٣٤ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَارَحَ بْنِ نَاحُورَ

٣:٣٥ بْنِ سَرُوجَ بْنِ رَعُو بْنِ فَالَجَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَحَ

٣:٣٦ بْنِ قِينَانَ بْنِ أَرْفَكْشَادَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لاَمَكَ

٣:٣٧ بْنِ مَتُوشَالَحَ بْنِ أَخْنُوخَ بْنِ يَارِدَ بْنِ مَهْلَلْئِيلَ بْنِ قِينَانَ

٣:٣٨ بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيتِ بْنِ آدَمَ ابْنِ اللهِ.

١- الآيات:٢٣ إلى ٣٨ - الإصحاح الثالث ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

القاب وأسماء السيد المسيح

للرب يسوع المسيح اسماء والقاب كثيرة ورد بعضها في كتب انبياء العهد القديم، أي في التوراة و كتب الأنبياء، والبعض الآخر تم ذكرها أو الإشارة إليها في العهد الجديد، أي في الأناجيل الأربعة والرسائل، ونسردها على النحو التالي:

- **السيد المسيح، يسوع المسيح: أشهر القاب عرف بها يسوع المسيح، وهو يعني أنه قد مسحه الله بقوة الروح القدس ليقدم الخلاص لجميع البشر.**
- **الله، الرب، السيد الرب، الرب يسوع**
- **ابن العلي**
- **ابن الله**
- **ابن الإنسان**
- **الإنسان يسوع**
- **الكلمة**
- **الطبيب**
- **الضامن**
- **النبي**
- **عمانوئيل، الذي معناه الله معنا.**
- **ملك الملوك**
- **رب الأرباب**
- **الملك ؛ ملك اليهود ؛ ملك إسرائيل**
- **ملاك الرب**
- **الشفيع**
- **الفادي**
- **المخلص**
- **المنقذ**
- **المحرر**
- **خبز الحياة، نبع الحياة**
- **حجر الزاوية**
- **النور**
- **نور العالم**
- **الحكمة**

- **حمل الله**
- **رئيس السلام**
- **الحبيب**
- **الصادق**
- **الأمين**
- **البار**
- **كوكب الصبح المنير**
- **المُصَالِح**
- **الفخاري الأعظم**
- **صخر الدهور**
- **الراعي الصالح**
- **الكاهن الأعظم**
- **الباب**
- **القدوس**
- **الأول والآخر**
- **الحق**
- **الطريق**
- **الحياة**
- **القيامة**
- **الكرمة**
- **العريس**
- **المعلم**
- **يسوع الناصري، يسوع**
- **ابن داود**
- **ابن النجار**

تلامذة السيد المسيح

كان للسيد المسيح أكثر من ١٢ تلميذاً ورسولاً، ولكن التلاميذ و الرسل المقربون منه كانوا ١٢. وفيما يلي أسماء تلامذة السيد المسيح حسبما ذكرتهم الأناجيل القانونية الأربعة[١]:

١- الموقع الإلكتروني لمار نرساي الكلدانية الكاثوليكية.

- **أندراوس: صياد من بيت صيدا في الجليل وهو أول رسول دعاه الرب يسوع وكان قبل ذلك تلميذ ليوحنا المعمدان.**
- **سمعان بطرس: أخو أندراوس وهو صياد من بيت صيدا في الجليل.**
- **فيلبس: من بيت صيدا في الجليل**
- **يعقوب بن زبدي: من بيت صيدا في الجليل**
- **يوحنا بن زبدي: الملقب بإبن الرعد وأخو يعقوب.**
- **برثولماوس أو نثنائيل**
- **يعقوب بن حلفى**
- **يهوذا لَبَّاوس الملقب تَدَّاوس: أخو يعقوب بن حلفى وذُكر اسمه كيهوذا بن حلفى في بعض آيات الإنجيل وهو ليس يهوذا الإسخريوطي.**
- **متى العشار: من كفر ناحوم في الجليل وكان عشار يجمع الجباية.**
- **توما: كان يقال له التَّوأم أيضاً حيث أن اسمه مشتق الاسم الآرامي "توماس" الذي يعنى التَّوأم.**
- **سمعان القانوي: ويلقب أيضاً بسمعان الغيور**
- **يهوذا الإسخريوطي: الذي باع يسوع بثلاثين من الفضة. تم استبداله بماتياس بعد موته منتحراً.**

و بحسب التقليد الكنسي فأن جميع الرسل الاثني عشر استشهدوا في سبيل إيمانهم بالمسيح وهناك روايات تتحدث عن أن يوحنا بن زبدي كان الرسول الوحيد الذي مات موتا طبيعيا بعد الشيخوخة(١).

وقد ورد ذكرهم جميعاً في الإنجيل المقدس(٢):

٣:١٣ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُمْ فَذَهَبُوا إِلَيْهِ.

٣:١٤ وَأَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ وَلْيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا

٣:١٥ وَيَكُونَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى شِفَاءِ الأَمْرَاضِ وَإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ.

٣:١٦ وَجَعَلَ لِسِمْعَانَ اسْمَ بُطْرُسَ.

٣:١٧ وَيَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ وَجَعَلَ لَهُمَا اسْمَ بُوَانَرْجِسَ (أَيِ ابْنَيِ الرَّعْدِ).

٣:١٨ وَأَنْدَرَاوُسَ وَفِيلُبُّسَ وَبَرْثُولَمَاوُسَ وَمَتَّى وَتُومَا وَيَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَتَدَّاوُسَ وَسِمْعَانَ الْقَانَوِيَّ

٣:١٩ وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي أَسْلَمَهُ. ثُمَّ أَتَوْا إِلَى بَيْتٍ.

١- الموقع الإلكتروني لمار نرساي الكلدانية الكاثوليكية.

٢- الآيات:١٣ إلى ١٩ - الإصحاح الثالث ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.

الباب الثاني: ميلاد و طفولة السيد المسيح

ولد يسوع المسيح في مدينة بيت لحم - بيت داوود أبيه من ناحية الجسد - في العام الرابع ما قبل الميلاد. و أمه من ناحية الجسد هي السيدة العذراء مريم البتول التي حملته وَ ولدته بطريقة خارقة للطبيعة وذلك بواسطة الروح القدس - الأقنوم الثالث - و بدون أي اتصال جسدي. حيث يشير الإنجيل المقدس عن زيارة الملاك جبرائيل لها ليخبرها بأنه قد اختارها الله لتكون والدة يسوع المسيح الإنسان. ورد ذلك في الإنجيل المقدس(١)، حيث يقول لوقا البشير:

١:٢٦ وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ

١:٢٧ إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ.

١:٢٨ فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ».

١:٢٩ فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ!

١:٣٠ فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ.

١:٣١ وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ.

١:٣٢ هَذَا يَكُونُ عَظِيماً وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ

١:٣٣ وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ».

١:٣٤ فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟»

١:٣٥ فَأَجَابَ الْمَلاَكُ: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ.

و بُعَيْد حملها بالمسيح بوقتٍ قصير أوحى الله كذلك ليوسف النجار، زوج المطوبة مريم العذراء، أن يقوم بتسمية المولود بيسوع(٢) وذلك من خلال رؤية في المنام:

١:٢٠ وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الأُمُورِ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.

١:٢١ فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ».

١- الآيات:٢٦ إلى ٣٥ - الإصحاح الأول ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

٢- الآيات:٢٠ إلى ٢٥ - الإصحاح الأول ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مَتَّى.

١:٢٢ وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ:

١:٢٣ «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَا).

١:٢٤ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ.

١:٢٥ وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ.

وقد قصد البشير مَتَّى في الآيتين ٢٢ و ٢٣ عن تحقق نبوة اشعياء النبي في شخص الرب يسوع له كل المجد، حيث قيلت تلك عن ولادته المعجزية بحوالي ٧٠٠ سنة قبل الميلاد. وإليكم نص النبوة الواردة في سفر اشعياء النبي[١]: "وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»". والمقصود بالسيد في هذه الآية هو الله الذي قد أعطى علامة لليهود عن مجيئه المبارك للعالم من خلال تجسده ومجيئه من امرأة عذراء هي مريم البتول، لهذا نصت الآية " يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً" لأن ذلك الحمل العذراوي كانت علامة فريدة وخاصة بالسيد الرب وعن مجيئه المبارك للعالم.

وفي تلك الإثناء قام الإمبراطور الروماني أغسطس قيصر بإصدار أمر إمبراطوري يتم بمقتضاه تعداد كامل سكان الإمبراطورية، بما فيها اليهودية والسامرة. حيث يخبرنا الإنجيل المقدس[٢]:

٢:١ وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ.

٢:٢ وَهَذَا الاِكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ.

٢:٣ فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ.

٢:٤ فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ

٢:٥ لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى.

٢:٦ وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ.

٢:٧ فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ.

٢:٨ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ

٢:٩ وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً.

١- الآية:١٤ - الإصحاح السابع ، سفر اشعياء النبي ، الكتاب المقدس.

٢- الآيات:١ إلى ٥٢ - الإصحاح الثاني ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

٢:١٠ فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ:

٢:١١ أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.

٢:١٢ وَهَذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجَعاً فِي مِذْوَدٍ».

٢:١٣ وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ:

٢:١٤ «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ».

٢:١٥ وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هَذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ».

٢:١٦ فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعاً فِي الْمِذْوَدِ.

٢:١٧ فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الصَّبِيِّ.

٢:١٨ وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ.

٢:١٩ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلاَمِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا.

٢:٢٠ ثُمَّ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ.

٢:٢١ وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ.

٢:٢٢ وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ

٢:٢٣ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوساً لِلرَّبِّ.

٢:٢٤ وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ.

٢:٢٥ وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ كَانَ بَارّاً تَقِيّاً يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ.

٢:٢٦ وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ.

٢:٢٧ فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ

٢:٢٨ أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ:

٢:٢٩ «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ

٢:٣٠ لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ

٢:٣١ الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ.

٢:٣٢ نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ وَمَجْداً لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ».

٢:٣٣ وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ.

٢:٣٤ وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ:«هَا إِنَّ هَذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ.

٢:٣٥ وَأَنْتِ أَيْضاً يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ».

٢:٣٦ وَكَانَتْ نَبِيَّةٌ حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوئِيلَ مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ قَدْ عَاشَتْ مَعَ زَوْجٍ سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ بُكُورِيَّتِهَا.

٢:٣٧ وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً لاَ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطِلْبَاتٍ لَيْلاً وَنَهَاراً.

٢:٣٨ فَهِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ.

٢:٣٩ وَلَمَّا أَكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ نَامُوسِ الرَّبِّ رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ النَّاصِرَةِ.

٢:٤٠ وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ مُمْتَلِئاً حِكْمَةً وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

٢:٤١ وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ.

٢:٤٢ وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ.

٢:٤٣ وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا.

٢:٤٤ وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفْقَةِ ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ.

٢:٤٥ وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ.

٢:٤٦ وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ جَالِساً فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ.

٢:٤٧ وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ.

٢:٤٨ فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ!»

٢:٤٩ فَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟»".

٢:٥٠ فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلاَمَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا.

٢:٥١ ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا. وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذِهِ الأُمُورِ فِي قَلْبِهَا.

٢:٥٢ وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ.

أيضاً يروي لنا الإنجيل المقدس[١] حادثة ظهور نجم ميلاد السيد المسيح ومجيء المجوس من المشرق حاملين هداياهم لملك اليهود يسوع المسيح:

١- الآيات: ١ إلى ٢٣ - الإصحاح الثاني ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مَتّى.

٢:١ وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ

٢:٢ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ».

٢:٣ فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ.

٢:٤ فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ وَسَأَلَهُمْ: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟»

٢:٥ فَقَالُوا لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ:

٢:٦ وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ».

٢:٧ حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرّاً وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ.

٢:٨ ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَقَالَ: «اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضاً وَأَسْجُدَ لَهُ».

٢:٩ فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ.

٢:١٠ فَلَمَّا رَأَوُا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحاً عَظِيماً جِدّاً

٢:١١ وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ وَرَأَوُا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَباً وَلُبَاناً وَمُرّاً.

٢:١٢ ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ.

٢:١٣ وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ».

٢:١٤ فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ

٢:١٥ وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».

٢:١٦ حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدّاً فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ.

٢:١٧ حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ:

٢:١٨ «صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ».

٢:١٩ فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ

٢:٢٠ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ».

٢:٢١ فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ.

٢:٢٢ وَلَكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلاَوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضاً عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلْمٍ انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ.

٢:٢٣ وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيّاً».

ويعلق خادم الرب هنري أ. أيرونسايد على الآيات السابقه بقوله:

"إن الظروف المرتبطة بميلاد ربنا في بيت لحم، مدينة داود، نجدها في تفاصيل كبيرة عند لوقا. يكتفي متى بالقول أنه وُلِد في تلك المدينة في أيام هيرودس الملك. وهذا يعطينا تأريخاً لميلاد المسيح على أنه قبل التدوين المقبول عموماً بعدة سنوات. فقد وُلِد قبل الميلاد بأربع سنوات على الأقل. هذا السؤال، على كل حال، هو أحد الأسئلة التي قدّم لها المؤرخون الكثير من الأفكار والدراسة، ونظراً لأنهم لا يزالون مختلفين في تحديد التاريخ الدقيق بالضبط، فلا حاجة لنا لأن نناقشه هنا. لقد علِم الرجال الحكماء (المجوس) بميلاد الملك الموعود عن طريق الإعلان الإلهي، ما لم يكونوا قد حسبوا زمن النبوءة العظيمة التي في دانيال ٩، ولذلك شعروا أنه كان حاضراً في إسرائيل. وإذ أرشدهم نجم، فإنهم جاؤوا يستعلمون عن المكان الذي يمكن أن يوجد فيه. كان سؤالهم: "أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟" وكانوا في غاية الذهول من موقف ذلك البائس الطاعن في السن الذي كان يتربع على العرش في ذلك الزمان- أحد أكثر الملوك شراً الذين حكموا البلاد. لقد دعا إلى اجتماع مع رؤساء الكهنة والكتبة، واستعلم منهم عن جواب لتساؤل الزوار المشرقيين. وبدون تردد دلّوه على النبوءة الواردة في ميخا ٥: ٢ حيث اقتبسوا من الترجمة السبعينية فقرؤوا: "وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ". لقد كانوا يعرفون الكتاب المقدس؛ ومع ذلك فإن الأحداث التي تلت برهنت أنهم كانوا على غير استعداد ليرحبوا بذلك الذي كانت الكتابات المقدسة تتحدث عنه. أما هيرودس، وقد اعتزم في قلبه أن يُهلك الملك الطفل -إن كان قد ظهر فعلياً للتو- فقد تباحث مع المجوس عن زمن ظهور النجم الغامض للمرة الأولى؛ ثم طلب إليهم أن يذهبوا إلى بيت لحم، وإذا ما وجدوا الطفل، أن يعودوا إليه ويخبروه، لكيما يذهب هو أيضاً فيقدم الاحترام والإكرام له. وفي الواقع، كانت نيته العكس تماماً. وإذ يقودهم النجم الذي عادوا يرونه

من جديد وهم يغادرون أورشليم، لم يجدوا أية صعوبة في تحديد مكان البيت الذي كانت العائلة المقدسة تقيم فيه آنذاك. من الواضح أنه من الخطأ الافتراض أن مريم ويوسف مع الطفل كانوا لا يزالون في الإسطبل حيث وجدهم الرعاة. لقد كانوا الآن في مسكن أكثر ملاءمة. ولا شك أن أسابيع أو حتى أشهر كانت قد انقضت على ولادة يسوع. وإذ رآه المجوس سجدوا له وقدموا له هداياهم التي كانوا قد انتقوها بعناية: الذهب، الذي يدل على الطبيعة الإلهية والبرّ؛ واللبان، الذي يُوحي بعطر كمال حياته البشرية؛ والمر، الذي يشير مُقدَّماً إلى موته الكفّاري. لقد راودت مريم أفكار كثيرة وهي ترى هؤلاء الحكماء المشرقيين يقدمون الإكرام والإجلال لابنها القدوس. لا يُذكَر يوسف هنا. ولعلّه لم يكن موجوداً خلال أولئك الغرباء". انتهى.

الباب الثالث: معمودية وخدمة السيد المسيح

تعمَّد السيد المسيح وهو في سن الثلاثين من عمره المبارك على يد يوحنا المعمدان – المعروف بمسمى النبي يحي ابن زكريا لدى الأحباء المسلمين. وبعد ذلك بدأ خدمته المباركة من بعد التجربة في البرية التي استغرقت اربعين يوماً. وقد أشار الإنجيل المقدس(١) إلى ذلك الحدث:

١:١ بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ:

١:٢ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: «هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ.

١:٣ صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً».

١:٤ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا.

١:٥ وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ.

١:٦ وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقَوَيْهِ وَيَأْكُلُ جَرَاداً وَعَسَلاً بَرِّيّاً.

١:٧ وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً: «يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ.

١:٨ أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ».

١:٩ وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِي الأُرْدُنِّ.

١:١٠ وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ.

١:١١ وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!».

١:١٢ وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ

١:١٣ وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ. وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ.

١:١٤ وَبَعْدَ مَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللَّهِ

١:١٥ وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ».

١:١٦ وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ.

١:١٧ فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا تَصِيرَانِ صَيَّادَيِ النَّاسِ».

١:١٨ فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا شِبَاكَهُمَا وَتَبِعَاهُ.

١- الآيات:١ إلى ٢٢ - الإصحاح الأول ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.

١:١٩ ثُمَّ اجْتَازَ مِنْ هُنَاكَ قَلِيلاً فَرَأَى يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَهُمَا فِي السَّفِينَةِ يُصْلِحَانِ الشِّبَاكَ.

١:٢٠ فَدَعَاهُمَا لِلْوَقْتِ. فَتَرَكَا أَبَاهُمَا زَبْدِي فِي السَّفِينَةِ مَعَ الأَجْرَى وَذَهَبَا وَرَاءَهُ.

١:٢١ ثُمَّ دَخَلُوا كَفْرَ نَاحُومَ وَلِلْوَقْتِ دَخَلَ الْمَجْمَعَ فِي السَّبْتِ وَصَارَ يُعَلِّمُ.

١:٢٢ فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ.

ويعلق خادم الرب هنري أ. أيرونسايد على الآيات من ١ إلى ١٣، فيقول:

"يبدأ مرقس روايته على نحو مفاجئ، إذ يعرّف خادم الله، ثم يخبرنا بكلمات قليلة جداً عن سابق المسيح، ومعمودية يسوع وتجريب (الشيطان) له. "إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" هو بشرى الله السارة المتعلقة بابنه المبارك الذي أتى إلى هذا العالم ليكشف مكنونات قلبه للبشر وليقدّم نفسَه ذبيحة خطيئة عظيمة لأجل فدائنا. كان ملاخي قد تنبّأ عن مجيء رسول يسبق الرب ويهيئ الناس لمجيئه. هذا الرسول (الملاك) كان الصوت الصارخ في البرية الذي تنبأ عنه أشعياء (٤٠: ٣) ، الذي سيدعو إسرائيل إلى أن يعدّوا طريق الرب ويجعلوا سبله مستقيمة. الكلمة تُرجمت هنا إلى "الرب" بينما هي "يهوه" في النص العبراني للعهد القديم. وفي هذا تأكيد واضح على ألوهية ربنا يسوع المسيح. فذاك الذي جاء في وداعة واتضاع كان السرمدي الذي تنازل إلى حدِّ توحيد ألوهيته ببشريتنا بمعزل عن خطيئتها، لكيما يصير مخلِّصَنا الفادي ويشتري انعتاقنا من عبودية الخطيئة والدينونة التي كنا عُرضةً لها. جاء يوحنا يعمّد في برية الْيَهُودِيَّةِ، فيغطّس في نَهْرِ الأَرْدُنِّ- ذاك النهر الذي كان يرمز إلى الموت- أولئك الذين كانوا يعترفون بخطاياهم ويتوبون. وخرج كثيرون إليه من كل الكورة المجاورة والمحيطة واعتمدوا تجاوباً مع رسالته. هذه المعمودية لم تكن بذات أهمية كبيرة، ولكن كانت إقراراً بأنهم قبلوا الرسالة واعترفوا بحاجتهم إلى التطهير والمغفرة. ونعلم من (يوحنا ١: ٢٩) أن هؤلاء التائبين كانوا يتجهون إلى حَمَل الله على أنه الوحيد الذي كان في مقدوره أن يرفع خطيئة العالم، ويتيح الفرصة للخطأة الآثمين لأن يتصالحوا مع الله. لقد كان يوحنا شخصاً يشبه إيليا: رجلاً صارماً وجدياً يقطن البرية ويعيش حياة زاهد ناسك، يقتات على الجراد والعسل البري. لم يسعَ لجذب الانتباه إليه بل كان يُعلن قائلاً: "يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ". عندما سيظهر هذا الشخص الذي يشير إليه يوحنا سوف يعمّد بالروح القدس أولئك الذين اقتبلوه. ونعلم أن هذا تحقق في العنصرة وبعد ذلك عندما "سكب" المسيح القائم تلك العطية التي صاروا يبصرونها ويعرفونها آنذاك- ألا وهي عطية الروح القدس الذي يعمّد المؤمنين إلى جسد واحد ويكرسهم للخدمة. بعد ذلك نقرأ أن يَسُوع قد جاء مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِي الأَرْدُنِّ. لا نعلم من هذا المقطع هنا عن اعتراض يوحنا (على تعميده ليسوع)، وكيف أن تعليل الرب قد غلب في النهاية. فهذه القصة نقرأها في كتابات أخرى من الكتاب المقدس. تلك

المعمودية كانت عربون عهد ربنا على أن ينجز حتى التمام العمل الذي جاء من السماء لكي يقوم به. وهذه صادقت عليها السماء، وكان يسوع قد تكرس علانية لهذه الخدمة عندما جاء صوت من الأعالي يقول: "«أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!»". ذاك الذي اعتمد مطابقاً نفسه مع الخطأة المعترفين كان يعلن بذلك أنه المعصوم عن الخطيئة. ليس لدينا تفاصيل هنا عن الإغواء أو التجارب التي يتعرض لها عبد يهوه (يسوع). ونعرف، من ثم، أنه "لِلْوَقْتِ" (لاحظ استخدام هذه الكلمة في مقدمة الإنجيل كما في أماكن كثيرة منه)، لِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، وكَانَ هُنَاكَ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوش. وعندما تركه الشيطان جاءت الْمَلاَئِكَةُ وصارت تَخْدِمُهُ. لقد كان خالقها وكان ليسرها أن تخدمه في اتضاعه. أفهم من ذلك أن الروح القدس هو الذي دفع يسوع أو قاده لأن يذهب إلى البرية لكيما يُجرّب على هذا النحو. كإنسان على الأرض، اختار أن يكون تحت إرشاد الروح القدس في كل الأشياء. كان من الملائم أن يُجرّب قبل أن يبدأ خدمته الكريمة. ولم تكن تجربته هي بغاية معرفة إذا ما كان من المحتمل أن يخفق ويزل ويقع في الخطيئة في ساعة الشدة، بل أن يبرهن أنه لن يخفق أو يزل، ذلك لأنه الوحيد المعصوم عن الخطأ بالمطلق. يرتكبُ خطأً فادحاً كلٌّ من ينسب إليه طبيعة خاطئة أو إمكانية الوقوع في الخطيئة. إن الكتاب المقدس يحذرنا من أي مفاهيم مغلوطة كهذه عندما يخبرنا أنه قد جُرِّبَ في كل شيء مثلنا، ومع ذلك لم يُخطئ- أو، بمعنى حرفي، هو في منأى عن الخطيئة. لم تكن لديه أية نية أو نزعة داخلية للخطيئة. والإغواءات كانت كلها من الخارج ولم تجد لديه استجابة من أي نوع في قلبه". انتهى.

الباب الرابع: معجزات السيد المسيح

ينص الإنجيل المقدس على أن السيد المسيح قد صنع من المعجزات مالا يستطيع أحدٌ كائن من كان أن يعدها أو يحصيها. وقد ختم البشير يوحنا آخر آية من الإنجيل المقدس[١] في الإصحاح ٢١ بقوله: " وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ. آمِينَ". فالإنجيل المقدس لم يسجل لنا كل ما صنعه السيد المسيح من معجزات باهرة وانما بعضاً منها، كما أخبر بذلك يوحنا في الإصحاح العشرين والآية ٣٠ حيث يقول: "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ".

وتتميز معجزات السيد المسيح أنها ناتجة و ناشئة من قدرته ومشيئته الذاتية. إذ لم يكن المسيح يستخدم غير قدرته ومشيئته في تحقيق ذلك، لأنه لم يُرَى يصلي أو يتضرع للآب السماوي قبل فعل المعجز كما كان يفعل ذلك الأنبياء من قبله أو من بعده[٢]. بل كان يقول للشيء كن فيكون.

١- معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل

عندما نذكر هذه المعجزة فيجدر بنا الإشارة إلى أن الخمر المعنية هنا كانت مجرد عصير عنب صافي وحسب، لهذا لم تؤدي إلى السكر. لقد انفرد البشير يوحنا في ذكر هذه المعجزة الفريدة، وقد أشار فيها ملاحظة رئيس المتكأ وشهادته في أن الخمر المتحول من الماء لم يفسد العقل لأنه لم تتغير حاسة الطعم لديه، وهو عكس الخمر المسكر الذي يجعل شاربه يسكر ومن ثم يؤدي به إلى فقدان حاسة التذوق أو تمييز طعم الشراب ولذته. شهادة رئيس المتكأ وردت في الآيتين ٩ وَ ١٠ من الإصحاح الثاني من إنجيل يوحنا البشير، لذا يجدر ملاحظته والانتباه إليه:

١:٢ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ.

٢:٢ وَدُعِيَ أَيْضاً يَسُوعُ وَتلاَمِيذُهُ إِلَى الْعُرْسِ.

٣:٢ وَلَمَّا فَرَغَتِ الْخَمْرُ قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ».

٤:٢ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ! لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ».

٥:٢ قَالَتْ أُمُّهُ لِلْخُدَّامِ: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ».

١- الآية:٢٤ - الإصحاح الحادي والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه يوحنا البشير.

٢- نقصد بالأنبياء والرسل الذين أتوا بعد المسيح أي الذين بعثهم المسيح بنفسه، سواء أولئك الذين كانوا معه قبل صعوده إلى السماء، أو بعد صعوده للسماء. ولا نعني بطبيعة الحال الأنبياء الكذبة الذين يأتون بثياب الحملان وهم من الداخل ذئاب خاطفة.

٢:٦ وَكَانَتْ سِتَّةُ أَجْرَانٍ مِنْ حِجَارَةٍ مَوْضُوعَةً هُنَاكَ حَسَبَ تَطْهِيرِ الْيَهُودِ يَسَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِطْرَيْنِ أَوْ ثلاَثَةً.

٢:٧ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «امْلأُوا الأَجْرَانَ مَاءً». فَمَلأُوهَا إِلَى فَوْقُ.

٢:٨ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «اسْتَقُوا الآنَ وَقَدِّمُوا إِلَى رَئِيسِ الْمُتَّكَإِ». فَقَدَّمُوا.

٢:٩ فَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْمُتَّكَإِ الْمَاءَ الْمُتَحَوِّلَ خَمْراً وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هِيَ – لَكِنَّ الْخُدَّامَ الَّذِينَ كَانُوا قَدِ اسْتَقَوُا الْمَاءَ عَلِمُوا – دَعَا رَئِيسُ الْمُتَّكَإِ الْعَرِيسَ

٢:١٠ وَقَالَ لَهُ: «كُلُّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَضَعُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلاً وَمَتَى سَكِرُوا فَحِينَئِذٍ الدُّونَ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ إِلَى الآنَ».

٢:١١ هَذِهِ بِدَايَةُ الآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ فَآمَنَ بِهِ تلاَمِيذُهُ.

و يشرح خادم الرب وليم ماكدونالد الآيتين ٩ و ١٠ من الإصحاح السابق، فيقول: "كان رئيس المتكإ هو المنوط به الاهتمام بإعداد الطاولات والطعام. وما إن ذاق ما قُدّم إليه، حتى تحقق أنَّ شيئًا غير طبيعي قد حصل. ولم يكن يعلم من أين هذه الخمر. لكنه علم أنها كانت من نوعية عالية جدًا. لذا دعا العريس على الفور. في أيامنا، كيف يجب أن يكون موقف المسيحيين من الخمر؟ الخمر، تُستخدم أحيانًا لأغراض طبية، وهذا يتوافق كليًا مع تعليم العهد الجديد (١تي٥: ٢٣). ولكن، بسبب الإساءات المرعبة الناتجة من التمادي في شرب الخمر، يرى معظم المسيحيين المؤمنين ضرورة تجنّب الخمر بالكلية. فكل إنسان معرّض لإدمان الكحوليات. أمّا الوقاية من هذا الخطر، فتكون من طريق البعد التام عن المشروبات الكحولية. ومن جهة أخرى، يحتاج أحدنا دائمًا أن يأخذ بعين الاعتبار ما تخلّفه أفعاله من تأثير في الآخرين. وبحسب بيئتنا، يخسر المؤمن شهادته إذا ما رآه أحد الأشخاص غير المخلّصين وهو يشرب خمرًا. لذا، ينبغي له الامتناع عن ذلك. يلفت رئيس المتكإ الانتباه إلى الفرق البارز بين طريقة تصرّف الرب يسوع، وأساليب التصرّف المألوفة لدى الناس. ففي العرس، كانت قد درجت العادة أن تُقدَّم الخمر الجيدة أولاً، عندما يكون باستطاعة الحاضرين تمييز مذاقها الطيّب والاستمتاع به. أما بعد أن يكونوا قد أكلوا وشربوا حتى سكروا، لن يعود لديهم تلك القدرة عينها على تمييز نوعية مشروباتهم. وفي هذا العرس بالذات جاءت الخمر الجيدة أخيرًا. يتضمن كل هذا بعض المعاني الروحية العميقة لنا. فالعالم يقدّم عادةً للناس أفضل ما عنده، في البداية؛ وهكذا يبسط أمام الشباب أفضل عروضاته الجذّابة، ومن ثمّ، بعد أن يكونوا قد أضاعوا حيواتهم في الملذات الباطلة، لا يعود لدى العالم، لآخرة الإنسان وشيخوخته، سوى البقايا والحثالة. أمّا الحياة المسيحية، فهي عكس ذلك تمامًا، لأنها في تحسّن مستمر. كما أنّ المسيح يُبقي على الخمر الجيدة إلى النهاية والفرح فيها يلي الفاقة. وهذا النص الكتابي ينطبق أيضًا، وبشكل مباشر، على الأمة اليهودية. ففي ذلك الوقت لم تكن الديانة اليهودية لتعرف طعم الفرح الحقيقي. فالناس كانوا يدورون في دوّامة

رتيبة من الطقوس والاحتفالات، وهكذا فقدت الحياة كل طعم في نظرهم. لقد كانوا محرومين الفرح الإلهي. لذا جاء الرب يسوع يعلّمهم بضرورة وضع إيمانهم فيه. فهو القادر أن يحوّل وجودهم الرتيب إلى حياة فيّاضة فيها شبع سرور. كما أن مياه الطقوس والاحتفالات اليهودية يمكن تحويلها إلى خمر اختبار السعادة الحقيقية في المسيح". انتهى.

ويحذرنا أيضاً الكتاب المقدس من شرب الخمر، حيث ورد في رسالة بولس الرسول الى أهل أفسس قوله: "وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ(١)". ويعلق خادم الرب متى بهنام على هذه الآية بقوله:" أن الإنسان الذي يسكر بالخمر يصبح شخصية أخرى غير شخصيته الحقيقية، فأنه يتفوه بأقوال ويعمل أشياء لا يمكن أن يتفوه بها أو يعملها في حالته الطبيعية، ذلك لأن روح المسكر هي التي تهيمن عليه، وهذا ما لا يليق بالمؤمن الحقيقي". انتهى.

٢- شفاء ابن خادم الملك في الجليل

المعجزة الثانية التي صنعها السيد المسيح في الجليل - وهي ليست المعجزة الثانية ترتيباً وإنما الثانية التي عملها المسيح في منطقة الجليل بعد رجوعه من اليهودية - وقد ذكرها تفاصيلها الإنجيل المقدس(٢)، حيث يقول:

٤:٤٦ فَجَاءَ يَسُوعُ أَيْضاً إِلَى قَانَا الْجَلِيلِ حَيْثُ صَنَعَ الْمَاءَ خَمْراً. وَكَانَ خَادِمٌ لِلْمَلِكِ ابْنُهُ مَرِيضٌ فِي كَفْرِنَاحُومَ.

٤:٤٧ هَذَا إِذْ سَمِعَ أَنَّ يَسُوعَ قَدْ جَاءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ انْطَلَقَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ وَيَشْفِيَ ابْنَهُ لأَنَّهُ كَانَ مُشْرِفاً عَلَى الْمَوْتِ.

٤:٤٨ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لاَ تُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ وَعَجَائِبَ!»

٤:٤٩ قَالَ لَهُ خَادِمُ الْمَلِكِ: «يَا سَيِّدُ انْزِلْ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي».

٤:٥٠ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ. اِبْنُكَ حَيٌّ». فَآمَنَ الرَّجُلُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا لَهُ يَسُوعُ وَذَهَبَ.

٤:٥١ وَفِيمَا هُوَ نَازِلٌ اسْتَقْبَلَهُ عَبِيدُهُ وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: «إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ».

٤:٥٢ فَاسْتَخْبَرَهُمْ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا أَخَذَ يَتَعَافَى فَقَالُوا لَهُ: «أَمْسِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ تَرَكَتْهُ الْحُمَّى».

٤:٥٣ فَفَهِمَ الأَبُ أَنَّهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي قَالَ لَهُ فِيهَا يَسُوعُ إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ. فَآمَنَ هُوَ وَبَيْتُهُ كُلُّهُ.

٤:٥٤ هَذِهِ أَيْضاً آيَةٌ ثَانِيَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ لَمَّا جَاءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ.

١- الآية:١٨ - الإصحاح الخامس - رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ، الكتاب المقدس.
٢- الآيات:٤٦ إلى ٥٤ - الإصحاح الرابع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

و يعلق خادم الرب بنيامين بنكرتن ضمن تفسيره للآيتين ٥١-٥٤ من الإصحاح السابق بقوله:

" قلت آنفًا أن كفر ناحوم كانت تبعد عن قانا نحو سبع أو ثماني ساعات. فيتضح أن الرب تكلم مع خادم الملك الساعة السابعة من النهار يعني نحو غروب الشمس على الحساب الغربي الذي يستعملهُ البشير يوحنا فلم يقدر المذكور أن يسافر تلك الليلة ولكنهُ انطلق في الغد وأستقبلهُ بعض عبيدهِ يبشرونهُ بصحة ابنهِ ثم نراهُ يستخبرهم عن وقت ظهور الشفاء فيهِ فتحقق أنهُ كان نفس الساعة التي صدرت فيها كلمة يسوع بخصوص شفاءهِ. فآمن هو وبيتهُ كلهُ يعني أن الشفاء حصل بموجب كلمة الرب قابل هذا مع ما رأيناهُ في السامريين الذين خرجوا إلى يسوع بواسطة شهادة المرأة ثم آمنوا واعترفوا بهِ وطلبوا أن يمكث عندهم. هذه أيضًا آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية إلى الجليل كان قد حضر عُرس أول مرة وحوَّل الماء إلى خمر وأظهر مجدهُ وأنهُ قادر أن يبارك إسرائيل ويفرحهم ولكنهُ بقى غير معروف عندهم وحين رجع إليهم وجدهم في ضيقهم وبالكاد يقدرون أن ينالوا منهُ قليلاً من البركات الدون وذلك بسبب عدم إيمانهم". انتهى.

٣- شفاء الرجل المقعد في بيت حسدا

هذه معجزة أخرى صنعها السيد المسيح يرويها لنا الإنجيل المقدس[١] وهي تخص شفاء رجل ظل مقعداً لمدة ٣٨ سنة متواصلة. وقد شُفي فوراً بمجرد أن قال له السيد المسيح قم وامش فقام حالاً ومشى:

٥:١ وَبَعْدَ هَذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

٥:٢ وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ.

٥:٣ فِي هَذِهِ كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ.

٥:٤ لأَنَّ ملاَكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ.

٥:٥ وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثلاَثِينَ سَنَةً.

٥:٦ هَذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟»

٥:٧ أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: «يَا سَيِّدُ لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ».

١- الآيات:١ إلى ١٧ - الإصحاح الخامس ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٥:٨ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ».

٥:٩ فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى. وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْتٌ.

٥:١٠ فَقَالَ الْيَهُودُ لِلَّذِي شُفِيَ: «إِنَّهُ سَبْتٌ! لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ».

٥:١١ أَجَابَهُمْ: «إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ».

٥:١٢ فَسَأَلُوهُ: «مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي قَالَ لَكَ احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟».

٥:١٣ أَمَّا الَّذِي شُفِيَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ لأَنَّ يَسُوعَ اعْتَزَلَ إِذْ كَانَ فِي الْمَوْضِعِ جَمْعٌ.

٥:١٤ بَعْدَ ذَلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ فلاَ تُخْطِئْ أَيْضاً لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ».

٥:١٥ فَمَضَى الإِنْسَانُ وَأَخْبَرَ الْيَهُودَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ.

٥:١٦ وَلِهَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ عَمِلَ هَذَا فِي سَبْتٍ.

٥:١٧ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ».

ويعلق خادم الرب بنيامين بنكرتن على الآيات من ٥ إلى ٩ من الإصحاح السابق بقوله: "كان المسكين الموصوف على حالة يُرثى لها. كان مُصابًا بمرض غير قابل الشفاء من يد الإنسان منذ زمان طويل وكاد صبرهُ يفرغ من الانتظار ومع ذلك مكث عند البِرْكَة بحيث لم يكن لهُ أقل رجاء بأن يحصل على الشفاء بواسطة أخرى من الوسائط. رآهُ يسوع مضطجعًا وعلم أن لهُ زمانًا كثيرًا فقال لهُ: أتُريد أن تبرأ؟ كان هذا الإنسان كغيرهِ قد جاء طالبًا البِرْكَة وأما يسوع فبخلاف ذلك قد أتى إليهِ حيث هو ليطلبهُ فعرض نفسهُ عليهِ. ولكنهُ استلفت نظرهُ إليهِ بقولهُ: أتُريد أن تبرأ؟ لا شك بأن مياه البِرْكَة كانت قد أظهرت نوعًا قوة الرب الشافية ولكنها كانت رمزًا أو مثالاً ضعيفًا جدًّا كغيرها مما ترتَّب لإسرائيل قديمًا على سبيل الرموز والشارات إلى الخيرات العتيدة عند حضور الرب ذاتهَ المرموز والمُشار إليهِ. لم تقدر البِرْكَة أن تعرض الشفاء لأي كان أو في أي وقتٍ كان وأما يسوع فاستطاع أن يفتش على الذي كان لهُ زمانًا طويلاً متوقعًا تحريك الماء وبدون تردُّد قال لهُ: أتُريد أن تبرأ؟ وهكذا حالة الإنسان المُصاب بمرض الخطية المزمن بحيث أن يسوع قادر أن يشفيهُ حالاً بكلمة واحدة. غير أننا نرى في جوابهِ لسؤال الرب كم كانت أفكارهُ مشغولة في البِرْكَة والمشقَّات التي كابدها وهو يطلب الشفاء بواسطتها. أجابهُ المريض: يا سيد ليس لي إنسان يُلقيني في البِرْكَة مَتَى تحرَّك الماء. بل بينما أنا آتٍ ينزل قدامي آخر. فيتضح من جوابهِ المحزن أن مرضهُ كان قد أعدمهُ كل قوة للمشي فلم يقدر أن ينتفع من زيارات الملاك. وبذلك نراهُ مثالاً تامًا لحالة إسرائيل تحت الناموس الذي طلب منهم وجود قوة فيهم لكي يحفظوهُ وينالوا بركاتهِ. ولكنهم عجزوا عن حفظهِ كما نعلم وعبثًا انتظروا الشفاء بواسطتهِ. قال لهُ يسوع: قُم. احمل سريرك وامش. فحالاً برئ الإنسان وحمل سريرهُ ومشى". انتهى.

٤- إشباع خمسة ألاف رجل من سمكتين وخمسة أرغفة شعير

معجزة عظيمة ورائعة جداً قام بصنعها الرب يسوع المسيح حيث قام بإطعام خمسة آلاف رجل غير أطفالهم و نسائهم. وقد وردت هذه المعجزة الباهرة في الإنجيل المقدس(١):

٦:١ بَعْدَ هَذَا مَضَى يَسُوعُ إِلَى عَبْرِ بَحْرِ الْجَلِيلِ وَهُوَ بَحْرُ طَبَرِيَّةَ.

٦:٢ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ لأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا آيَاتِهِ الَّتِي كَانَ يَصْنَعُهَا فِي الْمَرْضَى.

٦:٣ فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى جَبَلٍ وَجَلَسَ هُنَاكَ مَعَ تلاَمِيذِهِ.

٦:٤ وَكَانَ الْفِصْحُ عِيدُ الْيَهُودِ قَرِيباً.

٦:٥ فَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ أَنَّ جَمْعاً كَثِيراً مُقْبِلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ لِفِيلُبُّسَ: «مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزاً لِيَأْكُلَ هَؤُلاَءِ؟»

٦:٦ وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِيَمْتَحِنَهُ لأَنَّهُ هُوَ عَلِمَ مَا هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَفْعَلَ.

٦:٧ أَجَابَهُ فِيلُبُّسُ: «لاَ يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَتَيْ دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئاً يَسِيراً».

٦:٨ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ وَهُوَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ:

٦:٩ «هُنَا غُلاَمٌ مَعَهُ خَمْسَةُ أَرْغِفَةِ شَعِيرٍ وَسَمَكَتَانِ وَلَكِنْ مَا هَذَا لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ؟»

٦:١٠ فَقَالَ يَسُوعُ: «اجْعَلُوا النَّاسَ يَتَّكِئُونَ». وَكَانَ فِي الْمَكَانِ عُشْبٌ كَثِيرٌ فَاتَّكَأَ الرِّجَالُ وَعَدَدُهُمْ نَحْوُ خَمْسَةِ آلاَفٍ.

٦:١١ وَأَخَذَ يَسُوعُ الأَرْغِفَةَ وَشَكَرَ وَوَزَّعَ عَلَى التّلاَمِيذِ وَالتّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْمُتَّكِئِينَ. وَكَذَلِكَ مِنَ السَّمَكَتَيْنِ بِقَدْرِ مَا شَاءُوا.

٦:١٢ فَلَمَّا شَبِعُوا قَالَ لِتلاَمِيذِهِ: «اجْمَعُوا الْكِسَرَ الْفَاضِلَةَ لِكَيْ لاَ يَضِيعَ شَيْءٌ».

٦:١٣ فَجَمَعُوا وَمَلأُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مِنَ الْكِسَرِ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةِ الشَّعِيرِ الَّتِي فَضَلَتْ عَنِ الآكِلِينَ.

٦:١٤ فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!»

٦:١٥ وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكاً انْصَرَفَ أَيْضاً إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ.

و يعلق خادم الرب وليم ماكدونالد على الآيتين ١٠ وَ ١١ بقوله: "لقد أراد الرب أن يريح الشعب، بجعلهم يتكئون. ولنلاحظ أنه اختار مكانًا مناسبًا فيه عشب كثير. لم يكن العثور على مكان كهذا بالأمر المألوف في تلك المنطقة، لكن الرب حرص على أن يأكل الجمع في مكان نظيف وممتع.

١- الآيات:١ إلى ١٥ - الإصحاح السادس ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

يدوّن لنا النص أنه كان هناك الآلاف من الرجـــال، وهذا يعني أنه يجب أن نضيف إليهم أيضًا النساء والأولاد. أمّا ذكر الرقم «خمسة آلاف» فيهدف إلى تسليط الأضواء على عظمة المعجزة التي كانت ستحصل. أخذ يسوع الأرغفة وشكر لأجلها. وإن كان الرب قد تصرّف بهذا الشكل قبل تناول الطعام أو تقديمه للآخرين، فكم بالحري يجدر بنا التوقف قليلاً قبل تناول طعامنا لرفع تشكراتنا لله. ومن ثم وزّع الطعام على التلاميذ. ولنا في هذا درس قيّم جدًا. فالرب لم يتمم العمل كله، بل استعان بآخرين. وقد صدق من قال: "أنت تعمل ما باستطاعتك القيام به؛ وأنا بدوري أعمل ما باستطاعتي القيام به؛ والرب سيعمل ما نعجز نحن عن القيام به". كان عدد أرغفة الخبز قد ازداد بشكل مدهش حين راح الرب يوزّعه على التلاميذ. لا يذكر لنا النص بالتحديد لحظة حصول هذه المعجزة، لكننا نعلم أن هذه الأرغفة الخمسة والسمكتين، بطريقة معجزية، قد أصبحت في يدي الرب كافية لإشباع كل هذا الجمع. وبعد هذا، وزع التلاميذ الخبز والسمك على المتكئين. ولم يكن هناك أي شُحّ، لأننا نقرأ بصريح العبارة أنهم أعطوهم من السمك بقدر ما شاءوا. يذكّرنا جريفث توماس Griffith Thomas بأن لنا في هذه القصة صورة جميلة عن: (١) العالم الهالك؛ (٢) التلاميذ الضعفاء والعاجزين؛ (٣) المخلّص الكامل. كما أن هذه المعجزة تضمنت عملية خلق حقيقية. فما من إنسان عادي يقدر أن يأخذ خمسة أرغفة وسمكتين صغيرتين ويكثّرها بشكل يمكّنه من إشباع كل هذا العدد من الناس. وقد صدق في هذا المجال من قال: "كان فصل الربيع عندما بارك الرب الخبز، ثم صار فصل الحصاد عندما كسّره". كذلك يصح القول: "الأرغفة من دون طلب البركة عليها، هي أرغفة غير قابلة للتكثير"". انتهى.

و يفسر لنا خادم الرب هلال أمين الآية ١٤، فيقول: "قالوا هذا القول لأنهم كانوا يعرفون ما كتب في العهد القديم "طَعَامَهَا أُبَارِكُ بَرَكَةً. مَسَاكِينَهَا أُشْبِعُ خُبْزاً."(مزمور١٣٢: الآية ١٥) لأن هذا العدد يتكلم عن المسيا الملك الذي لا بد أن يأتي، وأيضا ما جاء في تثنية الإصحاح ١٨:الآية ١٥"يُقِيمُ لكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لهُ تَسْمَعُونَ". كانوا على استعداد أن يقبلوه كالمسيا الذي سوف يخلصهم من نير الرومان، ولكن لم يكن هذا هو الوقت المعيّن الذي فيه تتم جميع نبوات العهد القديم ويأخذ الملك. ولم يكن وضع الجموع هذا أي استعدادهم لقبوله كالمسيا هو الوضع الصحيح، إذ كان ينبغي أن يركعوا ويسجدوا له كالفادي والمخلص من خطاياهم، والذي ينظر إلى المسيح الآن كنبي فقط ولا يلجأ إليه في طلب الخلاص لا بد أن يتعرض للدينونة". انتهى.

٥- السيد المسيح يمشي على الماء و ينقذ تلاميذه

هذه آية غاية في الإعجاز والإبهار وقد وردت في الإنجيل المقدس(١):

١- الآيات:١٦ إلى ٢١ - الإصحاح السادس ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٦:١٦ وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ نَزَلَ تلاَمِيذُهُ إِلَى الْبَحْرِ

٦:١٧ فَدَخَلُوا السَّفِينَةَ وَكَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَى عَبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ. وَكَانَ الظَّلاَمُ قَدْ أَقْبَلَ وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ أَتَى إِلَيْهِمْ.

٦:١٨ وَهَاجَ الْبَحْرُ مِنْ رِيحٍ عَظِيمَةٍ تَهُبُّ.

٦:١٩ فَلَمَّا كَانُوا قَدْ جَذَّفُوا نَحْوَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ أَوْ ثلاَثِينَ غَلْوَةً نَظَرُوا يَسُوعَ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ مُقْتَرِباً مِنَ السَّفِينَةِ فَخَافُوا.

٦:٢٠ فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ لاَ تَخَافُوا».

٦:٢١ فَرَضُوا أَنْ يَقْبَلُوهُ فِي السَّفِينَةِ. وَلِلْوَقْتِ صَارَتِ السَّفِينَةُ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي كَانُوا ذَاهِبِينَ إِلَيْهَا.

ولتوضيح ذلك يفسر لنا خادم الرب وليم ماكدونالد قائلاً:

"كان بحر الجليل عرضة لهبوب العواصف بشكل مفاجئ وعنيف. فالرياح تهب نزولاً عبر وادي نهر الأردن بسرعة هائلة، وما إن تبلغ بحر الجليل، حتى تجعل الأمواج ترتفع عاليًا جدًا. لذا فإن سفر المركبات الصغيرة في البحر في وقت كهذا، ليس بالأمر المأمون. كان التلاميذ قد جذّفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة (بين الخمسة والستة كيلو مترات). كانوا، من وجهة النظر البشرية، في خطر عظيم. ثم في الوقت المناسب، تطلعوا فنظروا يسوع ماشيًا على البحر مقتربًا من السفينة. نحن هنا أمام معجزة مدهشة أخرى. فابن الله كان يمشي على مياه بحر الجليل. فخاف التلاميذ لأنهم لم يدركوا تمامًا هوية هذا الشخص المدهش. ولنلاحظ الأسلوب البسيط الذي استخدمه يوحنا في سرده لهذه القصة. كان ينقل إلينا أعظم الحقائق، غير أنه لم يستخدم تعابير عويصة وعسرة الفهم لجعلنا نتأثر بعظمة الحدث، بل كان مقتصِدًا كثيرًا في بسطة الحقائق. ثم نطق الرب يسوع بكلمات مباركة ومعزّية: «أنا هو، لا تخافوا». فلو كان مجرّد إنسان، لَحقّ لهم أن يخافوا. لكنه خالق الكون العظيم وضابطه. فلا داعي بعد للخوف بحضور هذا الشخص العظيم معهم. كما أن الذي صنع بحر الجليل في بادئ الأمر، كان باستطاعته أيضًا تسكين مياهه، وقيادة تلاميذه الخائفين بسلام إلى الشاطئ. خاطب يسوع تلاميذه بالقول: «أنا هو»، والتي تعني "أنا يهوه". هذه ثاني مرّة في إنجيل يوحنا فيها يُطلق يسوع اسم يهوه على نفسه. وعندما تحققوا أنَّه الرب يسوع، رحّبوا به في السفينة. وللوقت وجدوا أنفسهم في المكان الذي كانوا يقصدونه. هذه هي معجزة أخرى ذكرها الوحي من دون إعطاء أي تفسير لها. لم يعد يلزمهم أن يجذّفوا بعد. ذلك لأن الرب يسوع أوصلهم فورًا إلى الأرض اليابسة. فيا له من شخص عجيب حقًا!". انتهى.

٦- شفاء الرجل المولود أعمى

يسجل لنا الإنجيل المقدس(١) معجزة خارقة لنواميس الطبيعة تتمثل بقيام السيد المسيح بخلق عينين أو مقلتين جديدتين لرجل أعمى منذ الولادة:

٩:١ وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَاناً أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ

٩:٢ فَسَأَلَهُ تلاَمِيذُهُ: «يَا مُعَلِّمُ مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟»

٩:٣ أَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ.

٩:٤ يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ.

٩:٥ مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ».

٩:٦ قَالَ هَذَا وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِيناً وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى.

٩:٧ وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ». الَّذِي تَفْسِيرُهُ مُرْسَلٌ. فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيراً.

٩:٨ فَالْجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلاً أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى قَالُوا: «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطِي؟»

٩:٩ آخَرُونَ قَالُوا: «هَذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ يُشْبِهُهُ». وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنَا هُوَ».

٩:١٠ فَقَالُوا لَهُ: «كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟»

٩:١١ أَجَابَ: «إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ صَنَعَ طِيناً وَطَلَى عَيْنَيَّ وَقَالَ لِي: اذْهَبْ إِلَى بِرْكَةِ سِلْوَامَ وَاغْتَسِلْ. فَمَضَيْتُ وَاغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ».

٩:١٢ فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ ذَاكَ؟» قَالَ: «لاَ أَعْلَمُ».

و يعلق خادم الرب ومفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على الآية ٦، فيقول:

"لا يذكر لنا البشير يوحنا لماذا صنع الرب يسوع الطين وجعله على عيني الأعمى. فاقترح بعضهم فكرة افتقار عيني هذا الرجل إلى مقلتين، الأمر الذي دفع الرب يسوع إلى خلقهما لتزويده بهما. وبالمقابل، ركّز آخرون على حرص يسوع، وهو يمنح البصر للأعمى، أن يستخدم، كعادته، أساليب محتقرة في نظر العالم. لقد دأب في استعمال الأشياء الضعيفة والحقيرة لتتميم مقاصده. وحتى في أيامنا الحاضرة، ما يزال الله يستخدم رجالاً ونساء مصنوعين من تراب الأرض، لمنح البصر للعميان روحيّاً". انتهى.

١- الآيات:١ إلى ١٢ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٧- إقامة لعازر من الموت

الإنجيل المقدس يذكر لنا ثلاثة حوادث أقام فيها السيد المسيح موتى وصيرهم أحياء مرة أخرى. و من ضمن أولئك كان لعازر، الذي أقامه من قبره من بعد موته و دفنه بأربعة أيام(١):

١١:٣٢ فَمَرْيَمُ لَمَّا أَتَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ وَرَأَتْهُ خَرَّتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَائِلَةً لَهُ: «يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتَ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي».

١١:٣٣ فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ تَبْكِي وَالْيَهُودُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا يَبْكُونَ انْزَعَجَ بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ

١١:٣٤ وَقَالَ: «أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ؟» قَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ تَعَالَ وَانْظُرْ».

١١:٣٥ بَكَى يَسُوعُ.

١١:٣٦ فَقَالَ الْيَهُودُ: «انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ».

١١:٣٧ وَقَالَ بَعْضٌ مِنْهُمْ: «أَلَمْ يَقْدِرْ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا أَيْضاً لاَ يَمُوتُ؟».

١١:٣٨ فَانْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضاً فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ.

١١:٣٩ قَالَ يَسُوعُ: «ارْفَعُوا الْحَجَرَ». قَالَتْ لَهُ مَرْثَا أُخْتُ الْمَيْتِ: «يَا سَيِّدُ قَدْ أَنْتَنَ لأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ».

١١:٤٠ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ؟».

١١:٤١ فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعاً وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي

١١:٤٢ وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي».

١١:٤٣ وَلَمَّا قَالَ هَذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجاً»

١١:٤٤ فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ».

١١:٤٥ فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ وَنَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ آمَنُوا بِهِ.

و يعلق خادم الرب وليم ماكدونالد على الآية الثالثة والأربعون قائلاً:" نحن هنا أمام أحد الأمثلة النادرة في العهد الجديد حيث ذُكر عن الرب يسوع أنه صرخ بصوت عالٍ. وقد ألمح بعضهم إلى أن جميع الموتى في القبور كانوا سيقومون، لو لم يذكر المسيح لعازر باسمه". انتهى.

١- الآيات:٣٢ إلى ٤٥ - الإصحاح الحادي عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٨- شفاء الرجل الأبرص

الرب يسوع المسيح يشفي شفاء رجل أبرص وقد ورد ذكر هذه المعجزة في الإنجيل المقدس(١):

٨:١ وَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ تَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ.

٨:٢ وَإِذَا أَبْرَصُ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: «يَا سَيِّدُ إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي».

٨:٣ فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: «أُرِيدُ فَاطْهُرْ». وَلِلْوَقْتِ طَهُرَ بَرَصُهُ.

و يشرح مفسر الكتاب المقدس وليم ماكدونالد الآيتين٢ و٣، فيقول: " وإذا أبرص جاء وسجد أمام يسوع مستغيثًا به، طالبًا الشفاء. فقد كان لديه الإيمان بأنّ الربّ قادر على شفائه، والإيمان الحقيقي لا يمكن أن يخيب. أمّا البرص فهو صورة مناسبة للخطية لأنّه كريه وفتّاك ومعدٍ، وفي بعض حالاته غير قابل للشفاء بشريّاً. لم يكن أحد ليمسّ شخصًا أبرص. فالاحتكاك الجسدي بالبُرص كان يعرّض الإنسان للعدوى. وبالنسبة لليهود، كان هذا الاحتكاك سببًا في إعلان نجاسة الشخص الذي مسّ الأبرص، بحيث لم يكن يستطيع معها إن يعبد مع بقيّة الشعب. ولكن عندما لمس يسوع الأبرص وتكلّم بكلمات الشفاء له، زال عنه البرص في الحال. فإنّ لمخلّصنا يسوع السلطان لكي يُبرئ من الخطية ويؤهل الإنسان المطهَّر لأن يكون عابدًا من جديد". انتهى.

٩- شفاء غلام مشلول

ويروي لنا الإنجيل المقدس(٢) معجزة شفاء السيد المسيح لغلام قائد روماني:

٨:٥ وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ كَفْرَنَاحُومَ جَاءَ إِلَيْهِ قَائِدُ مِئَةٍ يَطْلُبُ إِلَيْهِ

٨:٦ وَيَقُولُ: «يَا سَيِّدُ غُلاَمِي مَطْرُوحٌ فِي الْبَيْتِ مَفْلُوجاً مُتَعَذِّباً جِدًّا».

٨:٧ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ».

٨:٨ فَأَجَابَ قَائِدُ الْمِئَةِ: «يَا سَيِّدُ لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلاَمِي.

٨:٩ لأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ. لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. أَقُولُ لِهَذَا: اذْهَبْ فَيَذْهَبُ وَلِآخَرَ: ايتِ فَيَأْتِي وَلِعَبْدِيَ: افْعَلْ هَذَا فَيَفْعَلُ».

٨:١٠ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتْبَعُونَ:«اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هَذَا.

١- الآيات:١ إلى ٣ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٢- الآيات:٥ إلى ١٣ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٨:١١ وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

٨:١٢ وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ».

٨:١٣ ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ: «اذْهَبْ وَكَمَا آمَنْتَ لِيَكُنْ لَكَ». فَبَرَأَ غُلاَمُهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ.

و يعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على هذه المعجزة بقوله:

"إن إيمان قائد المئة يظهر هنا في تباين صارخ مع عدم التجاوب الظاهر عند اليهود. فإن كان شعب إسرائيل لا يعترف بالمسيح الملك، فالوثنيّون المحتقرون عندهم سيفعلون ذلك. كان قائد المئة عسكريًّا رومانيًّا له في عهدته مئة جندي. هذا جاء إلى يسوع طالبًا الشفاء لغلامه الذي كان يعاني كثيرًا من جراء شلل شديد مؤلم. كان طلبه هذا تعبيرًا عن شفقة غير اعتياديّة، فمعظم الموظفين مثله لا يُظهرون مثل هذا الاهتمام بخادم بسيط. وعندما أبدى الرب يسوع رغبته في زيارة الخادم المريض، أظهر قائد المئة حقيقة إيمانه وعمقه، فقال ما معناه: "يا سيّد لست مستحقًّا أن تدخل تحت سقفي. وعلى كل حال لا ضرورة لذهابك إلى هناك، لأنّك تستطيع أن تشفيه إذ تقول كلمة فقط. فأنا أعرف شيئًا عن السلطان، لأنّي أتلقّى الأوامر من المشرفين عليَّ، وأصدِر الأوامر للذين تحت سلطاني، وأوامري مطاعة دائمًا. فكم بالحري تكون لكلماتك القوّة على شفاء مرض عبدي!". تعجّب يسوع من إيمان هذا الأممي؛ وهذه إحدى المرّتين اللّتين تعجّب يسوع فيهما بالنسبة للإيمان. فالحادثة الأخرى التي تعجّب فيها كانت عندما رأى عدم إيمان اليهود (مر٦: ٦). قال إنّه لم يجد إيمانًا بمقدار هذا في إسرائيل، الشعب الذي اختاره الله بنعمته قديمًا. وهذا ما جعله يشير إلى أنّ الأمم سيجتمعون من أنحاء مختلفة من العالم ليستمتعوا بالشركة مع الآباء في الملكوت، بينما يُطرح بنو الملكوت إلى الظلمة الخارجيّة حيث يبكون ويصرّون بأسنانهم. وبنو الملكوت عبارة تشير إلى اليهود بالولادة حسب الجسد، الذين يعترفون بالله ملكًا عليهم، لكنّهم لم يرجعوا إلى الله أبدًا عن صدق. أمّا هذا المبدأ فيُطبّق في يومنا الحاضر أيضًا. فهناك أولاد كثيرون ولدوا وتربّوا في عائلات مسيحيّة مؤمنة، لكنّهم - وأسفاه - سيهلكون في الجحيم لأنّهم يرفضون المسيح، في حين أنّ مِن سكّان الأدغال مَن سيتمتّعون بالأمجاد السماويّة لأنّهم آمنوا برسالة الإنجيل. ثمّ قال يسوع لقائد المئة، اذهب وكما آمنت ليكن لك. إنّ مكافأة الإيمان تأتي على قدر الثقة بشخص الله. وهكذا شُفي غلام قائد المئة مباشرة، على الرغم أنّ يسوع كان ما يزال بعيدًا عن المنزل. ويمكننا أن نرى في هذه الحادثة إشارة إلى خدمة يسوع الحالية للأمم؛ فهو يتعامل مع الأمم الذين لا امتيازات روحيّة لهم، فيشفيهم من شلل الخطية، مع أنّه ليس حاضرًا في الجسد معهم". انتهى.

١٠- شفاء حماة بطرس

السيد المسيح يشفي حماة بطرس من الحمى، وقد وردت هذه الحادثة في الإنجيل المقدس[١]:

٨:١٤ وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ بُطْرُسَ رَأَى حَمَاتَهُ مَطْرُوحَةً وَمَحْمُومَةً

٨:١٥ فَلَمَسَ يَدَهَا فَتَرَكَتْهَا الْحُمَّى فَقَامَتْ وَخَدَمَتْهُمْ.

و يعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على الآيتين السابقتين، فيقول: "عندما دخل يسوع بيت بطرس، وجد حماته مطروحة ومحمومة، فلمس يدها فتركتها الحمّى. وعادة عندما تترك الحمّى شخصًا ما، يكون ضعيفًا بعد ذلك، أمّا هذا الشفاء فقد كان قويًا وكاملاً، حتى إنّ حماة بطرس قدرت أن تترك الفراش وتقوم لتخدم الرب؛ وكان ذلك تعبيرًا مناسبًا للعرفان بالجميل لما قد صنعه لها يسوع المخلّص. وينبغي علينا نحن أيضًا أن نعمل مثلها، كلّما نلنا الشفاء، بأن نخدم السيّد بتكريس وقوّة جديدين". انتهى.

١١- شفاء مجموعة من المصابين بمرض الجنون و بأمراض متنوعة

ويشير الإنجيل المقدس[٢] إلى حادثة تقديم مجموعة كثيرة من الأشخاص المصابين بأمراض الجنون وأمراض أخرى، فشفاهم السيد المسيح جميعهم بمجرد كلمة تخرج من فمه المبارك:

٨:١٦ وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ مَجَانِينَ كَثِيرِينَ فَأَخْرَجَ الأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ وَجَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ

٨:١٧ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: «هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا».

ويضيف وليم ماكدونالد معلقاً على الآيتين السابقتين بقوله: "ولمّا صار المساء وانتهي يوم السبت (أنظر مرقس ١: ٢١-٣٤)، اندفع إليه الشعب بجموع غفيرة مقدّمين إليه ضحايا الأرواح الشرّيرة. كان هؤلاء الذين يستحقّون الشفقة مسكونين وتحت سيطرة الأرواح الشرّيرة. كثيرًا ما كانوا يُظهرون معرفة وقوّة فائقين، وفي أحوال أخرى كانوا يُعذبون من قِبَل الشيطان. كان سلوكهم في بعض الأحيان يشبه سلوك المجانين، ولكنّ العلّة كانت شيطانيّة وذلك بسبب تأثير شيطاني وليس لمرض عقلي أو جسدي فيهم. ولقد أخرج يسوع تلك الأرواح بكلمة واحدة من فمه الطاهر. شفى الرب يسوع أيضًا جميع المرضى، متمّمًا نبوّة اشعياء ٥٣: ٤ «هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا»". انتهى.

١- الآيتان:١٤ وَ ١٥ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس حسب البشير متى.
٢- الآيتان:١٦ وَ ١٧ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس حسب البشير متى.

١٢- تهدئة العاصفة وهيجان البحر

للسيد المسيح وحده سلطان إبكام العواصف وهيجان البحار، لأنه خالقها وموجدها. و قد اشار الإنجيل المقدس(١) إلى هذا السلطان:

٨:٢٣ وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ تَبِعَهُ تَلاَمِيذُهُ.

٨:٢٤ وَإِذَا اضْطِرَابٌ عَظِيمٌ قَدْ حَدَثَ فِي الْبَحْرِ حَتَّى غَطَّتِ الأَمْوَاجُ السَّفِينَةَ وَكَانَ هُوَ نَائِماً.

٨:٢٥ فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ نَجِّنَا فَإِنَّنَا نَهْلِكُ!»

٨:٢٦ فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟» ثُمَّ قَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيَاحَ وَالْبَحْرَ فَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ.

٨:٢٧ فَتَعَجَّبَ النَّاسُ قَائِلِينَ: «أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا! فَإِنَّ الرِّيَاحَ وَالْبَحْرَ جَمِيعاً تُطِيعُهُ».

و يعلق المفسر وليم ماكدونالد على هذه الآيات الكريمة بقوله: "يُعرَف بحر الجليل بعواصفه المفاجئة القويّة التي تضرب مياهه فتحوّلها إلى زبد ماخض. فالرياح تندفع بقوّة في وادي الأردن آتيه من الشمال، زائدة سرعتها في المنحسر الضيّق. وعندما تهبُّ على مياه بحر الجليل تصبح الملاحة أمرًا خطرًا جدًا. وفي هذه الحادثة، كان الرب يسوع يعبر من الجانب الغربي إلى الشرقي؛ وعندما هبّت العاصفة، كان نائمًا في السفينة. أمّا التلاميذ وقد أخذ فيهم الخوف كل مأخذ، أيقظوه متوسّلين إليه أن يساعدهم. ويجب الاعتراف بأنهم عرفوا كيف يلجأون للشخص الصحيح. أمّا الرب، فبعد أن وبّخهم على ضعف إيمانهم، انتهر الرياح والأمواج. وإذ صار هدوء عظيم، تعجّب الرجال من أن عناصر الطبيعة أيضًا أطاعت ذلك الراكب المتواضع. ولكم كان إدراكهم ضعيفًا، فلم يعرفوا أنّ خالق الكون وحافظه هو الذي كان معهم في السفينة ذلك اليوم. يواجه كل تلاميذ الرب العواصف إن عاجلاً أم آجلاً. ويبدو لنا في بعض الأحيان كأنّ الأمواج ستبتلعنا. وما أحلاها من تعزية أن نعلم بأنّ يسوع معنا في السفينة. "فلا مياه تستطيع أن تبتلع السفينة التي يضطجع فيها سيّد البحر والبرّ والسماء". وليس من يهدّئ عواصف الحياة مثل الرب يسوع". انتهى.

١٣- شفاء المسكونين بالأرواح الشرّيرة

للسيد المسيح أيضاً سلطة شفاء الأشخاص الذي تسلطت عليهم الأرواح الشريرة. و قد ذكر الإنجيل المقدس(٢) هذه المعجزة:

١- الآيات:٢٣ إلى ٢٧ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٢- الآيات :٢٨ إلى ٣٢ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٨:٢٨ وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْعَبْرِ إِلَى كُورَةِ الْجِرْجَسِيِّينَ اسْتَقْبَلَهُ مَجْنُونَانِ خَارِجَانِ مِنَ الْقُبُورِ هَائِجَانِ جِدّاً حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَجْتَازَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ.

٨:٢٩ وَإِذَا هُمَا قَدْ صَرَخَا قَائِلَيْنِ: «مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ؟ أَجِئْتَ إِلَى هُنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لِتُعَذِّبَنَا؟»

٨:٣٠ وَكَانَ بَعِيداً مِنْهُمْ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٍ تَرْعَى.

٨:٣١ فَالشَّيَاطِينُ طَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنَا فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ».

٨:٣٢ فَقَالَ لَهُمُ: «امْضُوا». فَخَرَجُوا وَمَضَوْا إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ وَإِذَا قَطِيعُ الْخَنَازِيرِ كُلُّهُ قَدِ انْدَفَعَ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ وَمَاتَ فِي الْمِيَاهِ.

و يضيف خادم الرب وليم ماكدونالد معلقاً على هذه المعجزة، فيقول: "تقع «كورة الجرجسيّين» على الجانب الشرقي لبحر الجليل. وعندما وصل يسوع إلى هناك، التقى رجلين مسكونين بالأرواح الشرّيرة، وكانت حالتهما عنيفة جدًا. وكان هذان المسكونان يعيشان في القبور، وكان هياجهما شديدًا حتى إنّهما جعلا السفر إلى تلك المنطقة أمرًا غير مأمون. ولمّا اقترب يسوع صرخا قائلين: «ما لنا ولك يا يسوع ابن الله، أ جئت إلى هنا قبل الوقت لتعذّبنا؟» فقد عرفا من هو يسوع، وأنّه سيهلكهم في النهاية. فمن هذه الناحية كان لاهوتهم أصحّ من لاهوت كثيرين من العصريّين المتحرّرين. وإذ شعروا أنّ المسيح سيخرجهم من الرجلين، طلبوا أن يُرسَلوا إلى قطيع من الخنازير كان يرعى قريبًا من المكان. والغريب في الأمر أنّ الربّ يسوع منحهم طلبتهم. لكن كيف ينزل الرب القدير عند رغبة الشياطين؟ يجب أن نتذكّر حقيقتين رئيسيّتين حتى نتمكن من فهم عمل الرب هذا. أولاً، أنّ الشياطين يتجنّبون حالة التحرّر من الأجساد، فهم يريدون أن يسكنوا في الناس، أو إذا تعذّر ذلك، يسكنون في الحيوانات أو أيّ من المخلوقات الأخرى. ثانيًا، غرض الشياطين هو التخريب بلا استثناء، فلو أنّ يسوع أخرجهم من المسكونين فقط، لشكّلوا خطرًا على الناس الذين في تلك المنطقة. لكنّ الرب بسماحة لهم أن يدخلوا في الخنازير، منع دخولهم في الرجال والنساء، قاصرًا قوّتهم التخريبيّة على الحيوانات فقط. فإنّ الوقت للقضاء عليهم نهائيًا من قِبل الرب لم يكن قد أتى بعد. وحالما انتقلوا إلى الخنازير، إذا قطيع الخنازير كلّه قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه. إنّ هذه الحادثة تُظهر أنّ الهدف للشياطين هو التخريب، وتبيّن كذلك أنّه يمكن لرجلين أن يسكنهما عدد من الشياطين يكفي لإهلاك ألفي رأس من الجنازير (مر٥: ١٣). يا لها من حقيقة راعبة! هرب الرعاة ورجعوا إلى المدينة فأخبروا بما حدث لهم. وكانت النتيجة أنّ المدينة كلّها قامت وخرجت لملاقاة يسوع، وطلبوا منه أن يترك تخومهم. ومنذ ذلك الوقت والانتقاد يوجّه إلى يسوع من أجل مذبحة الخنازير التي لا لزوم لها، وقد طُلب إليه أن ينصرف لأنّه أعطى للحياة البشرية قيمة أكثر من تلك التي للحيوانات. إن كان هؤلاء الجرجسيُّون يهودًا فتربية الخنازير محرّمة عليهم. لكن سواء

كانوا يهودًا أو لم يكونوا، فهم تحت دينونة لأنّهم أعطوا الخنازير قيمة أكبر من شفاء الربّ للمسكونين بالأرواح الشرّيرة". انتهى.

١٤- شفاء رجل مفلوج وغفران خطاياه

هذه المعجزة الفريدة من نوعها قد صنعها الرب يسوع لرجل مفلوج، فهو لم يبادر بشفائه فحسب، بل قد غفر له خطاياه أيضا. وقد وردت هذه المعجزة العظيمة في الإنجيل المقدس(١):

٩:١ فَدَخَلَ السَّفِينَةَ وَاجْتَازَ وَجَاءَ إِلَى مَدِينَتِهِ.

٩:٢ وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحاً عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ».

٩:٣ وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هَذَا يُجَدِّفُ!»

٩:٤ فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ فَقَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟

٩:٥ أَيُّمَا أَيْسَرُ أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟

٩:٦ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لاِبْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» - حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!»

٩:٧ فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ.

و يعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على هذه الآيات بقوله:

"بعدما رفض الجرجسيّون الرب عبرَ بحر الجليل ثانية، وجاء إلى كفرناحوم التي كانت قد أصبحت مدينته خاصّة بعد محاولة أهل الناصرة لإهلاكه (لو٤: ٢٩-٣١). وهذا هو المكان الذي صنع فيه يسوع أقوى معجزاته. وجاء إليه أربعة رجال يحملون مفلوجًا على فراش بسيط. ويخبرنا مرقس أنّه بسبب الجمع نقب الرجال السقف ودلّوا السرير أمام يسوع (مر٢: ١-١٢). فلمّا رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: «ثق يا بني، مغفورة لك خطاياك». ولنلاحظ أنّ الرب رأى إيمانهم، فالإيمان هو الذي حثّ هؤلاء الرجال على الإتيان بالمفلوج إلى يسوع، وهكذا امتدّ إيمان المقْعد إلى يسوع للشفاء. كافأ الرب هذا الإيمان، فقال للمفلوج أولاً، مغفورة لك خطاياك فالطبيب الأعظم أزال السبب قبل علاج الأعراض، فأعطى البركة العظمى أولاً. وهذا يطرح

١- الآيات:١ وحتى ٧ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

السؤال: هل شفى المسيح أي إنسان دون أن يمنحه الخلاص أيضًا؟ عندما سمع بعض الكتبة يسوع يعلن غفران خطايا الرجل، اتّهموه في داخلهم بالتجديف. فالخلاصة هي أنّ الله وحده هو الذي يستطيع أن يغفر الخطايا، وهم بالتأكيد لم يُسمعوا بأنّ يسوع هو الله. فقرأ يسوع، الكلّي المعرفة، أفكارهم؛ وانتهرهم على الشرّ الذي كان في قلوبهم بعدم الإيمان، ثمّ سألهم: أيّما أيسر أن يُقال: مغفورة لك خطاياك؛ أم أن يُقال: قم وامش؟ في الواقع، إنّ قول الاثنين هو بنفس السهولة من الوجهة البشريّة، لكنّ إثبات القول بالعمل أصعب منه في الأمر الثاني من الناحية البشريّة، إذ يتطلّب برهانًا ظاهرًا، في حين أن التصريح الأوّل برهانه غير ظاهر. ولكي يُظهر الربّ للكتبة أنّ له سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا (ولذلك يجب تكريمه كالله)، تنازل لكي يصنع أمامهم معجزة يستطيعون رؤيتها. فالتفت إلى المفلوج وقال: «قم، احمل فراشك واذهب إلى بيتك»". انتهى.

١٥- إقامة صبية من الموت

هذه المعجزة العظيمة يوردها الإنجيل المقدس(١) في طي صفحاته حيث قام السيد المسيح بإحياء صبية رئيس مجمع يهودي اسمه يايرس:

٩:١٨ وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهذَا إِذَا رَئِيسٌ قَدْ جَاءَ فَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: «إِنَّ ابْنَتِي الآنَ مَاتَتْ لَكِنْ تَعَالَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهَا فَتَحْيَا».

٩:١٩ فَقَامَ يَسُوعُ وَتَبِعَهُ هُوَ وَتَلاَمِيذُهُ.

٩:٢٣ وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ الرَّئِيسِ وَنَظَرَ الْمُزَمِّرِينَ وَالْجَمْعَ يَضِجُّونَ

٩:٢٤ قَالَ لَهُمْ: «تَنَحَّوْا فَإِنَّ الصَّبِيَّةَ لَمْ تَمُتْ لَكِنَّهَا نَائِمَةٌ». فَضَحِكُوا عَلَيْهِ.

٩:٢٥ فَلَمَّا أُخْرِجَ الْجَمْعُ دَخَلَ وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا فَقَامَتِ الصَّبِيَّةُ.

و يعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على هذه المعجزة العظيمة بقوله:" قاطع رئيس المجمع يسوع وهو يتحدّث عن تغيّر التدابير الإلهيّة ليخبره بأنّ ابنته قد ماتت. سجد الرجل قدّام الرب متوسّلاً إليه أن يذهب ويعيد إليها الحياة. كان مستغربًا أن يطلب رئيس مثل هذا معونة من يسوع، فمعظم القادة اليهود كانوا يخافون توبيخ زملائهم لهم وازدراءهم بهم إن هم فعلوا ذلك. لكنّ يسوع أكرم إيمان الرجل بالتوجُّه مع تلاميذه إلى البيت حيث كانت ابنته موجودة. تعود بنا القصّة الآن إلى الرئيس الذي كانت ابنته قد ماتت. فلمّا وصـــل يسوع إلــى البيت، كان النائحون

١- الآيات:١٨ و ١٩ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

المحترفون يولولون، الأمر الذي سمّاه أحدهم "الحزن المصطنع". أمر يسوع أن تُخلى الغرفة من الزائرين، معلنًا لهم أنّ الفتاة لم تَمُت لكنّها نائمة. ويعتقد معظم شرّاح الكتاب أنّ الرب يستعمل كلمة «نائمة» هنا مجازيًّا ليشير إلى الموت. لكنّ البعض يعتقدون مع ذلك أنّ الفتاة كانت في غيبوبة. ولكنّ هذا التفسير لا ينكر أنّ يسوع كان يستطيع أن يقيمها لو كانت ماتت فعلاً، إلاّ أنّه يشدّد على أنّ يسوع كان أمينًا لدرجة أنّه لم يُرد أن يأخذ الفضل في إقامتها في حين أنّها لم تكن قد ماتت فعلاً. وقد تمسّك السير روبرت أندرسون Sir Robert Anderson بهذه الفكرة، فأشار إلى أنّ أبا الصبيّة والآخرون قالوا بأنّها ماتت، أمّا يسوع فقال إنّها لم تمت. ومهما كان الأمر فقد أمسك الرب بيدها فحدثت المعجزة... وقامت الصبيّة. ولم يمضِ وقت طويل حتى انتشر خبر المعجزة في كل أنحاء المنطقة". انتهى.

١٦- شفاء امرأة نازفة الدم

لم يكن السيد المسيح بحاجة أن يلمس المرضى ليشفيهم، بل أن مجرد لمس طرف ثوبه من قبل المريض يؤدي للشفاء الكامل والفوري. وهذه المعجزة الرائعة و الباهرة يسجلها لنا الإنجيل المقدس(١) ضمن المعجزات الكثيرة التي صنعها رب المجد:

٩:٢٠ وَإِذَا امْرَأَةٌ نَازِفَةُ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً قَدْ جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَمَسَّتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ

٩:٢١ لأَنَّهَا قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «إِنْ مَسَسْتُ ثَوْبَهُ فَقَطْ شُفِيتُ».

٩:٢٢ فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَأَبْصَرَهَا فَقَالَ: «ثِقِي يَا ابْنَةُ. إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ». فَشُفِيَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.

و يضيف مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد معلقاً على هذه الآيات الكريمة، فيقول:

"وها هو يُقاطع مرّة أخرى! وكانت هذه المرّة من امرأة عانت نزف الدم اثنتي عشرة سنة. لم يكن يسوع ليتضايق قطّ من الذين يعترضونه هكذا. فلقد كان دائمًا متّزنًا، يسهل الوصول إليه والاجتماع به والتحدّث معه. عجز الطبّ عن علاج هذه المرأة، وصارت حالتها تتدهور بسرعة (مر٥: ٢٦). وفي حالتها الخطرة هذه التقت بيسوع، أو على الأقل شاهدت الجموع محتشدة حوله، واندفعت بين الجموع ومسّت هدب ثوبه، لأنّها كانت تؤمن أنّ الربَّ قادر على شفائها وأنّه يريد ذلك بالفعل. ويسوع لا يتجاهل الإيمان الحقيقي أبدًا. فالتفت إليها وأعلن لها أنّها قد شُفيت، ففي الحال شفيت المرأة، أوّل مرّة بعد اثنتي عشرة سنة". انتهى.

١- الآيات: ٢٠ إلى ٢٢ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

١٧- إعادة قوة البصر لرجلين أعميين

صنع السيد المسيح هذه المعجزة الخارقة التي تتمثل في إعادة البصر لرجلين كانا أعميين، وقد ذكر هذه الإنجيل المقدس[١] المعجزة العظيمة:

٩:٢٧ وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ تَبِعَهُ أَعْمَيَانِ يَصْرَخَانِ وَيَقُولاَنِ: «ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ».

٩:٢٨ وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الأَعْمَيَانِ فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «أَتُؤْمِنَانِ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؟» قَالاَ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ».

٩:٢٩ حِينَئِذٍ لَمَسَ أَعْيُنَهُمَا قَائِلاً: «بِحَسَبِ إِيمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا».

٩:٣٠ فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا. فَانْتَهَرَهُمَا يَسُوعُ قَائِلاً: «انْظُرَا لاَ يَعْلَمْ أَحَدٌ!»

٩:٣١ وَلَكِنَّهُمَا خَرَجَا وَأَشَاعَاهُ فِي تِلْكَ الأَرْضِ كُلِّهَا.

ويعلق المفسر وليم ماكدونالد على تلك المعجزة الخارقة بما يلي:" لمّا رحل يسوع من منطقة الرئيس، تبعه أعميان يطلبان الإبصار. وبالرغم من أنّ هذين الرجلين كانا أعميين، فقد كان عندهما تمييز روحي شديد. فناديا الرب «يا ابن داود» لأنّهما عرفا أنّه المسيَّا الذي طال انتظاره والملك الشرعي. وقد عرفا أنّه عندما يأتي المسيَّا المنتظر فأحد الإثباتات على مصداقيّته، هو أنّه سيعطي البصر للعميان (إش ٦١: ١). ولمّا امتحن يسوع إيمانهما بسؤاله لهما هل يؤمنان بأنّه قادر أن يفعل هذا (أي يمنحهما البصر)، أجاباه بلا تردّد، نعم يا سيّد. وعندئذٍ لمس الطبيب العظيم أعيُنَهما وأكّد لهما أنّهما سيبصران لأنّهما آمنا وفي الحال انفتحت أعينهما فأبصرا جليًّا. إنّ لسان حال البشر "الإبصار هو الإيمان" لكنّ الله يقول "الإيمان هو الإبصار"؛ فقد قال يسوع لمرثا: «ألم أقل لك إن آمنتِ ترين...؟» (يو١١: ٤٠)، وقد ذكر كاتب الرسالة إلى العبرانيّين أنّنا «بالإيمان نفهم...» (عب١١: ٣)، وكتب يوحنّا يقول: «كتبت إليكم أنتم المؤمنين... لكي تعلموا...» (١يو٥: ١٣). فالله لا يرضى بالإيمان الذي يطالب بمعجزة مسبقة، فهو يريدنا أن نؤمن بكلّ بساطة لأنّه هو الله القدير. لماذا حذّر يسوع الأعميين من أن يخبرا أحدًا بشفائهما؟ لقد قلنا في معرض شرحنا للآية ٨: ٤ إنه ربّما أراد الرب أن يتفادى أيّة حركة تهدف إلى تتويجه ملكًا قبل الأوان. فالناس كانوا غير تائبين بعد، والرب لن يملك عليهم حتى يولدوا من جديد. هذا مع العلم بأنّ حركة ثوريّة لصالح المسيح قد تجلب تدخُّلاً من الحكومة الرومانيّة ضدّ اليهود. أضِف إلى ذلك أنّه كان على الربّ أن يذهب إلى الصليب قبل أن يتمكّن من الحكم ملكًا. فأيّ شيء يعوّق طريقه إلى الجلجثة، كان يتعارض مع خطّة الله المعيّنة سابقًا. أمّا الرجلان فقد أذاعا خبر معجزة شفائهما. ذلك أنّهما كان يخالجهما شعور شديد بالعرفان بالجميل. وبينما نميل

١- الآيات:٢٧ إلى ٣١ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس بحسب البشير متى.

للتعاطف معهما ولإبداء الإعجاب بشهادتهما الحيّة، تبقى الحقيقة أنّهما عصيا أمر الرب بوضوح، و بلا شكّ سبّبا ضررًا أكثر من الفائدة، و ذلك بإثارة حبّ الاستطلاع السطحي بدلاً من الاهتمام الذي يأتي بتأثير الروح القدس. فحتّى العرفان بالجميل ليس حجّة صالحة للعصيان". انتهى.

١٨- إعادة النطق لرجل أخرس

أيضاً هذه المعجزة التي تشد الانتباه سجلها لنا الإنجيل المقدس(١) ضمن المعجزات الكثيرة للرب يسوع له كل المجد:

٩:٣٢ وَفِيمَا هُمَا خَارِجَانِ إِذَا إِنْسَانٌ أَخْرَسُ مَجْنُونٌ قَدَّمُوهُ إِلَيْهِ.

٩:٣٣ فَلَمَّا أُخْرِجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ: «لَمْ يَظْهَرْ قَطُّ مِثْلُ هَذَا فِي إِسْرَائِيلَ!»

ويضيف خادم الرب وليم ماكدونالد تعليقاً بسيطاً على هذه المعجزة بقوله:" أعطى يسوع أولاً حياة للأموات، ثمّ أعطى بصرًا للعميان، وها هو الآن يعطي كلامًا للأخرس. ويبدو أنّه يوجد تعاقب روحي في هذه المعجزات... فالحياة أولاً، ثمّ الفهم، وبعد ذلك الشهادة. لقد ضرب روح شرّير هذا الرجل بالخرس. وكان هناك من اهتمّ بأن يحضره إلى يسوع. إنّ الرب يبارك هؤلاء الأتقياء المجهولين الذين كانوا أدوات طيّعة بين يديه للإتيان بالآخرين إليه! حالما خرج الروح الشرّير تكلّم الأخرس. ولا شكّ أنّه استخدم قوّة النطق التي استعادها في التسبيح والشهادة للشخص الذي أنعم عليه بالشفاء. وقد أدرك العامة من الشعب أن الأمَّة كانت تشهد معجزات لم يسبق لها مثيل". انتهى.

١٩- شفاء يد يابسة إضافة إلى جموع غفيرة من المرضى

ويسجل لنا الإنجيل المقدس(٢) معجزة شفاء يد يابسة على يد الرب يسوع المسيح له كل المجد:

١٢:١٠ وَإِذَا إِنْسَانٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ فَسَأَلُوهُ: «هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟» لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ.

١٢:١١ فَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ خَرُوفٌ وَاحِدٌ فَإِنْ سَقَطَ هَذَا فِي السَّبْتِ فِي حُفْرَةٍ أَفَمَا يُمْسِكُهُ وَيُقِيمُهُ؟

١- الآيتان:٣٢ وَ ٣٣ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٢- الآيات:١٠ إلى ١٥ - الإصحاح الثاني عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

١٢:١٢ فَالإِنْسَانُ كَمْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْخَرُوفِ! إِذاً يَحِلُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السُّبُوتِ!»

١٢:١٣ ثُمَّ قَالَ لِلإِنْسَانِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا. فَعَادَتْ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى.

١٢:١٤ فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ

١٢:١٥ فَعَلِمَ يَسُوعُ وَانْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ. وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعاً.

و يعلق مفسر الكتاب المقدس وليم ماكدونالد على الآيات ١٣ و ١٤ و ١٥، فيقول: "لما أوقع يسوع قادة اليهود في حفرة جشعهم، شفى اليد اليابسة. ولما قال للإنسان أن يمدّ يده، عمل الإيمان مع الإرادة البشريّة، وهنا كوفئت الطاعة بالشفاء، وعادت اليد صحيحة كالأخرى بعمل الخالق العجيب. ربما نفتكر أن الفريسيين كانوا قد ابتهجوا لأن الإنسان، الذي لم يكن عندهم قوة ولا رغبة في مساعدته، قد شُفي. لكن على العكس، فبدلاً من ذلك غضبوا على يسوع غضبًا شديدًا وتآمروا على قتله. ولكنْ لو كان لأي منهم يد يابسة، لفرح إذا ما نال شفاءها في أي يوم من أيام الأسبوع. علم يسوع أفكار أعدائه وانصرف، إلا أنه، حيثما ذهب، اجتمعت الجموع من حوله، وحيثما اجتمع المرضى شفاهم جميعًا". انتهى.

٢٠- شفاء اعمى واخرس

معجزه أخرى خارقة لنواميس الطبيعة يصنعها الرب يسوع المسيح ذكرها الإنجيل المقدس(١):

١٢:٢٢ حِينَئِذٍ أُحْضِرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ.

١٢:٢٣ فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟»

١٢:٢٤ أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هَذَا لاَ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلاَّ بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ».

ويعلق خادم الرب بنيامين بنكرتن على هذه المعجزة الرهيبة قائلاً: "«ألعل هذا هو ابن داود» لم تزل أعماله العجيبة تؤثر في قلوب البسطاء الخالين من الغايات الذاتية وأصبحوا أميل إلى الاعتقاد بأنه ابن داود. وأما الرؤساء فلم يقدروا أن يحتملوا ذلك، وإذ لم يقدروا أن ينكروا وجود قوة في المُعجزة فوق قوة البشر نسبوها للشيطان. فما بقى فيهم شيء من الضمير أو من الحياء كان بعض الأفراد منهم قد قالوا هذا القول (إصحاح ٩:٣٤)، ولم يجبهم المسيح وأما هنا فكرروا القول بعد أن تشاورا معًا واتفقت كلمتهم على ذلك ليمنعوا الشعب من الاعتقاد فيه أنه ابن داود. والمُرجــح أن المُشار إليهم قد أرسلوا من أورشليم بطريق رسمي من قبل الرؤساء العُظام هنالك

١- الآيات:٢٢ إلى ٢٤ - الإصحاح الثاني عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

لكي يفحصوا في شأن المسيح ويحكموا حكمًا حاسمًا أهو من الله أم لا؟ (مرقس ٣:٢٢) كما سبق وفعلوا هكذا مع يوحنا المعمدان (يوحنا ١:١٩)". انتهى.

٢١- شفاء جموع كثيرة من المرضى بمجرد لمسهم طرف رداء المسيح

للسيد المسيح وحده دون سواه القدرة والسلطان على شفاء جموع غفيرة من المرضى بمجرد لمسهم طرف ثوبه. وهذه الحادثة المعجزية الكبرى يدونها لنا الإنجيل المقدس(١):

١٤:٣٤ فَلَمَّا عَبَرُوا جَاءُوا إِلَى أَرْضِ جَنِّيسَارَتَ

١٤:٣٥ فَعَرَفَهُ رِجَالُ ذَلِكَ الْمَكَانِ. فَأَرْسَلُوا إِلَى جَمِيعِ تِلْكَ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ وَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ الْمَرْضَى

١٤:٣٦ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا هُدْبَ ثَوْبِهِ فَقَطْ. فَجَمِيعُ الَّذِينَ لَمَسُوهُ نَالُوا الشِّفَاءَ.

ويعلق خادم الرب هنري أ. أيرونسايد على تلك المعجزة الخارقة بقوله: "من الواضح جداً أن شهادة وأعمال يسوع قد أثّرت على الناس في جَنِّيسَارَتَ بسبب نعمته ورحمته وقدرته على تحريرهم من عللهم وأمراضهم المزعجة؛ وجاءوا من كل الأصقاع حوله، ليضعوا مرضاهم عند قدميه. ومثل المرأة البائسة التي قرأنا عنها، كانوا يشعرون أنه إن لمسَ هؤلاء المرضى المُضايقون ولو هدبَ ردائه فإنهم سيُشفون، ويخبرنا الإنجيل أن هذه هي كانت حقيقة الحال بأن كثيرين لمسوا ثوبه فصاروا أصحّاء مُعافين تماماً. إن هُدْبَ الثوب الأزرق يرمز إليه قدوس الله ذاك، السماوي، الذي نزل إلى الأرض لأجل فداء البشر. فالاحتكاك به كان يعني الحياة والصحة". انتهى.

٢٢- شفاء بنت امرأة كنعانية

وايضاً الرب يسوع المسيح يشفي بنت امرأة من الأمم في معجزة سَطّرها لنا الإنجيل المقدس(٢):

١٥:٢١ ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ.

١٥:٢٢ وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ: «ارْحَمْنِي يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ. ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدّاً».

١- الآيات:٣٤ إلى ٣٦ - الإصحاح الرابع عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٢- الآيات:٢١ إلى ٢٨ - الإصحاح الخامس عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

١٥:٢٣ فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!»

١٥:٢٤ فَأَجَابَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ».

١٥:٢٥ فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ أَعِنِّي!»

١٥:٢٦ فَأَجَابَ: «لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ».

١٥:٢٧ فَقَالَتْ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا».

١٥:٢٨ حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.

و يعلق مفسر الكتاب المقدس تادرس يعقوب ملطي على الآيات السابقة، فيقول:

"لقد أكمل السيّد حديثه، قائلاً: "ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب؟". لماذا نطق هكذا؟ هل كان يحتقر الأمم فيدعوهم كلابًا؟! بلا شك لا يحتقر السيّد خليقته، ولكنه ربّما قال هذا مردِّدًا ما كان يردِّده اليهود لكي يمجِّد من ظنَّهم اليهود كلابًا، معلنًا كيف صاروا أعظم إيمانًا من البنين أنفسهم. هذا ومن ناحية أخرى، فإن الأمم بإنكارهم الإيمان بالله، وصنعهم الشرور الكثيرة حتى أجاز الكثيرون أطفالهم في النار، وقدّموا بنيهم ذبائح للأصنام، فعلوا ما لا تفعله الكائنات غير العاقلة. إنه لا يقصد تمييز اليهود عن الأمم، إنّما يكشف عن فعل الخطيئة فينا، كما كشف عن أعماق قلب المرأة الكنعانيّة التي سبقت بتواضعها العجيب أبناء الملكوت. فقد قالت: "نعم يا سيّد، والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها". انتهى.

ويضيف وليم ماكدونالد معلقاً على هذه المعجزة قائلاً: "فمدحها يسوع من أجل إيمانها العظيم. وبينما لا نجد عند الأولاد جوعًا للخبز لعدم إيمانهم، نرى هنا امرأة معترفة بأنّها من الكلاب تصرخ طالبة إياه. ولقد كافأ الرب إيمانها، فشُفيت ابنتها في الحال. هذا وإنّ كون الرب يسوع قد شفى الابنة الأمميّة عن بُعد يصوّر لنا خدمته الحاضرة عن يمين الله وهو يُنعم بالشفاء الروحي على الأمم في أثناء هذا الدهر، في حين أن الشعب القديم مُنَحًّى جانبًا كأمّة". انتهى.

٢٣- شفاء جموع كثيرة من العرجان والعميان والخرس والمشلولين

للسيد المسيح السلطان على شفاء جميع الأمراض مهما تعددت أو صعب علاجها. وهذا ما يذكره لنا الإنجيل المقدس(١):

١- الآيات:٢٩ إلى ٣١ - الإصحاح الخامس عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

١٥:٢٩ ثُمَّ انْتَقَلَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى جَانِبِ بَحْرِ الْجَلِيلِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَجَلَسَ هُنَاكَ.

١٥:٣٠ فَجَاءَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مَعَهُمْ عُرْجٌ وَعُمْيٌ وَخُرْسٌ وَشُلٌّ وَآخَرُونَ كَثِيرُونَ وَطَرَحُوهُمْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ. فَشَفَاهُمْ

١٥:٣١ حَتَّى تَعَجَّبَ الْجُمُوعُ إِذْ رَأَوُا الْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ وَالشُّلَّ يَصِحُّونَ وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ وَالْعُمْيَ يُبْصِرُونَ. وَمَجَّدُوا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ.

و يشرح مفسر الكتاب المقدس هنري أ. أيرونسايد هذه المعاجز الرهيبة، فيقول معلقاً:

"«ثُمَّ انْتَقَلَ يَسُوعُ .... وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَجَلَسَ هُنَاكَ» أما وقد أكملَ دائرةً من كفرناحوم إلى الجزء الشمالي من الجليل وإيتوريا (التي كانت منطقة حكم فيلبس، زوج هيروديا)، فقد انعطف يسوع إلى منطقة بحر الجليل، وصعد إلى جبلٍ مع تلاميذه. «فَجَاءَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ». حالما عرفوا أنه صار من جديد في جوارهم، احتشدت جموعٌ غفيرةٌ من الناس على الطرقات وصعدوا الجبل الذي كان يجلس عليه، وقد أحضروا معهم أصدقاءهم وأقرباءهم المرضى والمُقعَدين. فقابلهم جميعاً في رحمةٍ ونعمةٍ وشفى الكل، مُظهراً بذلك ومن جديد سلطته المسيانية (أشعياء ٣٥: ٤- ٦). «مَجَّدُوا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ». إذ رأى هؤلاء القرويُّون أصدقاءهم وأقرباءهم يُشفون من الشلل والعرَج والعمى ومختلف الأمراض، اقتنعوا في قلوبهم بأن الله قد افتقد شعبه، ومجّدوه إذ ميَّزوا في أعمال قدرته هذه أوراق اعتماد ذاك الذي كان يُفتَرَض أن يكون مخلِّصَ إسرائيل. الشعب الذين شعروا بالحاجة والتوق إلى الانعتاق من الخطيئة وتأثيراتها هم الذين اقتبلوا بفرحٍ إنجيل الملكوت كما أعلنه يسوع. في الجزء الختامي من الأصحاح نقرأ عن مناسبة أخرى أطعم فيها الرب يسوع جموعاً كثيرةً بما بدا لأول وهلة مؤونة صغيرة جداً. هذه المرة كان العدد أربعة آلاف رجل في حين كان خمسة آلاف قبلاً، إضافة إلى النساء والأطفال". انتهى.

٢٤- إشباع أربعة آلاف رجل من سبعة أرغفة من الخبز وصغار السمك

حادثة إشباع أربعة آلاف رجل هي غير حادثة إشباع السيد المسيح لخمسة آلاف رجل آخر. وقد أشار الرب يسوع المسيح إلى تلك الحادثتين المنفصلتين في الإصحاح السادس عشر من إنجيل متى في الآيتين ٩ و ١٠، فيقول له كل المجد:

٩ أَحَتَّى الآنَ لاَ تَفْهَمُونَ؟ وَلاَ تَذْكُرُونَ خَمْسَ خُبْزَاتِ الْخَمْسَةِ الآلاَفِ وَكَمْ قُفَّةً أَخَذْتُمْ؟

١٠ وَلاَ سَبْعَ خُبْزَاتِ الأَرْبَعَةِ الآلاَفِ وَكَمْ سَلاًّ أَخَذْتُمْ؟

أما تفاصيل معجزة إشباع السيد المسيح لأربعة آلاف رجل إضافة إلى نسائهم وأطفالهم فقد وردت في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل متى، الآيات من ٣٢ إلى ٣٨:

١٥:٣٢ وَأَمَّا يَسُوعُ فَدَعَا تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ لأَنَّ الآنَ لَهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِي وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَصْرِفَهُمْ صَائِمِينَ لِئَلَّا يُخَوِّرُوا فِي الطَّرِيقِ».

١٥:٣٣ فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «مِنْ أَيْنَ لَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ خُبْزٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ حَتَّى يُشْبِعَ جَمْعاً هَذَا عَدَدُهُ؟»

١٥:٣٤ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟» فَقَالُوا: «سَبْعَةٌ وَقَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ».

١٥:٣٥ فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الأَرْضِ

١٥:٣٦ وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَالسَّمَكَ وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ وَالتَّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْجَمْعَ.

١٥:٣٧ فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ سَبْعَةَ سِلاَلٍ مَمْلُوءَةٍ

١٥:٣٨ وَالآكِلُونَ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلاَفِ رَجُلٍ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ.

ويعلق وليم ماكدونالد على هذه المعجزة قائلاً: "إنّ بعض الذين لا يقرأون بانتباه (أو المنتقدين) يخلطون بين هذه الحادثة وإشباع الخمسة الآلاف، وهكذا يتّهمون الكتاب المقدّس بالتكرار، والتناقض وخطأ الحساب. والحقيقة هي أن الحادثتين مختلفتان وتكمّل إحداهما الأخرى عوضًا عن التناقض. بعد ثلاثة أيام مع الرب، نفد الطعام من عند الجمع. ولم يرد أن يصرفهم جائعين، لئلاً يخوَّروا في الطريق. ومرّة ثانية تحيّر تلاميذه أمام المهمّة المستحيلة التي تقضي بإشباع جمع كهذا؛ ففي هذه المرّة لم يكن لديهم سوى سبعة أرغفة وقليل من صغار السمك. وكما في حالة الخمسة الآلاف، فقد أتكأ يسوع الشعب، وشكر وكسر الأرغفة والسمك وأعطى التلاميذ للتوزيع. وهو يتوقع من تلاميذه أن يفعلوا ما باستطاعتهم، ومن ثمّ يتدخّل هو ليفعل ما لا يقدرون هم عليه. وبعدما أكل الجميع وشبعوا كان هناك سبعة سلال من الكسر. وكان عدد الآكلين أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد". انتهى.

٢٥- شفاء شاب مصاب بالصرع

ترد هذه المعجزة العجيبة التي صنعها الرب يسوع في الإنجيل المقدس(١):

١٧:١٤ وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الْجَمْعِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ جَاثِياً لَهُ

١- الآيات: ١٤ إلى ١٨ - الإصحاح السابع عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

١٧:١٥ وَقَائِلاً: «يَا سَيِّدُ ارْحَمِ ابْنِي فَإِنَّهُ يُصْرَعُ وَيَتَأَلَّمُ شَدِيداً وَيَقَعُ كَثِيراً فِي النَّارِ وَكَثِيراً فِي الْمَاءِ.

١٧:١٦ وَأَحْضَرْتُهُ إِلَى تَلاَمِيذِكَ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْفُوهُ».

١٧:١٧ فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ الْمُلْتَوِي إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ هَهُنَا!»

١٧:١٨ فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ فَخَرَجَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ. فَشُفِيَ الْغُلاَمُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.

و يعلق المفسر بنيامين بنكرتن على الآيات الكريمة السابقة بقوله: "لما نزل السيد من الجبل لقى قوة الشيطان المرعبة، ولكنه كان معتادًا على ذلك فلم يعتد به. فإنه كان يقدر أن يطرد الشياطين بكلمة واحدة ولكنه لقى شيئًا آخر. أهم وهو عدم إيمان تلاميذه (عدد ٢٠). كان الرب قد أعطاهم سلطانًا لإخراج الأرواح الشريرة ولكنهم لم يتمكنوا من إخراج هذا الروح لعدم إيمانهم بمعنى أنهم أمروه بالخروج فلم يُطِعَهم. «إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟ كانت القوة الإلهية بملئها حاضرة بشخصه لإنقاذ إسرائيل من كل قوة العدو. ولكن بماذا تنفعهم إن لم يكن لهم إيمان لاستعمالها؟ «قدموه إلى ههنا» قال هذا في نهاية توبيخه لتلاميذه على عدم إيمانهم لأنه لا يَمتنع على أن يَرثي لحالة شعبه مهما كان ضعفهم. فما أعظم ألطافه! فإنه أجرى بنفسه العمل الذي عجز عنه تلاميذه". انتهى.

٢٦- شفاء الأعميين

وردت تفاصيل هذه المعجزة الخارقة التي صنعها السيد المسيح في الإنجيل المقدس(١):

٢٠:٢٩ وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ مِنْ أَرِيحَا تَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ

٢٠:٣٠ وَإِذَا أَعْمَيَانِ جَالِسَانِ عَلَى الطَّرِيقِ. فَلَمَّا سَمِعَا أَنَّ يَسُوعَ مُجْتَازٌ صَرَخَا قَائِلَيْنِ: «ارْحَمْنَا يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ».

٢٠:٣١ فَانْتَهَرَهُمَا الْجَمْعُ لِيَسْكُتَا فَكَانَا يَصْرَخَانِ أَكْثَرَ قَائِلَيْنِ: «ارْحَمْنَا يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ»

٢٠:٣٢ فَوَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَاهُمَا وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ بِكُمَا؟»

٢٠:٣٣ قَالاَ لَهُ: «يَا سَيِّدُ أَنْ تَنْفَتِحَ أَعْيُنُنَا!»

٢٠:٣٤ فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَلَمَسَ أَعْيُنَهُمَا فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَتْ أَعْيُنُهُمَا فَتَبِعَاهُ.

١- الآيات:٢٩ إلى ٣٤ - الإصحاح العشرين ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد يعلق على تلك المعجزة بقوله: "أمّا الآن فقد عبر يسوع الأردن من بيريّة ووصل إلى أريحا. وفيما هو يهمّ بترك المدينة صرخ أعميان قائلين: «ارحمنا يا سيّد يا ابن داود». وأظهر استخدامهما للقب ابن داود أنّه بالرّغم من عماهما الجسدي كان عندهما رؤية روحيّة ثاقبة جعلتهما يميّزان أنّ يسوع هو المسيًّا. وقد يكون هذان رمزًا للبقيّة المؤمنة التي ستعترف بيسوع أنَّه المسيح عند رجوعه للمُلك عندما تكون الأمّة في حالة من العمى الروحي (إش٣٥: ٥؛ ٤٢: ٧؛ رو١١: ٢٥ ،٢٦؛ ٢كو٣: ١٦؛ رؤ١: ٧). حاول الجمع إسكات الأعميين، لكنّهما كانا يصرخان بأكثر لجاجة. و عندما سألهما يسوع عمّا يريدانه، لم يستفيضا بسرد التّفاصيل كما نفعل نحن في صلواتنا، بل كشفا له مباشرة لبّ احتياجهما قائلين: «يا سيّد أن تنفتح أعيننا». لذا نال طلبهما المحدّد استجابة محدّدة أيضًا إذ تحنّن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما وتبعاه. ويعلّق جابلين Gaebelein على لمس المسيح لهما قائلاً: "سبق فعرفنا المعنى الرمزي للمسة الشفاء في هذا الإنجيل. فكلّما شفى الربّ إنسانًا بلمسة ما، كان في ذلك إشارة إلى تدبير حضوره الشخصي على الأرض ومعاملاته الرّحيمة مع الأمّة اليهودية. أمّا عندما كان يشفي بكلمة منه حيث يكون غائبًا في الجسد، أو عندما يُلمَس بالإيمان، فذلك رمز إلى التدبير الذي يكون الربّ فيه بعيدًا عن الأرض شافيًا الأمم الذين يقتربون إليه بالإيمان". توجد بعض الصّعوبات في التّوفيق بين سرد متّى لهذه الحادثة وسرد مرقس ولوقا لها (مرقس١٠: ٤٦-٥٢؛ لوقا ١٨: ٣٥-٤٣؛ ١٩: ١) فمتّى يذكر أعميين اثنين فيما يذكر كل من مرقس ولوقا أعمى واحدًا. وقد اقترح بعضهم أنّ مرقس ولوقا يذكران الرّجل المعروف بين الأعميين وهو بارتيماوس، فيما يذكر متّى، بحكم كونه يكتب لليهود خاصّة، أعميين اثنين لأنّ هذا العدد هو الحدّ الأدنى للشّهادة المقبولة عندهم (٢كو١٣: ١). هذا ويذكر متّى و مرقس أنّ حادثة الشّفاء تلك حصلت عندما كان يسوع يغادر أريحا. أمّا في لوقا فتحصل الحادثة ويسوع يقترب من أريحا. لكن في الواقع كان يوجد مدينتان تدعيان أريحا، وهما أريحا القديمة وأريحا الجديدة. وربّما حدثت معجزة الشّفاء تلك بينما كان يسوع يترك الواحدة ويهمّ بدخول الأخرى". انتهى.

٢٧- شجرة التين غير المثمرة

وردت تفاصيل هذه المعجزة الرهيبة في الإنجيل المقدس(١):

٢١:١٨ وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ جَاعَ

٢١:١٩ فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً فَقَطْ. فَقَالَ لَهَا: «لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ». فَيَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ.

١- الآيات:١٨ إلى ٢٢ - الإصحاح الحادي و العشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٢١:٢٠ فَلَمَّا رَأَى التَّلاَمِيذُ ذَلِكَ تَعَجَّبُوا قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ؟»

٢١:٢١ فَأَجَابَ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ وَلاَ تَشُكُّونَ فَلاَ تَفْعَلُونَ أَمْرَ التِّينَةِ فَقَطْ بَلْ إِنْ قُلْتُمْ أَيْضاً لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ فَيَكُونُ.

٢١:٢٢ وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ».

ويعلق خادم الرب وليم ماكدونالد على تلك المعجزة قائلاً: "عندما رجع الربّ إلى أورشليم في الصباح جاء إلى شجرة تين متوقعًا أن يجد فيها ثمرًا يُشبع جوعه. فلمّا لم يجد فيها شيئًا إلا ورقًا فقط، قال: «لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد»، فيبست التينة في الحال. وفي رواية البشير مرقس للحادثة (١١: ١٢-١٤) يضيف معلّقًا بأنّه لم يكن موسم التين. لذلك تبدو إدانة يسوع للشجرة بسبب عدم إثمارها وكأنّها غير منطقيّة وغير مقبولة. ولكننا نعرف أنّه لا يمكن للربّ أن يخطئ، فكيف نفسّر هذه الصعوبة الكتابيّة؟ كانت أشجار التين في الأراضي التي دارت فيها أحداث الكتاب المقدّس، تنتج ثمرًا مبكرًا صالحًا للأكل قبل ظهور الأوراق. وكان ذلك يبشّر بالمحصول الآتي في موسمه العادي. فعدم ظهور التين المبكر، كما كانت الحال في تلك الشجرة، كان دليلاً على أنّ الشجرة لن تحمل تينًا في موسمها الطبيعي لاحقًا. وهذه هي المعجزة الوحيدة التي فيها لعن الربّ عوضًا عن أن يبارك وأهلك بدلاً من أن يحيي. وقد أثار بعضهم هذه الحادثة كصعوبة كتابيّة. لكنّ ذلك الانتقاد ينمُّ عن جهل بشخص المسيح؛ فهو الله سيّد الكون، ولا نستطيع تفسير كل أعماله في الخليقة، لكن علينا أن ننطلق من الافتراض الذي يسلّم مسبقًا بأنّه دائمًا على حقّ. ففي هذه الحالة، عرف الربّ أنّ شجرة التين تلك لن تحمل ثمرًا البتّة، ولذلك تصرّف كفلاّح يقلع الشجرة من البستان. كان لعْنُ المسيح لتلك الشجرة عملاً رمزيًا، وهذا ما يُسلّم به حتى الذين ينتقدون الربّ. ففي هذه الحادثة يكشف المخلّص لنا حقيقة ذلك الترحيب الصاخب الذي قوبل به وهو يهمّ بالدخول إلى أورشليم. وتمثّل شجرة التين أمّة إسرائيل كما كانت تمثّلها أيضًا الكرمة وشجرة الزيتون. فحينما جاء يسوع إلى الأمّة كان فيها أوراق ما هي إلاّ مظاهر الإيمان، لكن لم يكن لديها ثمر حقيقيّ للربّ. أمّا يسوع فكان يتوق لرؤية ذلك الثمر الحقيقي في الأمّة. ولأنّه لم يكن في تلك الشجرة ثمر مبكّر، عرف الربّ أنّه لن يظهر ثمر البتّة من ذلك الشعب غير المؤمن، لذلك لعن شجرة التين. كانت تلك الحادثة صورة مسبقة عن القضاء الذي سيقع على الأمّة في السنة ٧٠ ميلاديّة. لكن علينا أن نتذكّر أنّه في الوقت الذي سيبقى فيه غير المؤمنين من شعب إسرائيل بلا ثمر إلى الأبد، فإنّ بقيّة الأمّة سترجع إلى المسيح بعد الاختطاف، وسوف تثمر أثناء الضيقة العظيمة وفي فترة الملك الألفي. ومع أنّ التفسير الرئيسي لهذا المقطع يختصّ بالأمّة القديمة، فإنّ تطبيقه يصحّ أيضًا في جميع الناس الذين يتّصفون بالكلام الرفيع والسلوك الوضيع. عبّر التلاميذ عن تعجّبهم عندما يبست التينة في الحال، فأخبرهم يسوع بأنّ بإمكانهم صنع معجزات أعظم من تلك إذا توفر لديهم الإيمان. فعلى

سبيل المثل، يمكنهم أن يقولوا للجبل: «انتقل وانطرح في البحر فيكون». «وكلّ ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه». ومرّة ثانية، يجب أن نوضح أنّ مواعيد استجابة الصلاة، هذه التي تبدو كأنّها غير مشروطة، ينبغي أن نفهمها في ضوء كل ما يُعلّمه الكتاب المقدّس عن هذا الموضوع. فالآية ٢٢ لا تعني أنّه يمكن للمؤمن أن يسأل ما يريد ويتوقع الحصول عليه، وإنّما عليه أن يصلّي وفقًا للشروط المذكورة في الكتاب المقدّس بمجمله". انتهى.

٢٨- دفع مال الجزية من فم سمكة

السيد المسيح هو الرازق فلم يكن بحاجة لحمل النقود في جيبه. ترد هذه المعجزة التي تبرهن أن السيد المسيح هو الله الظاهر بالجسد في الإنجيل المقدس(١):

١٧:٢٤ وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفْرِنَاحُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدِّرْهَمَيْنِ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالُوا: «أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكُمُ الدِّرْهَمَيْنِ؟»

١٧:٢٥ قَالَ: «بَلَى». فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: «مَاذَا تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟»

١٧:٢٦ قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «مِنَ الأَجَانِبِ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «فَإِذاً الْبَنُونَ أَحْرَارٌ.

١٧:٢٧ وَلَكِنْ لِئَلَّا نُعْثِرَهُمُ اذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَّارَةً وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلاً خُذْهَا وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدْ إِسْتَاراً فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ».

و يعلق خادم الرب هنري أ. أيرونسايد على تلك المعجزة العظيمة ، فيقول:

"مال الجزية المشار إليه هنا كان النصف شاقل من الفضة الذي بحسب خروج ٣٠ كان مطلوباً دفعه كمال افتداء عند كل إحصاء للشعب. وعلى مر الأيام صار يعتبر ويُجنى كضريبة رؤوس لدعم خدمات الهيكل. جاء جامعوا هذه الضريبة إلى بطرس وسألوه فيما إذا كان يسوع قد دفعها. وبدون استشارة معلمه، أجاب بطرس بالإيجاب. عندما دخل المنـزل في كفرناحوم بعد قليل (وعلى الأرجح أن يكون هذا منـزله) سبقه يسوع فطرح السؤال عليه: "«مَاذَا تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أو الْجِزْيَةَ أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟»". أجاب بطرس بدون تردد أن من الأجانب. كان ذلك قبل برهة قصيرة من اعتراف بطرس بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحـي. و لذلك، فلم يكن معفياً من دفـع هذه الضريبة المعينة؛ و لذلك فقد قـال يسوع: "فـإذاً

١- الآيات: ٢٤ إلى ٢٧ - الإصحاح السابع عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه متى البشير.

الْبَنُونَ أَحْرَارٌ". ولكن بدافع اهتمامه بالآخرين، و لئلا يعثر أحد ممن لم يفهم من كان أمر بطرس أن يذهب إلى بحر الجليل وأن يلقي الصنارة ويأخذ السمكة التي يصطادها، وأضاف قائلاً له: "مَتَى فَتَحْتَ فاهَا تَجِدْ إِسْتَاراً فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ". ليس بالضرورة أن نفترض أن العملة المعدنية كانت قد خُلِقت بطريقة عجائبية في تلك اللحظة، بل بالحري أنها كانت قد سقطت إلى الماء، وانجذبت السمكة إلى هذه المادة اللامعة البراقة فحاولت ابتلاعها، ولكن الشاقل علق في حنجرتها؛ ولذلك فعندما اجتذبها بطرس إلى اليابسة كانت العملة النقدية هناك كما قال يسوع، وأمكن استخدامها لتجنب أي انتقاد. هل كان يسوع في ذلك الوقت فقيراً جداً حتى أنه لم يكن لديه أي مال آخر يدفع منه هذه الضريبة؟ من الممكن ذلك، أو لعله اختار هذه الطريقة ليؤكد لبطرس حقيقة أنه رب كل الخليقة". انتهى.

٢٩- بركة الصيد الوفير من السمك

لقد وردت هذه المعجزة الكبرى في الإنجيل المقدس(١). فلقد بارك السيد المسيح تلامذته في صيدهم، حيث لم يكن بمقدورهم صيد أي سمكة طيلة رحلة صيدهم. ولكن بعد أن وجههم السيد المسيح بكلمة واحدة تخرج من فمه المبارك، تمكنوا عندها من اصطياد السمك الوفير دون أن تتمزق شباك صيدهم:

٢١:١ بَعْدَ هَذَا أَظْهَرَ أَيْضاً يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتّلاَمِيذِ عَلَى بَحْرِ طَبَرِيَّةَ. ظَهَرَ هَكَذَا:

٢١:٢ كَانَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ وَنَثَنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ وَابْنَا زَبْدِي وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تلاَمِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ.

٢١:٣ قَالَ لَهُمْ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنَا أَذْهَبُ لأَتَصَيَّدَ». قَالُوا لَهُ: «نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضاً مَعَكَ». فَخَرَجُوا وَدَخَلُوا السَّفِينَةَ لِلْوَقْتِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُمْسِكُوا شَيْئاً.

٢١:٤ وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلَكِنَّ التّلاَمِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ.

٢١:٥ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «يَا غِلْمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَاماً؟». أَجَابُوهُ: «لاَ!»

٢١:٦ فَقَالَ لَهُمْ: «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الأَيْمَنِ فَتَجِدُوا». فَأَلْقَوْا وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثْرَةِ السَّمَكِ.

٢١:٧ فَقَالَ ذَلِكَ التِّلْمِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبُطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ». فَلَمَّا سَمِعَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ اتَّزَرَ بِثَوْبِهِ لأَنَّهُ كَانَ عُرْيَاناً وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ.

١- الآيات:١ إلى ١١ - الإصحاح الحادي والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٢١:٨ وَأَمَّا التَّلاَمِيذُ الآخَرُونَ فَجَاءُوا بِالسَّفِينَةِ لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعِيدِينَ عَنِ الأَرْضِ إِلاَّ نَحْوَ مِئَتَيْ ذِرَاعٍ وَهُمْ يَجُرُّونَ شَبَكَةَ السَّمَكِ.

٢١:٩ فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى الأَرْضِ نَظَرُوا جَمْراً مَوْضُوعاً وَسَمَكاً مَوْضُوعاً عَلَيْهِ وَخُبْزاً.

٢١:١٠ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «قَدِّمُوا مِنَ السَّمَكِ الَّذِي أَمْسَكْتُمُ الآنَ».

٢١:١١ فَصَعِدَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَجَذَبَ الشَّبَكَةَ إِلَى الأَرْضِ مُمْتَلِئَةً سَمَكاً كَبِيراً مِئَةً وَثلاَثاً وَخَمْسِينَ. وَمَعْ هَذِهِ الْكَثْرَةِ لَمْ تَتَخَرَّقِ الشَّبَكَةُ.

ويعلق وليم ماكدونالد على الآيتين ١٠ و١١، فيقول:" والآن دعاهم إلى سحب الشبكة التي تحوي السمك، لا لإعداده، بل بالحري لعدَّه، كانوا بفعلهم هذا سيتذكرون "أنّ سرّ النجاح يكمن في العمل طوع أمره، والتحرّك على أساس الطاعة المطلقة لكلمته". يحدد لنا الكتاب المقدس بالتمام عدد السمك داخل الشبكة: مئة وثلاث وخمسون سمكة. لقد عُرضت عدة تفاسير ممتعة تتعلق بمعاني محتملة لهذا الرقم: (١) كان ذلك عدد اللغات المنتشرة في العالم في ذلك الزمن. (٢) عدد الشعوب والقبائل في العالم التي ستتصل إليها شبكة الإنجيل. (٣) عدد الأنواع المختلفة من السمك في بحر الجليل، أو في العالم. إنّما هذا الرقم يلمَّح، ولا شك، إلى تنوّع أولئك الذين يخلصون بواسطة الكرازة بالإنجيل: إنهم ينتمون إلى كل شعب وأمّة وقبيلة. لقد استغرب الصيادون ألاّ تكون هذه الشبكة قد تخرّقت. وفي هذا برهان إضافي على أنّ "عمل الله الذي نتممه على طريقة الله، لن يفتقر أبدًا إلى الموارد الإلهية". فالله سيسهر على صون الشبكة من التخرّق". انتهى.

٣٠- شفاء أصمَّ أخرس

و يسجل لنا الإنجيل المقدس[١] أيضاً هذه المعجزة المبهرة التي صنعها الرب يسوع المسيح:

٧:٣٢ وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِأَصَمَّ أَعْقَدَ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ.

٧:٣٣ فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ عَلَى نَاحِيَةٍ وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ وَتَفَلَ وَلَمَسَ لِسَانَهُ

٧:٣٤ وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ: «إِفَّثَا». أَيِ انْفَتِحْ.

٧:٣٥ وَلِلْوَقْتِ انْفَتَحَتْ أُذْنَاهُ وَانْحَلَّ رِبَاطُ لِسَانِهِ وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيماً.

٧:٣٦ فَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ. وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ مَا أَوْصَاهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ أَكْثَرَ كَثِيراً.

١- الآيات:٣٢ إلى ٣٧ - الإصحاح السابع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.

٧:٣٧ وَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ: «إِنَّهُ عَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَناً! جَعَلَ الصُّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ!».

ويعلق خادم الرب وليم ماكدونالد على تلك المعجزة قائلاً: "رجع الربّ من ساحل البحر المتوسط إلى الساحل الشرقي من بحر الجليل – المنطقة المعروفة بالمدن العشر. وهناك حدثت حادثة لم تُسجّل إلا في إنجيل مرقس. فقد أتى بعض الأصدقاء الغيارى بأصمّ أعقد. ربّما تسبّبت هذه العاهة عن تشوّه خَلْقيّ، أو لأنّ عدم سماع الأصوات بالمرّة جعله غير قادر على إخراج الأصوات بطريقة صحيحة. وهو، على كلّ حال، يمثّل الخاطيء الأصمّ من جهة الله، وبالتالي غير القادر على إخبار الآخرين عنه. أولاً، أخذ يسوع الرجل على ناحية منفردًا. ثمّ وضع أصابعه في أذنيه، وتفل ولمس لسانه، وكأنّه يخبر الرجل بلغة الإشارات أنّه على وشك أن يفتح أذنيه ويطلق لسانه. بعد ذلك نظر يسوع نحو السماء، مشيرًا إلى أنّ سلطانه من الله. وعبّر أنينه هذا عن حزنه على الألم الذي جلبته الخطيّة على الجنس البشريّ. وأخيرًا قال «إفَّثا» (أو: إفَّتِحْ) وهي الكلمة الآرامية التي تعني "إنفتِحْ". للوقت حصل الرجل على سمع ونطق طبيعيَّين. وطلب الربّ إلى الناس ألاّ يخبروا بالمعجزة، لكنّهم تجاهلوا تعليماته. ولا يمكن تبرير عدم الطاعة البتّة، مهما كانت نيّة الناس حسنة. بُهتَ المشاهدون من أعماله العجيبة. وقالوا: «إنّه عمل كلّ شيء حسنًا. جعل الصمّ يسمعون والخرس يتكلّمون». ولم يعرفوا حقيقة ما تكلّموا به. ولو عاشوا مثلنا في الجهة الأخرى من الجلجثة لقالوا ذلك باقتناع وشعور أعمق بكثير. قد عرفت نفوسنا محبّته، وأثبت لنا رحمته، رحمته التي فاقت مدحنا. لقد عمل رَبُّنا كلّ شيء حسنًا!". انتهى.

٣١- شفاء أعمى في بيت صيدا

ترد تفاصيل هذه المعجزة الرائعة و العظيمة للسيد المسيح في الإنجيل المقدس(١):

٨:٢٢ وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ صَيْدَا فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَعْمَى وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسَهُ

٨:٢٣ فَأَخَذَ بِيَدِ الأَعْمَى وَأَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ هَلْ أَبْصَرَ شَيْئاً؟

٨:٢٤ فَتَطَلَّعَ وَقَالَ: «أُبْصِرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ».

٨:٢٥ ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ أَيْضاً عَلَى عَيْنَيْهِ وَجَعَلَهُ يَتَطَلَّعُ. فَعَادَ صَحِيحاً وَأَبْصَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَلِيّاً.

٨:٢٦ فَأَرْسَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ قَائِلاً: «لاَ تَدْخُلِ الْقَرْيَةَ وَلاَ تَقُلْ لأَحَدٍ فِي الْقَرْيَةِ».

و يعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على هذه المعجزة، فيقول شارحاً:

١- الآيات:٢٢ إلى ٢٦ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.

"تثير هذه المعجزة المذكورة في إنجيل مرقس فقط عدة أسئلة هامَّة. أولاً، لماذا أخرج يسوع ذلك الإنسان خارج القرية قبل أن يشفيه؟ لماذا لم يشفِ الرجل بمجرّد لمسه؟ لماذا استخدم وسيلة غير مألوفة كاللعاب؟ لماذا لم يحصل الإنسان على البصر الصحيح مباشرة؟ (هذه هي عمليه الشفاء الوحيدة في الأناجيل التي تمت على مراحل). وأخيرًا، لماذا منع يسوع الرجل أن يخبر بالمعجزة في قريته؟ إن ربَّنا مُطلَق السلطان وليس مُجبرًا أن يقدم لنا حسابًا عن أعماله. يوجد سبب ذو معنى لكل ما فعل، مع أننا ربما لا ندركه. وتختلف حوادث الشفاء في ما بينها، مثلها مثل كل حادثة اهتداء إلى المسيح. إذ يحصل بعض الناس على بصيرة روحية مميزة حالما يرجعون إلى الرب، في حين يبصر آخرون بطريقة ظليلة في البداية، ومن ثمّ يدخلون في تأكيد كامل لخلاصهم". انتهى.

٣٢- بركة الصيد الوفير من السمك

ترد هذه المعجزة العظيمة في الإصحاح الخامس من إنجيل لوقا. وهي غير تلك التي تم ذكرها في إنجيل يوحنا البشير. فبينما حدثت هذه المعجزة في بداية خدمة الرب يسوع المسيح حدثت المعجزة الأخرى بعد الصليب(١):

٥:١ وَإِذْ كَانَ الْجَمْعُ يَزْدَحِمُ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ كَانَ وَاقِفاً عِنْدَ بُحَيْرَةِ جَنِّيسَارَتَ.

٥:٢ فَرَأَى سَفِينَتَيْنِ وَاقِفَتَيْنِ عِنْدَ الْبُحَيْرَةِ وَالصَّيَّادُونَ قَدْ خَرَجُوا مِنْهُمَا وَغَسَلُوا الشِّبَاكَ.

٥:٣ فَدَخَلَ إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ الَّتِي كَانَتْ لِسِمْعَانَ وَسَأَلَهُ أَنْ يُبْعِدَ قَلِيلاً عَنِ الْبَرِّ. ثُمَّ جَلَسَ وَصَارَ يُعَلِّمُ الْجُمُوعَ مِنَ السَّفِينَةِ.

٥:٤ وَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ قَالَ لِسِمْعَانَ: «ابْعُدْ إِلَى الْعُمْقِ وَأَلْقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ».

٥:٥ فَأَجَابَ سِمْعَانُ: «يَا مُعَلِّمُ قَدْ تَعِبْنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئاً. وَلَكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أُلْقِي الشَّبَكَةَ».

٥:٦ وَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ أَمْسَكُوا سَمَكاً كَثِيراً جِدّاً فَصَارَتْ شَبَكَتُهُمْ تَتَخَرَّقُ.

٥:٧ فَأَشَارُوا إِلَى شُرَكَائِهِمِ الَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ الأُخْرَى أَنْ يَأْتُوا وَيُسَاعِدُوهُمْ. فَأَتَوْا وَمَلأُوا السَّفِينَتَيْنِ حَتَّى أَخَذَتَا فِي الْغَرَقِ.

٥:٨ فَلَمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطْرُسُ ذَلِكَ خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً: «اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَارَبُّ لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ».

٥:٩ إِذِ اعْتَرَتْهُ وَجَمِيعَ الَّذِينَ مَعَهُ دَهْشَةٌ عَلَى صَيْدِ السَّمَكِ الَّذِي أَخَذُوهُ.

١- الآيات:١ إلى ١١ - الإصحاح الخامس ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

٥:١٠ وَكَذَلِكَ أَيْضاً يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدِي اللَّذَانِ كَانَا شَرِيكَيْ سِمْعَانَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ: «لاَ تَخَفْ! مِنَ الآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ النَّاسَ!»

٥:١١ وَلَمَّا جَاءُوا بِالسَّفِينَتَيْنِ إِلَى الْبَرِّ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ.

ويعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على الآيات السابقة، فيقول شارحاً: "ثمة دروس عدة نستخلصها من النص حول دعوة بطرس. ١ - لقد استخدم الرب سفينة بطرس منبرًا ليعلّم الجموع المحتشدة. ونحن إن سلّمنا للرب كلّ ما نملك، فهو يستخدمه بطريقة عجيبة، ولنا نحن المجازاة منه. ٢ - لقد دلّ الربّ بطرس على مكان توافر السمك، ولا سيما أن بطرس وصحبه تعبوا الليل كلّه بلا جدوى. فالربّ الكليّ المعرفة يعلم مكان السمك، والخدمة عقيمة ما دامت تسير بحكمتنا وقوّتنا. إن سرّ نجاح العمل المسيحي يكمن في إرشاد الرب. ٣ - ومع أن بطرس صيّاد سمك ذو خبرة، فقد قبل النصيحة من نجّار، وكانت النتيجة شِباكًا ملأى. «على كلمتك ألقي الشبكة»، هو جواب من شأنه أن يدلّ على أهمية التواضع وقابلية التعلّم والطاعة المُطلَقة. ٤ - في العمق تخرّقت الشِّباك من كثرة الأسماك. ولذا فلنترك الشاطئ ونعتل الأمواج بكل رغبة وتسليم. فللإيمان مياه عميقة وهكذا أيضًا للآلام والأحزان والخسائر. هذه الأمور تملأ الشباك أثمارًا. ٥ - شبكتهم صارت تتخرَّق، والسفينتان أخذتا في الغرق (ع٦، ٧). إن الخدمة التي يوجِّهها الربُّ يسوع تُسفِر عن مشاكل، ولكن ما أجملَ مشاكلَ مثل هذه. إنها المشاكل التي تؤتي قلبَ الصيّاد الحقيقي بهجة وفرحًا. ٦ - إنّ رؤية مجد الربّ يسوع هذه أنشأت في نفس بطرس شعورًا بالعجز والتقصير، كما أنشأت من قبلُ في نفس إشعياء (٦: ٥)، وكما تنشئ في كلّ من يرى الملك في بهائه. ٧ - بينما كان بطرس منهمكًا في عمله اليومي، دعاه الرب ليكون صيّاد الناس. وهكذا أنت، فبينما تنتظر إرشادًا، اعمل ما في وسعك أن تعمل وبكلّ نشاط ومن كلّ القلب كما للرب. فكما أن الدقة تُدير السفينة إبّان الإبحار، هكذا يقود الله الإنسان إبّان العمل. ٨ - لقد دعا المسيح بطرس من اصطياد السمك إلى اصطياد الناس، أو بكلمة أدقّ: "أخذ الناس أحياء". وما هي أهمية جميع أسماك المحيط بالمقارنة بامتياز اقتياد نفس واحدة إلى المسيح والحياة الأبدية؟ ٩ - عندما أرسى بطرس ويعقوب ويوحنا السفينتين، تركوا كلّ شيء وتبعوا الربّ يسوع في أنجح يوم من أيام عملهم. وكم كان قرارهم على قدرٍ عالٍ من الأهمية، إذ لو لم يتخذوه لبقوا صيّادي سمك، ولكُنّا ما سمعنا بهم قط". انتهى.

٣٣- شفاء المرأة المنحنية

الرب يسوع المسيح يشفي أمرأه كانت تشتكي من انحناء وتقوس ظهرها لمدة ثماني عشرة سنة متواصلة. فهي لم تجد طوال تلك المدة الزمنية الطويلة أي شخص له القـــدرة على شفائها من

تلك العاهة سوى الرب يسوع المسيح. وقد تم ذكر هذه المعجزة العظيمة في الإنجيل المقدس(١):

١٣:١٠ وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي أَحَدِ الْمَجَامِعِ فِي السَّبْتِ

١٣:١١ وَإِذَا امْرَأَةٌ كَانَ بِهَا رُوحُ ضُعْفٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَتْ مُنْحَنِيَةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَتَّةَ.

١٣:١٢ فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ إِنَّكِ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضُعْفِكِ».

١٣:١٣ وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللهَ.

و يضيف خادم الرب وليم ماكدونالد معلقاً على تلك المعجزة الباهرة ، فيقول:

"إن موقف الأمَّة الحقيقي من الرب يسوع، يُرى في رئيس المجمع. لقد اعترض هذا المسؤول على المخلّص بسبب شفائه امرأة في السبت. وكانت هذه المرأة قد عانت إنحناءًا حادًا في العمود الفقري، وذلك على مدى ثماني عشرة سنة. وكان هذا المرض قد استفحل فيها حتى إنها لم تعد تقدر على الانتصاب البتة. والرب يسوع كان قد نطق بكلمته الشافية، حتى من دون أن يُسأل، ثم وضع عليها يديه، فاستقام ظهرها". انتهى.

٣٤- شفاء رجل مصاب بالاستسقاء

ويشفي الرب يسوع المسيح رجل مصاب بالاستسقاء بمجرد مسكه. ويسجل لنا الإنجيل المقدس(٢) هذه المعجزة الأكثر من رائعة:

١٤:١ وَإِذْ جَاءَ إِلَى بَيْتِ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْفَرِّيسِيِّينَ فِي السَّبْتِ لِيَأْكُلَ خُبْزاً كَانُوا يُرَاقِبُونَهُ.

١٤:٢ وَإِذَا إِنْسَانٌ مُسْتَسْقٍ كَانَ قُدَّامَهُ.

١٤:٣ فَسَأَلَ يَسُوعُ النَّامُوسِيِّينَ وَالْفَرِّيسِيِّينَ: «هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السَّبْتِ؟»

١٤:٤ فَسَكَتُوا. فَأَمْسَكَهُ وَأَبْرَأَهُ وَأَطْلَقَهُ.

و يشرح المفسر وليم ماكدونالد هذه الآيات الكريمة بقوله: "ذات سبت دعا أحد رؤساء الفريسيين الرب إلى تناول الطعام في بيته. وهو لم يُقدِم على ذلك بدافع الضيافة المخلصة، بل بالحري كمحاولة كان يبذلها القادة الدينيون للظفر بعلّة على ابن الله. وهناك رأى يسوع رجلاً مصابًا بالاستسقاء أي بتورّم ناتج من تراكم الماء داخل الأنسجة. قرأ المخلّص فكر منتقديه

١-الآيات: ١٠ إلى ١٣ - الإصحاح الثالث عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه لوقا البشير.
٢-الآيات: ١ إلى ٤ - الإصحاح الرابع عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

عندما سألهم بالتحديد هل يحلّ الإبراء في السبت. شفاء رجل مستسق كانوا يحبون كثيرًا الإجابة بالنفي، إلاّ أن عجزهم عن دعم جوابهم، جعلهم يؤثرون بالحري ملازمة الصمت. لذا، أبرأ يسوع الرجل وأطلقه. فهذا الأمر كان في نظره عمل رحمة، كما أن المحبة الإلهية لا تكفّ عن العمل، ولو في السبت (يو٥: ١٧)". انتهى.

٣٥- شفاء عشرة برص

ترد هذه المعجزة التي تبهر وَ تذهل العقول في الإنجيل المقدس(١)، حيث شفى الرب يسوع المسيح في ذات الوقت عشرة رجال كانوا مصابين بالبرص:

١٧:١١ وَفِي ذَهَابِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ اجْتَازَ فِي وَسَطِ السَّامِرَةِ وَالْجَلِيلِ.

١٧:١٢ وَفِيمَا هُوَ دَاخِلٌ إِلَى قَرْيَةٍ اسْتَقْبَلَهُ عَشَرَةُ رِجَالٍ بُرْصٍ فَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ

١٧:١٣ وَصَرَخُوا: «يَا يَسُوعُ يَا مُعَلِّمُ ارْحَمْنَا».

١٧:١٤ فَنَظَرَ وَقَالَ لَهُمُ: «اذْهَبُوا وَأَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ». وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَرُوا.

١٧:١٥ فَوَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ شُفِيَ رَجَعَ يُمَجِّدُ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ

١٧:١٦ وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ شَاكِراً لَهُ. وَكَانَ سَامِرِيّاً.

١٧:١٧ فَقَالَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ الْعَشَرَةُ قَدْ طَهَرُوا؟ فَأَيْنَ التِّسْعَةُ؟

١٧:١٨ أَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَرْجِعُ لِيُعْطِيَ مَجْداً لِلَّهِ غَيْرُ هَذَا الْغَرِيبِ الْجِنْسِ؟»

١٧:١٩ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «قُمْ وَامْضِ. إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ».

ويعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على هذه المعجزة بقوله: " تُشكِّل خطية عدم الشكر خطرًا آخر في حياة التلميذ. وهذا ما توضّحه قصة العشرة برص. وقد حصلت هذه القصة خلال عبور الربّ يسوع حدود السامرة والجليل في طريقه إلى أورشليم. وفيما هو داخل إلى قرية... رآه عشرة رجال برص. لم يقتربوا منه بسبب مرضهم، بل صرخوا من بعيد متوسِّلين إليه أن يشفيهم. عندئذٍ كافأهم على إيمانهم بطلبه إليهم أن يذهبوا ويُروا أنفسهم للكهنة. وهذا يعني أنهم سيكونون قد برأوا من البرص لدى بلوغهم الكاهن. لم يكن هذا الأخير يملك أية قوة لشفائهم، لكنه كان الشخص المعيّن للإعلان بأنّهم قد طَهَروا فعلاً. أطاع البُرص كلمة الربّ وانطلقوا في اتجاه مسكن الكهنة. وفيما هم منطلقون طَهَروا من المرض بشكل معجزي. كان لدى جميعهم الإيمان بنوال الشفاء، لكنّ واحدًا فقط من جملة العشرة عاد ليشكر الرب. وهذا الواحد، و يا

١- الآيات:١١ إلى ١٩ - الإصحاح السابع عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

للعجب، كان سامريًا، أي أحد الجيران الممقوتين لدى الشعب اليهودي والذين كانوا قد قطعوا كل علاقة بهم. فخرّ على وجهه؛ وهذا هو الوضع الجسماني الصحيح للعبادة، وعند رجلي يسوع؛ الموضع الصحيح للعبادة. عندئذٍ سأل يسوع ما معناه: أليس الذين نالوا الشفاء فعلاً كانوا عشرة، فأين التسعة الآخرون؟ لم يرجع أي واحد منهم ليعطي مجدًا لله". انتهى.

٣٦- ابراء اذن عبد رئيس الكهنة

أرجع الرب يسوع إذن عبد رئيس الكهنة بعد أن قطعها بطرس الرسول. لقد التحمت الإذن في مكانها وكأنها لم تقطع أو تجرح من قبل. وقد وردت هذه المعجزة في الإنجيل المقدس(١):

٢٢:٤٧ وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا جَمْعٌ وَالَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا – أَحَدُ الاِثْنَيْ عَشَرَ – يَتَقَدَّمُهُمْ فَدَنَا مِنْ يَسُوعَ لِيُقَبِّلَهُ.

٢٢:٤٨ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا يَهُوذَا أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ؟»

٢٢:٤٩ فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ قَالُوا: «يَا رَبُّ أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ؟»

٢٢:٥٠ وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى.

٢٢:٥١ فَقَالَ يَسُوعُ: «دَعُوا إِلَى هَذَا!» وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا.

ويشرح خادم الرب بنيامين بنكرتن الآيات السابقة قائلاً: "مَتَى كنا سالكين في طريق الطاعة لا نُناقض واجباتنا بعضها بعضًا لأن الروح لا يرشدنا إرشادًا يقتضي أن نكون في موضعين في وقت واحد أو أن نعمل عملين معًا غير أننا من ضعفنا نقصر عن إدراك قيادتهِ ونغلط ونقع في حيرةٍ مِرارًا عديدة خلاف سيدنا الذي أكمل كل شيء في وقتهِ ومكانهِ بدون تردُّد والتباس كما يظهر لنا هنا لأنهُ جاهد في الصلاة وقت الصلاة ولكنهُ فرغ منها وتقدَّم إلى باب البستان لكي يواجه الجمع المُقبلين عليهِ وأما مقصد هذا الفصل الخصوصي فهو:

أولاً- لإظهار خيانة يهوذا الذي كان دليلاً للجمع ودنا من يسوع ليُقبلهُ. ونرى هنا إلى أي مقدار تُقسي محبة المال القلب فبقى يهوذا محمولاً منها ولم يتردد عن تسليم ابن الإنسان بقبلةٍ.

ثانيًا- لإظهار سوء عمل التلاميذ إذ قالوا في حيرتهم: يا ربَّ أ نضرب بالسيف؟ كانوا نيامًا وقت السهر والصلاة فلم يعرفوا كيف يتصرفون وقت التجربة. ولا يخفى أننا نعمل مثلهم أوقاتًا كثيرة إذ ننام في الوقت المُعطى لنا للصلاة ثم تُفاجئنا التجربة ونضرب بالسيف في الوقت المُعيَّن للهدوء والتسليم. فأجاب يسوع وقال: دعوا إلى هذا الخ. نعلم أن بطرس هو الذي ضرب عبد رئيس الكهنة وقطع أذنهُ ولكن لوقا لا يذكر اسمهُ لأنهُ يقصد أن يُرينا لطف السيد إذ قال للذين

١- الآيات:٤٧ إلى ٥١ - الإصحاح الثاني والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

كانوا يربطون يديهِ دعوا إلى هذا. يعني طلب منهم أن يرخوا يدهُ قليلاً حتى يمدَّها إلى الأذن المجروحة بسيف تلميذهِ الغيور فيبرئها. فما أعظم لطفهُ لأنهُ كثيرًا ما يُبرئ الجروح التي تحصل للآخرين من ألسنتنا التي هي كسيوف حادَّة إذا استعملناها في الغضب أو في الغيرة الجسدية". انتهى.

٣٧- إحياء شاب من الموت

أحيى الرب يسوع ثلاثة أشخاص. منها معجزة أحياء شاب من الموت، وقد ذكر لنا الإنجيل المقدس(١) تفاصيل حدوثها:

٧:١١ وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ.

٧:١٢ فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ ابْنٌ وَحِيدٌ لأُمِّهِ وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ.

٧:١٣ فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: «لاَ تَبْكِي».

٧:١٤ ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا الشَّابُّ لَكَ أَقُولُ قُمْ».

٧:١٥ فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ.

٧:١٦ فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ».

٧:١٧ وَخَرَجَ هَذَا الْخَبَرُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ.

و يضيف مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد معلقاً على تلك المعجزة العظيمة بقوله: "كانت نايين مدينة صغيرة واقعة جنوب غربي كفرناحوم. ما إن اقترب الرب يسوع منها حتى رأى موكب جنازة مغادرًا المدينة. وكان الميت ابنًا وحيدًا لامرأة أرملة. فتحنّن الرب على الأم الثكلى. ثم لمس النعش الذي كان يحمل جثة الفتى، ربما بقصد وقف الموكب. وبعد هذا أمر الشاب بأن يقوم. وللوقت عادت الحياة إلى الجثة، وجلس الفتى. عندئذٍ قام الرب السائد على الموت وعلى المرض بردّ الصبي إلى أمّه. اعترى الخوف الناس، بعد أن شاهدوا حصول معجزة عظيمة. فالميت أعيدت إليه الحياة. وعلى أثر ذلك، آمنوا بأن الرب يسوع كان نبيًا عظيمًا، قد أرسله الله. لكنهم بقولهم إن الله قد افتقد شعبه، لم يكونوا، على الأرجح، قد أدركوا أن يسوع كان هو نفسه الله. لقد شعروا بأن هذه المعجزة جاءت لتؤكد لهم أنّ الله كان يعمل في وسطهم بطريقة ثابتة. وبعد هذا ذاعوا خبر هذه المعجزة في جميع الكورة المحيطة. نقرأ في إنجيل لوقا الطبيب عن تعامل الرب يسوع مع ثلاثة أولاد كانوا «وحيدين» لذويهم: ابن الأرملة، ابنة يايرس (٨: ٤٢)، والولد الذي كان مسكونًا بالشياطين (٩: ٣٨)". انتهى.

١- الآيات:١١ إلى ١٧ - الإصحاح السابع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

الباب الخامس: أخلاق السيد المسيح

المسيح الصبور الحليم

حلم المسيح لا ينافسه حلم حليم من الأولين والآخرين. فقد عاش بين البشر بكل تواضع وَ وداعة وحلم وصبر على كافة معانديه وظالميه وعلى المتكبرين والأعداء والخصوم. إذ يقول عنه بطرس الرسول(١):

٢:٢٢ الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ،

٢:٢٣ الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضاً وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ.

ويشرح خادم الرب وليم ماكدونالد تلك الآيات الكريمة، فيقول معلقاً:

"لم يتألم ربّنا من أجل خطاياه، وذلك لخلوّه من أية خطية. «لم يعرف خطية» (٢كو٥: ٢١)؛ ولم يفعل خطية (هذا العدد)، «وليس فيه خطية» (١يو٣: ٥). لم يكن كلامه مشوبًا مرة بمكر. فهو لم يكذب أبدًا، ولا حتى سعى إلى تغطية الحق. فكّر في هذا! شخص عاش على هذه الأرض حياة مستقيمة كليًا وخالية من الغش أو المكر. كان صبورًا عند استفزازه، فإذ شُتم، لم يكن يشتم عوضًا، وعندما وُجِّهت إليه الملامات، لم يَردّ، وعند اتهامه، لم يدافع عن نفسه. كان متحرِّزًا بشكل رائع من شهوة تبرير الذات. لقد كتب أحدهم ما يلي: إنها لَعِلاقة على أعمق وأصدق تواضع، أن نرى أنفسنا مدانين بلا سبب، ونلزم الصمت على الرغم من هذا كلّه. فبقاؤنا صامتين عندما تنهال علينا الإهانات والإساءات، يشكل تمثُّلاً نبيلاً بربّنا. عندما نتذكر ما عاناه من آلام على أنواعها، وهو الذي لم يكن يستحقها البتة، فكيف نفكِّر بعد في الدفاع عن أنفسنا أو تبريرها؟ وإذ تألّم لم يكن يهدّد. "لم يخرج من لسانه الصامت أية كلمة فظّة، أو تتضمّن تهديدًا". ولعل مهاجميه أساؤوا فهم صمته هذا، إذ اعتبروه ضعفا. فلو جرّبوا ذلك بأنفسهم، لاكتشفوا أنه ما كان ضعفًا، بل قوة خارقة. ماذا كان معتمده الخفي الذي جعله يحتمل كل هذا الظلم؟ لقد وثق بالله الذي يقضي بعدل. ونحن كذلك مدعوون إلى اتباع هذا النهج عينه: «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحبّاء بل أعطوا مكانًا للغضب. لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوّك فأطعمه. وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبنك الشر بل أغلب الشر بالخير» (رو١٢: ١٩-٢١)". انتهى.

١- الآيتان:٢٢ وَ ٢٣ - الإصحاح الثاني ، رسالة بطرس الأولى ، الكتاب المقدس.

لقد وصف الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، السيد المسيح بأنه حليم وَ وديع. فهو لا يخاصم ولا يصيح ولا يعلو صوته، كما تنبأ بذلك عنه اشعياء النبي في سفره(١)، فيقول:

٤٢:١ هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ.

٤٢:٢ لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ.

٤٢:٣ قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ.

٤٢:٤ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ.

وقد أشار البشير متى إلى تلك النبوءة في الإنجيل المقدس(٢)، فقال:

١٢:١٧ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ:

١٢:١٨ «هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ.

١٢:١٩ لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ.

١٢:٢٠ قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ.

١٢:٢١ وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ».

ويعلق خادم الرب بنيامين بنكرتن على الآيات السابقة بقوله: "«هوذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سُرت به نفسي» (عدد ١٨) «فتاي» معناها «عبدي» أو «خادمي». كان لله عبيد قبل حضور ابنه في الجسد، وأكملوا كل واحد خدمته بحسب النعمة المُعطاة له. غير انه لم يجد سروره الكامل في أحد منهم. ولكن لما وقف أمامه ابنه الحبيب في صورة عبد وصفة خادم. كاملاً في شخصه، ومُظهرًا الكمالات الإلهية في خدمته سُرت به نفسه سرورًا تامًا، وشهد له أنه هو مُختاره وحبيبه. «أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق» (أي «دينونة» حسب الأصل) فهو قد مُسح بالروح القدس (إصحاح ٣:١٦) لكل خدمة إن كانت للخلاص أو للدينونة (اشعياء ٦١:١، ٢؛ أعمال الرسل ١٠:٤٢، ٤٣). وإذ قد رُفِضَ كالملك من إسرائيل تحول إلى الأمم ليُخبرهم بأمر الدينونة مخلصًا منها الذين يلجأون إليه منهم (تسالونيكي الأولى ١:١٠).«لا يُخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته» (عدد ١٩) هذا من جهة تصرفه في خدمته مدة النعمة إذ أنه يُكمل خدمته بغاية الحلم والتواضع كما قيل «الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضًا. وإذ تألم لم يكن يهدد. بل كان يُسلم لمن يقضي بعدل» (بطـرس الأولـى٢:٢٣). كان ذلك

١- الآيات:١ إلى ٤ - الإصحاح الثاني والأربعون ، سفر اشعياء ، الكتاب المقدس.

٢- الآيات:١٧ إلى ٢١ - الإصحاح الثاني عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

الوقت وقت إظهار النعمة لا إجراء القضاء فتصرف كما يليق بذلك. وأما في مجيئه ثانية ليدين أعداءه فلا يتصف بهذه الصفة، بل سيرجف السماء والأرض حينئذ بصوته كقول النبي «والرب من صهيون يُزمجر، ومن أورشليم يعطي صوته فترجف السماء والأرض» (يوئيل ٣:١٦). «قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة مُدخنة لا يُطفئ» (عدد ٢٠) هذا من جهة رقته ولطفه في خدمته من نحو المُحتاجين إليها، فإن القصبة المرضوضة عبارة عن المُنسحق الروح، فمثل هؤلاء يُعاملهم بغاية اللطف. ويُجبرهم ولا يقصفهم. والفتيلة المُدخنة هي التي كادت تنطفئ إذ قد فرغ زيتها فما عادت تشتعل ولكنها تُدخن. وهذه عبارة عن النفوس المسكينة التي صارت مقطوعة الرجاء تقريبًا. فكم من الذين كانوا على هذه الحالة ولكن افتقدهم المسيح وأحيا رجاءهم ومنحهم ما كانوا ينتظرونه عبثًا من غيره! قابل هذا مع صفات الذين يُطوبهم المسيح (إصحاح ٥:٣-١٢) والذين يدعوهم إليه لأجل الراحة (إصحاح ١١:٢٨) فضلاً عن جماهير الذين كانوا مُصابين بأمراض وأرواح شريرة وانقطع عنهم الرجاء وشفاهم المسيح. ولا تزال الخدمة المسيحية الحقيقية تتصف بالحلم والتواضع مادام الرب يقول «في وقت مقبول سمعتك، وفي يوم خلاص أعنتك، هوذا الآن يوم خلاص» (كورنثوس الثانية ٦:٢) حتى يخرج الحق (الدينونة) إلى النصرة أي أنه يستمر على الحلم والنعمة نحو الجميع إلى وقت إجراء الدينونة كما قيل «قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل. يتقد غضبه» (مزمور ٢:١٢) هذا هو نصيب الذين يرفضونه. «وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» (عدد ٢١). إن العبارة الواردة هنا في الأعداد من(١٨-٢١) هي مقتبسة من (إشعياء ٤٢:١-٤) بالمعنى لا بالحرف. وهي في ألفاظها أقرب إلى الترجمة السبعينية منها إلى الأصل العبراني وفي الاقتباس هنا تُركت الجملة الأولى من العدد الرابع. وهذا العدد في الترجمة العربية هو «لا يكل ولا ينكسر حتى يصنع الحق (الدينونة) في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته» وهذا الجزاء الأخير هو بحسب الترجمة السبعينية «وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» كما اقتبسه مَتَّى البشير. وقصد الوحي من اقتباسه هذه العبارة كلها: أولاً- أن يصف خدمة المسيح في مدة تواضعه الآن كما تقدم. ثانيًا- أن يُصرح بحقيقة إجراء القضاء على يد المسيح عندما ينتهي زمان النعمة". انتهى.

المسيح الطبيب الطيب:

من افضل الجمل والعبارات التي تصف السيد المسيح في تعامله مع الناس وفي مجتمعه تلك التي وردت على لسان بطرس الرسول، حيث وصف السيد المسيح قائلاً:

"يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْراً وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ(١)".

١- الآية: ٣٨- الإصحاح العاشر ، أعمال الرسل، الكتاب المقدس.

كان الجدول اليومي للسيد المسيح ملئ بالزيارات المتكررة و التجوال الحثيث هنا وهناك من أجل البحث عن المحتاجين والمتألمين والخُطاة والمرضى. كل ذلك صنعه من أجل أن يبادر هو شخصياً بمد يد العون لهم صانعاً الخير الجزيل والشفاء الروحي والنفسي والجسدي. لقد جسَّد السيد المسيح معنى الخير قولاً وفعلاً وبشكل جامع وشامل. فالخير الذي عمله و صنعه لم يكن له حدود. فالخير الذي نعنيه هو العمل الجميل والطيب والخُلُق الحسن و المحبة. أيضاً قدم مساعدته للآخرين روحياً ومعنوياً ونفسياً. وقد جذبت تصرفاته العظيمة تلك الشعب فاتبعته، مما جعل الفرد منهم يتملكه الإحساس بالسعادة والراحة والسلام. و هو ما عكس بدوره وبشكل إيجابي وجلي محبة وتقدير واحترام المجتمع له، على اختلاف شرائحه المتنوعة. ومن أعمال السيد المسيح أيضاً الشفاء والعلاج الجسدي لكل من يعرفه أو لا يعرفه، البعيد والقريب، الرجل والمرأة، الطفل والشيخ، الفقير والغني، العالم والجاهل، العدو والصديق، المؤمن به وغير المؤمن. وقد شفى جميع المرضى المصابين بالعمى وَ بالشلل وَ بالصمم وَ بالخرس وَ بالعرج، وأي نوع آخر من المرض. أيضاً شفى المسيح من كان بهم روح نجس.

كل أعمال السيد المسيح الخيرة والطيبة كانت ناتجة عن إحساسه العميق وشعوره الداخلي بمسؤوليته الأبوية تجاه ابنائه البشر. ولقد كان دافعه الوحيد لعمل ذلك الخير كله هو الحنو والمحبة القلبية لجميع البشر بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو الدينية. وقد ذكر لنا الإنجيل المقدس حنو ومحبة المسيح الفياضة، فيقول البشير متى: "فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعاً كَثِيراً فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ(١)". وقد دعا السيد المسيح جميع البشر إلى الإيمان به من أجل أن يريحهم من التعب والعناء النفسي والروحي الناتج من ثقل الخطية والذنوب، فقال يخاطب البشرية جمعاء:" تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ(٢)".

أن سمو أخلاق المسيح عالية جداً، فلم ولن يعلوها خُلُق أي شخص آخر في جميع اصقاع الأرض، وهذا ما أكده لنا التاريخ. فمع أنه سيد البشر وخالقهم، إلا أنه جاء شخصياً لِيَخْدِمَهُمْ لا أن يخدموه هم، فقال: "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ»(٣)". بل جاء أيضاً لِيَفْدِيَهُم بما هو أغلى ما عنده وليس أن يفدوه هم. لأن الإنسان لا يستطيع أن يفدي نفسه مهما أوتى من مال أو قوة. بل الفادي هو الخالق. لذا قال المسيح:" لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟(٤).

١- الآية:١٤ - الإصحاح الرابع عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٢- الآية:٢٨ - الإصحاح الحادي عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٣- الآية:٤٥ - الإصحاح العاشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.
٤- الآية:٢٦ - الإصحاح السادس عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

المسيح المتواضع

دعانا الرب يسوع إلى الخدمة بتواضع، والتعلم منه لأنه هو المعلّم الصالح المتصف بالوداعة و التواضع، فقال:" اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ(١)**".**
و قال أيضاً:" مَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ(٢)**".**

تواضع المسيح المميز وَ وداعته الفائقة وأخلاقه السامية تعد مضرب الأمثال لكل من أراد تقويم نفسه و تهذيبها ليعيش بتواضع ووداعة سواء مع خالقه أو مع الناس أو مع نفسه. فمن أهم أهداف إتباع السيد المسيح المتواضع والوديع، و تبني نهجه القويم، وقبوله مخلص شخصي لحياة أي فرد هو للحصول على ضمان نيل الراحة النفسية والروحية، وكذلك نوال الطمأنينة للنفس المتعطشة للبر والقداسة والسلام. فالسلام الذي يعطيه الرب لمن يتبعه ويقبله كمخلص شخصي له في هذه الحياة هو سلام دائم و مضمون. ذلك السلام الذي لم يقدر أحد منذ بزوغ التاريخ أن يعطيه لأتباعه سوى السيد المسيح، إذ قال له كل المجد: " «سلاَماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ(٣)**".**

لم يعش السيد المسيح بعيداً عن الناس وهمومهم، بل كان يعيش بكل تواضع في وسطهم، يشاركهم همومهم وآلامهم. لقد كان أيضاً يعلمهم و يحثهم على التوبة والإيمان به. فقد عاش مع الخطاة و العشارين. ويدون لنا الإنجيل المقدس(٤) قيام السيد المسيح بكل تواضع بتعليم و حث الخطاة على التوبة بينما هو في وسطهم. فذات مرة دعاه لاوي بن حلفي - متى العشار- إلى بيته فاستجاب المسيح لدعوته تلك. وقد ذهب إلى هناك وجلس جنباً إلى جنب مع الخطاة والعشارين:

٢:١٣ ثُمَّ خَرَجَ أَيْضاً إِلَى الْبَحْرِ وَأَتَى إِلَيْهِ كُلُّ الْجَمْعِ فَعَلَّمَهُمْ.

٢:١٤ وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى لاَوِيَ بْنَ حَلْفَى جَالِساً عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ.

٢:١٥ وَفِيمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِهِ كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَتَّكِئُونَ مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ لأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرِينَ وَتَبِعُوهُ.

٢:١٦ وَأَمَّا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ يَأْكُلُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ: «مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟»

١-الآية:٢٩ - الإصحاح الحادي عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٢-الآية:١٢ - الإصحاح الثالث والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٣-الآية:٢٧ - الإصحاح الرابع عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.
٤-الآيات:١٣ إلى ١٧ - الإصحاح الثاني ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.

٢:١٧ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ».

كما أنه لم يجرؤ أي قائد على مر العصور أن يقوم وبكل تواضع بغسل أرجل تلاميذه كما فعل السيد المسيح. حيث قام بدور العبد الخادم واتزر ثم غسل أرجل تلاميذه و جففها بمنشفة. إنها قمة التواضع، خاصة عندما نعلم أن الذي فعل ذلك ما هو إلا الخالق الذي غسل و جفف أرجل مخلوقيه. أنه الرب يسوع المسيح ولا سواه. ويدون لنا الإنجيل المقدس[١] هذه الحادثة العظيمة، فيقول البشير يوحنا:

١٣:٢ فَحِينَ كَانَ الْعَشَاءُ وَقَدْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ أَنْ يُسَلِّمَهُ

١٣:٣ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجَ وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي

١٣:٤ قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا

١٣:٥ ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِراً بِهَا.

١٣:٦ فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: «يَا سَيِّدُ أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!»

١٣:٧ أَجَابَ يَسُوعُ: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ».

١٣:٨ قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَداً!» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ».

المسيح المحب الغفور

المحبة هي قلب الإنجيل و صفة لصيقة و ذاتية للرب يسوع المسيح. إذ لم يستطع أي شخص آخر في العالم كله على مر العصور و الأزمنة في تجسيد المحبة والغفران قولاً و فعلاً سوى الرب يسوع المسيح له كل المجد، فقد جسد تلك المحبة و الغفران في نفسه و أفعاله و تصرفاته و سلوكه بشكل طبيعي و تلقائي. ففي موعظته على الجبل[٢] قال السيد المسيح للجموع:

٥:٤٣ «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ.

٥:٤٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ

١- الآيات:٢ إلى ٨ - الإصحاح الثالث عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٢- الآيتان:٤٣ وَ ٤٤ - الإصحاح الخامس ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

قلب الرب يسوع المسيح كله مليء بالمحبة والحنو تجاه الجنس البشري. فمهما اخطأ هذا الشخص أو ذاك نحو المسيح فلم يكن في قلبه سوى المحبة والغفران تجاههم. و لم يكن المسيح يعامل المرأة بازدراء مثلما يفعل ذلك أغلب قادة الأديان، بل أن قلبه كاد يتفطر حزناً وألماً عندما أتوا إليه بامرأة قيل أنها زنت. فهو لم يقم بإدانتها، بل غفر لها و أمرها بالتوبة وعدم الرجوع لذات الفعل مرة ثانية. ويسجل لنا الإنجيل المقدس(١) هذه الحادثة الإنسانية العظيمة، فيقول يوحنا البشير:

٨:١ أَمَّا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ.

٨:٢ ثُمَّ حَضَرَ أَيْضاً إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ.

٨:٣ وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِناً. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسَطِ

٨:٤ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ

٨:٥ وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟»

٨:٦ قَالُوا هَذَا لِيُجَرِّبُوهُ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ.

٨:٧ وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!»

٨:٨ ثُمَّ انْحَنَى أَيْضاً إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ.

٨:٩ وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ خَرَجُوا وَاحِداً فَوَاحِداً مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسَطِ.

٨:١٠ فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَداً سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟»

٨:١١ فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ يَا سَيِّدُ». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضاً».

وتتجلى عظمة محبة المسيح وغفرانه حتى لأعدائه وهو في قمة الآلام معلقاً على عود الصليب. فلم يدخل في قلب السيد المسيح قدر أنملة من كراهية أو حقد تجاه من قبضوا عليه واقتادوه إلى الصليب. بل انعكست محبته لهم بشكل فعلي إلى درجة أنه طلب من الآب السماوي أن يغفر لهم لأنهم كانوا يجهلون ما يفعلون. وقد سطر لنا الإنجيل المقدس(٢) هذا الحدث الرهيب، فيقول البشير لوقا:

١- الآيات:١ إلى ١١ من الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.
٢- الآيات:٣٢ إلى ٣٤ - الإصحاح الثالث والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

٢٣:٣٢ وَجَاءُوا أَيْضاً بِاثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مُذْنِبَيْنِ لِيُقْتَلاَ مَعَهُ.

٢٣:٣٣ وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى «جُمْجُمَةَ» صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ وَاحِداً عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ.

٢٣:٣٤ فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا.

هذه قمة المحبة و الغفران وبأحلى وأبهى وأجلى صورها. فلم يسجل لنا التاريخ شخص محب و غفور رحيم أحب العالم مثل الرب يسوع المسيح. في الحقيقة يمكن إيجاز رسالة و عمل المسيح على الأرض في آية واحدة من الإنجيل المقدس، وهي(١):"لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**".**

المسيح رئيس السلام وَ رب القداسة

السيد المسيح هو رئيس السلام الذي تنبأ عنه اشعياء النبي(٢). فالرب يسوع لم يستعمل بتاتاً أي قوة أرضية من أجل الكرازة بالإنجيل. بل أنه القادر على كل شيء، فعندما أرسل الرسل للكرازة أوصاهم جميعاً أن يبدؤا بالسلام على كل بيت يدخلونه. فإن كان أهل ذلك البيت مستحق لهذا السلام وقبلوا الإيمان به كانوا أهلاً لذلك السلام. بخلاف ذلك أمرهم أن يخرجوا من ذلك البيت نافضين غبار أرجلهم منه. الله المحب قدير على نشر كلمته بالمحبة والسلام وليس باستعمال العنف و السيف والرماح. فتعاليم الرب يسوع هي التي خلقت صُنَّاع السلام في العالم وعلى مدى الدهور والأزمنة. أما ما قام به الصليبيون في العصور الوسطى من حروب فهي مخالفة صريحة لتعاليم السيد المسيح التي تنبذ العنف جملة وتفصيلاً. والإنجيل المقدس(٣) يشهد بذلك:

١٠:١١ «وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ دَخَلْتُمُوهَا فَافْحَصُوا مَنْ فِيهَا مُسْتَحِقٌّ وَأَقِيمُوا هُنَاكَ حَتَّى تَخْرُجُوا.

١٠:١٢ وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ

١٠:١٣ فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقّاً فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقّاً فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ.

١٠:١٤ وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَاخْرُجُوا خَارِجاً مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ.

١- الآية:١٦- الإصحاح الثالث ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٢- الآية:٦ - الإصحاح التاسع ، سفر اشعياء: " لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ".

٣- الآيات:١١ إلى ١٥ - الإصحاح العاشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

١٠:١٥ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ.

لقد أمر الرب يسوع جميع رسله بأن يكرزوا بالإنجيل بالوسائل والطرق السلمية وحسب، إذ لم يأمر أو يوصي باستخدام العنف البتة. والوسائل السلمية التي أمرهم المسيح الأخذ بها هي(١):

١٠:٧ وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ.

١٠:٨ اشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصاً. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّاناً أَخَذْتُمْ مَجَّاناً أَعْطُوا.

١٠:٩ لاَ تَقْتَنُوا ذَهَباً وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاساً فِي مَنَاطِقِكُمْ

١٠:١٠ وَلاَ مِزْوَداً لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصاً لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِقٌّ طَعَامَهُ.

لقد زود السيد المسيح جميع رسله، قبل القيام بمهمة الكرازة والتبشير باقتراب ملكوت الله، بأسلحة جبارة لم تستطع ولن تقدر أي دولة من دول العالم على الحيازة عليها أو تزويد جنودها بها، لأن فاقد الشي لا يعطيه. وفيما يلي أسلحة المسيح في جذب النفوس العطشانة للبر:

سلاح المحبة والسلام، سلاح شفاء المرضى، سلاح تطهير البرص، سلاح إقامة الموتى، سلاح إخراج الشياطين، سلاح عدم النهب و السلب، سلاح عدم اقتناء أي شيء من حطام هذه الدنيا من ذهب أو فضة أو نحاس وما شاكلها، و سلاح العطاء الفياض للبشر دون مقابل منهم. ذلك العطاء المجاني الموهوب لنا من خالق الكون.

أيضاً لم يستخدم الرب يسوع أي نوع من الإغراءات الرخيصة لإقناع الناس للإيمان به. فمثلاً لا توجد جنة فيها نساء لغرض المتع الجنسية، ولا حدائق أوأشجار لغرض إمتاع النظر وكذلك لا توجد مشروبات أو اطعمة لإشباع البطن. فحسب الإيمان المسيحي لا توجد مثل تلك الأشياء المادية أو الحسية في السماء. بل أن السماء ستكون محطة نهائية للمؤمنين للعيش والحياة فيها بقداسة مع الرب يسوع، ذلك أن الرب قدوس ولا يحب إلا القداسة. المؤمن سيكون مثل الملائكة في التسبيح و التمجيد لرب الأرباب وملك الملوك. وقد ورد في الإنجيل المقدس(٢) ما يؤكد ذلك:

١٢:١٨ وَجَاءَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الصَّدُّوقِيِّينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ وَسَأَلُوهُ:

١٢:١٩ «يَا مُعَلِّمُ كَتَبَ لَنَا مُوسَى: إِنْ مَاتَ لأَحَدٍ أَخٌ وَتَرَكَ امْرَأَةً وَلَمْ يُخَلِّفْ أَوْلاَداً أَنْ يَأْخُذَ أَخُوهُ امْرَأَتَهُ وَيُقِيمَ نَسْلاً لأَخِيهِ.

١- الآيات:٧ إلى ١٠ - الإصحاح العاشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٢- الآيات:١٨ إلى ٢٥ - الإصحاح الثاني عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.

١٢:٢٠ فَكَانَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ. أَخَذَ الأَوَّلُ امْرَأَةً وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ نَسْلاً.

١٢:٢١ فَأَخَذَهَا الثَّاني وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ هُوَ أَيْضاً نَسْلاً. وَهَكَذَا الثَّالِثُ.

١٢:٢٢ فَأَخَذَهَا السَّبْعَةُ وَلَمْ يَتْرُكُوا نَسْلاً. وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضاً.

١٢:٢٣ فَفِي الْقِيَامَةِ مَتَى قَامُوا لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِلسَّبْعَةِ».

١٢:٢٤ فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ لِهَذَا تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللَّهِ؟

١٢:٢٥ لأَنَّهُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ.

المسيح لم يُكره ولم يُرغم الآخرين على تصديقه والإيمان به على الإطلاق. بل ان الذي جعل كل البشر على اختلاف لغاتهم والوانهم واعراقهم ودياناتهم ومنذ عشرين قرن من الزمن على الإيمان به وتصديقه وقبوله كمخلص وفادي وشفيع، والاعتراف بعمله الكفاري على الصليب كان بسبب أخلاقه العالية والراقية، وحنوه المميز على الناس، ومحبته الفياضة التي فاقت كل محبة، وغفرانه الكبير وخدمته ومساعدته للآخرين، وشفائه للمرضى بدون مقابل، و حلمه وصبره وصدقه مع الآخرين، إضافة إلى معجزاته التي أثبت وبرهن من خلالها للجميع أنه الآتي باسم الآب. تلك المعجزات التي لم يأت شخص قبله ولا بعده بمثلها. إضافة إلى وجود نبوءات عنه في الكتاب المقدس تنص عليه أنه هو المسيح، و بسبب سمو تعاليمه العظيمة التي تفوق تعاليم جميع البشر مهما ارتقت. هذا إضافة إلى خلو الرب يسوع المسيح من الخطية، حيث أنه القدوس ورب القداسة. فقد قال الرب يسوع عن نفسه متحدياً اليهود: " مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟(١)**"**

ويعلق مفسر الكتاب المقدس هلال أمين على قول المسيح في الآية السابقة، فيقول:

"من منكم يبكتني على خطية". يحمل هذا السؤال التحدي ليس للذين كانوا واقفين فقط – من اليهود في ذلك الوقت – بل للعالم أجمع. فتش الكثيرون في الأناجيل لكي يجدوا خطأ في حياته المباركة القدوسة وفشلوا، وفي وقوفه هكذا وحده قدوساً برهان على لاهوته لأن جميع البشر أخطأوا وأعوزهم مجد الله". انتهى.

١- الآية:٤٨ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

الباب السادس: علم المسيح

المسيح هو الحكمة

أن السيد المسيح هو اللوجوس(١) (الْكَلِمَةُ) الوارد في بدء إنجيل يوحنا(٢). والذي يعني باللغة اليونانية عقل الله الناطق أو نطق الله العاقل. فمعلوم أنه لا توجد في اللغة العربية كلمة مرادفة للكلمة اليونانية (اللوجوس) يمكن أن تعطي ذات المعنى و المدلول بكل أبعاده. فاللوجوس هو ذات الله والذي به خُلِق كل شيء. لذا عندما نذكر أن السيد المسيح كان يتحدث بأمور دينية أو دنيوية فنحن نقصد هنا أنه كان عالماً بها منذ الأزل. ذلك أن المسيح هو الله السرمدي(٣) أي الأزلي(٤) الأبدي(٥). فهو لم يكن يجهل أمر ما ثم علم به فيما بعد، أو طرأ عليه، أو أن علمه حادث، بل أنه كلي العلم. فهو الحي القيوم والعليم بكل شيء. فالله المثلث الأقانيم، الآب و الإبن والروح القدس هو الذي قد أوحى لجميع أنبيائه، وهكذا بدورهم دون انبياء الله ذلك الوحي في الكتاب المقدس، حيث قال بولس الرسول" كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ"(٦).

الله منبع ومصدر المعرفة والفهم والحكمة. وقد كلم الله موسى النبي قائلاً أنه قد منح صلئيل بن اوري بن حور(٧) روح الحكمة والفهم والمعرفة(٨):

٣١:١ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى:

٣١:٢ «انْظُرْ! قَدْ دَعَوْتُ بَصَلْئِيلَ بْنَ اورِي بْنَ حُورَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بِاسْمِهِ

٣١:٣ وَمَلَأْتُهُ مِنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ

والرب هو الذي قد وهب الملك سليمان الحكمة و الفهم، وقد قال ارميا النبي كاتب سفر الملوك: "وَأَعْطَى اللَّهُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَفَهْماً كَثِيراً جِدّاً وَرَحْبَةَ قَلْبٍ كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ(٩)". وهكذا اتصف الملك سليمان بالحكمة والفهم بسبب تلك العطية العظيمة التي حصل عليها من لدن الله الحكيم.

١- اللغة الأصلية التي كتب بها الإنجيل المقدس هي اللغة اليونانية.
٢- الآية:١ ، الإصحاح الأول ، إنجيل يوحنا: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةَ اللهَ".
٣- أي لا بداية لوجوده و لانهاية لوجوده.
٤- أي لا بداية لوجوده.
٥- أي لا نهاية لوجوده.
٦- الآية:١٦ - الإصحاح الثالث ، رسالة تيموثاوس الثانية، الكتاب المقدس.
٧- صلئيل بن أوري بن حور: لم يكن نبياً بل كان مكلف من الله بإنشاء خيمة الاجتماع.
٨- الآيات:١ إلى ٣ - الإصحاح الحادي والثلاثون ، سفر الخروج ، الكتاب المقدس.
٩- الآية:٢٩ - الإصحاح الرابع - سفر الملوك الأول ، الكتاب المقدس.

و نجد في أخبار الأيام(١) ما يفيد نفس المعنى: "قَدْ أَعْطَيْتُكَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً وَأُعْطِيكَ غِنىً وَأَمْوَالاً وَكَرَامَةً لَمْ يَكُنْ مِثْلُهَا لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ قَبْلَكَ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهَا لِمَنْ بَعْدَكَ". وفي سفر الأمثال(٢) يقول سليمان الحكيم:" لأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِي حِكْمَةً. مِنْ فَمِهِ الْمَعْرِفَةُ وَالْفَهْمُ". فالله هو منشأ العلم والمعرفة والحكمة. بل ان المسيح نفسه هو الحكمة - أقنوم الحكمة - الذي أشار إليه الملك سليمان في سفر الأمثال(٣):

٨:١٢ «أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الذَّكَاءَ وَأَجِدُ مَعْرِفَةَ التَّدَابِيرِ.

٨:١٣ مَخَافَةُ الرَّبِّ بُغْضُ الشَّرِّ. الْكِبْرِيَاءَ وَالتَّعَظُّمَ وَطَرِيقَ الشَّرِّ وَفَمَ الأَكَاذِيبِ أَبْغَضْتُ.

٨:١٤ لِي الْمَشُورَةُ وَالرَّأْيُ. أَنَا الْفَهْمُ. لِي الْقُدْرَةُ.

٨:١٥ بِي تَمْلِكُ الْمُلُوكُ وَتَقْضِي الْعُظَمَاءُ عَدْلاً.

٨:١٦ بِي تَتَرَأَّسُ الرُّؤَسَاءُ وَالشُّرَفَاءُ كُلُّ قُضَاةِ الأَرْضِ.

٨:١٧ أَنَا أُحِبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَنِي وَالَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي.

٨:١٨ عِنْدِي الْغِنَى وَالْكَرَامَةُ. قِنْيَةٌ فَاخِرَةٌ وَحَظٌّ.

٨:١٩ ثَمَرِي خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ وَمِنَ الإِبْرِيزِ وَغَلَّتِي خَيْرٌ مِنَ الْفِضَّةِ الْمُخْتَارَةِ.

٨:٢٠ فِي طَرِيقِ الْعَدْلِ أَتَمَشَّى فِي وَسَطِ سُبُلِ الْحَقِّ

٨:٢١ فَأُوَرِّثُ مُحِبِّيَّ رِزْقاً وَأَمْلأُ خَزَائِنَهُمْ.

٨:٢٢ «اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ.

٨:٢٣ مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ مُنْذُ الْبَدْءِ مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ.

٨:٢٤ إِذْ لَمْ يَكُنْ غَمْرٌ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ.

٨:٢٥ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ التِّلاَلِ أُبْدِئْتُ.

٨:٢٦ إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الأَرْضَ بَعْدُ وَلاَ الْبَرَارِيَّ وَلاَ أَوَّلَ أَعْفَارِ الْمَسْكُونَةِ.

٨:٢٧ لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ أَنَا. لَمَّا رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ.

٨:٢٨ لَمَّا أَثْبَتَ السُّحُبَ مِنْ فَوْقُ. لَمَّا تَشَدَّدَتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ.

٨:٢٩ لَمَّا وَضَعَ لِلْبَحْرِ حَدَّهُ فَلاَ تَتَعَدَّى الْمِيَاهُ تُخْمَهُ لَمَّا رَسَمَ أُسُسَ الأَرْضِ

١- الآية:١٢ - الإصحاح الأول - سفر أخبار الأيام الأول، الكتاب المقدس.

٢- الآية:٦ - الإصحاح الثاني - سفر الأمثال، الكتاب المقدس.

٣- الآيات:١ إلى٣٠ - الإصحاح الثامن - سفر الأمثال ، الكتاب المقدس. لاحظ أخي القارئ الآية ٢٣ و كيف أن الله مسح الحكمة وذلك صفة للمسيح نفسه. لاحظ أيضاً آخر آية (العدد ٣٠) من هذا الإصحاح وكيف أن الحكمة كان هو الصانع (الخالق).

٨:٣٠ كُنْتُ عِنْدَهُ صَانِعاً وَكُنْتُ كُلَّ يَوْمٍ لَذَّتَهُ فَرِحَةً دَائِماً قُدَّامَهُ.

والمسيح هو حكمة الله - أقنوم الحكمة - الذي أشار إليه بولس الرسول في كورنثوس(١):" وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُوداً وَيُونَانِيِّينَ فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ**". ويقول عنه أيضاً في الرسالة إلى أهل رومية(٢):**

١٦:٢٦ وَلَكِنْ ظَهَرَ الآنَ وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الأُمَمِ بِالْكُتُبِ النَّبَوِيَّةِ حَسَبَ أَمْرِ الإِلَهِ الأَزَلِيِّ لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ

١٦:٢٧ للهِ الْحَكِيمِ وَحْدَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.

وفي كورونثوس يصف بولس الرسول(٣) السيد المسيح، فيقول: " وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرّاً وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً**".**

ويصف الرسول يعقوب(٤) الرب يسوع المسيح – أقنوم الحكمة – بالوداعة، فيقول:" مَنْ هُوَ حَكِيمٌ وَعَالِمٌ بَيْنَكُمْ فَلْيُرِ أَعْمَالَهُ بِالتَّصَرُّفِ الْحَسَنِ فِي وَدَاعَةِ الْحِكْمَةِ**".**

ويعلق مفسر الإنجيل المقدس وليم ماكدونالد على هذه الآية الكريمة، فيقول شارحاً:

"يبحث يعقوب، في هذه الآيات، الفرق بين الحكمة الحقيقية والحكمة الكاذبة. وعندما يتكلّم عن الحكمة، لا يقصد بذلك مقدار ما عند الإنسان من معرفة، بل كيف يعيش من يوم إلى يوم. ليس حيازة المعرفة هو المهم، بل تطبيقها الصحيح. ولنا في ذلك صورة الرجل الحكيم حقًا. ففي الواقع، هذا الرجل هو الرب يسوع؛ إنه الحكمة المجسَّدة (مت١١: ١٩؛ ١كو١: ٣٠). ولكن الإنسان الحكيم أيضًا هو الذي يُظهر حياة المسيح، ويُنتج ثمر الروح (غل٥: ٢٢، ٢٣). كما لدينا صورة الرجل صاحب الحكمة العالمية؛ إنه يتصرَّف بموجب مبادئ هذا العالم، فيجسِّم جميع الصفات التي يُعظِّمها الناس، ولا يدل سلوكه البتة على حياة سماوية مقدسة في الداخل. إن كان إنسانًا حكيمًا وعالمًا، فسوف يبرهن ذلك بالتصرف الحسن مع الروح الوديع الناتج من الحكمة. والرب يسوع، تجسيد الحكمة الحق، ما كان متكبِّرًا أو متشامخًا، بل كان وديعًا ومتواضع القلب (مت١١: ٢٩). إذًا، التواضع الحقيقي هو العلامة المميّزة لجميع الحكماء فعلاً". انتهى.

١- الآية:٢٤ - الإصحاح الأول - الرسالة الأولى لأهل كورنثوس، الكتاب المقدس.
٢- الآيتان:٢٦ وَ ٢٧ - الإصحاح السادس عشر ، رسالة بولس الرسول لأهل رومية، الكتاب المقدس.
٣- الآية:٣٠ - الإصحاح الأول - الرسالة الأولى لأهل كورنثوس، الكتاب المقدس.
٤- الآية:١٣ - الإصحاح الثالث ، رسالة يعقوب، الكتاب المقدس.

ويصف بولس الرسول، وهو المطلع الفاهم على كتب أنبياء العهد القديم، الرب يسوع المسيح فيقول عنه في الرسالة إلى أهل كولوسي(١): "الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ".

ويشرح خادم الرب وليم ماكدونالد هذه الآية ، فيقول:

"في المسيح، مذخَّر جميع كنوز الحكمة والعلم. لقد كان الغنوسيون يتباهون بما لديهم من إدراك وفهم يفوق بكثير، في نظرهم، كل ما تحتوى عليه صفحات الإعلان الإلهي. كانوا يعتقدون أنَّ لديهم حكمة إضافيَّة فوق ما لدى المسيح أو لدى المسيحية. لكنَّ بولس يصرِّح هنا أنّ جميع كنوز الحكمة والعلم هي مذخَّرة في المسيح، الرأس. لذا لا داعي للمؤمنين أن يتخطّوا ما هو مكتوب في الكتاب المقدس. إنَّ ما في المسيح من كنوز لهو مخفيٌّ عن غير المؤمن؛ وحتى المؤمن نفسه يلزمه أن يعرف المسيح بشكل حميم حتى يستطيع أن يحصل عليها. المسيح هو في المؤمن باعتباره الرأس، والمحور، والمورد. إنَّه بفضل اتّساع مدى غناه الذي لا يُستقصى، وبفضل عظمته اللاّ محدودة والفائقة الوصف، وعلى أساس ما هو عليه في جوهره بصفته الله، بالإضافة إلى ما أنجزه في الخلق وفى الفداء، وفى ضوء أمجاده الشخصية، والأدبية والوظيفيَّة؛ بفضل هذه جميعها يشتِّت أجناد المدَّعين، والمؤلّفين، والوسطاء الروحيِّين، والنُّقَّاد وسائر الذين يجتمعون ضده، ويتفوّق عليهم أجمعين. (شذرة مُختارة) إنَّ أوّل ما يظهر للعين أوّل وهلة هو أقل بكثير مِمَّا يحتوي هذا العدد. فكلّ العلم مذخَّر في المسيح. إنَّه الحق متجسّدًا، وهو القائل: «أنا هو الطريق، والحق، والحياة». ولا شيء من الحق يتعارض البتَّة مع كلماته أو أعماله. أمّا الفرق بين العلم والحكمة، فغالبًا ما تمّ تفسيره على النحو التالي: العلم هو فهم الحق، أمَّا الحكمة فتشير إلى القدرة على اتِّباع الحق الذي جرى تعلُّمه". انتهى.

ولأن السيد المسيح هو اقنوم الحكمة فهو القادر أن يهب الحكمة لمن شاء، فيقول له كل المجد :" لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَماً وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا"(٢). وقال السيد المسيح أيضاً يصف نفسه المبارك:" وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا"(٣).

ويعلق خادم الرب وليم ماكدونالد على تلك الآية، فيقول شارحاً:" «والحكمة تبرّرت من جميع بنيها». إن الحكمة تمثّل هنا المخلّص نفسه. وبنوها هم تلاميذ الرب الذين يكرمونه، والذي لا يشكّلون سوى أقلّية. فالجموع قد ترفض الرب يسوع، إلاّ أن أتباعه الحقيقيين سيبررونه (يُعلِنون برَّه) بحيواتهم المتَّسمة بالمحبة، والقداسة، والوفاء لشخصه". انتهى.

١- الآية:٣ - الإصحاح الثاني - رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي، الكتاب المقدس.

٢- الآية:١٥ - الإصحاح الواحد والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه لوقا البشير.

٣- الآية:٣٥ - الإصحاح السابع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

المسيح يعلم ما تخفي النفوس

الله كلي العلم والمعرفة، فهو يعلم حتى ما يجول في خواطرنا وما تفكر به أنفسنا أو ما تنطوي عليه نوايانا وسرائرنا، سواء كان ذلك خيراً أم شراً. الرب يسوع القدوس هو العليم بما في النفوس. فهو لم يكن يخمن أو يظن بما يفكره الناس أو يخالجهم من أفكار أو نوايا. بل أنه كان يعلمها يقيناً منذ الأزل، فهو خالقهم وجابلهم والمطلع على القلوب والأفكار والنوايا. ويدون لنا الإنجيل المقدس بعض الأمثلة لحالات قام فيها الرب يسوع المسيح بإظهار وَ كشف مكنونات وخفايا ونوايا النفوس(١)، فيقول البشير متى:

٩:٢ وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحاً عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ».

٩:٣ وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هَذَا يُجَدِّفُ!»

٩:٤ فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ فَقَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟

ويدون البشير مرقس نفس الحادثة(٢)، فيقول:

٢:٥ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ».

٢:٦ وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ:

٢:٧ «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟»

٢:٨ فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟

الرب يسوع علم ما بفكر تلاميذه بشأن الخبز المتبقي من معجزة إطعام الجموع(٣)، ويقول متى البشير:

١٦:٥ وَلَمَّا جَاءَ تَلاَمِيذُهُ إِلَى الْعَبْرِ نَسُوا أَنْ يَأْخُذُوا خُبْزاً.

١٦:٦ وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «انْظُرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ».

١٦:٧ فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنَّنَا لَمْ نَأْخُذْ خُبْزاً».

١٦:٨ فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ أَنَّكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا خُبْزاً؟

١- الآيات:٢ إلى ٤ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه متى البشير.
٢- الآيات:٥ إلى ٨ - الإصحاح الثاني ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.
٣- الآيات:٥ إلى ٨ - الإصحاح السادس عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

الرب يسوع المسيح هو كلي العلم. ومعنى ذلك أنه كان عليم أيضاً بمعرفة أي قوة كانت تخرج منه أو من ثيابه. بل أن له القدرة والعلم الأكيد بهوية ذلك الشخص ونياته. الإنجيل المقدس يدون لنا حالة من تلك الحالات العجيبة. ففي أحد المرات وبينما كان الرب يسوع يمشي مع أحد رؤساء المجمع أسمه يايرس، وذلك من أجل شفاء ابنته التي كانت توشك على الموت، أو إنها بالفعل قد ماتت، تبعه جموع غفيرة من الناس فكانوا يزحمونه. وفي خوض ذلك الزحام و الجموع الكثيرة التي كانت تحيط بشخصه المبارك من كل جانب، فبكل تأكيد الكثير منهم قد لمس ثيابه. علم الرب يسوع المسيح أنه من بين أولئك كان أحدهم على وجه الخصوص كانت له نية الحصول على العلاج و الشفاء من خلال لمس ثوبه. وقد كشف السيد المسيح هويتها(١)، ويقول البشير مرقس:

٥:٢٤ فَمَضَى مَعَهُ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانُوا يَزْحَمُونَهُ.

٥:٢٥ وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً

٥:٢٦ وَقَدْ تَأَلَّمَتْ كَثِيراً مِنْ أَطِبَّاءَ كَثِيرِينَ وَأَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا وَلَمْ تَنْتَفِعْ شَيْئاً بَلْ صَارَتْ إِلَى حَالٍ أَرْدَأَ

٥:٢٧ لَمَّا سَمِعَتْ بِيَسُوعَ جَاءَتْ فِي الْجَمْعِ مِنْ وَرَاءٍ وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ

٥:٢٨ لأَنَّهَا قَالَتْ: «إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ».

٥:٢٩ فَلِلْوَقْتِ جَفَّ يَنْبُوعُ دَمِهَا وَعَلِمَتْ فِي جِسْمِهَا أَنَّهَا قَدْ بَرِئَتْ مِنَ الدَّاءِ.

٥:٣٠ فَلِلْوَقْتِ الْتَفَتَ يَسُوعُ بَيْنَ الْجَمْعِ شَاعِراً فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَالَ: «مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟»

٥:٣١ فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «أَنْتَ تَنْظُرُ الْجَمْعَ يَزْحَمُكَ وَتَقُولُ مَنْ لَمَسَنِي؟»

٥:٣٢ وَكَانَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ لِيَرَى الَّتِي فَعَلَتْ هَذَا.

٥:٣٣ وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَجَاءَتْ وَهِيَ خَائِفَةٌ وَمُرْتَعِدَةٌ عَالِمَةً بِمَا حَصَلَ لَهَا فَخَرَّتْ وَقَالَتْ لَهُ الْحَقَّ كُلَّهُ.

٥:٣٤ فَقَالَ لَهَا: «يَا ابْنَةُ إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ».

وفي حادثة أخرى، يدون لنا الإنجيل المقدس علم المسيح المسبق بما كان سيفكر به رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ اليهود(٢)، فيقول البشير مرقس:

١١:٢٧ وَجَاءُوا أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ

١١:٢٨ وَقَالُوا لَهُ: «بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا وَمَنْ أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى تَفْعَلَ هَذَا؟»

١١:٢٩ فَأَجَابَ يَسُوعُ: «وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً. أَجِيبُونِي فَأَقُولَ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا:

١- الآيات:٢٤ إلى ٣٤ - الإصحاح الخامس ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.
٢- الآيات:٢٧ إلى ٣٣ - الإصحاح الحادي عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.

١١:٣٠ مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ أَجِيبُونِي».

١١:٣١ فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟

١١:٣٢ وَإِنْ قُلْنَا مِنَ النَّاسِ». فَخَافُوا الشَّعْبَ. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ عِنْدَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَبِيٌّ.

١١:٣٣ فَأَجَابُوا: «لاَ نَعْلَمُ». فَقَالَ يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا».

يقول وليم ماكدونالد عن الحادثة التالية أنه: "عندما كان سمعان الفريسي قد سأل يسوع الحضور إلى بيته ليأكل معه، ربما بدافع الفضولية أو العداء. وفي الوقت نفسه، ظهرت في المكان امرأة خاطئة. كانت هذه المرأة تحمل قارورة طيب. وبينما كان يسوع متّكئًا يأكل، ورأسه على مقربة من الطاولة، جاءت هذه المرأة ووقفت عند قدميه. ثم راحت تغسل رجليه بدموعها، وتمسحهما بشعرها، وتقبّلهما مرارًا. وبعد هذا دهنتهما بالطيب الكثير الثمن. إنها بعبادتها وتضحيتها، بهذا الشكل، عبّرت عن اقتناعها بأنه لا شيء أغلى ممّا يستحق الربّ يسوع أن نقدّمه له". لقد علم يسوع ما كان يجول في خاطر سمعان الفريسي فأجابه المسيح إجابة مفحمة(١) ذكرها لنا البشير لوقا، فيقول:

٧:٣٦ وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِّيسِيِّ وَاتَّكَأَ.

٧:٣٧ وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ

٧:٣٨ وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ.

٧:٣٩ فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيّاً لَعَلِمَ مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ».

٧:٤٠ فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا سِمْعَانُ عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ». فَقَالَ: «قُلْ يَا مُعَلِّمُ».

٧:٤١ «كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُ مِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ.

٧:٤٢ وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعاً. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبّاً لَهُ؟»

٧:٤٣ فَأَجَابَ سِمْعَانُ: «أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ».

٧:٤٤ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسِمْعَانَ: «أَتَنْظُرُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ وَمَاءً لأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا.

٧:٤٥ قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ.

١- الآيات: ٣٦ إلى ٥٠ - الإصحاح السابع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

٧:٤٦ بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ.

٧:٤٧ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً».

٧:٤٨ ثُمَّ قَالَ لَهَا: «مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ».

٧:٤٩ فَابْتَدَأَ الْمُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: «مَنْ هَذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضاً؟».

٧:٥٠ فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ! اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ».

المسيح علم مكنونات وخفايا نفوس مجموعات كبيرة من اليهود كانوا يظنون أنهم أبرار فضرب لهم مثلاً ليكشف لهم زيف ما كانوا يعتقدون، وقد نقل لنا هذه الحادثة البشير لوقا، فيقول(١):

١٨:٩ وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ هَذَا الْمَثَلَ:

١٨:١٠ «إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَالآخَرُ عَشَّارٌ.

١٨:١١ أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا: اَللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ وَلاَ مِثْلَ هَذَا الْعَشَّارِ.

١٨:١٢ أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ.

١٨:١٣ وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اللهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ.

١٨:١٤ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّراً دُونَ ذَاكَ لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ».

الرب يسوع علم أيضاً النفوس المتذمرة وما كان يخطر ببال و فكر بعض تلاميذه بسبب صعوبة استيعابهم لبعض تعاليمه(٢). ويعلق وليم ماكدونالد على هذه الحادثة فيقول: "كان لدى الرب يسوع، في ذلك الوقت، تلاميذ كثيرون غير جماعة الاثني عشر. فكل شخص اتبعه معترفًا بقبول تعاليمه، بات معروفًا بأنه من تلاميذه. إلاّ أنّ هؤلاء الذين عُرفوا بأنهم تلاميذه، لم يكونوا جميعهم مؤمنين حقيقيين. والآن، قال كثيرون من الذين ادّعوا بأنهم تلاميذه: «إن هذا الكلام صعب». لقد اعتبروا أن تعليمه مُعثِر. لم يكن من الصعب عليهم استيعابه على قدر ما كانوا يمقتون قبوله. وبقولهم، «من يقدر أن يسمعه»، كانوا يقصدون: "من يقوى على احتمال

١- الآيات: ٩ إلى ١٤- الإصحاح الثامن عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

٢- الآيات: ٦٠ إلى ٦٣ - الإصحاح السادس ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

الإصغاء إلى تعليم منفّر كهذا؟". من جديد، لنا البرهان هنا على معرفة الرب الكاملة بالأمور. فيسوع علم تمامًا ما قاله التلاميذ. لقد عرف أنهم كانوا يتذمرون على تصريحه بأنه نزل من السماء؛ كما أنه لم يرُقهم تأكيده أنَّه ينبغي للناس أكل جسده وشرب دمه لنوال الحياة الأبدية. لذا سألهم: «أهذا يعثركم؟»". انتهى.

٦:٦٠ فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْ تلاَمِيذِهِ إِذْ سَمِعُوا: «إِنَّ هَذَا الْكلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟»

٦:٦١ فَعَلِمَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ تلاَمِيذَهُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَى هَذَا فَقَالَ لَهُمْ: «أَهَذَا يُعْثِرُكُمْ؟

٦:٦٢ فَإِنْ رَأَيْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِداً إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً!

٦:٦٣ اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فلاَ يُفِيدُ شَيْئاً. اَلْكلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ

و الرب يسوع المسيح علم أيضاً ما كان يجول في خواطر تلامذته و تساؤلهم فيمن عسى أن يكون أعظم شخص فيهم؟ فأجابهم الرب يسوع على سؤالهم دون الحاجة أن يتفوهوا بذلك ودون الحاجة للمسيح أن يسمعه، إذ أنه العليم والمحيط بكل شيء(١):

٩:٤٦ وَدَاخَلَهُمْ فِكْرٌ: مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ فِيهِمْ؟

٩:٤٧ فَعَلِمَ يَسُوعُ فِكْرَ قَلْبِهِمْ وَأَخَذَ وَلَداً وَأَقَامَهُ عِنْدَهُ

٩:٤٨ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ قَبِلَ هَذَا الْوَلَدَ بِاسْمِي يَقْبَلُنِي وَمَنْ قَبِلَنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي لأَنَّ الأَصْغَرَ فِيكُمْ جَمِيعاً هُوَ يَكُونُ عَظِيماً»

ويعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد قائلاً: "لم يكن التلاميذ يتوقعون حلول الملكوت المجيد قريبًا وحسب، بل كانوا توّاقين أيضًا إلى شَغْل مراكز عظيمة في الملكوت. وكانوا قد بدأوا منذ الآن يتجادلون حول من عساه الأعظم فيهم. إلاّ أنّ الربّ يسوع، العالِمَ بالمسألة التي كانت تزعجهم، أحضر ولدًا إليه، وأوضح أن كل من يقبل ولدًا باسمه، يكون بذلك قد قبله هو شخصيًا. قد يبدو، أوّلَ وهلة، أنْ لا علاقة البتة لكل هذا، بمسألة العظمة التي كانت تدور في خَلَد التلاميذ. إلاّ أن هذه العلاقة، وعلى الرغم من عدم وضوحها، تظهر كأنها على الشكل التالي: إن المحبة الحقيقية تكمن في الاهتمام، بدافع المحبة، بالصغار وبالضعفاء وبكل من يتجاوزهم العالم. لذا، فإن يسوع بقوله: «إن الأصغر فيكم جميعًا هو يكون عظيمًا»، كان يشير إلى من أخلى نفسه للالتصاق بمؤمنين مرفوضين ولا قيمة لهم. وفي متى ١٨: ٤، صرح الربّ بأن الأعظم في ملكوت السماوات هو الذي يضع نفسه، على شاكلة الولد الصغير. أما هنا في إنجيل لوقا، فالأمر

١- الآيات:٤٦ إلى ٤٨ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.

يتعلق بالتشبّه بالأصغر بين أولاد الله. والإشارة في كِلتا الحالتين هي إلى ضرورة التحلّي بالتواضع، وذلك على غرار شخص المخلّص نفسه". انتهى.

المسيح يتنبأ بالغيب

بعد أن علمنا أن السيد المسيح هو العليم، و هو عقل الله الناطق، و حكمة الله. وبعد أن عرفنا أن الله المثلث الأقانيم هو من قد أوحى وأخبر الأنبياء في العهد القديم بجميع النبوات. وسواء كان ذلك الوحي يتعلق عن مجيئ الرب للعالم بشخصه المبارك القدوس، أو الإخبار عن الأمم والحضارات التي تعاقبت على حكم الأرض، أو الوحي الخاص بتوجيه الشعب، أو ما قاله الرب يسوع المسيح شخصياً، وذلك بعد تجسده المبارك. لذا لو أردنا أن نسرد كل ما ذكر في الكتاب المقدس من نبوءات لاحتجنا الكثير من المجلدات لفعل ذلك. لكني سأكتفي ببعض الأمثلة القليلة جداً عن تنبؤ الرب يسوع عما كان سيحدث مستقبلاً:

١ـ انتشار الإيمان المسيحي في كافة القارات

يذكر لنا الإنجيل المقدس تنبؤ الرب يسوع المسيح على انتشار بشارة الإنجيل في جميع انحاء العالم[١]: "وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلاً بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ**". وقال أيضاً له كل المجد[٢]:"** اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهَذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ يُخْبَرْ أَيْضاً بِمَا فَعَلَتْهُ هَذِهِ تَذْكَاراً لَهَا»**".**

من المعروف أن المسيحية قد نشأت في منطقة جغرافية محدودة جداً، كانت تسمى في القديم بالجليل واليهودية والسامرة وعبر الأردن وسوريا. وتلك المنطقة تنتمي حالياً إلى دولة إسرائيل وجزء منها تتبع دولة فلسطين، إضافة إلى أجزاء صغيرة من الأردن وسوريا ولبنان. لقد كانت الديانة اليهودية وديانات أخرى هي السائدة والمسيطرة في تلك المنطقة وفي ذلك الوقت. إذ لم تكن المسيحية بعد هي الغالبة سكاناً هناك. مع ذلك فالرب يسوع أخبر بشكل يقيني على انتشار الإيمان المسيحي ما بين الأمم و ليغطي كافة القارات ومن غير استثناء.

٢ـ دمار هيكل أورشليم

١ـ الآية:١٠ ـ الإصحاح الثالث عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.
٢ـ الآية:١٣ ـ الإصحاح السادس والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

لقد تنبأ السيد المسيح عن هيكل سليمان في أورشليم و عن تدميره تدميراً كاملاً ،بحيث لن يبقى له أثر بعد عين. وقد وردت تلك النبوءة في الإنجيل المقدس(١)، حيث نقلها لنا البشير متى، فيقول:

٢٤:١ ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ.

٢٤:٢ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!».

تذكر كتب التاريخ المعتبرة أن ذلك الهيكل العظيم قد تم تدميره من قبل الجيش الروماني في العام ٧٠ م على الرغم من المحاولة المضنية لقائد ذلك الجيش تيطس أن لا يجعل تلك النبوءة تتحقق. لكنها تحققت بالكامل وبكل دقة. ويضيف خادم الرب وليم ماكدونالد معلقاً على هذه النبوة بقوله: "أراد التلاميذ أن يُبدي الربّ مثلهم إعجابه بجمال بناء الهيكل. فقد انشغلوا بما هو زائل عوضًا عمّا هو خالد، واعتنوا بالظلال أكثر من اعتنائهم بالجوهر. لذلك أنذرهم يسوع بأنّ بناء الهيكل سيدمّر تمامًا حتى لا يبقى حجر على حجر. فلقد حاول تيطس عبثًا أن ينقذ الهيكل، لكنّ جنوده أشعلوا فيه النار محققين بذلك نبوّة المسيح. وعندما أذابت النار ذهب الزينة سال المعدن منسكبًا إلى الأسفل بين الحجارة. وهكذا أزاح الجنود الحجارة حجرًا حجرًا ليصلوا إلى الذهب المذاب، تمامًا كما أنبأ الرب. وقد حدثت هذه الدينونة سنة ٧٠ ميلاديّة عندما سقطت أورشليم أمام الجيش الرومانيّ بقيادة تيطس". انتهى.

ويضيف الموقع الإلكتروني للأنبا تكلا بأنه:

"في يولية سنة ٧٠ م باغت الرومان حصن أنطونيا ليلاً و استولوا عليه. وبسقوط هذا الحصن أصبح الطريق ممهداً لوضع أيديهم على الهيكل في أورشليم، فتوقفت الذبائح اليومية في اليوم السابع عشر من يوليه لأن اليهود كانوا في حاجة إلي كل الأيدي للدفاع في الحرب... ولعل آخر ذبيحة وأغزرها دماء قدمت على مذبح المحرقة كانت آلاف اليهود الذين تم ذبحهم عندما تجمهروا حول هيكلهم للدفاع عنه ضد الرومان، وقد كان تيطس بحسب رواية يوسيفوس(٢) ينوي في بادئ الأمر أن يبقي على الهيكل كعمل معماري رائع يحفظ ذكرى انتصاره. وعندما هددت ألسنة النيران قدس الأقداس، شق طريقه بصعوبة بين اللهيب والدخان، فوق جثث القتلى، وتلك التي كانت بين الحياة والموت حتى ما يحصر النيران. لكن جنوده. كانوا في حالة هياج هستيري نتيجة المقاومة العنيدة التي أبداها اليهود والطمع في كنوز الهيكل الذهبية فلم يكن

١- الآيتان:١ وَ ٢ - الإصحاح الرابع والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٢- هو يوسف بن ماتيتياهو (يوسيفوس فلافيوس): المؤرخ اليهودي الروماني عاش في القرن الأول للميلاد واشتهر بكتبه عن تاريخ منطقة يهودا، والتمرد اليهودي على الإمبراطورية الرومانية.

في الإمكان إيقافهم عن أعمال التخريب، كانت الأروقة المحيطة بالهيكل هي أول ما احترق منه. ثم ما لبث أن طرحت كتلة نارية عبر البوابة الذهبية. وعندما تصاعدت ألسنة اللهب أطلق اليهود صرخات هستيرية مفزعة، وحاولوا إخماد النار بينما وجد آخرون عزاءهم وهم يتعلقون بآخِرِ أمل في خلاص المسيا في أن يعلنوا نبوة نبي كاذب مؤداها أن الله وسط حريق الهيكل وسيعطي علامة الخلاص لشعبه، تنافس الجنود الرومان في تغذية ألسنة النيران، وسرعان ما تحول كل البناء الضخم إلى شعلة نارية أضاءت السماء. وهكذا أحرق الهيكل في العاشر من أغسطس سنة ٧٠م". انتهى.

ويشير القس عبدالمسيح بسيط أبو الخير إلى تلك النبوءة(١):" ثم تقول النبوة " وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهائه بغماره وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها ... وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضى على المخرب" ع ٢٦،٢٧ز وقد أجمع المفسرون المحافظون، الكتابيون على أن المقصود بعبارة "شعب رئيس آت" هو الجيش الرومانى الذى دمر أورشليم والقدس سنة ٧٠م. أما "جناح الأرجاس" فتقسم إلى "جناح" والذى يشير في العهد القديم إلى الجيش، وهنا تشير إلى "جناح الهيكل" الذى حاول اليهود الاحتماء تحته. و"الأرجاس" من "رجس" أو "رجاسة" أو "رجسة" والتي أشير إليها في ص ٨:١٣ بـ "معصية الخراب" وفى ص ١١:٣١ و ص ١٢:١١ بـ "الرجس المخرب"، والتي أشار إليها السيد المسيح في حديثه عن دمار أورشليم ونهاية العالم بـ "رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي"، وتشير عموماً إلى عبادة الأصنام الرجسة وأشكال عبادتها الوثنية المقيتة، كما يقول عن الصنم "ملكوم رجس العمونيين" والصنم "كموش رجس الموآبيين" و"عشتروث رجاسة الصيدونيين". و أشار بها السيد المسيح إلى تدنيس الهيكل بواسطة الرومان ودماره".

ويضيف أيضاً قائلاً في نفس المصدر:" وقد ربط السيد المسيح بين "رجسة الخراب" في هذه النبوة ودمار الهيكل سنة ٧٠ م في قوله "فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة فى المكان المقدس. ليفهم القارئ. فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال". وفى قول السيد هنا تحذير واضح لتلاميذه بالهرب إلى الجبال عندما يرون "رجسة الخراب" قائمة فى الهيكل، كما تشير الجملة الأعتراضية التي علق بها الإنجيلي "ليفهم القارئ" إلى أن المقصود هنا هو الجيوش الرومانية التي وضعت راياتها، كما يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذى كان شاهداً لها "وبينما هرب الثوار (اليهود) إلى المدينة والتهم اللهب المقدس ذاته وكل ما يحيط به احضر الرومان راياتهم وأقاموها تجاه الباب الشرقي وهناك ضحوا لها"، وكانت رايات الجيش الرومانى هي النسور الفضية المقدسة وهذا ما أوضحه السيد نفسه بقوله:" ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فأعلموا أنه قد أقترب خرابها. حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى

١- إعجاز الوحى والنبوة في سفر دانيال - القس عبد المسيح بسيط أبو الخير ، صفحات: ١٨٦-١٨٩.

الجبال. والذين في وسطها فليفروا خارجاً. والذين في الكور فلا يدخلوها. لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب". وقد تحققت نبوءة دانيال النبي وإعلان المسيح بصورة حرفية دقيقة، فبعد ٦٦ سنة من ميلاد المخلص دخل سستيوس Cestius حاكم سوريا المدينة مع القوات الرومانية وحاصر الهيكل وقفز الجنود من حوائط الهيكل ووقفوا في مكان مقدس. ثم استدعى سستيوس الجنود وغادر المدينة، ولكن بعد أربع سنوات دُمرت المدينة والهيكل وصار خراباً تماماً، يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس شاهد العيان على أحداث خراب أورشليم ودمار الهيكل : "لقد حكم على المقدس منذ زمن طويل من الله بالنار، والآن وبعد مرور السنين اقترب اليوم المحتوم، اليوم العاشر من شهر Lous (سبتمبر)، وهو نفس التاريخ الذى احرق فيه الملك نبوخذ نصر الهيكل من قرون. ولكن الآن كان الشعب (اليهود) هو الذى سبب الحريق الهائل وبدأه. إذ أنه عندما أنسحب تيطس بفترة قصيرة هاجم الثوار الرومان ثانية، وتبع ذلك معركة حدثت بين حراس المقدس والقوات التي كانت تطفئ النار داخل الساحة الداخلية، فهزمت القوات الرومانية اليهود وتعقبتهم في انتقام شديد إلى الهيكل نفسه مباشرة. وبدون انتظار لأى أوامر وبدون خوف من هذا العمل الرهيب انتزع أحد الجنود الذى كان مندفعاً بقوة علوية قطعة ملتهبة من الصوف وقفز على ظهر جندي آخر، وقذف بالجمرة الملتهبة من فتحة شباك ذهبي منخفض ... وعندما اندلعت ألسنة اللهب صرخ اليهود في رعب أشعل المأساة؛ وتزاحموا للإنقاذ دون التفكير في اقتصاد حياتهم أو ادخار قوتهم لأن المبنى المقدس الذى كانوا يحرسونه بقوة وتكريس مثل هذا، كان يتلاشى أمام أعينهم".

ويضيف أيضاً قائلاً في نفس الكتاب:" وهكذا سقطت أورشليم في السنة الثانية من حكم فسبسيان في الثامن من شهر جربيوس (أكتوبر ٧٠م)"، "وقد كان مجموع الأسرى الذين أسروا خلال الحرب كلها ٩٧,٠٠٠، كما كان مجموع الذين ماتوا مدة الحصار الطويل في مراحله الأولى إلى النهاية ١,١٠٠,٠٠٠ (مليون ومائة ألف) وأغلبهم من اليهود بالجنس ... الذين اجتمعوا من الدولة كلها للاحتفال بعيد الفطير وحاصرتهم الحرب فجأة، وكان الزحام هو السبب أولاً بالطاعون، وأخيراً بالجوع". ويؤكد المؤرخ والكاهن اليهودي يوسيفوس أن ما حدث للمدينة والهيكل كان لسببان؛ الأول هو أثم اليهود وخطيتهم، والثاني، هو ما سبق أن تنبأ به الأنبياء، خاصة دانيال النبي، عن هذا الرجس والخراب. كما يؤكد أن اليهود، في هذه المرة بالذات، هم الذين دنسوا الهيكل بأنفسهم وكانوا سبباً آخر في تدنيس الرومان له ومن ثم يقول :"ما الذى آتى بالجيش الرومانى ضدنا؟ أليس أثم سكان أورشليم". "كان الهيكل نفسه مشهداً للخيانات والقتل والزنا وقد دنس بأيدينا". "إن هؤلاء الغيورون Zealots والسفاكون كانوا السبب في إتمام النبوات ضد دولتهم، لأنه كانت أقوال قديمة (مشيراً إلى نبوات دانيال) تقول أن المدينة ستؤخذ في هذا الوقت، وأن المكان المقدس سيحرق بالنار في حرب عندما يحرض على الفتنة وأن أيديهم ستدنس هيكل الله. ولكن لم يصدق الغيورون هذه الأقوال ومن ثم فقد جعلوا

من أنفسهم أداة الإتمام". ثم يشير إلى نبوءات دانيال النبي ثانيه "من لا يعرف كتابات الأنبياء القدماء والنبوءة الموجهة ضد المدينة البائسة وأنها الآن على وشك الإتمام؟ هم قد تنبؤا أنها ستؤخذ عندما يبدأ أحد بإراقة الدماء. ألم تمتلئ المدينة والهيكل بجثث مواطنيكم؟ لذلك جلب الله نفسه ناراً عليها ليطهرها بواسطة الرومان، ويدمر المدينة المليئة بمثل هذه الأرجاس". ويقول أيضاً "أعتقد أن الله قد حكم بدمار المدينة لأنها دُنست، وأراد أن يطهر المكان المقدس بالنار ليوقف بها مدافعها وأصدقائها"، لقد تمزقت المدينة إلى قطع بواسطة الرجال القساة الخونة الداخليين المتصنعين، ولذلك فقد تمنى عواجيز الرجال والنساء "وأفترض أنه لو تأخر الجنود الرومان في المجيء ضد هؤلاء الأوغاد لكانت المدينة قد ابتلعتها الزلازل أو غمرها فيضان أو دمرها رعد من السماء، مثلما كانت سدوم". وهكذا تمت نبوءات دانيال النبي ونبوءة السيد المسيح حرفياً وبالتفصيل وبتدقيق رائع ومذهل يدل على عظمة وإعجاز الوحى والنبوة في الكتاب المقدس وفى سفر دانيال النبي". انتهى.

ويستعرض القس عبدالمسيح بسيط أبو الخير شروحات اليهود عن تلك النبوءة في كتابه(١) ، فيقول:" يقول الكاهن والمؤرخ اليهودي يوسيفوس (٣٦-١٠٠م) المعاصر لتلاميذ المسيح: (كتب دانيال أيضاً بخصوص الرومان وأنهم سيدمرون دولتنا. هذه الأمور كلها تركها هذا الرجل - دانيال - مكتوبة كما كشفها له الله). ويطبق عبارة "رئيس آتٍ" على تيطس، كما يتكلم بأسلوب يدل على أن ما يقوله كان هو السائد في عصره، خاصة بعد دمار أورشليم. وبالتالي يكون المسيح قد جاء قبل ذلك. يقول مونتجمري "أن هذا التفسير (تفسير يوسيفوس) أصبح التفسير اليهودي السائد بدون استثناء؛ وانتقل إلى التفسير المسيحي، الذى رأى في نبوءة الأسابيع السبعين، نبوءة عن مجيء المسيح بالتساوي مع سقوط المدينة المقدسة"".

ويضيف قائلاً أيضاً: "يلخص لنا القديس جيروم في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس الميلادي تفسير اليهود لهذه النبوءة، ويقول انهم حسبوا الـ ٤٩٠ سنه، من السنة الأولى لداريوس الميدى(٥٣٩ ق.م) و وصلوا بها إلى عصر المسيح و وجدوا فيها نبوءة عن موته، ونبوءة عن اقتراب الجيش الرومانى تحت قيادة فسبسيان وتيطس ويقول مونتجمرى أن اليهود الذين استند عليهم جيروم وجدوا إتمام النبوءة في دمار أورشليم بواسطة الرومان، واعتبروا أن ثلاث سنوات ونصف من الأسبوع الأخير تشير إلى دمار أورشليم على يد فسبسيان وتيطس والثلاث سنوات ونصف الأخرى تشير لحرب هاردريان. وفسروا "الرئيس الآتي" بأنه فسبسيان. كما يضيف انه يظهر أن اليهود قد سلموا بأن قوله عن موت "المسيح" يشير إلى يسوع المسيح، وترجموا عبارة "وليس له" بمهارة إلى "ولكن مملكة اليهود لن تكون له"، ويضيف مونتجمرى أيضا أن دمار أورشليم كان هو موضوع السبعين أسبوع في رأى العظات الكليمنتيه،

١- إعجاز الوحى والنبوة في سفر دانيال - القس عبد المسيح بسيط أبو الخير ، صفحات: ١٧٢ -١٧٤.

في تفسير رجسه الخراب". وينقل مونتجمرى عن كثيرين من علماء اليهود في العصور الوسطى آراءهم في تفسير هذه النبوءة. ويقول التفسير اليهودي التالي اتبع الرأي التقليدي في اعتبار أن نقطة النهاية في النبوءة هي دمار أورشليم بواسطة تيطس أو هادريان. وهكذا يقول راشي وبن عظرا وغيرهم. وينقل عن بن عزرا قوله أن الأسبوع الأول بدأ فى السنة العشرين للملك ارتحشتا..." ويقول أيضاً انه "بحسب ,.a٩٧Sanh قسمت الأسابيع إلى سبعة أجزاء، كان يجب أن يأتي المسيا في نهايتها" وينقل عن Shottgen بعض الأمثلة لتفاسير اليهود لهذه النبوءة، منها قول الربى Nachmanides "قدوس القدوسين ليس سوى المسيا، المكرس من أبناء داود" وينقل عن الربى موسى هادرشان Haddarshan قوله "البر الأبدي، هو الملك المسيا"، وهذا نفس ما ينقله جيروم عن يهود عصره، وينقل تفسير لانج إشارة الجمارتين بهذه النبوءة إلى الحرب ضد فسبسيان. ويقول تفسير لانج نقلاً عن التقاليد الربانية والتلمودية أن كتاب الترجوم أهملوا ترجمة الهاجيوجرافا، أي الكتب المقدسة لأنه مكتوب فيها أن "المسيا سيقطع"؛ وان المسيا قد جاء فعلاً في الوقت، الزمن، الذى دمرت فيه أورشليم وأخرب الهيكل، ولكنه جاء متألم ومتخفى". انتهى.

٣- التنبؤ بالصلب والقيامة

أورد جميع المبشرون الأربعة متى و مرقس ولوقا ويوحنا في الإنجيل المقدس تنبؤ الرب يسوع المسيح عن القبض عليه ومحاكمته وتعذيبه والاستهزاء به وصلبه ودفنه و من ثم قيامته من بين الأموات في اليوم الثالث. فقد قال الرب يسوع عن تلك الحوادث الرهيبة:

أ- النبوة الواردة في الإنجيل بحسب البشير متى(١):

١٦:٢١ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيراً مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ.

وأيضاً(٢):

٢٠:١٧ وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ صَاعِداً إِلَى أُورُشَلِيمَ أَخَذَ الاِثْنَيْ عَشَرَ تِلْمِيذاً عَلَى انْفِرَادٍ فِي الطَّرِيقِ وَقَالَ لَهُمْ:

٢٠:١٨ «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ

١- الآية:٢١ - الإصحاح السادس عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٢- الآيات:١٧ إلى ١٩ - الإصحاح من العشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٢٠:١٩ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ لِكَيْ يَهْزَأُوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصْلِبُوهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».

ب- النبوة الواردة في الإنجيل بحسب البشير مرقس[١]:

٩:٣٠ وَخَرَجُوا مِنْ هُنَاكَ وَاجْتَازُوا الْجَلِيلَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ

٩:٣١ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلاَمِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ.

وأيضاً[٢]:

١٠:٣٢ وَكَانُوا فِي الطَّرِيقِ صَاعِدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَقَدَّمُهُمْ يَسُوعُ وَكَانُوا يَتَحَيَّرُونَ. وَفِيمَا هُمْ يَتْبَعُونَ كَانُوا يَخَافُونَ. فَأَخَذَ الاِثْنَيْ عَشَرَ أَيْضاً وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ عَمَّا سَيَحْدُثُ لَهُ:

١٠:٣٣ «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ

١٠:٣٤ فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».

ج- النبوة الواردة في الإنجيل بحسب البشير لوقا[٣]:

٩:٢٢ قَائِلاً: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيراً وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».

وأيضاً[٤]:

٩:٤٤ «ضَعُوا أَنْتُمْ هَذَا الْكَلاَمَ فِي آذَانِكُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ».

د- النبوة الواردة في الإنجيل بحسب البشير يوحنا[٥]:

٢:١٩ أَجَابَ يَسُوعُ: «انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ».

١- الآيتان: ٣٠ وَ ٣١ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.
٢- الآيات: ٣٢ إلى ٣٤ - الإصحاح العاشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.
٣- الآية: ٢٢ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.
٤- الآية: ٤٤ - الإصحاح التاسع ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير لوقا.
٥- الآيات: ١٩ إلى ٢٢ - الإصحاح الثاني ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٢:٢٠ فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ أَفَأَنْتَ فِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟»

٢:٢١ وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ.

٢:٢٢ فَلَمَّا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ تَذَكَّرَ تلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هَذَا فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكلاَمِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ.

وقد تحققت أحداث تلك النبوة بتفاصيلها أمام عيون الشعب. فالعدو والصديق، القريب والبعيد، الكبير والصغير قد شهد بتحقق تلك النبوة بتمامها. انبياء كثر من العهد القديم قد تنبؤا عن الصليب كذلك، مثل موسى النبي و الملك دواد النبي و اشعياء النبي، وسواهم من الأنبياء الآخرين. يرجى مراجعة الباب السابع لمزيد من التفاصيل.

الباب السابع: نبوءات العهد القديم عن الرب يسوع المسيح

كما ذكرنا سابقاً أن الله قد أوحى لجميع انبيائه في العهد القديم. فالله المثلث الأقانيم كان مصدر علومهم ومعرفتهم وحكمتهم. و كان ضمن ما أوحى الله لأنبيائه هو عن مجيء المخلص والفادي الذي يأتي في آخر الأزمنة. فقد كتب أولئك الأنبياء المئات من النبوات عن الرب يسوع الذي تحققت في شخصه المبارك، و بكل دقة. وتلك النبوات هي نفسها التي عناها بطرس الرسول حينما قال(١):

"وَيُرْسِلَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَكُمْ قَبْلُ. الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ السَّمَاءَ تَقْبَلُهُ إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا اللهُ بِفَمِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ".

١- ولادة المسيح في بيت لحم

وردت هذه النبوءة في الآية الثانية من الإصحاح الخامس من سفر ميخا النبي:

"«أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ»".

أرجو من القارئ الكريم ملاحظة أنه كيف تم وصف السيد المسيح في الآية السابقة بأنه قديم وأزلي، ذلك لأنه ذات الله المتجسد في صورة بشر. وقد تحققت هذه النبوة بالتمام، فقد ولد الرب يسوع المسيح، حسب الجسد، في بيت لحم. و يؤكد البشير متى في الإنجيل المقدس(٢) أن هذه النبوة قد تحققت عند ميلاد الرب يسوع المسيح في بيت لحم:

٢:٤ فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ وَسَأَلَهُمْ: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟»

٢:٥ فَقَالُوا لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ:

٢:٦ وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ».

١- الآيتان: ٢٠ وَ ٢١ - الإصحاح الثالث ، سفر أعمال الرسل، الكتاب المقدس.

٢- الآيات: ٤ إلى ٦ - الإصحاح الثاني ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٢- رجوع السيد المسيح من مصر إلى إسرائيل

وردت هذه النبوءة في الآية الأولى من الإصحاح الحادي عشر من سفر هوشع النبي:

١١:١ «لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَماً أَحْبَبْتُهُ وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي.

حيث تحققت هذه النبوة في شخص الرب يسوع برجوعه من مصر إلى فلسطين عندما كان صبياً. وهذا ما أكد عليه متى البشير، حيث يقول:

"وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».".(١)

ويؤكد متى البشير في الإنجيل المقدس(٢) أن هذه النبوة قد تحققت عندما رأى يوسف النجار ملاك الرب في حلم يأمره فيه بأخذ السيد المسيح ،عندما كان صبياً، من مصر إلى إسرائيل:

٢:١٩ فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ

٢:٢٠ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ».

٣- السيد المسيح هو النبي الآتي

تنبأ موسى النبي عن مجيء السيد المسيح كنبيٍ من أسباط إسرائيل. و قد وردت هذه النبوة في سفر التثنية(٣) وهو السفر الخامس من أسفار موسى الخمسة - التوراة:

١٨:١٥ «يُقِيمُ لكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لهُ تَسْمَعُونَ.

وقد تحققت هذه النبوة في شخص الرب يسوع المسيح. حيث يؤكد ذلك البشير يوحنا في الإنجيل المقدس(٤): " فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!».**"** **وأيضاً يذكر يوحنا البشير(٥): "**فِيلُبُّسُ وَجَدَ نَثَنَائِيلَ وَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءُ: يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ»**". و قال بطرس الرسول في أعمال الرسل(٦):**

١- الآية:١٥ - الإصحاح الثاني - الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٢- الآيتان:١٩ و ٢٠ - الإصحاح الثاني - الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٣- الآية:١٥ - الإصحاح الثامن عشر - سفر التثنية، الكتاب المقدس.
٤- الآية:١٤ - الإصحاح السادس - الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.
٥- الآية:٤٥ - الإصحاح الأول - الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.
٦- الآية:٢٢ - الإصحاح الثالث - أعمال الرسل، الكتاب المقدس.

"فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيّاً مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ."

٤- السيد المسيح هو حجر الزاوية

السيد المسيح هو حجر الزاوية الذي رفضه قادة الشعب اليهودي من الفريسيين والكتبة. وقد وردت هذه النبوة في المزمور ١١٨ (١):

١١٨:٢٢ الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ.

١١٨:٢٣ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا.

ويقول مفسر الكتاب المقدس القمص تادرس يعقوب بأن: "حجر الزاوية هو أهم حجر في البناء، يربط الحوائط معًا في الأساس، وأيضًا يوجد حجر زاوية يربط قوس الباب معًا وهو في أعلى الباب يربط القوس بضلعيه عن اليمين واليسار على شكل حرف V، بدونه ينهار الباب، ولا يقدر أحد أن يعبر إلى المبنى". وفي العهد الجديد يؤكد البشير متى(٢) استشهاد الرب يسوع المسيح لهذه النبوة، وتحقيقها في شخصه القدوس المبارك، فيقول:" قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا؟**".**

ويعلق خادم الرب وليم ماكدونالد مضيفاً بأنه:" لقد استشهد الربّ بالكلمات التي جاءت في المزمور ١١٨: ٢٣، «الحجر الذي رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية. من قِبل الربّ كان هذا وهو عجيب في أعيننا». فعندما قدَّم المسيح، وهو حجر الزاوية، نفسه للبنائين؛ قادة إسرائيل، لم يكن عندهم له مكان في مخططات بنائهم. لذلك وضعوه جانبًا حاكمين أنه بلا فائدة. لكنه بعد موته قام من الأموات وأعطاه الله مركز السيادة، إذ جعله أسمى حجر في بنائه".

نبوءات العهد القديم الخاصة بصلب السيد المسيح

هناك الكثير من النبوات التي ذكرها انبياء العهد القديم تتعلق بصلب السيد المسيح و معاناته وآلامه وموته ودفنه وقيامته من بين الأموات. نذكر بعض منها، وهي كما يلي.

١- الآيتان:٢٢ وَ ٢٣ - المزمور ١١٨ ، سفر المزامير، الكتاب المقدس.

٢- الآية:٤٢ - الإصحاح الحادي والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

١- صلب السيد المسيح والقرعة على لباسه

تنبأ داود الملك عن الصليب وذلك قبل ١٠٠٠ سنة تقريباً من تاريخ وقوع تلك الحادثة العظيمة. ففي المزمور ٢٢ و الآية ١٦ يتنبأ عن قيام الأشرار بثقب يَدَيْه و قدميه، وتلك نبوة عن صلب الرب يسوع المسيح، فيقول: " لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ". **وفي الآية ١٨ من نفس المزمور يتنبأ داود النبي باقتراع الجنود بتقسيم ثياب المسيح فيما بينهم، فيقول:**" يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ". **ومن المعلوم أن الملك داوود لم يثقب أحد يديه أو رجليه ولم يتم الاقتراع على لباسه أو ثيابه أو تقسيمها. وقد تحققت هذه النبوة بالكامل وبكل دقة في شخص القدوس يسوع المسيح. وقد اشار متى البشير إلى ذلك في الإنجيل المقدس**(١) ، **فيقول:** " وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً»".

٢-الرب يسوع يسحق رأس الحية

هذه أولى نبوءات العهد القديم وقد وردت في سفر التكوين (التوراة). وهي نبوءة تنبأ بها موسى النبي عن الصليب وذلك قبل ١٥٠٠ سنة من تاريخ واقعه الصلب، فقد قال: "وَاضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْاةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَاسَكِ وَانْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ»(٢)". **ويعلق القس أنطونيوس فكري أن :" نسل المرأة: هو المسيح إذن هي نبوءة بتجسد المسيح. ولم يقل نسل الرجل فهو ولد من العذراء بدون زرع بشر. لذلك رجع لوقا بنسب المسيح إلى آدم ليظهر أن نسله سحق رأس الحية. وكان كل القدماء من الآباء ينتظرون مسيا حتى السامرية توارثت هذا الرأي (يو٤)". ويضيف أيضاً قائلاً:" تسحق عقبه: هذه تشير لألآم المسيح ومعاناته التي لحقت بطبيعته البشرية. فالشيطان أقنع اليهود باضطهاد المسيح وصلبه وأقنع بطرس بإنكاره. وكل هذا ليعطل الخلاص". ومن أحسن ما قرأت عن تفسير الآية "تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" هو أن المسار الذي تم دقه في قدمي المسيح قد اخترق وسحق بالفعل عقب**(٣) **أحد قدميه، فهي نبوءة بالغة الدقة. وقد تمت في شخص الرب يسوع المسيح، حيث يؤكد ذلك بولس الرسول**(٤)**، فيقول:** "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ".

١- الآية:٣٥ - الإصحاح السابع والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٢- الآية:١٥ - الإصحاح الثالث - سفر التكوين، الكتاب المقدس.
٣- العَقِب، بكسر القاف: مؤخَّر القدم، وهي مؤنثة. (الصّحّاح في اللغة).
٤- الآيتان:٤ وَ ٥ - الإصحاح الرابع ، رسالة غلاطية ، الكتاب المقدس.

٣-الرب يسوع يُسقى خلاً

تنبأ الملك داود في المزمور التاسع والستين(١) أن السيد المسيح يسقى خلاً له طعم العلقم، فقال: "وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَماً وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ**". وقد ذكر البشير متى في الآية ٣٤ أنه خلال الصلب قام جنود من الرومان بإعطاء السيد المسيح جرعة من خل ممزوج بمرارة لها طعم العلقم، فقال:"** أَعْطَوْهُ خَلاًّ مَمْزُوجاً بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ(٢)**". وأيضاً يذكر في الآية ٤٨ :"** وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاًّ وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ(٣)**".**

ويعلق مفسر العهد الجديد هنري أ. أيرونسايد على الآية ٣٤ آنفة الذكر، فيقول:

" لقد جرت العادة أن يُعطى المحكوم عليه بالموت صلباً شراباً مُخدِّراً ليُسهِّلَ عليه احتمال التعذيب المُخيف الذي كان سيمرُّ به. هكذا مشروب، والمكوَّن من النبيذ المُتخمِّر (أو الخلّ) الممزوج مع المرارة أو المرّ، قُدِّمَ ليسوع، ولكنّه رفضه. ما كان ليرضى أن يتناول أي شيء قد يخدّرُ ذهنه أو يخفف الآلام التي كان سيحتملها. تحت الصليب". كذلك يعلق خادم الرب ومفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على الآية ٤٨ سالفة الذكر، فيقول:" استخدم أحدهم قصبة طويلة رفع عليها إسفنجة مغموسة بالخلّ وقرّبها من شفتيه. ويمكننا أن نستنتج من المزمور٦٩: ٢١ أنّ هذا العمل لم يكن يرمي إلى إظهار الرحمة للمسيح، بل إلى زيادة أشكال آلامه". انتهى.

٤-الاستهزاء بالسيد المسيح

وتنبأ الملك داود قبل ١٠٠٠ سنة من صلب المسيح أيضاً بقيام بعض الجموع بالاستهزاء والسخرية منه، فقال:" كُلُّ الَّذِينَ يَرُونَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: [اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ. لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ](٤)**". هذا ما حدث بالفعل للسيد المسيح عند الصليب(٥). فقد ذكر متى البشير تلك الحوادث بتفاصيلها، فقال: "** وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!». وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ

١- الآية:٢١ - المزمور ٦٩ ، سفر المزامير ، الكتاب المقدس.
٢- الآية ٣٤ - الإصحاح السابع والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه متى البشير.
٣- الآية:٤٨ - الإصحاح السابع والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه متى البشير.
٤- الآيتان:٧ و ٨ - المزمور ٢٢ ، سفر المزامير، الكتاب المقدس.
٥- تفسير الكتاب المقدس - القس أنطونيوس فكري.

إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيب فَنُؤْمِنَ بِهِ! قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ!»(١)".

كذلك يشير مرقس البشير إلى تفاصيل تلك الحوادث وكيف استهزأ اليهود بالمسيح، فيقول عن ذلك:

" وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «آهِ يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ! خَلِّصْ نَفْسَكَ وَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!» وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَهُمْ مُسْتَهْزِئُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ الْكَتَبَةِ، قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! لِيَنْزِلِ الآنَ الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الصَّلِيبِ، لِنَرَى وَنُؤْمِنَ!». وَاللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ كَانَا يُعَيِّرَانِهِ(٢)".

٥- الرب يسوع يحمل خطية العالم

تنبأ اشعياء النبي عن صليب السيد المسيح وذلك قبل نحو ٧٠٠ سنة. فهو يذكر في الإصحاح ٥٣ تفاصيل دقيقة عن آلام السيد المسيح. وقد تحققت جميع نبواته بكل دقة في المسيح:

٥٣:١ مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟

٥٣:٢ نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيهِ.

٥٣:٣ مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ.

٥٣:٤ لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً.

٥٣:٥ وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا.

٥٣:٦ كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.

٥٣:٧ ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.

٥٣:٨ مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟

٥٣:٩ وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.

١- الآيات: ٣٩ إلى ٤٣ - الإصحاح السابع والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.
٢- الآيات: ٢٩ إلى ٣٢ - الإصحاح الخامس عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير مرقس.

٥٣:١٠ أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ.

٥٣:١١ مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا.

٥٣:١٢ لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ.

وفي مقدمة تفسيره للسفر ٥٣ يقول مفسر الكتاب المقدس القس أنطونيوس فكري أنه:" لا شك في أن عبد الرب هنا هو المسيح، وهكذا فسره اليهود حتى القرن ١٢. لكن نتيجة جدالهم مع المسيحيين اضطروا أن يفتشوا عن تفسير آخر. فقال بعضهم أن عبد الرب هو شعب اليهود والبعض قالوا أنه أرميا والبعض يوشيا. ولقد آمن كثيرون من اليهود بالمسيح بمطالعتهم لهذا الفصل ومقابلته بالعهد الجديد وفي الأيام الحديثة، أسقط اليهود هذا الفصل (٥٢: ١٣ - ٥٣: ١٢) من القراءات المنتخبة للقراءة الأسبوعية، فهو نبوءة كاملة عن آلام المسيح قبل المسيح بحوالي ٧٠٠ سنة. وهذه الآلام كانت حتى يفدى شعبه، لقد جعل نفسه ذبيحة إثم (٥٣: ١٠) وبهذه النبوة نقترب إلى الله وننظر إلى سر الفداء". انتهى.

وهذا السفر بحق يعد وكأنه شاهد عيان على حادثة الصلب، فالنبوات الواردة فيه تحققت في شخص الرب يسوع المسيح بالكامل. وقد أكد المبشرون إتمامها في المسيح، وهي كالتالي:

أ- صمت المسيح

يفسر القس أنطونيوس فكري النبوة التالية:

" ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ"، **بقوله:" ظُلِم = محاكمته كانت ظالمة وأتوا له بشهود زور. أما هو فتذلل = أي سلم نفسه للظلم. ولم يفتح فاه = فهو سكت أمام قيافا وبيلاطس وهيرودس. وكان كشاه تساق للذبح = أي بلا مقاومة، فهو يعرف ما جاء لأجله وهو عرف نية محاكميه وظلمهم، وكان سكوت المسيح هذا أبلغ دليل على قوته، فهو لم يستخدم قوته ضدهم وإلا كان الفداء قد تعطل". ويؤكد متى البشير إتمام نبوة اشعياء النبي تلك، حيث تحققت في شخص الرب يسوع، فيقول:"** فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قِائِلاً:«أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«أَنْتَ تَقُولُ». وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ

وَالشُّيُوخُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ:«أَمَا تَسْمَعُ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟» فَلَمْ يُجِبْهُ وَلاَ عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جِدًّا(١)".

ويعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على الآيات السابقة، فيقول:" كانت شكاوى اليهود الحقيقيّة على يسوع دينيّة بالدّرجة الأولى، وقد حاكموه على هذا الأساس. ولكنّ التّهم الدينيّة لم يكن لها وزن في المحاكم الرومانيّة. وإذ علموا ذلك، ألصقوا به ثلاث تهم سياسيّة عندما أحضروه إلى بيلاطس (لو٢٣: ٢) (١) كان يسوع قائد فتنة يسبّب تهديدًا للامبراطوريّة؛ (٢) كان يحثّ الناس على ألاّ يدفعوا الضرائب، وبذلك يضعفون ازدهار الامبراطوريّة؛ (٣) لقد ادّعى أنّه ملك، مهدّدًا بذلك سلطة الامبراطور ومركزه. ونرى بيلاطس يستجوب يسوع في إنجيل متّى بشأن التّهمة الثالثة. فقد سأله هل هو ملك اليهود، وأجاب يسوع بأنّه كذلك. فأعقب جوابه هذا سيل من الشتائم والافتراءات عليه من قِبَل قادة اليهود. حينئذ تعجّب بيلاطس كثيرًا من صمت المدّعى عليه، إذ لم يردّ يسوع بشيء ولا على واحد من اتّهاماتهم. وربّما لم يسبق للوالي أن رأى أحدًا يصمت هكذا أمام تهجّم عنيف كهذا". انتهى.

ب- آلام المسيح

ويفسر القس أنطونيوس فكري النبوة التالية:

" لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.**"، بقوله:" أحزاننا حملها = الأحزان ناتجة عن الخطية فهو حمل خطايانا وأثارها ليعطينا سلام الله الذي يفوق كل عقل. تأديب سلامنا = هو احتمل نيابة عنا التأديب ونتيجة هذا حصلنا على السلام وبحبره = هي أثار الجروح التي نتجت عن ضربات السوط والقصبة والشوك وجروح المسامير واللكم واللطم. وهكذا وضع الرب عليه إثم جميعنا = جميعنا فالجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله.**

ويؤكد متى البشير إتمام نبوة اشعياء النبي تلك، حيث تحققت بتمامها في شخص الرب يسوع، فيقول:" حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ. فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ،

١- الآيات:١١ إلى ١٤- الإصحاح السابع والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه متى البشير.

وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ:«السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ(١)".

ويعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على الآيات السابقة بقوله:" أطلق بيلاطس باراباس للجمع، ومنذ ذلك اليوم وروح باراباس تسيطر على العالم. فالمجرم ما يزال على عرشه؛ بينما الملك البارّ مرفوض. بعد ذلك جُلِد المحكوم عليه كما كانت العادة تقضي. وكان يُستخدم في عمليّة الجلد تلك سوط كبير من الجلد ينتهي بقطع معدنيّة حادّة. وكان السوط ينزل حارثًا على ظهره، فتشقّ كل جلدَةٍ جسده مطلقة جداول من دمه. ولم يبقَ للوالي الضعيف شيء يفعله إلاّ أن يسلّم يسوع للعسكر ليُصلَب. خذ عسكر الوالي يسوع إلى قصر الحاكم وجمعوا عليه كل الكتيبة (ربّما كانت تُعدّ بضع مئات من الرجال). ويصعب جدًّا تصور ما حدث بعد ذلك، فخالق الكون وضابطه يعاني إهانات شديدة على يد جنود متوحّشين ومجرمين، وهم مخلوقاته الأشرار غير المستحقّين. فقد عرّوه وألبسوه رداء قرمزيًّا، تقليدًا لرداء الملك. ولكنْ في ذلك الرّداء درس لنا. فمن حيث أنّ القرمز مرتبط في الكتاب بالخطية (إش١: ١٨)، فالفكرة بأنّ ذلك الرداء صورة لخطاياي التي وضعت على يسوع لكي يوضَع عليّ رداء البرّ، هي فكرة محبّبة لديّ (٢كو٥: ٢١). ضفروا إكليلاً من شوك، ووضعوه على رأسه. ولكن إذا تجاوزنا سخريتهم البشعة، نرى أنّه لبس إكليل الشوك لكي نلبس نحن إكليل المجد. فقد استهزأوا به وكأنّه ملك الخطية ولكنّنا نعبده بوصفه مخلّص الخطاة. وأعطوه أيضًا قصبة، أي صولجانًا للسخرية. ولم يعلموا أنّ تلك اليد التي أمسكت القصبة هي ذات اليد التي تحكم العالم. فيد يسوع المثقوبة تمسك بصولجان سيادة الكون بأجمعه. وكانوا يجثون قدّامه، ويخاطبونه بصفته ملك اليهود. ولم يكتفوا بذلك، بل بصقوا على وجه الإنسان الوحيد الكامل، ثمّ أخذوا القصبة وضربوه بها على رأسه. لكنّ يسوع احتمل كل هذا بصبر؛ ولم يقل كلمة: «فتفكّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه، لئلاّ تكلّوا وتخوروا في نفوسكم» (عب١٢: ٣) وأخيرًا ألبسوه ثيابه، ومضوا به للصلب". انتهى.

ج - المسيح يدفن في قبر غني

ويفسر القس أنطونيوس فكري النبوة التالية:

" وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ "، **بقوله:" لها تفسيرين:**

١- قد تشير لحراسة الجنود الرومان الأشرار وهم قد قبلوا الرشوة ليكتموا خبر القيامة، فهم

١- الآيات:٢٦ إلى ٣١ - الإصحاح السابع والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

كاذبين مرتشين، قالوا كنا نيام وأتى التلاميذ وسرقوه.

٢- كان المخطط أن يلقوا جسده في وادي ابن هنوم ليحرق بالنار كما يعملون دائمًا مع المصلوبين. ولكن الله دبر أن يدفن في مقبرة يوسف الرامي الرجل الغنى = ومع غنى عند موته.

ويؤكد متى البشير إتمام نبوة اشعياء النبي تلك، حيث تحققت بتمامها في شخص الرب يسوع، فيقول:" وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تِلْمِيذًا لِيَسُوعَ. فَهذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاَطُسُ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطَى الْجَسَدُ. فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ، ثُمَّ دَحْرَجَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ وَمَضَى(١)**".**

ويفسر خادم الرب وليم ماكدونالد تلك الآيات الكريمة، فيقول معلقاً:" لم يكن يوسف الراميّ، وهو عضو في السنهدريم، موافقًا على رأي المجلس القاضي بتسليم يسوع إلى بيلاطس (لو٢٣: ٥١). فإذا كان بقي حتى ذلك الحين تلميذًا سرّيًا للمسيح، فإنّنا الآن نراه يضرب بالحذر عرض الحائط. وهكذا تقدّم إلى بيلاطس بكلّ جرأة، وطلب منه إذنًا بدفن سيّده. ويمكننا أن نتصوّر مفاجأة بيلاطس وغضب اليهود لكون عضو من السنهدريم يقف وقفة علنيّة كهذه من أجل المصلوب. في الحقيقة، كان دفن يوسف الراميّ لجسد يسوع دفنًا لحياته الاقتصاديّة والاجتماعيّة والدينيّة. فقد فصله عمله هذا إلى الأبد عن النظام الذي قتل الربّ يسوع. أخذ يوسف الجسد إذ سمح له بيلاطس وكفّنه بمحبّة بكتّان نقيّ، ووضع أطيابًا بين الأقمطة، ثمّ وضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخر. وأغلق باب القبر بحجر كبير مثل حجر الرحي قد وضِع على قناة منحوتة في الصخر أيضًا. وقد تنبّأ إشعياء قبل ذلك بقرون: «وجُعِل مع الأشرار قبره ومع غنيّ عند موته» (٥٣: ٩). وكان أعداؤه قد خطّطوا، بلا شكّ، أن يلقوا بجسده إلى وادي هنّوم لتأكله نيران النفايات، أو الثعالب. ولكنّ الله أفشّل خططهم واستخدم يوسف لكي يُدفن يسوع مع الأغنياء". انتهى.

د- قيامة المسيح

ويفسر القس أنطونيوس فكري النبوة التالية:

"أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ.**"، فيقول:" الرب سر أن يسحقه بالحزن = وإن كان الأشرار هم الذين دبروا هذا ضد المسيح إلا أن**

١- الآيات:٥٧ إلى ٦٠ - الإصحاح السابع والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

هذا كان في قصد الله وهو سر بان يسحق ابنه بالحزن حتى نخلص نحن ونفرح، فهل هناك حب أعظم من هذا. جعل نفسه ذبيحة إثم = فالمسيح لم يتألم جسديًا فقط بل نفسيًا بالأكثر لحمله خطايا العالم ومن خيانة الكل له. ومن الشر الذي في البشر، هو تُرك لنُقبل نحن = يرى نسلًا = النسل هم المؤمنين الذين فداهم. كان هو حبة الحنطة التي سقطت ليكون هناك حبوب كثيرة. تطول أيامه = أي لن تنتهي حياته بالموت وهذا نبوة عن القيامة. ومسرة الرب بيده تنجح = مسرة الرب هي خلاص الناس". انتهى.

ويؤكد البشير متى إتمام نبوة إشعياء تلك، حيث تحققت بتمامها في شخص الرب يسوع، فيقول:" فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ :«لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ. وَاذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا». فَخَرَجَتَا سَرِيعًا مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ. وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ:«سَلاَمٌ لَكُمَا». فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ:«لاَ تَخَافَا. اِذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي»(١)".

ويفسر خادم الرب بنيامين بنكرتن تلك الآيات الكريمة، فيقول معلقاً:" «فأجاب الملاك وقال للمرأتين» لقد حضرت هاتان المرأتان ومعهما سالومة (مرقس ١٦:١) في الفجر إلى القبر. وكان قصدهن أن يدهن جسد الرب بالاطياب. وقد كلمهن الملاك بالسلام وبشرهن بقيامة الرب ونرى كم كان بعيدًا عن أفكارهن أمر القيامة. فأنهن حضرن بالمحبة لكي يحنطن جسد الرب. وكان استعدادهن لهذا العمل برهانًا لمحبتهن القلبية للرب مع أنه لم يكن في وقته لأن الرب كان قد قام دون أن يرى جسده فسادًا نظرًا لقداسته الكاملة (أعمال الرسل ٢:٢٧) ولنلاحظ هدوء الملاك فإنه تصرف كما يليق بمن أرسل من قِبِل الله. ودعا النساء أن ينظرن الموضع الذي كان الرب قد اضطجع فيه. وقال لهن أيضًا أن يذهبن ويُخبرن التلاميذ بقيامة الرب، أنه يسبقهم إلى الجليل كما سبق وقال لهم، وأنهم يرونه هناك فتأثرن بكلام الملاك تأثرًا عميقًا جدًا وصدقته وخرجن بعجل ليُخبرن التلاميذ، والرب نفسه ظهر لهن في الطريق وكلمهن بالسلام وقبلَ منهن السجود". انتهى.

١- الآيات:٥ إلى ١٠ - الإصحاح الثامن والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

الباب الثامن: حكم ومواعظ السيد المسيح

حكم السيد المسيح

للسيد المسيح الكثير من الحكم القصيرة المتناثرة هنا وهناك في الإنجيل المقدس. بعض من هذه الحكم اقتطعتها من مواقف أو مواعظ مطولة للرب يسوع المسيح. وهي كالتالي:

- **دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ.**
- **لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَل الْمَرْضَى.**
- **الْحَصَادُ كَثِيرٌ وَلَكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ.**
- **كُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ.**
- **لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ وَلاَ الْعَبْدُ أفضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ.**
- **يَكْفِي التِّلْمِيذَ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ وَالْعَبْدَ كَسَيِّدِهِ.**
- **لَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ وَلاَ خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ.**
- **مَنْ لَهُ أُذُنَان لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ.**
- **الإِنْسَانُ كَمْ هُوَ أفضَلُ مِنَ الْخَرُوفِ!**
- **مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ.**
- **اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّير يُخْرِجُ الشُّرُورَ.**
- **بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ**
- **مَنْ لَهُ أُذُنَان لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ.**
- **لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هَذَا يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ.**
- **إِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطَان كِلاَهُمَا فِي حُفْرَةٍ.**
- **تَحَرَّزُوا مِنْ خَمِير الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ.**
- **مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا.**
- **مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟**
- **إِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا.**
- **الَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ.**
- **لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ.**

- إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ.
- هَذَا عِنْدَ النَّاس غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ وَلَكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ.
- كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ.
- كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ.
- أَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِماً لَكُمْ.
- مَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ.
- لاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ!
- يُصَفُّونَ عَنِ الْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلَ!
- نَقِّ أَوَّلاً دَاخِلَ الْكَأسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضاً نَقِيّاً.
- هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً!
- أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ.
- أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ.
- كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!
- بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ وَيُزَادُ لَكُمْ.
- مِنْ قُلُوبِ النَّاس تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ.
- إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِماً لِلْكُلِّ.
- أَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ.
- كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللَّهِ.
- أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ.
- لَيْسَ هُوَ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ.
- اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلَكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ.
- اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا.
- مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ.
- أَتَقْدِرُونَ أَنْ تَجْعَلُوا بَنِي الْعُرْسِ يَصُومُونَ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟
- لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ رُقْعَةً مِنْ ثَوْبٍ جَدِيدٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ وَإِلاَّ فَالْجَدِيدُ يَشُقُّهُ وَالْعَتِيقُ لاَ تُوافِقُهُ الرُّقْعَةُ الَّتِي مِنَ الْجَدِيدِ.
- كَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ هَكَذَا.
- لَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجاً وَيُغَطِّيهِ بِإِنَاءٍ أَوْ يَضَعُهُ تَحْتَ سَرِيرٍ بَلْ يَضَعُهُ عَلَى مَنَارَةٍ لِيَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ.
- ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاس بَلْ لِيُخَلِّصَ.
- لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ.

- اطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ.
- اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي.
- لاَ تَفْرَحُوا بِهَذَا أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ.
- أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ.
- كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرَبُ وَبَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى بَيْتٍ يَسْقُطُ.
- حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحاً تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ. وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلاحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ.
- بَلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ وَيَحْفَظُونَهُ.
- لَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجاً وَيَضَعُهُ فِي خُفْيَةٍ وَلاَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ لِكَيْ يَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ.
- سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ فَمَتَى كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً وَمَتَى كَانَتْ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ يَكُونُ مُظْلِماً.
- لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَبَعْدَ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ. بَلْ أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الَّذِي بَعْدَمَا يَقْتُلُ لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ هَذَا خَافُوا!
- إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ.
- إِذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ الْمَسَاكِينَ: الْجُدْعَ الْعُرْجَ الْعُمْيَ.
- اَلْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلَكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُصْلَحُ؟ لاَ يَصْلُحُ لأَرْضٍ وَلاَ لِمَزْبَلَةٍ فَيَطْرَحُونَهُ خَارِجاً.
- لاَ يَقْدِرُ خَادِمٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ.
- إِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ وَإِنْ تَابَ فَاغْفِرْ لَهُ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ قَائِلاً: أَنَا تَائِبٌ فَاغْفِرْ لَهُ.
- غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ.

مواعظ السيد المسيح

لعل من أشهر مواعظ السيد المسيح تلك الموعظة العظيمة والخطبة العصماء المسماة (الموعظة على الجبل). وقد وردت هذه الموعظة الجليلة والمطولة في الإصحاحات الخامسة والسادسة والسابعة على التوالي من الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

الموعظة على الجبل

٥:١ وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ فَلَمَّا جَلَسَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ.

٥:٢ فَعَلَّمَهُمْ قَائِلاً:

٥:٣ «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.

٥:٤ طُوبَى لِلْحَزَانَى لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ.

٥:٥ طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ.

٥:٦ طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ.

٥:٧ طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ.

٥:٨ طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ.

٥:٩ طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ يُدْعَوْنَ.

٥:١٠ طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.

٥:١١ طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَاذِبِينَ.

٥:١٢ افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُمْ هَكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ.

٥:١٣ «أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ وَلَكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجاً وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ.

٥:١٤ أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ

٥:١٥ وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجاً وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ.

٥:١٦ فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.

٥:١٧ «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ.

٥:١٨ فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ.

٥:١٩ فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

٥:٢٠ فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.

٥:٢١ «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ.

٥:٢٢ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ.

٥:٢٣ فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ

٥:٢٤ فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ.

٥:٢٥ كُنْ مُرَاضِياً لِخَصْمِكَ سَرِيعاً مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ لِئَلَّا يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِي وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشُّرَطِيِّ فَتُلْقَى فِي السِّجْنِ.

٥:٢٦ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأَخِيرَ!

٥:٢٧ «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ.

٥:٢٨ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ.

٥:٢٩ فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ.

٥:٣٠ وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ.

٥:٣١ «وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ

٥:٣٢ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي.

٥:٣٣ «أَيْضاً سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ:لاَ تَحْنَثْ بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ.

٥:٣٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللَّهِ

٥:٣٥ وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ.

٥:٣٦ وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ.

٥:٣٧ بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ.

٥:٣٨ «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ.

٥:٣٩ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً.

٥:٤٠ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضاً.

٥:٤١ وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ.

٥:٤٢ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ.

٥:٤٣ «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ.

٥:٤٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ

٥:٤٥ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ.

٥:٤٦ لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ ذَلِكَ

٥:٤٧ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟

٥:٤٨ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.

٦:١ «احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ وَإِلَّا فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.

٦:٢ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!

٦:٣ وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ

٦:٤ لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً.

٦:٥ «وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!

٦:٦ وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً.

٦:٧ وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لاَ تُكَرِّرُوا الْكَلاَمَ بَاطِلاً كَالأُمَمِ فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ.

٦:٨ فَلاَ تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ.

٦:٩ «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ.

٦:١٠ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ.

٦:١١ خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ.

٦:١٢ وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا.

٦:١٣ وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَجْدَ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.

٦:١٤ فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ.

٦:١٥ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضاً زَلَّاتِكُمْ.

٦:١٦ «وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ.

٦:١٧ وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ

٦:١٨ لِكَيْ لاَ تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً بَلْ لأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً.

٦:١٩ «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ.

٦:٢٠ بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ

٦:٢١ لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً.

٦:٢٢ سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً

٦:٢٣ وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِماً فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَماً فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ!

٦:٢٤ «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ.

٦:٢٥ لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟

٦:٢٦ اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟

٦:٢٧ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟

٦:٢٨ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ.

٦:٢٩ وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا.

٦:٣٠ فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَداً فِي التَّنُّورِ يُلْبِسُهُ اللَّهُ هَكَذَا أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدّاً يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟

٦:٣١ فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟

٦:٣٢ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا.

٦:٣٣ لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.

٦:٣٤ فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي ايَوْمَ شَرُّهُ.

٧:١ «لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا

٧:٢ لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ.

٧:٣ وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟

٧:٤ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ.

٧:٥ يَا مُرَائِي أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!

٧:٦ لاَ تُعْطُوا الْمُقَدَّسَ لِلْكِلاَبِ وَلاَ تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ لِئَلَّا تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فَتُمَزِّقَكُمْ.

٧:٧ «اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ.

٧:٨ لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ.

٧:٩ أَمْ أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ إِذَا سَأَلَهُ ابْنُهُ خُبْزاً يُعْطِيهِ حَجَراً؟

٧:١٠ وَإِنْ سَأَلَهُ سَمَكَةً يُعْطِيهِ حَيَّةً؟

٧:١١ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ.

٧:١٢ فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ لأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ.

٧:١٣ «ادْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ!

٧:١٤ مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!

٧:١٥ «احْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ وَلَكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ!

٧:١٦ مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَباً أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِيناً؟

٧:١٧ هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَاراً جَيِّدَةً وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَاراً رَدِيَّةً

٧:١٨ لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَاراً رَدِيَّةً وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَاراً جَيِّدَةً.

٧:١٩ كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ.

٧:٢٠ فَإِذاً مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ.

٧:٢١ «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.

٧:٢٢ كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟

٧:٢٣ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!

٧:٢٤ «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ.

٧:٢٥ فَنَزَلَ الْمَطَرُ وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى الصَّخْرِ.

٧:٢٦ وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا يُشَبَّهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ.

٧:٢٧ فَنَزَلَ الْمَطَرُ وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ وَصَدَمَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيماً!».

٧:٢٨ فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الأَقْوَالَ بُهِتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ

٧:٢٩ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ.

الباب التاسع: المسيح المحرر

المسيح هو المُحَرِّر، وقد وردت نبوات عنه في العهد القديم تشير إلى ذلك المعنى. فقد سجل لنا الكتاب المقدس(١) ما تنبأ به اشعياء واصفاً المسيح بأنه المرسل لتحرير المنسحقين، ويقول مرقس البشير: "وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ، فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ». ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ، وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ. فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ». **".**

ويعلق مفسر العهد الجديد خادم الرب وليم ماكدونالد، فيقول:" في الناصرة حيث كان قد تربى يسوع، دخل المجمع حسب عادته يوم السبت. ثمة أمران آخران كان الرب يسوع يقوم بهما على سبيل العادة: كان يصلّي كعادته (لو٢٢: ٣٩)، وكان يعلّم الآخرين كعادته (مر١٠: ١). وذات مرة دخل المجمع وقام ليقرأ من العهد القديم. وإذ دُفع إليه دَرْج مكتوب فيه نبوّة اشعياء، فتح الرب الدرج إلى ما يُعرف اليوم بالإصحاح ٦١ من سفر اشعياء، وجعل يقرأ العدد الأول ونصف العدد الثاني – كلمات تصف خدمة المسيّا. وعندما قال يسوع: «اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم»، كان يقصد بكلّ وضوح أنه هو المسيّا المُرسَل إلى الأمّة. وإنه لأمر هام أن تشمل خدمة المسيّا حقائق عظمى. لقد أتى ليعالج المشاكل الكبرى التي طالما أثقلت كاهل البشرية عبر التاريخ: الفقر؛ لأبشّر المساكين. الحزن؛ لأشفي المنكسري القلوب. العبودية؛ لأنادي للمأسورين بالإطلاق. الآلام؛ وللعمي بالبصر. الظلم؛ أرسل المنسحقين في الحرية. باختصار، لقد أتى يسوع ليكرز بسنة الرب المقبولة، باقتراب حقبة جديدة لشعوب هذا العالم الحزينة. لقد قدّم نفسه حلاً لكلّ ما يؤلمنا؛ وهذا حق، لأنه سواء كانت المشاكل جسدية أو روحية، فالمسيح هو الحلّ". انتهى.

والسيد المسيح هو المحرر بلا نزاع، حيث وصف، له كل المجد، نفسه القدوس المبارك بذلك، فقال: " فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً(٢)**".**

١- الآيات:١٦ إلى ٢١ - الإصحاح الرابع ، الإنجيل المقدس كما دونه لوقا البشير.

٢- الآية: ٣٦ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس كما دونه يوحنا البشير.

ويقول خادم الرب أمين هلال معلقاً على الآية الكريمة السابقة: " ويتميز الرب يسوع أنه ليس فقط حراً لكنه يعطي الحرية للآخرين." كذلك يعلق مفسر العهد الجديد وليم ماكدونالد على هذه الآية فيقول: " لا شك أن كلمة «الابن»، هنا تشير إلى شخص المسيح نفسه. فالذين اختبروا التحرير بفضله، قد صاروا بالحقيقية أحرارًا. وهذا يعني أن كل شخص يُقبل إلى المُخَلِّص وينال منه الحياة الأبدية، يتحرّر بذلك من عبودية الخطية والناموس والخرافات والأرواح الشريرة".

ويقول الرب يسوع المسيح:" وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ»(١)**".**

ويشرح خادم الرب هلال أمين الآية الكريمة السابقة بقوله:" وتعرفون الحق والحق يحرركم - والحق هو الذي يكشف حقيقة كل الأشياء ويظهرها، هو الذي أظهر لنا الله في صفاته والإنسان في صفاته، والرب يسوع هو الحق. وفي التعرف بشخصه ننال الخلاص وبذلك نتحرر من الخطية (يو ٨: ٣٤) والشيطان (٢ تي ٢: ٢٦)".

وقال بولس الرسول في غلاطية(٢):" فَاثْبُتُوا إِذًا فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ**".**

ويعلق خادم الرب ناشد حنا على قول بولس الرسول، قائلاً:" إن امتياز المؤمن في العهد الجديد هو الحرية بخلاف مؤمني العهد القديم الذين كانوا في روح العبودية لأنهم كانوا مستعبدين تحت أركان العالم الضعيفة الفقيرة كما رأينا. والرسول يطلب من المؤمنين الغلاطيين أن يثبتوا في الحرية التي حررنا المسيح بها من نير الناموس ولا يرتبكوا أيضاً بنير عبودية لأنه لا علاقة لهم بهذا النير. وتوجد حادثة في الإنجيل توضح لنا ذلك. فنقرأ في يوحنا ٨ عن المرأة التي أحضروها للرب يسوع وقد أمسكت في زنا، قائلين «موسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت»؟ وبعد أن انحنى الرب يسوع إلى أسفل قال لهم، لابد من تنفيذ حكم الناموس الذى لا يمكن أن ينقض. يجب أن ترجم، ولكن من كان منكم بلا خطية فليرمها بالحجر الأول. وهنا في حضرة الرب دانهم الناموس وحكم عليهم جميعاً بالموت مثلها. فالناموس لم يستطع أن يخلص المرأة ولا أن يخلصهم هم. ولكن المسيح الذى في استطاعته وحده أن يخلص قال للمرأة «ولا أنا أدينك اذهبي ولا تخطئي». لقد أحضروها إلى الرب خاطئة هالكة ولكنها ذهبت من حضرته بقوة حياة جديدة تحيا بموجبها حياة البر والفرح والسلام، ثم قال لليهود بعد ذلك «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً». إن من يفعل الخطية هو عبد للخطية، والناموس يدينه، و لكن المسيح وحده هو الذى يحـــرره و يعطيه قوة لكى لا يخطئ. ليتنا نعطي

١- الآية:٣٢ - الإصحاح الثامن ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير يوحنا.

٢- الآية:١ - الإصحاح الخامس ، رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ، الكتاب المقدس.

آذاناً صاغية لنداء الروح القدس «اثبتوا في الحرية»؟ ومن ذا الذي لا يشتهي الحرية؟ ولكن كثيرين مع الأسف يريدون من تلقاء أنفسهم أن يضعوا أنفسهم تحت الناموس وبالتالي تحت العبودية مثل الغلاطيين قديماً، وعليهم ينطبق قول الرب بفم إرميا قديماً «وشعبي هكذا أحب» (إر٥: ٣١)". انتهى.

لقد حرر الرب يسوع المسيح جميع البشر من كل خطاياهم، بل وحررهم كذلك من قيودهم وأمراضهم وعماهم وخرسهم وصممهم وشللهم وجنونهم. لقد حرر البشر من الأثقال والأحمال التي كانت عبئ ثقيل على كاهلهم. لقد فعل ذلك كله بمحبة خالصة وغير مشروطة، من أجل البشرية جمعاء و دون استثناء. عمل المسيح الكفاري لا يزال سارياً، وهو لم ينقطع سواء عندما كان على الأرض أو حتى بعدما أرسل الروح القدس للمؤمنين. لقد حررنا الرب من سلطان الخوف و سلطان الغلق و سلطان الاضطراب و سلطان الحزن و سلطان اليأس، و أحل محلها الأمان و الطمأنينة و السلام و الفرح و الأمل. بل و حررنا المسيح كذلك من شوكة الموت، و من الغضب الإلهي ونار جهنم. فمن بعد هذا ينبغي أن يلقب بالمحرر أو بأبي الأحرار أو سيد الأحرار غير الرب يسوع المسيح؟!!

فهل هناك إنسان عاقل يترك كل ما يعطيه السيد المسيح من عطايا جزيلة، ومن ضمنها الحرية التي لا حدود لها، ويسعى وراء سراب نهايته الحتمية الهاوية والخسران المبين؟!!

الفصل الثاني

الإمام الحسين بن علي

الباب الأول: شخصية الإمام الحسين بن علي

الإمام الحسين بن علي هو حفيد رسول الإسلام محمد من ابنته فاطمة التي تزوجها الإمام علي بن أبي طالب. وكان أول أسم أطلق عليه هو "حرب"، وربما "الحسين" كان لقب له[١]. تكنيه الشيعة بأبي عبدالله[٢] على الرغم من أن ابنه البكر كان اسمه علي الأكبر. والإمام الحسين يعتبر ثالث الأئمة ترتيباً لدى الشيعة الإمامية الإثناعشرية الذين يبلغ تعدادهم السكاني حول العالم تقريبا ما بين ٢٠٠ إلى٣٥٠ مليون شخص[٣]. و يتمركز أغلب هؤلاء الشيعة في الشرق الأوسط مثل إيران والعراق ودول الخليج العربية[٤] وسوريا ولبنان إضافة لأذربيجان وأفغانستان والباكستان. تعتقد الشيعة بعصمة جميع الأئمة ومن ضمنهم الإمام الحسين بن علي. و العصمة تعني الخلو من الخطأ أو عدم اقتراف الخطية أو المعصية تجاه الله. كما أنهم يعتقدون أن جميع الأئمة أيضاً يعلمون الغيب. وقد قال الشيخ المفيد[٥]:" القول في علم الأئمة (ع) بالضمائر والكائنات وإطلاق القول عليهم بعلم الغيب وكون ذلك لهم في الصفات وأقول: إن الأئمة من آل محمد (ص) قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ولا شرطا في إمامتهم، وإنما أكرمهم الله تعالى به وأعلمهم إياه للطف في طاعتهم و التمسك بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلا ولكنه وجب لهم من جهة السماع". ولهم أيضاً ولاية تكوينية مطلقة. بمعنى أن إله الإسلام أوكل لهؤلاء الأئمة محكومية و سلطان على التكوين، كأن يقولوا للشيء كن فيكون. و قد أشار إلى ذلك بكل وضوح أحد أبرز مراجع الشيعة في العصر الحديث هو آية الله العظمى الإمام الخميني[٦]، إذ يقول:" ان للإمام (عليه السلام) مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وان من ضروريات مذهبنا أن لائمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل". لذا يعتقد الشيعة أن لهؤلاء القدرة المطلقة في الخلق و الرزق و التصرف بالشمس و القمر و النجوم والكون بما فيه. بل و حسب معتقد الشيعة فأن الكون ملزم بطاعة رسول الإسلام محمد و ابنته فاطمة و اثنى عشر إماماً، هم: علي بن أبي طالب(الإمام أمير المؤمنين)، الحسن بن علي(الإمام المجتبى)، الحسين بن علي (الإمام الشهيد)، علي بن الحسين(الإمام السجاد)، محمد بن علي(الإمام الباقر)، جعفر بن محمد (الإمام الصادق)، موسى بن جعفر(الإمام الكاظم)، علي بن موسى(الإمام الرضا)، محمد بن علي (الإمام الجواد)، علي بن محمد(الإمام الهادي)، الحسن بن محمد(الإمام العسكري)، محمد بن الحسن(الإمام المهدي المنتظر).

١- رجاء مراجعة الصفحة: ١٦٨ وَ الصفحة: ١٦٩ لمزيد من التفاصيل.
٢- عبدالله أو عبدالله الرضيع هو أصغر أطفال الإمام الحسين بن علي. قتل رضيعاً في يوم العاشر من المحرم سنة ٦١هـ في معركة الطف.
٣- جميع الوكالات و المؤسسات العالمية المختصة بالإحصاءات تقدر عدد الشيعة ما بين ١٠ إلى ٢٠% من العدد الإجمالي للمسلمين في العالم.
٤- دول الخليج العربي: هي السعودية والكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان.
٥- أوائل المقالات - الشيخ المفيد – الصفحة: ٦٧.
٦- كتاب الحكومة الاسلامية- الإمام روح الله الموسوي الخميني – صفحة: ٥٢.

و الإمام الأخير هو الذي يعتقد الشيعة أنه قد ولد في سنة ٢٥٥هجرية (٨٦٩م)، وأنه غاب عن الأنظار وهو طفل في السادسة من عمره، و هو لايزال حي - حتى الآن - منتظر الأمر من إله الإسلام للخروج من غيبته الكبرى، ومن ثم قيامه بنشر الإسلام الحقيقي من جديد، وايضاً الثأر لمصاب أهل البيت(١).

و قد أشار الشيخ المفيد في أوائل المقالات(٢) أنه :" اتفقت الإمامية على أن الإمامة بعد النبي (ص)، في بني هاشم خاصة، ثم في علي و الحسن و الحسين و من بعد في ولد الحسين (ع) دون ولد الحسن - عليهما السلام - إلى آخر العالم".

من معتقدات الشيعة أيضاً أن الخلفاء الثلاثة الأوائل الذين مسكوا مقاليد السلطة بعد وفاة رسول الإسلام محمد وهم: أبو بكر الصديق وَ عمر بن الخطاب وَ عثمان بن عفان يعتبرون فاسقين لمخالفتهم وصية رسول الإسلام محمد. لذلك فأن مصير هؤلاء الثلاثة هو قعر جهنم خالدين فيها أبداً. وَ زوجة رسول الإسلام محمد عائشة بنت أبي بكر تعد خائنة أيضاً لمحاربتها إمام زمانها الإمام علي بن ابي طالب. لذلك أيضاً هي - حسب المعتقد الشيعي - مخلدة في نار جهنم.

و حسب اعتقاد الشيعة أيضاً فان الكثير من أصحاب رسول الإسلام محمد يعتبرون خونة و فسقة و في ضلال، و سيكون مصيرهم في الحياة الآخرة كمصير أي شخص لم يؤمن بالإسلام.

وقد قال الشيخ المفيد(٣) في أوائل مقالاته أنه :" اتفقت الإمامية وكثير من الزيدية على أن المتقدمين على أمير المؤمنين - عليه السلام - ضلال فاسقون، وأنهم بتأخيرهم أمير المؤمنين - عليه السلام - عن مقام رسول الله - صلوات الله عليه وآله - عصاة ظالمون، وفي النار بظلمهم مخلدون". ويضيف الشيخ المفيد أيضاً:" واتفقت الإمامية والزيدية و الخوارج على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين (ع)، وأنهم بذلك في النار مخلدون". وقال أيضاً:" واتفقت الإمامية و الزيدية وجماعة من أصحاب الحديث على أن الخوارج على أمير المؤمنين (ع) المارقين عن الدين كفار بخروجهم عليه وأنهم في النار بذلك مخلدون. و أجمعت المعتزلة على خلاف ذلك. ومنعوا من إكفارهم واقتصروا في تسميتهم على التفسيق، وأوجبوا عليهم التخليد في الجحيم". انتهى.

١- أهل البيت هم عائلة رسول الإسلام محمد. ويقصد به علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين. و يشمل ذلك أبناء الأئمة، بل و يشمل أيضاً بني ابي طالب كالعلويين (نسبة إلى علي بن ابي طالب) وبني عقيل وبني جعفر. بني العباس يعتبرون أيضاً من أهل البيت. طائفة أهل السنة و الجماعة و طائفة الشيعة غير متفقين في مسألة ضم أو عدم ضم نساء رسول الإسلام محمد إلى أهل بيته.

٢- أوائل المقالات - الشيخ المفيد ، الصفحة: ٤٠.

٣- أوائل المقالات - الشيخ المفيد ، الصفحات:٤١ إلى ٤٣.

و فيما يلي نذكر بعض أهم كبار صحابة رسول الإسلام محمد، الذين يحتقرهم و يزدريهم الشيعة بسبب عدم مساندتهم للإمام علي ابن ابي طالب، وابنائه الإمام الحسن و الإمام الحسين في استرداد حقهم في خلافة الأمة الإسلامية، من بعد وفاة رسول الإسلام محمد:

- **عبيدة بن الجراح.**
- **الزبير بن العوام**
- **طلحة بن عبيد الله**
- **عبد الرحمن بن عوف**
- **سعد بن أبي وقاص**
- **أبو عبيدة بن الجراح**
- **سعيد بن زيد**
- **خالد بن الوليد.**
- **معاوية بن أبي سفيان.**
- **أنس ابن مالك.**
- **عمر بن العاص.**
- **عبدالله بن عمر بن الخطاب.**
- **أبو هريرة. إضافة للمئات من أصحاب رسول الإسلام محمد.**

مولده

يختلف المسلمون الشيعة حول اليوم و السنة التي ولد فيها الإمام الحسين. البعض يذهب إلى أنه ولد في العام الثالث الهجري، والبعض الآخر يرى أنه ولد في السنة الرابعة من الهجرة. لكننا نشاهد في وقتنا الراهن أن أغلب، إن لم يكن كل، الشيعة يحتفلون بإحياء مولده في اليوم الثالث من شهر شعبان. الشيعة متفقون أن الإمام الحسين بن علي قد ولد في المدينة (يثرب). أما فيما يخص بتسميته عند ولادته، فقد أورد مؤلف كتاب بحار الأنوار[١] ضمن حديث مطول له، أشار فيه إلى ميل والده الإمام علي بتسميته حرب عند ولادته. حيث قال: "عن علي بن الحسين صلوات الله عليهم قال: حدثتني أسماء بنت عميس قالت: حدثتني فاطمة عليها السلام .... إلى قوله: قالت أسماء: فلما كان بعد حول ولد الحسين و جاءني النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هلمي ابني، فدفعته في خرقة بيضاء .... إلى قوله: ثم قال لعلي عليه السلام: أي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله وقد كنت أحب أن اسميه حربا، فقال النبي عليه السلام و لا أسبق باسمه ربي عز وجل، ثم هبط جبرئيل فقال: يا محمد العلي الاعلى يقرئك

١- بحار الأنوار- للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي - الجزء الثاني ، الصفحات: ١١٠ إلى ١١٢.

السلام ويقول لك: علي منك كهارون من موسى سم ابنك هذا باسم ابن هارون، قال النبي صلى الله عليه وآله: وما اسم ابن هارون؟ قال: شبير قال النبي: لساني عربي قال جبرئيل: سمه الحسين، فسماه الحسين، فلما كان يوم سابعه عق عنه النبي صلى الله عليه وآله بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذا ودينارا، ثم حلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقا، وطلى رأسه بالخلوق. فقال صلى الله عليه وآله: يا أسماء الدم فعل الجاهلية". انتهى.

أهل السنة لا يعتقدون بصحة الرواية الشيعية، والشيعة كذلك لا يعتقدون بصحة الرواية المستسقاة من كتب أهل السنة. لكنني قبلت كلاً من الروايتين معاً، و ذلك لغرض تأريخ و توثيق واقعة معينة حدثت فعلاً في الماضي البعيد. ولم يكن قبولي ذلك نابعاً عن اعتقاد بصحة رواية عن رواية أخرى، أو محاباة رواية على أخرى. الرواية السنية مذكورة في الكثير من المراجع الإسلامية السنية. ومن ضمنها ما حدث به الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده(١)، حيث قال:" حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ عن علي رضي الله عنه قال لما ولد الحسن سميته حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه قال قلت حربا قال بل هو حسن فلما و لد الحسين سميته حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه قال قلت حربا قال بل هو حسين فلما ولد الثالث سميته حربا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه قلت حربا قال بل هو محسن ثم قال سميتهم بأسماء ولد هارون شبر و شبير ومشبر".

الروايتان كافيتان من حيث الاستشهاد بهما كورقة و مستند تاريخي فحسب. و ذلك لتوثيق حادثة تاريخية. لذا يمكنني القول أن أسم الحسين كان حرب و ذلك أول ما سمي به عند ولادته. و ربما أراد رسول الإسلام محمد بذلك أن يصفه أو يسبق عليه بلقب اختاره له ليغطي أسمه الحقيقي. على أن العرب كانت قد اعتادت أن تطلق على ابناءها مسميات مثل حرب و صخر و مرة والمغيرة وحمزة وعباس لكي تبث الرعب في نفس و قلب العدو. و لا تفيد كل من الروايتين سواء الشيعية أو السنية أن أسم "الحسين" كان مجرد لقب له، أو أن ذلك كان اسمه الحقيقي. فمما لاشك فيه أن بعض من أهل بيت و أسلاف رسول الإسلام محمد كان لهم القاب قد عرفوا و اشتهروا بها، حتى ظن البعض خطئاً أنها اسمائهم الحقيقية. لكن بدراسة المراجع الإسلامية الشيعية تبين أنه ما كان يظن أنها مسمياتهم اتضح لنا أنها كانت مجرد القاب لهم و ليست مسمياتهم الحقيقية أو الفعلية. فعلى سبيل المثال لا الحصر: علي بن أبي طالب كان ذلك لقب له، بينما اسمه الحقيقي هو زيد بن عبد مناف(٢). و سكينة بنت الإمام الحسين كان ذلك لقبها، واسمها الحقيقي هو آمنة أو أمة أو أميمة(٣). وعبدالمطلب بن هاشم - جد رسول الإسلام- كـــان

١- مسند الإمام أحمد - الجزء الأول - الصفحة: ٩٨ ، وَ الصفحة: ١١٨.

٢- رجاء مراجعة الصفحة: ١٧٥ لمزيد من التفاصيل.

٣- رجاء مراجعة الصفحة: ١٧٢ لمزيد من التفاصيل.

ذلك لقبه. بينما اسمه الحقيقي كان شيبة (أو عامر) بن عمرو، وهكذا. لذا ليس بمستغرب أن يكون الاسم الحقيقي للإمام الحسين هو حرب و ليس حسين. وكي أكون أميناً مع القارئ العزيز فيمكنني القول أيضاً أنه ليس هنالك ما يبرهن أو ينفي أن اسمه الحقيقي هو حرب أو حسين. السبب في ذلك يعود إلى طمس أو تحريف أكثر الآثار الدالة أو التي تشير إلى الاسم الحقيقي للإمام الحسين بكل صراحة وَ وضوح. و أن سبب ذلك في اعتقادي يرجع إلى المكنة الإعلامية لخلفاء بني العباس، الذين اقاموا دولتهم على حساب مظلمة الإمام الحسين وأهل بيته، و أيضاً رغبتهم في إضفاء نوع من البهرجة الإعلامية و القدسية لأسلافهم و أرحامهم.

القاب الإمام الحسين بن علي

للإمام الحسين بن علي بن أبي طالب القاب كثيرة أطلقها عليه محبيه و مواليه من الشيعة، وهي تملأ صفحات الكتب الإسلامية الشيعية. و نذكر منها ما يلي:

- **الإمام الشهيد**
- **سيد شباب أهل الجنة**
- **السبط**
- **ريحانة الرسول**
- **قتيل العبرة**
- **ابن الرسول**
- **ابن النبي**
- **الوصي**
- **ابن الوصي**
- **المجاهد**
- **المصلح**
- **ابو الأحرار**
- **الإمام المظلوم**
- **الغريب**
- **غريب كربلاء**
- **المقتول بكربلاء**
- **ابو عبدالله**
- **القائد الأبيّ**

- الرشيد
- الطيب
- الزكي
- الوفي
- السيد
- المبارك
- النافع لمرضاة الله
- أبو الأئمة
- المبلغ
- الناصح
- النور
- الهادي
- المهدي
- الوفي
- الصابر
- الداعي
- المخلص
- العبد الصالح
- الأمر بالمعروف
- الناهي عن المنكر
- ركن المؤمنين
- دعامة الدين
- شريك القرآن
- مصباح الهدى
- المبلغ عن الله ورسوله

زوجاته و أولاده

تزوج الإمام الحسين بن علي من نساء كثيرات. هذا عدا الجواري من ملكات اليمين و سواهن اللائي لم أجد مصدر موثوق يطلعني على عددهن بكل دقة.

زوجاته:

١- ليلي وقيل بل أسمها برة بنت عروة بن مسعود الثقفي.
٢- أم ولد (جارية) اسمها سلافة، وقيل اسمها غزالة، وقيل أن أسمها خولة، وقيل أن اسمها حرار، وقيل بل اسمها شاه زنان أو جهان شاه أو شهربانو بنت يزدجرد ملك الفرس.
٣- الرباب بنت امرئ القيس الكندية.
٤- القضاعية، وهي أم جعفر بن الحسين، ولم تذكر المصادر الإسلامية أسمها كاملاً.
٥- أم إسحاق بنت طليحة بن عبد الله.
٦- عائشة بنت خليفة[١].
٧- حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[١].
٨- عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل[١].

أبناء الإمام الحسين:

١- علي الأكبر و أمه ليلى (وقيل برة) بنت عروة بن مسعود الثقفي.
٢- محمد وعبد الله وسكينة الكبرى والصغرى وأمهم الرباب بنت امرئ القيس الكندية. وقيل أن الربّاب ولدت للإمام الحسين(ع) ولدين هما: سُكينة - قيل اسمها أميمة، أو أمينة، أو آمنة. وسكينة لقب لقبت به وغلب عليها- وعبد الله، قتل يوم الطّفّ والرّباب تنظر إليه.[٢]
٣- جعفر وأمه القضاعية.
٤- فاطمة وزينب ورقية وأمَّهن أم إسحاق بنت طليحة بن عبد الله.
٥- قيل أن لديه بنت اسمها خولة مدفونة في بعلبك بلبنان، لكن ليس هنالك مصادر تاريخية تثبت ذلك.
٦- علي الأوسط، وعلي الأصغر و اشتهر بزين العابدين أو السجاد. قيل أن أمهما شهربانو بنت يزدجر الثالث ملك الفرس التي تم أسرها وسبيها في إيران و حملت إلى المدينة (يثرب). ثم اشتراها الإمام علي بن أبي طالب لإبنه الإمام الحسين. ذكر السيد المرعشي في كتابه شرح إحقاق الحق - الجزء ٣٢ - الصفحة ١٤٩: " ومن أقضيته كرم الله وجهه قضاؤه في بنات يزدجرد آخر ملوك فارس، وذلك على ما يرويه العلامة الزمخشري في كتابه " ربيع الأبرار "، فيقول رحمه الله: لما جيء إلى المدينة بسبي فارس في خلافة عمر بن الخطاب كان في هذا السبي ثلاث بنات ليزدجرد، فأمر عمر رضي الله عنه ببيع البنات الثلاث، فقال الإمام علي كرم الله وجهه: إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السّوقة. فسأله أمير المؤمنين عمر: كيف الطــريق إلى العمل معهن يا أبا الحسن؟ فقال كرم الله وجهه: يقومن يا

١- شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي ، الجزء السابع والعشرون ، الصفحة: ٤٦٩ إلى ٤٧١.
٢- مقال بعنوان " الرّباب بنت امرئ القيس زوجة الإمام الحسين (ع)" بقلم الإعلامية وَ الكاتبة الدكتورة أليس كوراني – الموقع الإلكتروني لسماحة آية الله الفقيه السيد حسين الصدر. ذكر ذلك أيضاً السيد محسن الأمين في كتابه الموسوم (أعيان الشيعة)، وغيره من علماء الشيعة.

أمير المؤمنين، ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن. وقد أخذ عمر برأي الإمام فأخذهن علي رضي الله عنه، ثم دفع بواحدة لعبد الله بن عمر، ودفع بالثانية إلى محمد بن أبي بكر، ودفع بالثالثة إلى الحسين."

وقيل أن أم الإمام السجاد هي سلافة التي تم سبيها في سجستان، ذكر ذلك البلاذري(١) حيث قال: " قالُوا: و كانت أم عَلِيّ بْن الْحُسَيْن سجستانية تدعى سلافة". و قال(٢) أيضاً أن:" علياً الأصغر- وَهُوَ الَّذِي أعقب - وأمه أم ولد تسمى سلافة". بينما ذهب اليعقوبي(٣) للقول في تاريخه أن" علي الأصغر، وأمه حرار بنت يزدجرد، وكان الحسين سماها غزالة". و قال ابن أبي الفتح الأربلي(٤) أن: "أمه أم ولد اسمها غزالة ، وقيل : بل كان اسمها شاه زنان بنت يزدجرد وقيل : غير ذلك". وقال أبو العباس محمد المبرد(٥) أنه :" كان اسم أم علي بن الحسين عليهما السلام سلافة من ولد يزدجرد معروفة النسب، من خيرات النساء. وقيل: (اسمها) خولة".

المؤرخون المسلمون يوثقون أحداث لا تتماشى مع الرواية التي ساقها العلامة الزمخشري في كتابه "ربيع الأبرار". فالمسعودي يذكر في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ضمن سرده التاريخي للمملكة الساسانية، أنه:" ثم ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن بهرام بن يزدجر بن سابور بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك بنساسان. وهو آخر ملوك الساسانية فكان ملكه إلى أن قتل بمرو من بلاد خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وهي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة، وقيل غير ذلك مقدار ملكه وخبر مقتله". وقال في صفحة أخرى من نفس الكتاب: " وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ما ذكرنا. وله خمس وثلاثون سنة. وخلف من الولد: بهرام، وفيروز، ومن النساء أدرك، وشاهين، ومرداوند". فالمسعودي هنا يحدد أن عمر يزدجرد عندما أعتلى عرش مملكة ساسان كان بعمر ١٥ سنة وظل ملكاً لمدة عشرين سنة وتوفي عند سن الخامسة والثلاثون، ولم يكن من اسماء بنات يزدجرد ما يطابق اسم أي زوجة للإمام الحسين بن علي.

و في معرض سرده لأحداث ما بين سنتي١٤وَ ١٥هجرية اشار اليعقوبي(٦) إلى أن يزدجرد كان بعمر عشرين سنة عندما هجم المسلمون على مملكته، فيقول أنه: " لما رأت الفرس ما هم فيه

١- كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ، الجزء الثالث، صفحة: ١٠٢.
٢- أنساب الأشراف للبلاذري ، الصفحة: ١٤٦ ، الجزء ٣.
٣- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي - ج ٢ ، الصفحة: ٢٤٧.
٤- كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة لأبى الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي- الجزء الثاني ، صفحة: ٣٠٣، و الصفحة: ٨ من الجزء السادس والأربعون من كتاب بحار الأنوار للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي.
٥- الكامل للمبرد: ج ٢ ، ص: ٩٣ ، طبعة محمد على صبيح بمصر سنة ١٣٤٧هـ.
٦- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي - ج ٢ ، الصفحة: ١٤٣.

من الضعف و المهانة وظهور المسلمين عليهم اجتمعوا على قتل رستم و الفيرزان، ثم قالوا: إن في هذا إشتاتاً لأمرنا، فطلبوا ابن كسرى حتى وجدوا يزدجرد، وهو ابن عشرين سنة، فملكوه عليهم، فضبط أمورهم، وحسن تدبيره، واشتدت المملكة".

إن الروايات المتعلقة بزواج الإمام الحسين ببنت ملك فارس لا ترقى إلى المصداقية أو الصحة. لأسباب منها هو عدم اتفاق المصادر الإسلامية على رأي يحددون فيه اسم و هوية هذه الجارية التي أنجبت للإمام الحسين ابنه علي السجاد. فهل يعقل أن يكون لامرأة أكثر من ستة اسماء مختلفة؟ هذا من جانب ومن جانب آخر وجود تضارب في أصل الروايات وعدم عقلانيتها. فقد حللها بعض الباحثين أمثال الباحث الإيراني الدكتور سعيد نفيسي فوجدها غير مقبولة لأنها تتعارض مع الأحداث التاريخية الموثقة. و قد أشار ذلك الباحث في كتابه (تاريخ أيران الإجتماعي) بالقول:" أن يزدجرد الثالث لم تكن له أصلا بنت باسم شهربانو حتى تأسر في المدائن وتأخذ لعمر لكي تتزوج بالإمام الحسين وتكون أماً للإمام السجاد. كما أن يزدجرد في فترة خلافة عمر كان عمره خمسة عشر عاما فكيف تسنى ان يكون له بنت بعمر الزواج!".

الباب الثاني: نسب الإمام الحسين بن علي

هو الإمام الحسين (أو حرب) بن الإمام زيد (و لقبه علي) بن عبد مناف (و يكنى بأبي طالب) بن شيبة أو عامر (و لقبه عبدالمطلب) بن عمرو (و لقبه هاشم) بن المغيرة (و لقبه عبد مناف) بن زيد(و لقبه قصي) بن كلاب القرشي.

ذكر الشيخ الصدوق[١] أنه: "حدثنا علي بن عيسى المجاور(رحمه الله)، قال: حدثنا علي بن محمد ابن بندار، عن أبيه، عن محمد بن علي المقري، عن محمد بن سنان، عن مالك بن عطية، عن ثوير بن سعيد، عن أبيه سعيد بن علاقة، عن الحسن البصري، قال: صعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) منبر البصرة فقال: أيها الناس، انسبوني، فمن عرفني فلينسبني، وإلا فأنا أنسب نفسي، أنا زيد بن عبد مناف بن عامر بن عمرو ابن المغيرة بن زيد بن كلاب، فقام إليه ابن الكواء فقال: يا هذا، ما نعرف لك نسبا غير أنك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. فقال له: يا لكع، إن أبي سماني زيدا باسم جده قصي، وإن اسم أبي عبد مناف فغلبت الكنية على الاسم، وإن اسم عبد المطلب عامر فغلب اللقب على الاسم، واسم هاشم عمرو فغلب القلب على الاسم، واسم عبد مناف المغيرة فغلب اللقب على الاسم، وإن اسم قصي زيد فسمته العرب مجمعا - لجمعه إياها من البلد الأقصى إلى مكة - فغلب اللقب على الاسم". انتهى.

و ورد في بحار الأنوار[٢] أيضاً أن عبدالمطلب أنشأ يقول قاصداً ابنه أبا طالب:

وصيت من كفيته بطالب * عبد مناف وهو ذو تجارب

و هذه قائمة ببعض المصادر و المراجع الإسلامية التي تذكر و تشير إلى أن عبد مناف هو الاسم الحقيقي والفعلي لأبي طالب:

مقاتل الطالبيين صفحة ٣ / المستدرك للحاكم الجزء٣ والصفحة ١٠٨ / شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد المعتزلي الجزء١ الصفحة ١١ و الجزء١٥ الصفحة ٢١٩ / المجموع للنووي الجزء١ الصفحة ٣٤٨ و الجزء٤ الصفحة ٣٥ / خصائص الأئمة للشريف الرضي الصفحة ٦٨ / وسائل الشيعة (طبعة مؤسسة آل البيت) الجزء ١٦ الصفحة ٢٣١ - (طبعة دار الإسلامية) الجزء١١ الصفحة ٤٨١ / نبوة أبي طالب تأليف مزمل حسين الميثمي الغديري (طبعة قم - ايران) الصفحة ٧ - ١٢ / مدارك الأحكام الجزء٥

١- كتاب الأمالي للشيخ الصدوق ، الصفحة: ٧٠٠.
٢- بحار الأنوار - العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ، ج: ٣٥- الصفحة: ٨٥.

الصفحة ٢٥٧ / ذخيرة المعاد (طبعة قديمة) للمحقق السبزواري الجزء١ ق٣ الصفحة ٤٦٠ / الهداية الكبرى للخصيبي الصفحة ٩٥ / دلائل الإمامة للطبري(الشيعي) الصفحة ٥٧ / العمدة لابن البطريق الصفحة ٢٣ و الصفحة ٤١١/ لصفحة ١٧١ - عمدة الطالب لابن عنبة الصفحة ٢١ / بحار الأنوار الجزء٢٢ الصفحة ٢٦٠ و الجزء٣٥ الصفحة ٦٦ و الصفحة ١٣٨ و الصفحة ١٤١ / مناقب أهل البيت "عليهم السلام" للشيرواني الصفحة ٤٩ / جامع أحاديث الشيعة الجزء١٤ الصفحة ٥٨٣ / مستدرك سفينة البحار الجزء٦ الصفحة ٥٥٤ / شرح مسلم للنووي الجزء١ الصفحة ٢١٣ / فتح الباري الجزء٧ الصفحة ١٥٠ و الجزء١٠ الصفحة ٤٨٩ / عمدة القاري الجزء٢ الصفحة ١٤٧ و الجزء٨ الصفحة ١٨٠ و الجزء٩ الصفحة ٢٢٧ و الجزء١٧ الصفحة ١٧ و الجزء١٨ الصفحة ٢٧٧ و الجزء٢١ الصفحة ٢١٨ و الجزء٢٣ الصفحة ١٢٥ / الآحاد والمثاني للضحاك الجزء١ الصفحة ١٣٥ / سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري الصفحة ٣ / المعجم الكبير للطبراني الجزء١ الصفحة ٩٢ / معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري الصفحة ١٨٤ / الإستيعاب الجزء١ الصفحة ٣٧٠ و الجزء٣ الصفحة ١٠٨٩ / تفسير مقاتل بن سليمان الجزء١ الصفحة ٣٤٢ / تفسير الثعلبي الجزء٤ الصفحة ١٤١ - الإكمال في أسماء الرجال للتبريزي الصفحة ١٦٣ / الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء١ الصفحة ٩٣ و ١٢١ و الجزء٣ الصفحة ١٩ و الجزء٤ الصفحة ٣٤ / تاريخ ابن معين الجزء١ الصفحة ٢٤ / طبقات خليفة بن خياط الصفحة ٣٠ / الجرح والتعديل للرازي الجزء٢ الصفحة ٤٨٢ و الجزء٦ الصفحة ١٩٢ / الثقات لابن حبان الجزء١ الصفحة ٣٢ و الجزء٢ الصفحة ١٣٥ / تاريخ بغداد الجزء١ الصفحة ١٤٣ / التعديل والتجريح للباجي الجزء٢ الصفحة ٨٩١ و الجزء٣ الصفحة ١٠٧٤ / تاريخ مدينة دمشق الجزء٣ الصفحة ١١٨ و الجزء٤٢ الصفحات ٧ و ١٢ و ١٥ و الجزء٦٦ الصفحة ٣٠٩ و الصفحة ٣١٠ / أسد الغابة الجزء١ الصفحة ٣١ و الصفحة ٢٨٦ و الجزء٣ الصفحة ٤٢٢ و الجزء٤ الصفحة ١٦ / تهذيب الكمال للمزي الجزء١ الصفحة ٢٠٠ و الجزء٥ الصفحة ٥٠ و ٥١ و الجزء٢٠ الصفحة ٤٧٢ / الأعلام للزركلي الجزء٥ الصفحة ١٣٠ / المعارف لابن قتيبة الصفحة ٢٠٣ /أنساب الأشراف للبلاذري الصفحة ٢٣ /المجدي في أنساب الطالبين الصفحة ٧.

كما يتضح من المراجع الكثيرة، والرواية السابقة الذكر، وسواها من الروايات الأخرى الصحيحة السند والمتن التي تبرهن أن الاسم الأصلي والحقيقي لجد الإمام الحسين من أبيه كان عبد مناف ويكنى بأبي طالب. ولا توجد معلومات كافية عن شخصية وهوية ابنه الأكبر طالب. ربما كان طالب هذا شخص حقيقي أو غير ذلك. وهذا بطبيعة الحال ليس له ذات أهمية في كتابنا هذا على الإطلاق. فالموضوع أكبر وأهم من ذلك بكثير لإتصاله بحقيقة هامه وجوهرية، تتعلق بما قيل عن أن عبدالمطلب و آبائه كانوا قوم موحدين. فقد قال الشيعة أن أول ما خلقه إله الإسلام كان نور رسول الإسلام محمد الذي أودعه في صلب آدم أبي البشر. فأخذ هذا النور ينتقل من آدم ثم إلى نوح ثم وصل إلى إبراهيم فإسماعيل إبنه ثم إلى عبدالمطلب فانقسم هذا النور إلى شقين. شق منه ذهب إلى أبي محمد - عبدالله - ثم استقر في رسول الإسلام محمد نفسه. و الشق الآخر من ذلك النور ذهب إلى أبي طالب (عبد مناف) ومنه انتقل إلى الإمام علي بن أبي طالب فتفرع إلى ابنيه الإمامين الحسن والحسين ثم إلى الأئمة التسعة من ذرية الحسين.

وقد قال الشيخ المفيد[١] شارحاً عقيدة الشيعة الإمامية في هذا الأمر أنه:" اتفقت الإمامية على أن آباء رسول الله (ص) من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله - عز وجل - موحدون له. واحتجوا في ذلك بالقرآن والأخبار، قال الله - عز وجل: (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين). و قال رسول الله (ص): (لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين، إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا). وأجمعوا على أن عمه أبا طالب - رحمه الله - مات مؤمنا، وأن آمنة بنت وهب كانت على التوحيد، وأنها تحشر في جملة المؤمنين". انتهى.

أيضاً ورد في حلية الأبرار[٢] في حديث مطول أن: " محمّد بن خالد الطيالسي، ومحمّد بن عيسى بن عبيد، بإسنادهما عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام: كان الله ولا شيء غيره، ولا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته .... الى ان يقول:- فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوّل من عبد الله، وأوّل من أنكر أن يكون له ولد أو شريك، ثمّ نحن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثمّ أودعنا بعد ذلك صلب آدم عليه السلام فما زال ذلك النور ينتقل من الأصلاب والأرحام، من صلب إلى صلب، ولا استقرّ في صلب إلّا تبيّن عن الّذي انتقل منه انتقاله، وشرّف الّذي استقرّ فيه، حتى صار في عبد المطّلب، فوقع بأمّ عبد الله فاطمة، فافترق النور جزئين: جزء في عبد الله، وجزء في أبي طالب عليه السلام، فذلك قوله تعالى: وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ يعني في أصلاب النبيّين وأرحام نسائهم، فعلى هذا أجرانا الله تعالى في الأصلاب والأرحام، حتى أخرجنا في أوان عصرنا وزماننا، فمن زعم أنّا لسنا ممّن جرى في الأصلاب والأرحام، وولّدنا الآباء والأمّهات فقد كذب". انتهى.

و ذكر العلامة المجلسي[٣] في بحاره أن :"(الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين) في أن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم الجنة والنار وقبل أن يخلق آدم ونوحا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام وقبل أن يخلق الأنبياء كلهم بأربع مئة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة ...... الى ان يقول في أن الأئمة عليهم السلام كانوا أشباح نور حول العرش قبل أن يخلق آدم عليه السلام بخمسة عشر ألف عام. في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله خلقني وعليا وفاطمة والحسن والحسين من قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، وكنا أشباح نور قدام العرش، ونسبح الله ونحمده ونقدسه ونمجده، ثم قذفنا في صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الاباء وأرحام الأمهات، ولا يصيبنا نجس الشرك، ولا سفاح الكفر". انتهى.

١- كتاب أوائل المقالات - الشيخ المفيد ، الصفحات: ٤٥ وَ ٤٦.

٢- حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني - الجزء: ١ - الصفحات: ١٣ إلى ١٧.

٣- بحار الأنوار - الشيخ المجلسي - الجزء ١٠٨ ، الصفحة: ١٩٨.

لقد كان لشيبة أو عامر – عبدالمطلب - جد رسول الإسلام محمد اثنى عشر ابناً هم كالتالي:

١- الحارث: أكبر أبنائه ومات على حياة أبيه ومن أبنائه: عبد الله وأبو سفيان وأمية وربيعة ونوفل وعبدالمطلب وأروى.
٢- عبد مناف، و أبنائه: طالب وعقيل وجعفر وعلي وأم هانئ وجمانة.
٣- ضرار، مات قبل الإسلام.
٤- الزبير، مات قبل الإسلام من ابنائه: الطاهر وعبد الله وحجل وقرة وضباعة.
٥- عبد العزى و يلقب بأبي لهب من أبنائه: عتبة وعتيبة ومعتب ودرة.
٦- مصعب.
٧- المقوم.
٨- قثم.
٩- المغيرة.
١٠- عبد الله والد رسول الإسلام محمد.
١١- العباس، وابنائه: الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وكثير والحارث وتمام وأم حبيب وصفية وآمنة.
١٢- حمزة، من ابنائه: يعلى وعمارة وعامر وفاطمة.

و لشيبة أو عامر - عبدالمطلب - أيضاً ست بنات هن: أم حكيم، عاتكة، برة، أميمة، أروى، صفية.

هل كان عبدالمطلب موحد؟

لقد سمى عبدالمطلب اثنين من ابنائه بأسماء وثنية. و هما كما يتضح من أسماء ابنائه: عبد مناف و عبد العزى. فمناف و العزى كانا صنمين أو وثنين يعبدان في الجاهلية من قبل الوثنيين العرب ومن ضمنها قبيلة قريش.

تعريف الصنم و الوثن:

يضع جواد علي(١) تعريف شامل لمعنى الصنم والوثن إذ يقول:" والصنم في تعريف علماء اللغة هو ما اتخذ إلهًا من دون الله، وما كان له صورة كالتمثال "مثال"، وعمل من خشب، أو ذهب، أو فضة، أو نحاس، أو حديد، أو غيرها من جواهر الأرض. وقال بعضهم: الصنم جثة متخذة من فضة، أو نحاس، أو ذهب، أو خشب، أو حجارة، متقربين به إلى الله، فالشرط فيه أن يكون جثة:

١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي- الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، الصفحة: ٧١ ، الناشر : دار الساقي.

جثة إنسان أو حيوان. وقيل: الصنم الصورة بلا جثة. وذكر أن الصنم ما كان من حجر أو غيره. وعرف بعضهم الصنم بأنه ما كان له جسم أو صورة فإن لم يكن له جسم أو صورة، فهو وثن". ويضيف أيضاً[١]:" وأما كلمة "وثن" فهي من الكلمات العربية القديمة الواردة في نصوص المسند. ويظهر من استعمال هذه الكلمة في النصوص مثل: "وليذبحن وثنن درا بخرفم ذبصم صححم أنثيم وذكرم"، أي "وليذبح للوثن مرة في السنة ذبحًا صحيحًا، أنثى أو ذكرًا". إن الوثن هو الذي يرمز إلى الإله، أي بمعنى الصنم في القرآن الكريم". انتهى.

١- الوثن مناف:

قال عنه ابن الكلبي[٢] في كتابه (الأصنام) أنه: "وكان لهم مناف، فيه كانت تسمي قريش "عبد مناف" ولا أدري أين كان، ولا من نصبه؟ ولم تكن الحيض من النساء تدنو من أصنامهم، ولا تمسح بها. إنما كانت تقف ناحية منها. ففي ذلك يقول بلعاء بن قيس بن عبدالله بن يعمر، وهو الشداخ الليثي، وكان أبرص:

تركت ابن الحريز على ذمام* وصحبته تلوذ به العوافي

ولم يصرف صدور الخيل إلا* صوايح من أياتيم ضعاف

وقرنِ قد تركت الطير منه* كمعتنز العوارك من مناف

و يشير الدكتور جواد علي[٣] في كتابه المفصل إلى أن:" (مناف) صنم من أصنام الجاهلية، قال عنه ابن الكلبي: "وكان لهم مناف، فيه كانت تسمي قريش "عبد مناف" ولا أدري أين كان، ولا من نصبه؟". وسُمي به أيضًا رجال من هذيل. و" به سمي عبد مناف. وكانت أمه أخدمته هذا الصنم".

وفيه يقول بلعاء بن قيس:

وقرن وقد تركت الطير منه ... كمعتبر العوارك من مناف

ويضيف الدكتور جواد علي، فيقول :"و يتبين من ورود اسم "مناف" بين عرب الشأم أنه كان إلهًا معبودًا عندهم كذلك. وقد عثر على اسمه في كتابة دَوَّنها شخص اسمه: "أبو معن" على حجر توجه بها إلى الإلهة مناف، ليمن عليه بالسعد والــبركة، و حفرت على الحجر صورة الإله

١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- الدكتور جواد علي- الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م – الصفحة:٧٢ - الناشر : دار الساقي.

٢- كتاب "الأصنام" لأبي هشام محمد بن محمد الكلبي- الصفحة :٣٢ - طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م.

٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي ، الجزء العشرون ، الصفحتان:٢٦٩ -٢٧٠.

"مناف" على هيئة "رجل لا لحية له" يتحدر على عارضيه شعر رأسه الصناعي المرموز به على الإلهة الشمس، وحول جفنيه وحدقتيه خطان ناعمان، ويزين جيده قلادة، كما ترى غالبًا في تصاوير الآلهة السوريين، وعلى صدره طيات ردائه، ويرى طرف طيلسانه الإلهي الذي ينعطف من كتفه الأيسر فيتصل إلى الأيمن ويعقد به. وقد ذهب المتخصصون الذين فحصوا هذه الكتابة إلى أنها من حوران.وقد عثر على كتابة وجدت في حوران، ورد فيها اسم "مناف" مع إله آخر، ورد اسم مناف فيها على هذا الشكل "MN, PHA". وقد عثر على كتابة أخرى وجد فيها الاسم على هذه الصورة: "منافيوس" Manaphius، مما يدل على أن المراد بالاسمين شيء واحد، هو الإله مناف". انتهى.

و قالت موسوعة الأساطير - على موقعها الإلكتروني - عن الوثن مناف أنه " أحد الآلهة الوثنية القديمة في مكة، قبل الإسلام. وكانت النساء تداعب تمثال هذا الإله. ولكن عندما كن النساء في الدورة الشهرية فأنه لم يكن يسمح لهن بالاقتراب منه". انتهى.

١- الوثن "العزى"

وهو الاسم الثاني (أو الأول) الذي أطلقه عبدالمطلب على أبنه عبد العزى، وهو الذي يُعرف بأبي لهب.

و قال ابن الكلبي[١] في كتابه (الأصنام) متحدثاً عن العزى:" ثم أتخذوا - العرب- العُزَّى وهي أحدث من اللات ومناة. و ذلك أني سمعت العرب سمت بها قبل العزى." ويضيف قائلاً[٢]:" (وعبد العزى) بن كعب من أقدم ما سمت به العرب. وكان الذي أتخذ العزى ظالم بن أسعد. كانت بوادٍ من نخلة الشامية، يقال لها حُراضٌ، بإزاء الغُمَيْر، عن يمين المصعد إلى العراق من مكة. و ذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال. فبنى عليها بُسًّا - بيتا- وكانوا يسمعون فيه الصوت. وكانت العرب و قريشٌ تُسَمى بها "عبد العزى". وكانت أعظم الأصنام عند قريش. وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح". انتهى.

ويقول ايضاً[٣]:" يقول زيد بن عمرو بن نفيل: وكان قد تأله في الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الأصنام:

تركت اللات والـزى جميعا ** كذلك يفعل الجــلد الصبور

١- كتاب "الأصنام" لأبي هشام محمد بن محمد الكلبي- الصفحة: ١٧ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة – ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م.

٢- كتاب "الأصنام" لأبي هشام محمد بن محمد الكلبي- الصفحة: ١٨ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة – ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م.

٣- كتاب "الأصنام" لأبي هشام محمد بن محمد الكلبي- ص: ٢١ و ٢٢ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة – ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م.

فلا العـزى أدين ولا ابنتيها ** ولا صنمي بني غـنـمٍ أزور

ولا هبلا أزور وكان رَبَّــــــا ** لنا في الدهر إذ حلمي صغير

ويضيف أيضاً في الصفحة: ٢٣(١) من نفس الكتاب:" فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه فعابها وغيرَها من الأصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها. فاشتد ذلك على قريش. ومرض أبو أُحيحة (وهو سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف) مرضه الذي مات فيه. فدخل عليه أبو لهبٍ يعوده فوجده يبكي. فقال: ما يبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكي ولا بد منه قال: لا. ولكني أخاف أن لا تعبد العزى بعدي. قال أبو لهب: والله ما عُبِدَتْ حياتَك لأجلك، ولا تتركُ عبادتها بعدك لموتك! فقال أبو أحيحة: الآن علمت أن لي خليفة! وأعجبه شدة نصبه في عبادتها". انتهى.

أما الدكتور جواد علي فيذكر في المفصل(٢) قائلاً :" و العزى مثل اللات و مناة من الآلهة المعبودة عند عرب العراق و عرب بلاد الشأم، وعد النبط والصفويين. و قد ذكر اسم العزى مرتين في المصادر المؤلفة بعد الميلاد، وأشار إسحاق الأنطاكي Isaac of Antioch من رجال القرن الخامس للميلاد، إلى اسم العزى في حديثه عن مدينة "بيت حور" Beth – Hur ودعاها بـ Beltis، وسماها "كوكبتا". و يظن أن "كوكبتا" Kawkabta، أي "كوكبة" المذكورة في المصادر السريانية، هي أنثى كوكب، تعني الكوكب الذي يظهر عند الصباح، وهو العزى عند الجاهليين ويراد بها "الزهرة" Venus عند النبط. حيث اتخذوا لها معبدًا في مدينة "بصرى" في منطقة "رم" عرف بـ"بيت إيل". وقد نص "بروكوبيوس"، Procopius على أنها "أفروديت". و هي كناية عن القمر على رأي بعض المستشرقين. و لعل العزى هي "ملكة السماء Melekheth Hash – Shama المذكورة في سفر "أرميا"، وقد جاء فيه: أن أهل "أورشليم" كانوا يصنعون كعكًا، يتقربون به إلى تلك الإلهة: إلهة السماء. و قد كان الجاهليون يتقربون بالخبز و الكعك إلى "كوكب السماء". و يظهر من ورود اسم امرأة هو: "أمت عزى"، أمة العزى"، في نص عربي جنوبي، أن عبادة العزى كانت معروفة هناك و قد قدم أحد العرب تمثالًا من ذهب إلى هذه الإلهة. و قد كان آل لخم، ملوك الحيرة، ينحرون الأسرى قربانًا للعزى. و قد زعم بعض المؤرخين السريان أن "المنذر بن ماء السماء" ضحى بأربع مائة راهبة للعزى".

و يضيف الدكتور جواد علي أيضاً في نفس المصدر(١):" وذكر(إسحاق الأنطاكي) أن العرب كانوا

١- كتاب "الأصنام" لأبي هشام محمد بن محمد الكلبي- الصفحة ٢٣ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م.

٢- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- الدكتور جواد علي- الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م – الصفحة ٢٣٨ - الناشر : دار الساقي.

٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- الدكتور جواد علي- الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م – ص: ٢٣٩ -٢٤٣ - الناشر : دار الساقي.

يقدمون الأولاد و البنات قــرابين للكوكبة "كوكبتا" فينحرونهم لها، و يقصد بـ"كوكبتا" العــزى.و كانت قريش تتعبد للعزى، و تزورها و تهدي إليها، و تتقرب إليها بالذبائح. وذكر ابن الكلبي أنها كانت أعظم الأصنام عند قريش، و أن قريشًا كانت تطوف بالكعبة و تقول: "و اللات و العزى، و مناة الثالثة الأخرى. فإنهن الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى". و كانوا يقولون: هن بنات الله، و هن يشفعن إليه. و كانت قريش قد حمت لها شعبًا من وادي حراض، يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة، وكان لها منحر ينحرون فيه هداياهم، يقال له الغبغب، فكانوا يقسمون لحوم هداياهم فيمن حضرها و كان عندها. و كانت قريش تستعين بأصنامها حين تحارب، تستجير بها و تستمد منها العون في الحرب؛ لتبعث الهمة و النشاط في النفوس بذكرها. فلما كان يوم أحد نادى "أبو سفيان" "اعل هبل، اعل هبل" فقال المسلمون: "الله أعلى و أجل". فقال "أبو سفيان": "لنا العزى و لا عزى لكم" فقال المسلمون: "الله مولانا و لا مولى لكم". و يقول ابن الكلبي أيضًا: ولم تكن قريش بمكة و من أقام بها من العرب يعظمون شيئًا من الأصنام إعظامهم العزى، ثم اللات، ثم مناة. فأما العزى، فكانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية. وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش للعزى وكانت الأوس و الخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين، و كلهم كان معظمًا لها"، أي للعزى. و لابن الكلبي رأي في إقبال قريش على العزى. إذ يقول: "فأما العزى، فكانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة و الهدية. و ذلك فيما أظن لقربها منها". فجعل قرب بيت العزى من قريش هو السبب في إقبال قريش عليها.و هو يرى هذا الرأي نفسه حين تكلم على الأصنام: ود، وسواع، ويعوق، ونسر، وقارن بينها وبين الأصنام اللات والعزى ومناة؛ إذ قال: "ولم يكونوا يرون في الخمسة الأصنام التي دفعها عمرو بن لحي.... كرأيهم في هذه ولا قريبًا من ذلك. فظننت أن ذلك كان لبعدهم منهم". و قال ابن الكلبي في كتابه الأصنام "و قد بلغنا أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذكرها يومًا. فقال: لقد أهديت للعزى شاة عفراء، وأنا على دين قومي". و كان فيمن يتقدم إلى العزى بالنذور والهدايا، والد خالد بن الوليد، ذكر خالد أن والده كان يأتي العزى بخير ما له من الإبل والغنم، فيذبحها للعزى، ويقيم عندها ثلاثة أيام. و ممن تعبد للعزى بنو سليم و غطفان و جشم و نصر و سعد بن بكر. و غني و باهلة و خزاعة و جميع مضر و بنو كنانة. وقد ارتبطت قبائل غطفان بعبادة العزى و تقديسها بصورة خاصة، حتى لقد ذكر (ياقوت الحموي) أن "العزى سمرة كانت لغطفان يعبدونها، وكانوا بنوا عليها بيتًا، وأقاموا لها سدنة". و قد عرف البيت بـ"كعبة غطفان". وذكر الطبري أن العزى (صنم لبنى شيبان)، بطن بن سليم حلفاء بن هاشم، وبنو أسد بن عبد العزى، يقولون: هذا صنمنا، وأنها "كانت بيتًا يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها". و قد تعبدت لها ثقيف، بأن اتخذت لها صنمًا. و الظاهر أن قريشًا كانت تعد العزى حامية وشفيعة لها. و كان لحرم العزى شعب حمته قريش للصنم، يقال له سقام في وادي حراض على طريقة قريش في اتخاذ حرم للكعبة. و قــد صار هذا الحمى موضعًا آمنًا لا يجوز التعدي فيه على أحد، ولا قطع شجره، و لا القيام بعمل يخل بحرمة المكان فذاك قول أبي جندب الهذلي تم القردي في امرأة كان يهواها، فذكر حلفها له بها:

لقد حلفت جهدًا يمينًا غليظة ... بفرع التي أحمت فروع سقام

وينسب (ابن الكلبي) بناء (بيت العزى) إلى ظالم بن أسعد؛ إذ يقول: بس: بيت لغطفان بن سعد بن قيس عيلان كانت تعبده. بناه ظالم بن أسعد بن ربيعة بن مالك بن مرة بن عوف، لما رأي قريشًا يطوفون بالكعبة و يسعون بين الصفا و المروة، فذرع البيت. ونص العباب: و أخذ حجرًا من الصفا و حجرًا من المروة، فرجع إلى قومه، و قال: يا معشر غطفان، لقريش بيت يطوفون حوله و الصفا و المروة، و ليس لكم شيء، فبنى بيتًا على قدر البيت، و وضع الحجرين فقال: هذان الصفان و المروة فاجتزئوا به عن الحج فأغار زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة الكلبي، فقتل ظالمًا، و هدم بناءه. وجاء في رواية أخرى أن (بني صداء) قالوا: أما والله لنتخذن حرمًا مثل حرم مكة، لا يقتل صيده، و لا يعضد شجره، و لا يهاج عائذه، فوليت ذلك بنو مرة بن عوف. ثم كان القائم على أمر الحرم و بناء حائطه رباح بن ظالم ففعلوا ذلك، و هم على ماء لهم يقال له بس، فلما بلغ فعلهم هذا و ما أجمعوا عليه زهير بن جناب، قال: و الله لا يكون ذلك و أنا حي، و لا أخلي غطفان تتخذ حرمًا أبدًا، ثم سار في قومه حتى غزا غطفان، و تمكن منها، و استولى على الحرم، و قطع رقبة أسير من غطفان به، و عطل الحرم و هدمه. و ذكر بعض أهل الأخبار، أن العزى صنم كان لقريش و بني كنانة، أو سمرة عبدتها غطفان بن سعد بن قيس عيلان. أول من اتخذها منهم (ظالم بن أسعد). فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال، بالنخلة الشامية بقرب مكة، وقيل بالطائف، بنى عليها بيتًا وسماه بُسًا، وقيل بساء، وأقاموا لها سدنة مضاهاة للكعبة، وكانوا يسمعون فيها الصوت، فبعث إليها رسول الله خالد بن الوليد، عام الفتح، فهدم البيت وقتل السادان وأحرق السمرة. و يظهر مما تقدم أن البيت هدم مرتين: مرة في الجاهلية، على يد زهير بن جناب، وقتل إذ ذاك بانيه ظالم، والمرة الثانية عام الفتح على يد خالد بن الوليد. و أما سدنة العزى، فكانوا من بني صرمة بن مرة، أو من بني شيبان بن جابر بن مرة بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن عتبة بن سليم بن منصور. فهم من بني شيبان، من بني سليم حلفاء بني هاشم. و كان آخر سادن للعزى (دبية بن حرمي السلمى ثم الشيباني)، قتله خالد بن الوليد بعد هدمه الوثن والبيت وقطعة الشجرة أو الشجرات الثلاث. وفي رواية: أن هدم العزى كان لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان، و كان سادنها أفلح بن النضر السلمي من بني سليم. فلما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعوده وهو حزين، فقال له: مالي أراك حزينًا؟ قال: أخاف أن تضيع العزى من بعدي. قال أبو لهب: فلا تحزن، فأنا أقوم عليها بعدك فجعل أبو لهب يقول لكل من لقي: إن تظهر العزى، كنت قد اتخذت عندها يدًا بقيامي عليها، و إن يظهر محمد على العزى، وما أراه يظهر، فابن أخي فأنزل الله تبارك وتعالى {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} و تدل هذه الرواية إن صحت على أن أفلح بن النضر لم يكن آخر سادن للعزى و أن الهدم لم يكن في حياته، و إنما كان بعد وفاته. وتشبه هذه القصة قصة أخرى وردت في الموضوع نفسه، عن أبي أحيحة وأبي لهب. فلما مرض أبو أحيحة، وهو سعيد بن العاص

بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، مرضه الذي مات فيه، كان أهم ما شغل باله عبادة العزى وخشيته أن لا تعبد من بعده، فلما أجابه أبو لهب مهونًا عليه الأمر: رد و الله ما عبدت حياتك "لأجلك"، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك! سره هذا الجواب، و أفرج عنه. فقال: "الآن علمت أن لي خليفة". و يروي ابن الكلبي أن الرسول أمر بالقضاء على العزى، وذلك عام الفتح، فلما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال له: ائت بطن نخلة، فإنك تجد ثلاث سمرات، فاعضد الأولى. فأتاها فعضدها، فلما جاء إليه عليه السلام: هل رأيت شيئًا؟ فقال: لا، قال: فاعضد الثانية؟ فأتاها فعضدها. ثم أتى النبي عليه السلام، فقال: هل رأيت شيئًا؟ قال: لا. قال: فاعضد الثالثة. فأتاها. فإذا هو بحبشية نافشة شعرها، واضعة يديها على عاتقها، تصرف بأنيابها، وخلفها دبية بن حرمي الشيباني ثم السلمي، وكان سادتها. فلما نظر إلى خالد، قال:

أعز شدي لا تكذبي ... على خالد ألقي الخمار وشمري

فإنك إلا تقتلي اليوم خالدًا ... تبوئي بذل عاجلًا وتنصري

فقال خالد:

يا عز كفرانك، لا سبحانك ... إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حممة. ثم عضد الشجرة، و قتل دبية السادن ثم أتى النبي، صلى الله عليه وسلم، فأخبره فقال: تلك العزى، ولا عزى بعدها للعرب. أما أنها لن تعبد بعد اليوم". انتهى.

في الآيتين ١٩وَ٢٠من سورة النجم نجد أن العزى هو من ضمن الأصنام التي كان يعبدها المشركون: أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (٢٠).

و أود هنا أن استشهد ببعض الأقوال و الآراء من مفسري الشيعة الإمامية الإثناعشرية أنفسهم حول تفسير الآيتين السابقتين، فالرجاء مراجعة كتبهم في تفسيرهم للآيتين السابقتين.

- قال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي مؤلف كتاب الميزان في تفسير القرآن:" واللات والعزى ومناة أصنام ثلاث كانت معبودة لعرب الجاهلية، وقد اختلفوا في وصف صورها، وفي موضعها الذي كانت منصوبة عليه، وفي من يعبدها من العرب".

- و قال الفضل بن الحسين الطبرسي مؤلف كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن:" ولما قصَّ الله سبحانه هذه الأقاصيص عقبها سبحانه بأن خاطب المشركين فقال {أفرأيتم اللات

والعزى ومناة الثالثة الأخرى} أي أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله وتعبدون معها الملائكة وتزعمون أن الملائكة بنات الله".

- وقال شيخ الطائفة الجعفرية أبو جعفر محمد الطوسي صاحب كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن:" وقوله { أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى } اسماء أصنام كانت العرب تعبدها، والعزى كانت تعبدها غطفان، وهي شجرة سمرة عظيمة، واللات صنم كانت ثقيف تعبدها، ومنات كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانوا يعبدونها فقيل لهم: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها وتعبدون معها الملائكة وتزعمون ان الملائكة بنات الله، فوبخهم الله تعالى فقال { أفرأيتم } هذه { اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى } والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تدعونها من دون الله هل لها من هذه الآيات والصفات شيء".

- وقال مفسر القرآن العلامة الفيض الكاشاني في كتابه الصافي في تفسير كلام الله الوافي:" { (١٩) أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزّى }.{ (٢٠) وَمَناةَ الثّالِثَةَ الأُخْرَى } هي اصنام كانت لهم وقرئت اللاّت بتشديد التاء على انّه صورة رجل كان يلت السّويق بالسمن ويطعم الحاجّ والعزّى قال اصلها تأنيث الاعزّ ومناة فعلة من مناه اذا قطعه فانّهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرىء منأة على أنها مفعلة من النوء كأنّهم يستمطرون الأنواء عندها تبركا بها. القمي قال اللات رجل والعزى امرأة ومناة صنم بالمسلك الخارج من الحرم على ستّة اميال".

- و قال العلامة السلطان محمد الجنابذي الملقب بسلطان علي شاه في كتابه تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة:" { أَفَرَأَيْتُمُ ٱللاَّتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلأُخْرَىٰ } اى اخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها يضرّونكم او ينفعون؟! او هي بنات الله؟! وقيل: انّهم زعموا انّ الملائكة بنات الله وصوّروا اصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقّوا لها اسماء من اسماء الله فقالوا: اللاّت من الله، والعزّى من العزيز، وقيل: انّ التّاء فى اللاّت اصليّة، وقرئ اللاّتّ بتشديد التّاء، قيل: كان صنماً نحتوه على صورة رجل يلتّ السّويق ويطعم الحاجّ، وقيل: انّ اللاّت كان صنماً لثقيفٍ، والعزّى صنم، وقيل: انّها كانت شجرة يعبدها الغطفان فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها، ومناة كانت صنماً بقديد بين مكّة والمدينة، وقيل: ثلاثتها كانت اصناماً في الكعبة يعيدونها، والثّالثة نعتٌ لمناة وكذلك الاخرى وكانتا نعتين بيانيّين".

- وقال آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه الموسوم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ما لفظه:" بعد بيان الأبحاث المتعلقة بالتوحيد والوحي والمعراج وآيات عظمة

الواحد الأحد في السماء، يتناول القرآن أفكار المشركين، فينقضها ويتحدث عن معتقداتهم الخرافية.. فيقول: بعد أن أدركتم عظمة الله وآياته في خلقه فهل أن أصنامكم مثل اللات والعزى والصنم الثالث وهو "مناة" بإمكانها أن تنفعكم أو تضركم: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى؟!"

بعد أن سردنا كل ما له علاقة بالوثنين أو الصنمين (مناف) و (العزى)، وخاصة من تلك المصادر الإسلامية الشيعية الإمامية الإثناعشرية. تبين لنا بما لا يدع مجال للشك أو الريبة، أن نسب وأسلاف الإمام الحسين لم يكن يخلو من المشركين الوثنيين.

إن الروايات التي تملأ الكتب و المصادر الشيعية و غيرها، التي مفادها أن نور النبوة أو أنوار أهل البيت أو أشباح أهل البيت قد خلقت قبل آدم أو الكون بآلاف السنين، ثم انتقل ذلك النور من صلب آدم ثم إلى صلب عبدالمطلب ومن ثم إلى رسول الإسلام محمد و الإمام علي بن أبي طالب. كل فحوى تلك الروايات لا يوجد لها برهان تاريخي يثبت صحة أو صدق قائلها. إذن فأسلاف الإمام الحسين بن علي كانوا غير موحدين. وهذا ما ثبت لدينا ببراهين تاريخية ساطعة. إلى جانب البراهين و الأدلة القرآنية، وهو ما يؤمن به كافة المسلمون الشيعة الإمامية الإثناعشرية.

لذا فالإجابة على سؤالنا السابق: هل كان عبدالمطلب موحد؟

أقولها بكل ثقة و بكل تأكيد، طبعاً لا. فعبدالمطلب و أجداد عبدالمطلب لم يكونوا يعرفون الوحدانية في لحظة من لحظات حياتهم. فها هو قد أطلق على اثنين من ابنائه - على الأقل - مسميات تدل على تعبده و تقربه لآلهته و آلهة آبائه من الوثنيين العرب. فأجداده قد عاشوا و ماتوا على ديانتهم الوثنية تلك، المتمثلة بعبادة الأصنام و الأوثان و الأحجار. فعبدالمطلب كان مشركاً كبقية العرب الذين عبدوا الأصنام والأوثان. وهذا ما تأكد لنا من خلال قراءتنا للأدلة التاريخية الموثقة، التي سقناها و وضحناها في الصفحات السابقة. ولا يوجد في يد علماء الإسلام أي دليل أو برهان يثبت العكس، سوى تلك الروايات البائسة التي تصطدم مع الواقع التاريخي و الأدلة القرآنية. ويظهر أن تلك الروايات ما هي إلا نتاج و صنيعة الخلفاء من بني العباس، التي كان الهدف منها تلميع صورة ماضي أسلافهم الوثني، و اضفاء نوع من القدسية عليهم. إضافة إلى تحريف التاريخ بشكل متعمد، من أجل تمجيدهم ولفت الأنظار إلى مقامهم المصطنع عند إله الإسلام.

و على نقيض ما يؤمن و يسلم به المسلمون الشيعة بطهارة أسلاف الإمام الحسين بن علي بدءاً

من عبدالمطلب و هاشم و سواهما من أجداده العرب في الجاهلية ، نجد أن القرآن لا يساندهم فيما ذهبوا إليه في هذا الشأن بالذات. فالقرآن ذاته ينسف هذا الرأي من جذوره نسفاً كاملاً. بل و يضربه في مقتل أيضاً. ذلك لأن أجداد الإمام الحسين كانوا جميعهم مشركين في الجاهلية، و هذا ما قمنا بالبرهنة عليه آنفاً في طي صفحات هذا الكتاب. فالقرآن ينعت المشركين بالنجاسة وليست الطهارة. و هذا ما ورد نصاً في الآية ٢٨من سورة التوبة. حيث يقول كاتب القرآن:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ".

وهذه بعض الآراء و الأقوال قد استسقيتها مباشرة من مصادر بعض المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية بخصوص معاني الآية السابقة:

- قال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي مؤلف كتاب الميزان في تفسير القرآن أنه :" النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام بحسب المتفاهم العرفي يفيد أمر المؤمنين بمنعهم عن دخول المسجد الحرام، وفي تعليله تعالى منع دخولهم المسجد بكونهم نجساً اعتبار نوع من القذارة لهم كاعتبار نوع من الطهارة والنزاهة للمسجد الحرام، وهي كيف كانت أمر آخر وراء الحكم باجتناب ملاقاتهم بالرطوبة وغير ذلك".

- و قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي مؤلف كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن:" واختلف في نجاسة الكافر فقال قوم من الفقهاء إن الكافر نجس العين وظاهر الآية يدل على ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه قول الله تعالى { إنما المشركون نجس } الآية وعن. الحسن قال: لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم فليتوضأ وهذا يوافق ما ذهب إليه أصحابنا من أنَّ من صافح الكافر ويده رطبة وجب أن يغسل يده وإن كانت أيديهما يابستين مسحهما بالحائط وقال آخرون: إنما سمّاهم الله نجساً لخبث اعتقادهم وأفعالهم وأقوالهم وأجازوا للذمي دخول المساجد. قالوا: إنما يمنعون من دخول مكة للحج قال قتادة سماهم نجساً لأنهم يجنبون ولا يغتسلون ويحدثون ولا يتوضؤون فمنعوا من دخول المسجد لأن الجنب لا يجوز له دخول المسجد".

- وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد الطوسي صاحب كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن أن:" هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يخبرهم فيه أن المشركين انجاس ويأمرهم ان يمنعوا المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أي الذي أشار اليه، وهي سنة تسع من الهجرة التي نبذ فيها براءة المشركين. وكانت بعده حجة الوداع - وهو قول قتادة وغيره من المفسرين - والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله - في قول عطاء وغيره

- وكل شيء مستقذر في اللغة يسمى نجساً، فاذا استعمل مفرد قيل: نجس - بفتح النون والجيم معاً - ويقع على الذكر والانثى سواء. وظاهر الآية يقتضي أن الكفار أنجاس، ولا يجوز مع ذلك أن يمكنوا من دخول شيء من المساجد، لأن شركهم أجري مجرى القذر الذي يجب تجنبه، وعلى هذا من باشر يد كافر، وجب عليه ان يغسل يده إذا كانت يده او يد المشرك رطبة. وإن كانت ايديهما يابستين مسحها بالحائط. وقال الحسن: من صافح مشركاً فليتوضأ، ولم يفصل".

- وقال مفسر القرآن العلامة الفيض الكاشاني في كتابه الصافي في تفسير كلام الله الوافي:" { (٢٨) يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ } لخبث باطنهم".

إذن فالمفسرون الشيعة الإمامية الإثناعشرية يعون جيداً عن ما يسمى بنجاسة المشركين، وهذا ما نص عليه القرآن بكل صراحة وَ وضوح. و هم أيضاً يعتقدون بنجاسة كل المشركين، لكنهم في الوقت ذاته لا يؤمنون بنجاسة المشركين أجداد الإمام الحسين من الوثنيين العرب. على الرغم من وصف ونعت القرآن لهم بالنجاسة وَ القذارة وَ الخبث. بل يعتقدون أن أسلاف الإمام الحسين كانوا مؤمنين وموحدين، وهذا ما أثبتنا بطلانه بالدليل التاريخي والقرآني.

إذن هذا ما صرح به بعض المفسرين الشيعة حول نجاسة المشرك. أما بالنسبة للفقهاء الشيعة الإمامية، فقد أفتى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي الموسوي، الذي يعد من أشهر علماء ومراجع الشيعة الإمامية الإثناعشرية في العصر الحديث، بنجاسة الكافر. فقد أشار في رسالته العملية[١] و بالتفصيل الممل جميع الأعيان التي أسماها بالنجسة، و من ضمنها - حسب اعتقاده الفقهي - الإنسان الكافر، فقال:" في عدد الأعيان النجسة وهي عشرة:

- الأول والثاني: البول والغائط من كل حيوان له نفس سائلة محرم الأكل بالأصل، أو بالعارض، كالجلال و الموطوء، أما ما لا نفس له سائلة أو كان محلل الأكل، فبوله وخرؤه، طاهران.

- الثالث: المني من كل حيوان له نفس سائلة وإن حل أكل لحمه وأما مني ما لا نفس له سائلة فطاهر.

- الرابع: الميتة من الحيوان ذي النفس السائلة وإن كان محلل الأكل وكذا أجزاؤها المبانة منها وإن كانت صغارا.

١- منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، الجزء الأول، الصفحات: ١٠٦ إلى ١٠٩- الطبعة الثامنة والعشرون.

- **الخامس: الدم من الحيوان ذي النفس السائلة، أما دم ما لا نفس له سائل كدم السمك، والبرغوث، والقمل، ونحوها فإنه طاهر.**

- **السادس والسابع: الكلب، والخنزير البريان بجميع أجزائهما وفضلاتهما ورطوباتهما دون البحريين.**

- **الثامن: المسكر المائع بالأصالة بجميع أقسامه - لكن الحكم في غير الخمر والنبيذ المسكر مبني على الاحتياط، وأما الجامد كالحشيشة - وإن غلى وصار مائعا بالعارض - فهو طاهر لكنه حرام، وأما السبيرتو المتخذ من الأخشاب أو الأجسام الأخر، فالظاهر طهارته بجميع أقسامه.**

- **التاسع: الفقاع: وهو شراب مخصوص متخذ من الشعير، وليس منه ماء الشعير الذي يصفه الأطباء.**

- **العاشر: الكافر: وهو من لم ينتحل دينا أو انتحل دينا غير الاسلام أو انتحل الاسلام وجحد ما يعلم أنه من الدين الاسلامي، بحيث رجع جحده إلى إنكاره الرسالة، نعم انكار المعاد يوجب الكفر مطلقا، ولا فرق بين المرتد، والكافر الأصلي، والحربي، والذمي، والخارجي، والغالي، والناصب، هذا في غير الكتابي، أما الكتابي فالمشهور نجاسته وهو الأحوط.**

هذا ما افتى به آية الله العظمى السيد الخوئي في كتابه منهاج الصالحين معتبراً أن الإنسان الكافر من الأعيان النجسة. فهو يعتقد أن نجاسته تعادل نجاسة الغائط وَ البول وَ الكلب وَ الخنزير. لست أنا من يقول أو يعتقد بهذا المعتقد، ولكن هذا معنى منطوق الآية (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) حسبما رآه و فهمه و آمن به آية الله السيد الخوئي. إن أغلب أو كل فقهاء الطائفة الإمامية الإثناعشرية يفتون على هذا النحو أيضاً. وهنا يتضح بكل جلاء أن نجاسة - و ليست طهارة - أسلاف الإمام الحسين بن علي من المشركين العرب هو كما وصفها آية الله السيد الخوئي بنفسه.

إن مفهوم الآية القرآنية (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) بجانب فتوى آية الله السيد ابو القاسم الخوئي تلك قد ساهمتا بشكل مباشر أو غير مباشر في توجيه ضربة مؤلمة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان. حيث أن هذا المفهوم الإسلامي الشيعي يشجع و يحرض الإنسان المسلم بممارسة التمييز العنصري ضد أخيه الإنسان على أسس دينية. وبهذا يمكن أن يمثل ذلك نوع من الانتهاك

الخطير لذلك الإعلان، بسبب فحوى ذلك التصريح المنطوي على ممارسة التمييز العنصري الديني. ويمكن إيجاز تلك الانتهاكات للإعلان العالمي لحقوق الإنسان[١] في مواده و بنوده التالية: المادة١، المادة٢،المادة٧.

ان تعاليم الإيمان المسيحي لا تعلم أو تصور أن الإنسان نجس، حتى لو كان ذلك الإنسان بعيداً عن عبادة الله سبحانه و تعالى، أو مشرك. فالمسيحية تسمو بالإنسان عالياً، وهي لا تصف الوثنيين أو المشركين، أو سواهم من البشر بالنجاسة كما نعتهم القرآن بذلك، ذلك لأن الله خلق الإنسان على صورته و مثاله الأدبي. بمعنى أنه خلق الأنسان كي يكون له إرادة حرة وعقل و محبة وأخلاق تسمو به عن الحيوانية، وقد أعطاه الله سبحانه وتعالى السلطان على باقي المخلوقات الغير عاقلة. فحاشا لله بعد هذا أن ينعت الإنسان بالنجاسة، بسبب تافه يتمثل بعدم الإيمان به.

إن من الظلم أن تجري على الإنسان أحكام و ممارسات لا يقرها عقل عاقل أو قانون إنساني نزيه. بل أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يرفض هكذا ممارسات عنصرية ضد الإنسان تكون مبنية على أسس دينية أو سواها.

والجدير ذكره أن التعاليم الراقية للسيد المسيح له كل المجد تسمو حتى على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. فالإنسان ليس وحده الطاهر وحسب، بل أن جميع الحيوانات الغير عاقلة تعتبر مخلوقات طاهرة أيضاً، حيث لم يجعلها الإنجيل المقدس أو ينعتها بالنجسة أو الدنسة. فقد ورد في سفر أعمال الرسل[٢] رؤيا بطرس الرسول وما أوحاه الله إليه بهذا المعنى، فقال:

١١:٥ «أَنَا كُنْتُ فِي مَدِينَةِ يَافَا أُصَلِّي فَرَأَيْتُ فِي غَيْبَةٍ رُؤْيَا: إِنَاءً نَازِلاً مِثْلَ مُلاَءَةٍ عَظِيمَةٍ مُدَلاَّةٍ بِأَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ مِنَ السَّمَاءِ فَأَتَى إِلَيَّ.

١١:٦ فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ مُتَأَمِّلاً فَرَأَيْتُ دَوَابَّ الأَرْضِ وَالْوُحُوشَ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ.

١١:٧ وَسَمِعْتُ صَوْتاً قَائِلاً لِي: قُمْ يَا بُطْرُسُ اذْبَحْ وَكُلْ.

١١:٨ فَقُلْتُ: كَلاَّ يَا رَبُّ لأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فَمِي قَطُّ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ.

١١:٩ فَأَجَابَنِي صَوْتٌ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ: مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُنَجِّسْهُ أَنْتَ.

١- الرجاء مراجعة الصفحات: ١٥ إلى ٢١ للاطلاع على المواد و البنود ذات العلاقة.

٢- الآيات:٥ إلى ٩ - الإصحاح الحادي عشر - سفر أعمال الرسل ، الكتاب المقدس.

الباب الثالث: معجزات الإمام الحسين بن علي

المعجزة كما يعرفها آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي(١)هي "في اللغة عدة معان: الفوت. وجدان العجز. إحدائه كالتعجيز. فيقال: أعجزه الامر الفلاني أي فاته، ويقال: أعجزت زيدا أي وجدته عاجزاً، أو جعلته عاجزاً. وهو في الاصطلاح أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهدا على صدق دعواه". وأضاف أيضاً "وليس من الاعجاز المصطلح عليه ما يظهره الساحر والمشعوذ، أو العالم ببعض العلوم النظرية الدقيقة". كما أن الكرامات تحدث للأولياء و الصالحين، حسب المفهوم الإسلامي.

و للمعجزة شروط و ضعها العلماء المسلمون. نلخصها فيما يلي:

١- أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه بمعنى أن تكون خارقة للعادة. مثل فلق البحر للنبي موسى.
٢- أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل. بمعنى أن النبي أو الرسول يأتي بها لإثبات أنه مرسل أو مبعوث من الله سبحانه و تعالى.
٣- أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة. بمعنى أن النبي أو الرسول يتحدى قومه بالإتيان بمعجزة و تتحقق وفقاً لما قال سابقاً ليثبت نبوته. و لا تتناقض هذه المعجزة لتثبت عكس ما تحدى به النبي ويكون عندها مجرد نبي كاذب. كأن يقول نبي أنه سيصنع معجزة ثم لا يتحقق ذلك أو يتحقق النقيض.
٤- أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة. بمعنى أن لا يتمكن شخص آخر من الإتيان أو أن يكرر نفس المعجزة التي عملها أو صنعها ذلك النبي.
٥- أن تكون علنية يشاهدها المحتج عليهم أو المرسل إليهم. بمعنى أن لا تحدث المعجزة فيما بينه و بين نفسه، أو فيما بينه وبين مجموعة صغيرة من البشر. بل تكون علنية يشاهدها العشرات أو المئات أو الآلاف من البشر المرسل إليهم.
٦- أن تكون لها هدف أو غاية، أو منافع روحية أو جسدية أو مادية. بمعنى أن تعم بالفائدة و المنفعة لشخص واحد أو لقومه أو للبشر جميعاً.

الإمام الحسين بن علي لم يكن نبي أو مرسل من الله. وهذا هو معتقد الشيعة الإمامية في ذلك. لذا إن كانت هناك ثمة كرامات أو لنسميها جدلاً معجزات منسوبة إليه. فهل الإمام الحسين فعلاً قد صنع تلك الكرامات أو المعجزات؟ أم هي فقط نتاج إبداعي و تخيلات سطرتها أيادي مؤلفين؟

١- البيان في تفسير القرآن - آية الله العظمى السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي ، صفحة: ٣٣.

وقد علق الشيخ المفيد[١] على قدرة أهل البيت والأئمة بصنع المعجزات فقال:" ظهور المعجزات عليهم والإعلام فإنه من الممكن الذي ليس بواجب عقلا ولا ممتنع قياسا، وقد جاءت بكونه منهم - عليهم السلام - الأخبار على التظاهر والانتشار فقطعت عليه من جهة السمع وصحيح الآثار، ومعي في هذا الباب جمهور أهل الإمامة وبنو نوبخت تخالف فيه وتأباه، وكثير من المنتمين إلى الإمامية يوجبونه عقلا كما يوجبونه للأنبياء".

في الحقيقة أنه لا يمكن الوثوق أو الاعتماد على كتب مشحونة بكم هائل و ضخم من روايات قد تم تأليفها و جمعها من بعد وفاة صاحب الشأن. فقد تم تدوين تلك الروايات بعد قرون طويلة من تاريخ مقتل الإمام الحسين بن علي. وعلى هذا إن صح أنه كانت هنالك أحداث معجزية قد وقعت فعلاً من هذا القبيل. فينبغي لنا التثبت من صحة تلك الروايات التي تزعم أن الإمام الحسين قد قام فعلاً بصنع المعجز. لذا أرى أن نفحص القرآن نفسه اولاً قبل شروعنا بتحليل النصوص الروائية. بمعنى: هل القرآن ذاته يشهد أن جده - رسول الإسلام محمد - قد أستوفى كامل الشروط التي وضعوها شيوخ الإسلام انفسهم في تحقيق صنع أو الإتيان بالمعجزة، أم لا؟ و هدفنا من ذلك هو رغبتنا في التأكد من حقيقة أو عدم حقيقة صنع رسول الإسلام محمد لمعجزات في حياته.

فإذا كانت الإجابة على سؤالنا السابق بالإيجاب. عندها سنخطو الخطوة التي تليها فاحصين ومحللين الروايات ذاتها التي تتحدث عن معجزات قد صنعها الإمام الحسين. و إن تبين لنا أن رسول الإسلام محمد لم يستوف أو يحقق شروط الإتيان بمعجزة، عندها سنصرف النظر عن أي قول أو رأي يشير إلى وجود معجزات صنعها الإمام الحسين. وذلك بسبب بسيط جداً هو إن كان رسول الإسلام محمد قد عجز عن الإتيان بالمعجز، فكم هو أعجز أن يصنعها شخص آخر.

قوم قريش يطلبون آية - معجزة خارقة لنواميس الطبيعة

مفردة (الآية) في القرآن تأتي بعدة معانٍ. فمنها العلامة و الإشارة ، ومنها آية من سور القرآن، ومنها (المعجزة الخارقة لنواميس الطبيعة) التي لا قدرة للبشر أن يأتوا بمثلها من غير معونة أو تدخل إلهي. الآية التي عنيناها في كتابنا هذا هي المعجزة التي يأتي بها نبي صادق مرسل من الله سبحانه وتعالى. شريطة أن تكون تلك المعجزة ظاهرة و مرئية أمام الجميع و التي ليس بمقدور أي شخص من البشر الإتيان بمثلها. و أن تكون صادرة من نفس الشـــخص الذي يدعي

١- أوائل المقالات - الشيخ المفيد ، الصفحتان: ٦٨ و ٦٧.

النبوة. فلا يجوز لشخص يدعي أنه مرسل من السماء أن ينسب الكسوف أو الخسوف أو الفيضانات إلى نفسه. أو أن ينسب إلى نفسه شروق وَ غروب الشمس، فهذه من الظواهر الكونية المسلم بحدوثها دون تدخل الإنسان في مجرياتها. بل على الشخص المدعي بالنبوة أن يأتي بشيء فريد وغير مألوف وخارج عن إرادة و قدرة البشر. بالنسبة لي فقد فحصت و درست القرآن سورة سورة وآية آية فوجدت أن كل نبي - قبل الإسلام - و بدون استثناء إما أنه قد أُعْطِيَ آية (معجزات خارقة للعادة) تثبت صدق نبوته و رسالته، أو أن الله قد استجاب لأنبيائه بإنزال غضبه و عقابه السماوي على اقوامهم مما أدى إلى اهلاكهم و إبادتهم من على وجه الأرض. وأيضاً لم أجد في القرآن أي إشارة أو دليل يفيد أن نبي من الأنبياء - قبل الإسلام - قد تردد أو تهاون أو تشكك في أن يمده الله سبحانه وتعالى بآية (معجزة) ليريها قومه. ولم أجد أيضاً أي نبي من الأنبياء - قبل الإسلام - سأل الله سبحانه و تعالى أن يمده بآية (معجزة) تثبت نبوته أو رسالته، فرُفِضَ طلبه بتاتاً. ولم أجد كذلك أي نبي من الأنبياء - قبل الإسلام - قد امتنع أن يأتي بالمعجزة لقومه مدعياً خوفه عليهم من عدم الإيمان به. ولم أجد أيضاً أي نبي من الأنبياء - قبل الإسلام - قد امتنع أو رفض طلب قومه بصنع المعجز لأي سبب آخر.

في الواقع إن جميع المعجزات الباهرة التي تحققت علي أيد الأنبياء و الرسل - قبل الإسلام - كانت رحمة و رأفة للبشر. فهي إما لإقناعهم أن يتركوا عبادة الأوثان، أو أن يؤمنوا بوحدانية الله سبحانه و تعالى. أو كبرهان صادق لتحقيق هدف سماوي، مثل المعجزات الخارقة والكثيرة التي عملها موسى النبي أمام فرعون وسواه. وذلك من أجل أن يخرج بني إسرائيل من مصر. أيضاً السيد المسيح عمل معجزات خارقة تفوق التصور. و كان لتلك المعجزات أهداف سامية و سماوية منها: الخلاص و المحبة، و تحقيق النبوات في الكتاب المقدس الدالة على لاهوت السيد المسيح. لقد قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في تفسيره(١) أن:" المعجزاتُ ضربان أحدهما: ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لابدّ من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع، و الثاني: ما يكون لطفاً في الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه". انتهى.

لقد قسمت موضوع المعجزات في القرآن إلى فقرتين. ففي الفقرة (أ) ذكرت بعض الأمثلة من الآيات القرآنية التي حث فيها كاتب القرآن العرب بالتأمل بالكون أو الطبيعة أو في نظم آيات القرآن ذاتها، بدلاً من طلبهم من رسول الإسلام محمد الإتيان بالمعجز. أما في الفقرة (ب) فقد سردت جميع الوعود التي أعطاها كاتب القرآن للعرب بأنه سيصنع لهم أو يأتيهم بالمعجز. و كيف تجاوبت تلك القبائل العربية مع رسول الإسلام محمد في هذا الأمر.

١- مجمع البيان في تفسير القرآن - أبو علي الفضل الطبرسي ، تفسير الآية: ٥٩ من سورة الإسراء.

أ- آيات قرآنية تدعوا قوم قريش للتأمل في الكون و الطبيعة أو تدبر نظم آيات القرآن

تصور عزيزي القارئ أن يأتي شخص يدعي النبوة في زمننا الراهن. فتطلب الناس منه الإتيان بمعجزة خارقة لقوانين الطبيعة حتى يمكنهم الوثوق به و ليبرهن لهم بواسطتها صحة و صدق نبوته. فيرد ذلك المدعي بالنبوة على الناس قائلاً: بدلاً من أن تطلبوا مني الإتيان بمعجزة تأملوا في الطبيعة و الكون، انظروا:" أن أكل الماعز من العشب الأخضر هي إشارة لقوم يتفكرون".

فماذا سيكون شعورنا أو تصورنا عن هكذا شخص؟ هل يمكننا تصديقه بمجرد هكذا رد أو إجابة إنشائية صادرة منه؟ أو هل المطلوب منه الإتيان بمعجزة حقيقية تبرهن صدق دعواه في ذلك؟

لقد حث و دعا كاتب القرآن قبيلة قريش و سواها من القبائل العربية الأخرى بالتأمل في الكون و الطبيعة. بغية إقناعهم أن تلكم الآية/ الآيات (علامة أو إشارة) هي من الله تؤيد صحة نبوة رسول الإسلام محمد. إن الكثير من القبائل العربية في ذلك الوقت كانوا يعلمون أنه يوجد إله سماوي اسمه الله. لكنهم أرادوا من رسول الإسلام محمد أن يثبت لهم فحسب أنه كان صادق في ادعائه بالنبوة، أو أنه كان مرسل من الله، من خلال صنعه أو إتيانه لهم بمعجزة. أي معجزة حتى لو كانت تلك المعجزة يتيمة و وحيدة. فالقرآن نفسه يقر أن قبيلة قريش كانوا مؤمنين بأن كل ما هو موجود في الكون ورائه خالق اسمه الله. وهذه بعض الآيات القرآنية التي تثبت ذلك:

- وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا.(١)
- وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ.(٢)
- وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ. (٣)
- وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ. (٤)

كان كل هم قبيلة قريش هو التأكد من صدق و صحة نبوة رسول الإسلام محمد. لذا فقد طلبت منه مراراً و تكراراً - على مدى ثلاث و عشرين سنة - أن يصنع لهم معجزة. أي معجزة حتى لو كانت وحيدة و يتيمة، كل ذلك من أجل أن يثقوا و يتأكدوا و يصدقوا دعواه. و من ثم يمكنهم أن يؤمنوا به كنبي مرسل من السماء. لقد كان ذلك الطلب حق مشروع لهم و لا غبار عليه. فلم تكن قريش بحاجة لشخص يقوم بتذكيرهم ليلاً و نهاراً بخلق السموات الأرض أو الشمس والقمر

١- سورة الأنعام ، الآية:١٠٩.
٢- سورة العنكبوت ، آية:٦١.
٣- سورة العنكبوت ، آية: ٦٣.
٤- سورة الزخرف ، آية :٨٧.

لعلمهم السابق بذلك. ولم يكونوا محتاجين أيضاً لتدبر نظم آيات القرآن. لأنهم أهل اللغة و فطاحل الأدب والشعر العربي الفصيح. أيضاً و بكل تأكيد لم يكونوا بحاجة لشخص يذكرهم أو يهددهم بأخذ العبر من الأقوام التي سبقت الإسلام. بل أنهم أقسموا وحلفوا بالله أن يصدقوه إن جاءهم بمعجزة خارقة لنواميس الطبيعة، حتى لو كانت تلك وحيدة ويتيمة. وهذا ما أقر به كاتب القرآن، حيث يقول :" وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا(١)".

لكن كاتب القرآن حاول كثيراً و بشكل دائم و متكرر أن يقنع قبيلة قريش والقبائل العربية الأخرى بقبول صحة نبوته بعدة طرق، منها: تذكيره اياهم وأحياناً تهديده اياهم بإشاراته الكثيرة والمملة و المستمرة و المتكررة - في القرآن - إلى التأمل في الطبيعة و الكون، أو التدبر في آيات القرآن أو نظمه. أو النظر في حال ومصير الأقوام التي سبقت الإسلام. لقد سألهم أن يفعلوا ذلك عوضاً عن تكرار طلبهم الملح لرسول الإسلام محمد بصنعه أو اتيانه لهم بمعجزة. و إليكم قائمة بأغلب النصوص الدالة على قولنا في هذا الأمر، وهي آيات قرآنية كثيرة:

١- سورة الأنعام- مكية - آية:٢٥

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ.

٢- سورة الأنعام - مكية - آية:٤

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ.

٣- سورة يوسف - مكية - آية:١٠٥

وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ.

٤- سورة النحل - مكية – آية:١١

يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.

٥- سورة النحل – مكية – آية:١٣

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ.

٦- سورة النحل – مكية – آية:٦٥

وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ.

١- سورة الأنعام ، الآية: ١٠٩.

٧- سورة النحل– مكية – آية:٦٧

وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

٨- سورة النحل – مكية – آية:٦٩

ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.

٩- سورة العنكبوت– مكية – آية:٤٤

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ.

١٠- سورة سبأ– مكية – آية:٩

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ.

١١- سورة يس– مكية – آية:٣٣

وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ.

١٢- سورة يس– مكية – آية:٣٧

وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ.

١٣- سورة يس– مكية – آية:٤١

وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ.

١٤- سورة يس– مكية – آية:٤٦

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ.

١٥- سورة الصافات– مكية – آية:١٤

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ.

١٦- سورة القمر – مكية – آية:٢

وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ.

١٧- سورة الأعراف – مكية – آية: ١٨٥

أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ.

١٨- سورة يوسف – مكية – آية: ١٠

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ.

١٩- سورة الروم – مكية – آية: ٩

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

٢٠- سورة فاطر – مكية – آية: ٤٤

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا.

٢١- سورة غافر – مكية – آية: ٢١

أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ.

٢٢- سورة غافر – مكية – آية: ٨٢

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

٢٣- سورة محمد – مدنية – آية: ١٠

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا.

٢٤- سورة ق – مكية – آية: ٦

أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ.

٢٥- سورة الأعراف – مكية – آية: ٥٣

هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل

لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ.

٢٦- سورة الأعراف – مكية – آية:١٨٥

أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ.

٢٧- سورة يوسف – مكية – آية:١٠٩

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ.

٢٨- سورة النحل – مكية – آية:٣٣

هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

٢٩- سورة عبس – مكية – آيات: ٢٤ إلى ٣٢.

فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢).

٣٠- سورة الطارق – مكية – الآيات: ٥ إلى ٧

فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧).

٣١- سورة الغاشية – مكية – الآيات: ١٧ إلى ٢١

أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١).

ب- إلحاح قريش بأن يأتيهم رسول الإسلام محمد بآية (معجزة خارقة)، و رده عليهم

١- سورة البقرة - مدنية – آية: ١١٨

"وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ".

قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآية السابقة أن:" المعنى: لما بين سبحانه حالهم في إنكارهم التوحيد وادعائهم عليه اتخاذ الأولاد عقبه بذكر خلافهم في النبوات وسلوكهم في ذلك طريق التعنت والعناد فقال { وقال الذين لا يعلمون } وهم النصارى عن مجاهد واليهود عن ابن عباس ومشركو العرب عن الحسن وقتادة، وهو الأقرب لأنهم الذين سألوا المحالات ولم يقتصروا على ما ظهر واتضح من المعجزات(١) وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الآيات إلى آخرها و لأنه وصفهم بأنهم لا يعلمون فبين أنهم ليسوا من أهل الكتاب، ومن قال المراد به النصارى قال لأنه قال قبلها وقالوا اتخذ الله ولداً وهم الذين قالوا المسيح ابن الله وهذا لا دلالة فيه لأنه يجوز أن يذكر قوماً ثم يستأنف فيخبر عن قوم آخرين على أن مشركي العرب قد أضافوا أيضاً إلى الله سبحانه البنات فدخلوا في جملة من قال اتخذ الله ولداً". انتهى.

وأضاف أيضاً أن:" قوله { لولا يكلمنا الله } أي هلا يكلمنا معاينة فيخبرنا بأنك نبي وقيل معناه هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى وغيره من الأنبياء وقوله { أو تأتينا آية } أي تأتينا آية موافقة لدعوتنا كما جاءت الأنبياء آيات موافقة لدعوتهم. { تشابهت قلوبهم } أي أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة والاعتراض على الأنبياء من غير حجة والتعنت والعناد كقول اليهود لموسى أرنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح أنزل علينا مائدة من السماء وقول العرب لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم حوّل لنا الصفا ذهباً ولذلك قال الله سبحانه أتواصوا به وقوله { قد بينا الآيات } يعني الحجج والمعجزات(١) التي يعلم بها صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم { لقوم يوقنون } أي يستدلون بها من الوجه الذي يجب الاستدلال به فأيقنوا لذلك فكذلك فاستدلّوا أنتم حتى توقنوا كما أيقن أولئك والمعنى فيه أن فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة على صدقه كفاية لمن ترك التعنت والعناد، فإن قيل لم لم يؤتوا الآيات التي اقترحوها لتكون الحجة عليهم آكد؟ قلنا الاعتبار في ذلك بالمصالح ولو علم الله سبحانه أن في إظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحة لأظهرها فلما لم يظهرها علمنا أنه لم يكن في إظهارها مصلحة". انتهى.

٢- سورة الأنعام - مكية - آية ٣٥

"وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ".

قال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره لتلك الآية أن:" المعنى: ثُمَّ بَيَّن سبحانه أن هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال مخاطباً لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم { وإن كان كبر } أي عظم و اشتد { عليك إعراضهم } و انصرافهم عن الإيمان و قبول دينك وامتناعهم من

١- الرجاء مراجعة الصفحة: ٢٢٣ وما يليها لمعرفة حقيقة المعجزات المنسوبة لرسول الإسلام محمد.

اتباعك وتصديقك { فإن استطعت } أي قدرت وتهيأ لك { أن تبتغي } أي تطلب وتتخذ { نفقاً في الأرض } أي سربا ومسكناً في جوف الأرض { أو سلماً } أي مصعداً { في السماء } ودرجاً { فتأتيهم بآية } أي حجة تلجئهم إلى الإيمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك. وقيل: فتأتيهم بآية أفضل مما آتيناهم به فافعل عن ابن عباس يريد لا آية أفضل وأظهر من ذلك". انتهى.

٣- سورة الأنعام - مكية - آية ٣٧

"وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ".

قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآية السابقة أنه:" ثم عاد سبحانه إلى حكاية أقوال الكفار فقال عاطفاً على ما تقدم { وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه } هذا إخبار عن رؤساء قريش لمّا عجزوا من معارضته فيما أتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات الأولين كعصا موسى وناقة ثمود فقال سبحانه في موضع آخر { أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب } [العنكبوت: ٥١] وقال ها هنا { قل } يا محمد { إن الله قادر على أن ينزل آية } أي آية تجمعهم على هدى عن الزجاج. وقيل: آية كما يسألونها { ولكن أكثرهم لا يعلمون } ما في إنزالها من وجوب الاستئصال لهم إذا لم يؤمنوا عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما أوتوه من الآيات من المصلحة. وقيل: معناه ولكن أكثرهم لا يعلمون أنّ فيما أنزلنا من الآيات مقنعاً وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه الآية فقالوا إنها تدل على أن الله تعالى لم ينزل على محمد آية إذ لو نزلها لذكرها عند سؤال المشركين إياها فيقال لهم قد بيَّنا أنهم التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يؤتوها لأن المصلحة منعت عن إيتائها وقد أنزل الآيات الدالة على نبوته من القرآن وآتيتهم من المعجزات الباهرة التي شاهدوها(١) ما لو نظروا فيها أو في بعضها حق النظر لعرفوا صدقه وصحة نبوته وقد بيّن في آية اخرى أنه لو أنزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال { ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة } [الأنعام: ١١١] إلى قوله { ما كانوا ليؤمنوا } [الأنعام: ١١١] وفي موضع آخر { وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله } [العنكبوت: ٥٠] يعني في قدرة الله ينزل منها ما يشاء و يسقط ما اعترضوا به.".

٤- سورة الأنعام - مكية - آية ١٠٩

"وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ".

و ذكر العلامة الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآية السابقة أن سبب النزول هو أنه :"قالت قريش يا محمد تخبرنا أن

موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بآية من الآيات حتى نصدّقك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " أيّ شيء تحبُّون أن آتيكم به " قالوا اجعل لنا الصفا ذهباً وابعث لنا بعضٍ موتانا حتى نسألهم عنك أحقٌّ ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك أو ائتنا بالله والملائكة قبيلاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" فإن فعلتُ بعض ما تقولون أتصدّقونني " قالوا نعم والله لئن فعلت لنتّبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبرائيل (ع) فقال له إن شئت أصبح الصفا ذهباً ولكن إن لم يصدّقوا عذبتهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " بل يتوب تائبهم " فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي".

وأضاف قائلاً :"المعنى: ثم بيَّنَ سبحانه حال الكفار الذين سألوه الآيات فقال{وأقسموا} أي حلفوا { بالله جهد أيمانهم } أي مجدّين مجتهدين مظهرين الوفاء به { لئن جاءتهم آية } مما سألوه { ليؤمننَّ بها قل } يا محمد { إنما الآيات } أي الأعلام والمعجزات { عند الله } والله تعالى مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم في إنزالها لأنزلها { وما يشعركم } الخطاب متوجّه إلى المشركين عن مجاهد وابن زيد. وقيل: هو متوجه إلى المؤمنين عن الفراء وغيره لأنهم ظنُّوا أنهم لو أجيبوا إلى الآيات لآمنوا { أنها إذا جاءت لا يؤمنون } قد مرَّ معناه". انتهى.

٥- سورة الأعراف - مكية - آية ٢٠٣

"وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ".

وقال الشيخ أبو علي الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآية السابقة أنه :" { وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها } معناه إنك يا محمد إذا جئتهم بآية كذبوا بها وإذا أبطأت عنهم يقترحونها ويقولون هلا جئتنا به من قبل نفسك فليس كل ما تقولـه وحي من السماء عن قتادة ومجاهد والزجاج. وقيل: معناه إذا لم تأتهم بآية مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك أن يأتيك بها عن ابن عباس والجبائي وأبي مسلم. { قل } يا محمد لهم { إنما أتبع ما يوحى إليَّ من ربي } أي لست آتي بالآيات من عندي وإنما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وإنما أتبع الوحي ولا أتعداه وليس لي أن أسأله إنزال الآيات إلاّ بعد إذنه في السؤال. { هذا بصائر من ربكم } هذا القرآن دلائل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الإنسان بها أمور دينه { وهدى ورحمة } أي ودلالة تهدي إلى الرشد ونعمة في الدين والدنيا { لقوم يؤمنون } خص

المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الآية دلالة على أن أفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقواله تابعة للوحي وأنه لا يجوز أن يعمل بالرأي والقياس". انتهى

٦- سورة الأنفال - مدنية - آية ٣٢

"وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ".

قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآية السابقة:" {وإذ قالوا} أي واذكر يا محمد إذ قالوا أي قال هؤلاء الكفار { اللهم إن كان هذا } الذي جاء به محمد { هو الحق من عندك } دون ما نحن عليه { فأمطر علينا حجارة من السماء } كما أمطرته على قوم لوط { أو ائتنا بعذاب أليم } أي شديد مؤلم والقائل لذلك النضر بن الحارث أيضاً عن سعيد بن جبير ومجاهد وروي في الصحيحين أن هذا من قول أبي جهل ويسأل ها هنا فيقال لم طلبوا العذاب في الله بالحق وإنما يطلب الخير والثواب والأجر والجواب أنهم كانوا يعتقدون أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله سلم ليس بحق من الله وإذا لم يكن حقاً لم يصبهم شيء ويقال لم قال أمطر من السماء والإمطار لا يكون إلا من السماء وفي هذا جوابان: أحدهما: أنه يجوز أن يكون إمطار الحجارة من مكان عال غير السماء. والثاني: أنه على طريق البيان بمن". انتهى.

٧- سورة يونس - مكية - آية ٢٠

"وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ".

قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن مفسراً تلك الآية أنه :" ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال { ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه } أي هلا أنزل على محمد آية من ربه تضطرُّ الخلق إلى المعرفة بصدقه فلا يحتاجون معها إلى النظر والاستدلال ولم يطلبوا معجزة تدل على صدقه لأنه قد أتاهم بالمعجزات[١] الدالة على نبوته وإنما لم يلجئهم الله إلى ما التمسوه لأن التكليف يمنع من الاضطرار إلى المعرفة فإن الغرض بالتكليف التعريض للثواب ولو كانت المعرفة ضرورة لما استحقوا ثواباً فكيف وكان يكون ذلك ناقضاً للغرض { فقل إنما الغيب لله } معناه فقل يا محمد إن الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الأمور قبل كونها هو الله العالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها و بعد كونها لا تخفى عليه خافية فيعلم ما في

١- الرجاء مراجعة الصفحة: ٢٢٣ وما يليها لمعرفة حقيقة المعجزات المنسوبة لرسول الإسلام محمد.

إنزاله صلاح فينزله ويعلم ما ليس في إنزاله صلاح فلا ينزله و لذلك لا يفعل الآية التي اقترحوها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن تدبير { فانتظروا } أي فانتظروا عقاب الله تعالى بالقهر والقتل في الدنيا والعقاب في الآخرة { إني معكم من المنتظرين } لأن الله تعالى وعدني النصرة عليكم. وقيل: معناه فانتظروا إذلال الكافرين فإني منتظر إعزاز المؤمنين". انتهى.

٨- سورة الرعد - مدنية - آية ٧

"وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد".

قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن معلقاً على تلك الآية:" { ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه } مثل الناقة والعصا عن ابن عباس وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التي أتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فأعلم الله أن لكل قوم هادٍ والمعنى أنه سبحانه بيَّن سوء طريقتهم في اقتراح الآيات كما في قوله: { لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً } [الإسراء:٩٠] إلى قوله { أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً } [الإسراء:٩٢] وكما قالوا اجعل الصفا لنا ذهباً حتى نأخذ منه ما نشاء وإنما لم يظهر الله تعالى تلك الآيات لأنه لو أجاب أولئك لاقترح قوم آخرون آية أخرى و كذلك كل كافر فكان يؤدّي إلى غير نهاية. { إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } فيه أقوال أحدها: أن معناه إنما أنت منذر أي مخوِّف وهاد لكل قوم وليس إليك إنزال الآيات عن الحسن وأبي الضحى وعكرمة والجبائي وعلى هذا فيكون أنت مبتدأ ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصّل بين الواو والمعطوف بالظرف والثاني: أن المنذر هو محمد والهادي هو الله تعالى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد والثالث: أن معناه إنما أنت منذر يا محمد ولكل قوم هاد نبي يهديهم وداع يرشدهم عن ابن عباس في رواية أخرى وقتادة والزجاج وابن زيد والرابع: أن المراد بالهادي كل داع إلى الحق". انتهى.

٩- سورة الرعد - مدنية - آية ٢٧

"وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ.

وقال العلامة الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآية السابقة:" { ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه } أي هلا أنزل على محمد معجزة من ربه يقترحها ويجوز أنهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا أنه لم ينزل عليه آية ولم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا هذا القول جهلاً منهم(١) بها { قل } يا محمد { إن الله يضل من يشاء } عن طريق الجنة بسوء أفعاله وعظم معاصـــيه وقد مضى القول في وجوه

١- الرجاء مراجعة الصفحة: ٢٢٣ وما يليها لمعرفة حقيقة المعجزات المنسوبة لرسول الإسلام محمد.

الإضلال والهدى فلا معنى لإعادته". انتهى.

١٠- سورة الإسراء - مكية - آية ٥٩

"وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا".

قال الشيخ الفضل الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن أنه:"{وما منعنا أن نرسل بالآيات إلى أن كذب بها الأولون} ذكر فيه أقوال أحدها: أن التقدير ما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ومعناه إنا لم نرسل الآيات التي اقترحتها قريش في قولهم حوِّل لنا الصفا ذهباً وفجِّر لنا الأرض ينبوعاً إلى غير ذلك لأنا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة كما أنا لما أجبنا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذَّبوا بها عذَّبناهم بعذاب الاستئصال لأن من حكم الآية المقترحة أنه إذا كذِّب بها وجب عذاب الاستئصال ومن حكمنا النافذ في هذه الآيات أن لا نعذبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولما يعلم في ذلك من المصلحة ولأن فيهم من يؤمن به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن أمته باقية وشريعته مؤبدة إلى يوم القيامة فلذلك لم نجبهم إلى ذلك وأنزلنا من الآيات الواضحات والمعجزات البينات[١] ما تقوم به الحجة وتنقطع به المعذرة. والثاني: أن معناه إنا لا نرسل الآيات لعلمنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون إنزالنا إياها عبثاً لا فائدة فيه كما أن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند إنزال الآيات. والمعجزاتُ ضربان أحدهما: ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لابدّ من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع والثاني: ما يكون لطفاً في الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه. والثالث: أن المعنى أنا لا نرسل الآيات لأن آباءكم وأسلافكم سألوا مثلها ولم يؤمنوا عندها وأنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم عن أبي مسلم". انتهى.

١١- سورة الإسراء - مكية - الآيات: من٩٠ إلى٩٣

"وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٣)".

قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآيات السابقة:" النزول: قال ابن عباس إن جماعة من قريش وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو

١- الرجاء مراجعة الصفحة: ٢٢٣ وما يليها لمعرفة حقيقة المعجزات المنسوبة لرسول الإسلام محمد.

سفيان بن حرب والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام اجتمعوا عند الكعبة و قال بعضهم ابعثوا إلى محمد فكلّموه و خاصموه فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك فبادر صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ظناً منه أنهم بدا لهم في أمره وكان حريصاً على رشدهم فجلس إليهم فقالوا يا محمد إنا دعوناك لنعذر إليك فلا نعلم أحداً أدخل على قومه ما أدخلت على قومك شتمت الآلهة وعبت الدين وسفهت الأحلام وفرَّقت الجماعة فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالاً أعطيناك و إن كنت تطلب الشرف سوَّدناك علينا وإن كانت علة غلبت عليك طلبنا لك الأطباء فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " ليس شيء من ذلك بل بعثني الله إليكم رسولاً وأنزل كتاباً فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردّوه أصبر حتى يحكم الله بيننا " قالوا: فإذن ليس أحد أضيق بلداً منا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجري لنا أنهاراً كأنهار الشام والعراق وأن يبعث لنا من مضى وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق لنسألهم عما تقول أحق أم باطل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " ما بهذا بعثت " قالوا فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكاً يصدّقك ويجعل لنا جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " ما بهذا بعثت وقد جئتكم بما بعثني الله به فإن قبلتم وإلا فهو يحكم بيني وبينكم " قالوا فأسقط علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك قال " ذاك إلى الله إن شاء فعل " وقال قائل منهم: لا نؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سألوك لأنفسهم أموراً فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ سلَّماً إلى السماء ثم ترقى فيه وأنا أنظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك وقال أبو جهل إنه أبى إلا سبُّ الآلهة وشتم الآباء وأنا أعاهد الله لأحملن حجراً فإذا سجد ضربت به رأسه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزيناً لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات. المعنى: لمّا بيَّن سبحانه فيما تقدّم إعجاز القرآن عقَّب ذلك البيان بأنهم أبوا الكفر والطغيان واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك فقال { وقالوا لن نؤمن لك } أي لن نصدّقك فيما تدعي من النبوة { حتى تفجر لنا من الأرض } أي تشقّق لنا من أرض مكة فإنها قليلة الماء { ينبوعاً } أي عيناً ينبع منه الماء في وسط مكة { أو تكون لك جنة } وهي ما تجنّه الأشجار أي تستره { من نخيل وعنب فتفجر الأنهار } من الماء { خلالها } أي وسطها { تفجيراً } أي تشقيقاً حتى يجري الماء تحت الأشجار. { أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً } أي قطعاً قد تركب بعضها على بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقوله كما زعمت معناه كما خوَّفتنا به من انشقاق السماء وانفطارها وقيل معناه كما زعمت أنك نبي تأتي بالمعجزات { أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً } أي كفيلاً ومعناه تأتي بكل واحدة حتى يكون كفيلاً ضامناً لنا بما تقول عن ابن عباس والضحاك وقيل هو جمع القبيلة أي تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة عن مجاهد وقيل معناه مقابلين لنا كالشيء يقابل الشيء حتى نشاهدهم قبيلاً أي

مقابلة نعاينهم ويشهدون بأنك حق ودعوتك صدق عن الجبائي وقتادة وهذا يدل على أن القوم كانوا مشبهة مع شركهم.{ أو يكون لك بيت من زخرف } أي من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الزخرف النقوش عن الحسن { أو ترقى في السماء } أي تصعد { ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه } أي ولو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتاباً من الله شاهداً بصحة نبوتك نقرؤه وهو مثل قوله { بل يريد كل امرء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة } [المدثر: ٥٢].{ قل سبحان ربي } أي تنزيهاً له من كل قبيح وبراءة له من كل سوء وفي ذلك من الجواب أنكم تتخيرون الآيات وهي إلى الله سبحانه فهو العالم بالتدبير الفاعل لما توجبه المصلحة فلا وجه لطلبكم إياها مني وقيل معناه تعظيماً له عن أن يحكم عليه عبيده لأن له الطاعة عليهم، وقيل إنهم لما قالوا تأتي بالله وترقى في السماء إلى الله لاعتقادهم أن الله تعالى جسم قال قل سبحان ربي عن كونه بصفة الأجسام حتى تجوز عليه المقابلة والنزول وقيل معناه تنزيهاً له عن أن يفعل المعجزات تابعاً للاقتراحات.{ هل كنت إلا بشراً رسولاً } معناه أن هذه الأشياء ليس في طاقة البشر أن يأتي بها وأن يفعلها فلا أقدر بنفسي أن آتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل والله تعالى إنما يظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة[١] وقد فعل[٢] فلا تطالبوني بما لا يطالب به البشر". انتهى.

١٢- سورة طه - مكية - آية ١٣٣

"وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأولَى".

قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآية السابقة أنه:" { وقالوا } يعني الكفار { لولا يأتينا } محمد صلى الله عليه وآله وسلم { بآية من ربه } اقترحناها عليه كما أتى به الأنبياء، نحو الناقة { أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى } أي أولم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب الأولى من أنباء الأمم التي أهلكناهم لما اقترحوا الآيات ثم كفروا بها فمادة يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤال الآية كحال أولئك { ولو أنا أهلكناهم } يعني كفار قريش { بعذاب من قبله } أي من قبل بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن { لقالوا } يوم القيامة { ربنا لولا أرسلت إلينا } أي هلا أرسلت { رسولاً } يدعونا إلى طاعتك ويرشدنا إلى دينك { فنتبع آياتك } أي نعمل بما فيها { من قبل أن نذل } بالعذاب { ونخزى } في جهنم". انتهى.

١٣- سورة الأنبياء - مكية - آية ٥

١- هذا المفسر بذاته يناقض نفسه حينما قاله سابقاً عند تفسيره للآية: ٥٩ من سورة الإسراء أن: " المعجزاتُ ضربان أحدهما: ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لابدّ من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع والثاني: ما يكون لطفاً في الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه".

٢- الرجاء مراجعة الصفحة: ٢٢٣ وما يليها لمعرفة حقيقة المعجزات المنسوبة لرسول الإسلام محمد.

"بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ".

قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآية السابقة أنه:" { فليأتنا بآية كما أرسل الأولون } معناه فليأتنا بآية ظاهرة يستدركها الخاص و العام كما أتى بها الأولون من الأنبياء. قال ابن عباس: بآية مثل الناقة والعصا. وقال الزجاج: اقترحوا بالآيات التي لا يكون معها إمهال". انتهى.

١٤- سورة الشعراء - مكية - آية ٤

"إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ".

قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن تفسيره للآية السابقة :" { إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية } أي دلالة وعلامة تلجئهم وتضطرهم إلى الإيمان: { فظلت أعناقهم لها } أي لتلك الآية { خاضعين } منقادين". انتهى.

لقد طلبت قريش مراراً وتكراراً من رسول الإسلام محمد و بإلحاح شديد جداً أن يريهم معجزة. حتى لو كانت تلك المعجزة يتيمة وَ وحيدة، فقط لأجل أن يثبت لهم صدق نبوته. لكنه ما لبث أن يسألهم أن يعطوه مهلة في بعض الأحيان. و أحايين أخرى كثيرة كان يتذرع لهم بأسباب تمنعه من الإتيان بالمعجز حتى يأذن له إلهه. و أحايين أخرى يعدهم بأنه سيصنع المعجز، و يهددهم في ذات القوت إنه إن لم يؤمنوا به كنبي مبعوث سيحل عليهم عقاب وعذاب من السماء. و أحايين كثيرة جداً كان يقول لهم قد أتيتكم بآية، قاصداً بها إشارة أو علامة - وليس آية بمعنى معجزة خارقة لنواميس الطبيعة. لكن المفسرين الشيعة مثلهم في ذلك كمثل باقي المفسرين السنة، قد توهوا القارئ المسلم. فقد جعلوه يعتقد فعلاً بوجود معجزات حقيقية ليس فقط لرسول الإسلام محمد، بل وأيضاً للإمام الحسين بن علي. فمع أن المشركين أنفسهم قد تحدوا رسول الإسلام محمد طالبين منه أن يمطر على هامات رؤوسهم حجارة من السماء، أو ينزل عليهم عذاب إلهي من السماء. إلا أن رسول الإسلام لم يستجب لمطلبهم ذلك، في إشارة إلى عجزه وإلهه على تحقيق ذلك.

وفيما يلي قائمة بالمعجزات التي طلبتها قريش من رسول الإسلام محمد - حسب ما ذكرها الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن:

- معجزة أن يكلمهم الله بشكل مباشر أو أن يسمعوا صوته.
- معجزة مشابهة لعصا موسى و ناقة ثمود.

- **معجزة تحويل الصفا ذهباً.**
- **معجزة تسيير الجبال وأن تجري تحتها أنهارً كأنهار الشام و العراق.**
- **معجزة أحياء بعضٍ موتاهم حتى يسألوهم عن صدق رسول الإسلام محمد في ادعائه بالنبوة.**
- **معجزة أن يريهم الملائكة يشهدون له.**
- **معجزة أن يأتي الله و الملائكة قبيلاً.**
- **معجزة أن يأتيهم بكتاب من السماء.**
- **معجزة إسقاط السماء عليهم.**
- **معجزة إمطار السماء حجارة عليهم مشابهة لتلك الحجارة التي أمطرت على قوم لوط.**
- **معجزة إنزال عذاب سماوي حتى يتيقنوا أنه مرسل من الله.**
- **معجزة كيفما كان نوعها تدل على صدق نبوة رسول الإسلام محمد. وقد أعطوا محمد أن يختار تلك المعجزة بنفسه.**
- **معجزة أن ينزل ملكاً يصدّقه. او يأتي نفر من الملائكة.**
- **معجزة عمل جنات و كنوزاً وقصوراً من ذهب.**
- **معجزة مشابهة لأي معجزة صنعها موسى أو عيسى – السيد المسيح.**
- **معجزة ظاهرة يستدركها الخاص والعام.**

و كانت جميع ردود كاتب القرآن واضحة وضوح الشمس. إذ قد رفض الاستجابة لقريش وطلباتها رفضاً تاماً. وكان طلبهم الملح يتمثل في رغبتهم الجامحة بمشاهدة معجزة وحيدة يصنعها محمد رسول الإسلام أو إلهه. إن كل دارس و قارئ بعقل واعٍ قادر على استشفاف ذلك الرفض بوضوح. وقد لاحظت أيضاً أن ردود إله الإسلام في القرآن تبدوا غير واضحة لأغلب رجال التفسير. و من ضمنهم طبعاً الشيخ أبو علي الطبرسي، صاحب كتاب التفسير المسمى بمجمع البيان في تفسير القرآن. فقد أمكنني ملاحظة تخبط المفسرين و ارتباكهم و تناقضهم في تفسيرهم لبعض آيات و سور القرآن. بحيث أنه وصل تخبطهم إلى درجة جعلتهم يفقدون تمييز معنى لفظة (آية) التي تأتي أحايين كثيرة بمعنى إشارة أو علامة، وأحياناً بمعنى آية قرآنية، وأحايين تأتي بمعنى معجزة خارقة لقوانين الطبيعة. وإليكم موجز لردود إله الإسلام على قريش، الذين سألوا رسوله أن يصنع لهم معجزة. هذه الردود قد اقتبستها بشكل مختصر حسبما وردت في كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي:

- **لقد بينا الآيات لكم من قبل.**
- **الله قادر أن يهديكم.**
- **وجوب استئصالكم من الأرض إن لم تؤمنوا.**

- أكثركم لا تعلمون أنّ فيما أنزلنا من الآيات مقنعاً وكفاية لمن نظر وتدبر.
- أن الله قادر أن يصنع معجزة.
- المعجزات هي من عند الله وهو مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم في إنزالها لأنزلها.
- إنما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة.
- إنما أتبع الوحي ولا أتعداه وليس لي أن أسأله إنزال الآيات إلاّ بعد إذنه في السؤال.
- إن الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الأمور في إنزال المعجزات هو الله.
- فانتظروا عقاب الله تعالى.
- انتظروا إذلال الكافرين فإني منتظر إعزاز المؤمنين.
- إنما محمد منذر أي مخوِّف وهاد لكل قوم وليس له عمل الآيات.
- أن المنذر هو محمد والهادي هو الله.
- إنما محمد منذر، ولكل قوم هاد نبي يهديهم وداع يرشدهم.
- إن الله يضل من يشاء عن طريق الجنة بسوء أفعاله وعظم معاصيه.
- لو أرسلناها لم تؤمنوا فتستحقوا المعاجلة بالعقوبة.
- إنا لا نرسل الآيات لعلمنا بأنكم لا تؤمنون، عندها فيكون إنزالنا إياها عبثاً لا فائدة فيه.
- أن من كان قبلكم لم يؤمنوا عند إنزال الآيات.
- أن هذه الأشياء ليس في طاقة البشر أن يأتي بها وأن يفعلها فلا أقدر بنفسي أن آتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل.
- أولم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب الأولى من أنباء الأمم التي أهلكناهم لما اقترحوا الآيات ثم كفروا.
- لو نشاء لأنزلنا معجزة تجعل أعناقكم لها منقادين.

كان هذا مختصر لردود كاتب القرآن على قبيلة قريش. فهذه الردود جميعها تدل وتبرهن بشكل مطلق، وبما لا يدع مجال للشك أو الريبة أنه ليس هنالك ثمة معجزة صنعها محمد رسول الإسلام. الجدير بالذكر ان كل ما طلبته قريش من رسول الإسلام محمد لم يكن كثيراً على الإطلاق. فقد خيروه أن يأتي بمعجزة وحيدة فريدة ويتيمة. لكنه لم يكن مستعد أن يستجيب لمطلبهم في ذلك. بل كل ما فعله هو أن اجابهم بردود غير مقنعة البتة.

أيضاً في سورة العنكبوت آيتان اثنتان فيهما إشارة واضحة وأكيدة على عدم صنع محمد رسول الإسلام لأي معجزة في مكة. أي منذ اليوم الأول لادعائه بالنبوة وحتى آخر يوم هاجر فيه إلى المدينة. لكن قبل الشروع في تحليلنا لنصوص تلك الآيات. أود من القارئ العزيز أولاً إلقاء نظرة على القائمة الكاملة للسور المكية حسب ترتيبها النزولي.

جدول السور المكية

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
١	العلق	٩٦
٢	القلم	٦٨
٣	المزمّل	٧٣
٤	المدّثر	٧٤
٥	الفاتحة	١
٦	المسد	١١١
٧	التكوير	٨١
٨	الأعلى	٨٧
٩	الليل	٩٢
١٠	الفجر	٨٩
١١	الضحى	٩٣
١٢	الشرح	٩٤
١٣	العصر	١٠٣
١٤	العاديات	١٠٠
١٥	الكوثر	١٠٨
١٦	التكاثر	١٠٢
١٧	الماعون	١٠٧
١٨	الكافرون	١٠٩
١٩	الفيل	١٠٥
٢٠	الفلق	١١٣
٢١	الناس	١١٤
٢٢	التوحيد	١١٢
٢٣	النجم	٥٣
٢٤	عبس	٨٠
٢٥	القدر	٩٧
٢٦	الشمس	٩١
٢٧	البروج	٨٥
٢٨	التين	٩٥
٢٩	قريش	١٠٦
٣٠	القارعة	١٠١
٣١	القيامة	٧٥
٣٢	الهمزة	١٠٤
٣٣	المرسلات	٧٧
٣٤	ق	٥٠
٣٥	البلد	٩٠
٣٦	الطارق	٨٦
٣٧	القمر	٥٤
٣٨	ص	٣٨

٣٩	الأعراف	٧
٤٠	الجن	٧٢
٤١	يس	٣٦
٤٢	الفرقان	٢٥
٤٣	فاطر	٣٥
٤٤	مريم	١٩
٤٥	طه	٢٠
٤٦	الواقعة	٥٦
٤٧	الشعراء	٢٦
٤٨	النمل	٢٧
٤٩	القصص	٢٨
٥٠	الإسراء	١٧
٥١	يونس	١٠
٥٢	هود	١١
٥٣	يوسف	١٢
٥٤	الحجر	١٥
٥٥	الأنعام	٦
٥٦	الصافات	٣٧
٥٧	لقمان	٣١
٥٨	سبأ	٣٤
٥٩	الزمر	٣٩
٦٠	غافر	٤٠
٦١	فصّلت	٤١
٦٢	الشورى	٤٢
٦٣	الزخرف	٤٣
٦٤	الدخان	٤٤
٦٥	الجاثية	٤٥
٦٦	الأحقاف	٤٦
٦٧	الذاريات	٥١
٦٨	الغاشية	٨٨
٦٩	الكهف	١٨
٧٠	النحل	١٦
٧١	نوح	٧١
٧٢	إبراهيم	١٤
٧٣	الأنبياء	٢١
٧٤	المؤمنون	٢٣
٧٥	السجدة	٣٢
٧٦	الطور	٥٢
٧٧	الملك	٦٧
٧٨	الحاقة	٦٩
٧٩	المعارج	٧٠
٨٠	النبأ	٧٨

٧٩	النازعات	٨١
٨٢	الانفطار	٨٢
٨٤	الانشقاق	٨٣
٣٠	الروم	٨٤
٢٩	العنكبوت	٨٥
٨٣	المطففين	٨٦

المصدر: كتاب التمهيد في علوم القرآن، لسماحة حجة الإسلام الشيخ محمد هادي معرفة.

و كما يتضح من الجدول أعلاه، فأن سورة العنكبوت هي السورة المكية ما قبل الأخيرة - سورة المطففين - حسب الترتيب النزولي. وقد وردت في هذه السورة آيتان توضحان أن كاتب القرآن لم يحاج قريش أو يجادلهم بمعجزة قد صنعها في مكة طوال مكوثه هناك وحتى قبيل الهجرة بوقت قليل. بل على العكس تماماً فأن المعجزة الوحيدة التي اشار إليها المفسرون الشيعة - خلال تفسيرهم للآيتين ٥٠ و ٥١- كانت هي معجزة القرآن و حسب. و لم يكن تفسير علماء الشيعة لهاتين الآيتين ناجم عن رأيهم الشخصي في ذلك، بل كان نتيجة إقرار واضح من كاتب القرآن نفسه بعدم وجود معجزة لرسول الإسلام سوى القرآن ذاته، حيث قال كاتب القرآن:

وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(١).

أقوال المفسرين الشيعة للآيتين ٥٠ و ٥١ من سورة العنكبوت:

١- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في تفسيره للآيتين السابقتين أن :"{ لولا أنزل عليه آية من ربه } أراد به الآيات التي اقترحوها في قوله: { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً } [الإسراء: ٩٠] الآيات وأن يجعل الصفا ذهباً. وقيل: إنهم سألوا آية كآية موسى (ع) من فلق البحر وقلب العصا حية وجعلوا ما أتى به من المعجزات والآيات غير آية وحجة إلقاء للشبهة بين العوام فقال الله تعالى { قل } يا محمد لهم { إنما الآيات عند الله } ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده وينزل على كل نبي منها ما هو أصلح له ولأمته ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بفن منها { وإنما أنا نذير مبين } أي منذر مخوّف من معصية الله مظهر طريق الحق والباطل وقد فعل الله سبحانه ما يشهد بصدقي من المعجزات(٢). المعنى: لمّا تقدّم طلبهم للآيات أجابهم سبحانه فقال {أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك} يا محمد { الكتاب } أي القرآن { يتلى عليهم } بيَّن سبحانه أن في إنزال القرآن دلالة

١- سورة العنكبوت - الآيتان:٥٠ وَ ٥١.

٢- الرجاء مراجعة الصفحة: ٢٢٣ وما يليها لمعرفة حقيقة المعجزات المنسوبة لرسول الإسلام محمد.

واضحة ومعجزة لائحة وحجة بالغة تنزاح معه العلة وتقوم به الحجة فلا يحتاج في الوصول إلى العلم بصحة نبوته إلى غيره على أن إظهار المعجزات مع كونها إزاحة للعلة تراعى فيه المصلحة فإذا كانت المصلحة في إظهار نوع منها لم يجز إظهار غيرها ولو أظهر الله سبحانه الآيات التي اقترحوها ثم لم يؤمنوا لاقتضت الحكمة إهلاكهم بعذاب الاستئصال كما اقتضت ذلك في الأمم السالفة وقد وعد الله سبحانه أن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال وفي هذا دلالة على أن القرآن كان في المعجز وأنه في أعلى درجات الإعجاز لأنه جعله كافياً عن جميع المعجزات والكفاية بلوغ حدّ ينافي الحاجة. { إن في ذلك } معناه إن في القرآن { لرحمة } أي نعمة عظيمة الموقع لأن من تبعه وعمل به نال الثواب وفاز بالجنة { وذكرى } أي وتذكير أو موعظة { لقوم يؤمنون } أي يصدّقون به". انتهى.

٣- التبيان الجامع لعلوم القرآن

و قال شيخ الطائفة ابو جعفر محمد الطوسي أنه: "ثم حكى عن الكفار انهم قالوا: هلا انزل على محمد آية من ربه؟ يريدون آية يقترحونها، وآية كآية موسى: من فلق البحر وقلب العصا حية، فقال الله تعالى لهم { قل } لهم يا محمد { إنما الآيات عند الله } ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح خلقه { وإنما أنا نذير } أي منذر مخوف من معصية الله { مبين } طريق الحق من طريق الباطل.

لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: هلا أنزل على محمد آيات اقترحوها او آيات كما أنزل على موسى وعيسى، قال الله لهم { أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك } يا محمد { الكتاب } يعني القرآن { يتلى عليهم } فبين أن في القرآن دلالة واضحة وحجة بالغة ينزاح معه العلة وتقوم به الحجة لا يحتاج معه إلى غيره في الوصول إلى العلم بصحة نبوته وأنه مبعوث من عند الله، مع أن اظهار المعجزات مع كونها لإزاحة العلة يراعى فيها المصلحة. فاذا كانت المصلحة في اظهار نوع منها لم يجز إظهار غيرها، ولو اظهر الله الاعلام التي اقترحوها ثم لم يؤمنوا، لاقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت في الامم الماضية، وقد وعد الله أن هذه الأمة لا تعذب بعذاب الاستئصال، كما قال { وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون }". انتهى.

٤- الميزان في تفسير القرآن

وقال السيد محمد حسين الطباطبائي أن: " قوله تعالى: { وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين } لما ذكر الكتاب وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلوه ويدعوهم إليه به وأن منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وهم الكافرون الظالمون أشار في هذه الآية والآيتين بعدها إلى عدم اعتنائهم بالقرآن الذي هو آية النبوة واقتراحهم على

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بآيات غيره والجواب عنه. فقوله: { وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه } اقتراح منهم أن يأتيهم بآيات غير القرآن تعريضاً منهم أنه ليس بآية و زعماً منهم أن النبي يجب أن يكون ذا قوة إلهية غيبية يقوى على كل ما يريد، وفي قولهم: لولا أنزل عليه، دون أن يقولوا: لولا يأتينا بآيات نوع سخرية كقولهم:

{ يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة أن كنت من الصادقين }

[الحجر: ٦-٧]. وقوله: { قل إنما الآيات عند الله } جواب عن زعمهم أن من يدَّعي الرسالة يدعي قوة غيبية يقدر بها على كل ما أراد بأن الآيات عند الله ينزلها متى ما أراد وكيفما شاء لا يشاركه في القدرة عليها غيره فليس إلى النبي شيء إلا أن يشاء الله ثم زاده بياناً بقصر شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الإنذار فحسب بقوله: { إنما أنا نذير مبين }.

قوله تعالى: { أولم يكفهم إنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم } إلى آخر الآية توطئة وتمهيد للجواب عن تعريضهم بالقرآن إنه ليس بآية، والاستفهام للإنكار والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي يكفيهم آية هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك وهو يتلى عليهم فيسمعونه ويعرفون مكانته من الإعجاز وهو مملوّ رحمة وتذكرة للمؤمنين". انتهى.

٥- الصافي في تفسير كلام الله الوافي

وقال المولى محمد محسن الملقب بالفيض الكاشاني أنه: " { (٥٠) وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ } مثل ناقة صالح وعصا موسى (ع) ومائدة عيسى (ع) وقرء آيات { قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ } ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه { وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ } ليس من شأني الاّ الإنذار بما اعطيت من الآيات. { (٥١) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ } اية مغنية عمّا اقترحوه { أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } يدوم تلاوته عليهم { إِنَّ فِي ذَلِكَ } أي في ذلك الكتاب والذي هو آية مستمرّة وحجّة مبيّنة { لَرَحْمَةً } لنعمة عظيمة { وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } وتذكرة لمن همّه الإيمان دون التعنّت". انتهى.

لقد طلبت قريش من محمد رسول الإسلام أن يصنع لهم واحدة من المعجزات التالية:

- معجزات قد اقترحوها على رسول الإسلام من قبل كما وردت في سورة الإسراء- الآيات من٩٠ إلى٩٣ وهي: "وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قبيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ

إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٣)."

- آية كآية موسى من فلق البحر وقلب العصا حية.
- آيات كما أنزلت على موسى وعيسى.
- أن يأتيهم بآيات غير القرآن.
- معجزة مثل ناقة صالح وعصا موسى و مائدة عيسى.

وقد برر إله الإسلام رفضه المطلق على طلبات قريش للأسباب التالية:

- أن في إنزال القرآن دلالة واضحة ومعجزة لائحة وحجة بالغة تغني عن إنزال المعجزات.
- يكفيهم آية هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك.
- يكفيهم آية مغنية عمّا اقترحوه وهو القرآن يدوم تلاوته عليهم.

هذه الآيات القرآنية تثبت وتبرهن بشكل ساطع، أن محمد رسول الإسلام لم يصنع أي معجزة لأي قبيلة عربية. بل أن كل طلبات قريش في ذلك تم رفضها رفضاً تاماً من قبل إله الإسلام. بحجة واهية هي أن معجزة رسول الإسلام الوحيدة هي القرآن. وهذا ما نصت عليه الآية ٥١ من سورة العنكبوت بكل صراحة و وضوح.

قبل أن أبداء حديثي عن ما جرى بعد هجرة رسول الإسلام محمد إلى المدينة. أود من القارئ العزيز أن يلقي نظرة على الجدول أدناه الذي يوضح ترتيب السور المدنية نزولاً.

جدول السور المدنية

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٨٧	البقرة	٢
٨٨	الأنفال	٨
٨٩	آل عمران	٣
٩٠	الأحزاب	٣٣
٩١	الممتحنة	٦٠
٩٢	النساء	٤
٩٣	الزلزال	٩٩
٩٤	الحديد	٥٧

٩٥	محمد	٤٧
٩٦	الرعد	١٣
٩٧	الرحمان	٥٥
٩٨	الإنسان	٧٦
٩٩	الطلاق	٦٥
١٠٠	البيّنة	٩٨
١٠١	الحشر	٥٩
١٠٢	النصر	١١٠
١٠٣	النور	٢٤
١٠٤	الحج	٢٢
١٠٥	المنافقون	٦٣
١٠٦	المجادلة	٥٨
١٠٧	الحجرات	٤٩
١٠٨	التحريم	٦٦
١٠٩	الجمعة	٦٢
١١٠	التغابن	٦٤
١١١	الصف	٦١
١١٢	الفتح	٤٨
١١٣	المائدة	٥
١١٤	براءة	٩

المصدر: كتاب التمهيد في علوم القرآن، لسماحة حجة الإسلام الشيخ محمد هادي معرفة.

و حتى بعد هجرة رسول الإسلام محمد إلى المدينة، كانت لا تزال قريش تطالبه بصنع معجزة واحدة - على الأقل - تبرهن لهم أنه كان صادق في ادعائه بالنبوة. لكن الملاحظ أن رسول الإسلام محمد كان لا يزال عاجز في أن يأتيهم بأي معجزة. لقد ظل عاجزاً عن فعل ذلك حتى وقت نزول السورة السادسة و التسعون من حيث الترتيب النزولي. وأقصد بذلك سورة الرعد التي تعد السورة العاشرة نزولاً في المدينة، و الثالث عشر ترتيباً في المصحف.

ولكي يتضح لنا المزيد من عدم قدرة إله الإسلام تأييد رسوله محمد بمعجزة يتيمة. قمت أيضاً بدراسة تحليلية لآيتين وردتا في سورة الرعد، هما الآية ٧ وَ الآية ٢٧.

١- سورة الرعد – مدنية – آية ٧

سورة الرعد هي مدنية. أي نزلت في المدينة التي هاجر إليها محمد رسول الإسلام واستقر بها حتى وفاته. وهذا متفق عليه لدى جميع الطوائف الإسلامية، ومن ضمنهم الشيعة الإمامية الاثني عشرية. وتعتبر الآية ٧ من هذه السورة برهان ساطع على عجز إله الإسلام مساندة رسوله محمد بمعجزة. حتى لو كانت تلك المعجزة وحيدة و يتيمة. حيث يقول كاتب القرآن في تلك الآية:

" وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ".

و لفهم فحوى و معانى تلك الآية القرآنية حسب المنطوق الإسلامي الشيعي. ولكي تكون الدراسة مبينة بشكل منطقي و بعيدة عن التهريج أو التجريح. أوردت كالعادة بعض تفاسير علماء الشيعة الإمامية الإثناعشرية ليميطوا بأنفسهم اللثام المحيط عن معنى هذه الآية القرآنية:

أ- مجمع البيان في تفسير القرآن

وقال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي:"{ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه } مثل الناقة والعصا عن ابن عباس وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التي أتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فأعلم الله أن لكل قوم هادٍ والمعنى أنه سبحانه بيَّن سوء طريقتهم في اقتراح الآيات كما في قوله:

{ لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً } [الإسراء:٩٠] إلى قوله: { أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً } [الإسراء:٩٢] وكما قالوا اجعل الصفا لنا ذهباً حتى نأخذ منه ما نشاء وإنما لم يظهر الله تعالى تلك الآيات لأنه لو أجاب أولئك لاقترح قوم آخرون آية أخرى وكذلك كل كافر فكان يؤدّي إلى غير نهاية.
{ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } فيه أقوال أحدها: أن معناه إنما أنت منذر أي مخوِّف وهاد لكل قوم وليس إليك إنزال الآيات عن الحسن وأبي الضحى وعكرمة والجبائي وعلى هذا فيكون أنت مبتدأ ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصّل بين الواو والمعطوف بالظرف والثاني: أن المنذر هو محمد والهادي هو الله تعالى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد والثالث: أن معناه إنما أنت منذر يا محمد ولكل قوم هاد نبي يهديهم وداع يرشدهم عن ابن عباس في رواية أخرى وقتادة والزجاج وابن زيد والرابع: أن المراد بالهادي كل داع إلى الحق". انتهى.

ب- التبيان الجامع لعلوم القرآن

قال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد الطوسي: "اخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم يقولون هلا انزل على محمد آية يقترحونها مثل ما حكى الله عنهم من نحو تفجير الانهار بحيث سألوا سقي البلاد ونقل جبال مكة عن اماكنها لتتسع على أهلها وإنزال كتاب من السماء الى الارض يقرؤن فيه الأمور التي دعاهم اليها، فقال الله تعالى له ليس أمر الآيات اليك إنما أمرها الى الله ينزلها على ما يعلمه من مصالح العباد و { إنما أنت منذر } اي معلم لهم على وجه التخويف لهم معاصي الله وعقابه، { ولكل قوم هاد } يهديهم الى الحق. وللناس في معناه خمسة اقوال:

احدها - روي عن ابن عباس بخلاف فيه ان الهادي هو الداعي الى الحق.
والثاني - قال مجاهد وقتادة وابن زيد: انه نبي كل أمة.
الثالث - في رواية اخرى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد والضحاك: ان الهادي هو الله.
الرابع - قال الحسن وقتادة في رواية وأبو الضحى وعكرمة: انه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو اختيار الجبائي.
والخامس - ما روي عن ابي جعفر، وأبي عبد الله (ع) إن الهادي هو امام كل عصر، معصوم يؤمن عليه الغلط وتعمد الباطل". انتهى.

ج- الميزان في تفسير القرآن

قال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره، أن :" قوله تعالى: { ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه } إلى آخر الآية ليس المراد بهذه الآية الآية القاضية بين الحق والباطل المهلكة للأمة وهي المذكورة في الآية السابقة بقوله: { ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة } بأن يكون تكراراً لها وذلك لعدم إعانة السياق على ذلك، ولو أريد ذلك لكان من حق الكلام أن يقال ويقولون لولا الخ.

بل المراد أنهم يقترحون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية أخرى غير القرآن تدل على صدقه في دعوى الرسالة وكانوا يحقرون أمر القرآن الكريم ولا يعبأون به ويسألون آية أخرى معجزة كما أوتي موسى وعيسى وغيرهما عليهم السلام فكان في قولهم: { لولا أنزل عليه آية } تعريض منهم للقرآن.

وأما قوله: { إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } فإعطاء جواب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي توجيه الخطاب إليه دونهم وعدم أمره أن يبلغ الجواب إياهم تعريض لهم أنهم لا يستحقون جواباً لعدم فقههم به وفقدهم القدر اللازم من العقل والفهم وذلك أن اقتراحهم الآية مبني على زعمهم - كما يدل عليه كثير مما حكى عنهم القرآن في هذا الباب - على أن من الواجب أن يكون للرسول

قدرة غيبية مطلقة على كل ما يريد فله أن يوجد ما أراد وعليه أن يوجد ما أريد منه. والحال أن الرسول ليس إلا بشراً مثلهم أرسله الله إليهم لينذرهم عذاب الله ويحذرهم أن يستكبروا عن عبادته و يفسدوا في الأرض بناء على السنة الإلهية الجـــارية في خلقه أنه يهدي كل شيء إلى كماله المطلوب ويدل عباده على ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم.
فالرسول بما هو رسول بشر مثلهم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وليس عليه إلا تبليغ رسالة ربه وأما الآيات فأمرها إلى الله ينزلها إن شاء وكيف شاء فاقتراحها على الرسول جهل محض.

فالمعنى: إنهم يقترحون عليك آية - وعندهم القرآن أفضل آية - وليس إليك شيء من ذلك وإنما أنت هاد تهديهم من طريق الإنذار وقد جرت سنة الله في عباده أن يبعث في كل قوم هادياً يهديهم". انتهى.

فكالعادة كانت قريش تطلب من محمد رسول الإسلام - حسب أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية - معجزة خارقة لنواميس الطبيعة، مثل:

- **ناقة صالح و عصا موسى.**
- **المعجزات التي اقترحوها – الواردة في سورة الإسراء من الآية ٩٠ إلى الآية ٩٣.**
- **تفجير الانهار.**
- **سقي البلاد.**
- **نقل جبال مكة عن اماكنها لتتسع على أهلها.**
- **إنزال كتاب من السماء الى الارض يقرؤون فيه الأمور التي دعاهم محمد رسول الإسلام اليها.**
- **آية (معجزة خارقة لنواميس الطبيعة) أخرى غير القرآن تدل على صدق رسول الإسلام محمد في دعوى الرسالة.**
- **معجزة كما أوتي موسى وعيسى.**

و كان التبرير الذي أبداه إله الإسلام في رفضه صنع تلك المعجزة - حسب تفسير علماء الشيعة الإمامية الإثناعشرية - هو للأسباب التالية:

- **إنما محمد رسول الإسلام هو منذر أي مخوِّف وهاد لكل قوم وليس إليه إنزال الآيات (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة).**
- **أن المنذر هو محمد والهادي هو الله.**
- **أن محمد رسول الإسلام مجرد معلم لهم على وجه التخويف لهم معصية الله و عقابه.**

- أن محمد رسول الإسلام ليس إلا بشراً مثلهم أرسله الله إليهم لينذرهم عذاب الله ويحذرهم أن يستكبروا عن عبادته ويفسدوا في الأرض.
- ليس علي محمد رسول الإسلام إلا تبليغ رسالة إله الإسلام، وأما الآيات (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة) فأمرها إلى الله ينزلها إن شاء وكيف شاء فاقتراحها على الرسول جهل محض.
- إنهم يقترحون عليك آية (معجزة خارقة لقوانين الطبيعة) - وعندهم القرآن أفضل آية.
- ليس إليك (يا محمد) شيء من ذلك وإنما أنت هاد تهديهم من طريق الإنذار وقد جرت سنة الله في عباده أن يبعث في كل قوم هادياً يهديهم.

٢- سورة الرعد – مدنية – آية ٢٧

أيضاً هذه الآية برهان ساطع في إثبات عدم استطاعة محمد رسول الإسلام صنع أي معجزة في حياته. حيث قال كاتب القرآن:

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ.

أ- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال العلامة الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي:" { ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه } أي هلا أنزل على محمد معجزة من ربه يقترحها ويجوز أنهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا أنه لم ينزل عليه آية ولم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها { قل } يا محمد { إن الله يضل من يشاء } عن طريق الجنة بسوء أفعاله وعظم معاصيه وقد مضى القول في وجوه الإضلال والهدى فلا معنى لإعادته.

{ ويهدي إليه من أناب } أي رجع إليه بالطاعة { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله } معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس إليه والذكر حصول المعنى للنفس وقد يسمى العلم ذكراً والقول الذي فيه المعنى الحاضر للنفس أيضاً يسمى ذكراً وقد وصف الله المؤمن ها هنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول أنه يذكر ثوابه وأنعامه وآلاءه التي لا تحصى وأياديه التي لا تجازى فيسكن إليه وبالثاني أنه يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه".

ب- التبيان الجامع لعلوم القرآن

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد الطوسي أنه :" حكى الله تعالى في هذه الآية عن الكفار الذين وصفهم انهم يقولون { لولا أنزل } على محمد { آية } يعني علامة ومعجزة.

والمعنى هلا انزل عليه آية من ربه يقترحونها، ويعلمون انها انزلت من ربه، وذلك لما لم يستدلوا، فيعلموا مدلول الآيات التي اتى بها لم يعتدوا بتلك الآيات، فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها، فأمر الله نبيه ان يقول لهم { إن الله يضل من يشاء } بمعنى انه يحكم على من يشاء بالضلال اذا ضل عن طريق الحق، ويجوز ان يكون المراد { يضل من يشاء } عن طريق الجنة بسوء أفعالهم وعظم معاصيهم، ولا يجوز ان يريد بذلك الاضلال عن الحق، لان ذلك سفه لا يفعله الله تعالى.

وقوله { ويهدي إليه من أناب } اي يحكم لمن رجع الى طاعة الله والعمل بها بالجنة ويهديه اليها. والهداية الدلالة التي تؤدي الى طريق الرشد بدلاً من طريق الغي، والمراد بها - ها هنا - الحكم له بسلوك طريق الجنة رفعاً لقدره، ومدحاً لصاحبه. والاضلال العدول بالمارّ عن طريق النجاة الى طريق الهلاك، والمراد - ها هنا - الحكم له بالعدول عن طريق الجنة وسلوك طريق النار، والإنابة الرجوع الى الحق بالتوبة، يقال: ناب ينوب نوبة اذا رجع مرة بعد مرة". انتهى.

ج- الميزان في تفسير القرآن

و قال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره للآية السابقة :"إن الله أنزل عليهم آية معجزة مثل القرآن لو أمكنت هداية أحد من غير مشيئة الله لكانت به لكن الأمر إلى الله وهو سبحانه لا يريد هداية من كتب عليهم الضلال من أهل الكفر والمكر ومن يضلل الله فما له من هاد. قوله تعالى: { ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب } عود إلى قول الكفار { لولا أنزل عليه آية من ربه } وإنما أرادوا به أنه لو أنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية من ربه لاهتدوا به واستجابوا له وهم لا يعدون القرآن النازل إليه آية. والدليل على إرادتهم هذا المعنى قوله بعده: { قل إن الله يضل من يشاء } الخ وقوله بعد: { ولو أن قرآناً سيرت به الجبال } إلى قوله { بل لله الأمر جميعاً } وقوله بعد: {وصدوا عن السبيل} إلى آخر الآية. فأجاب تعالى عن قولهم بقوله آمراً نبيه أن يلقيه إليهم: {قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب} فأفاد أن الأمر ليس إلى الآية حتى يهتدوا بنزولها ويضلوا بعدم نزولها بل أمر الإضلال والهداية إلى الله سبحانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء. و لما لم يؤمن أن يتوهموا منه أن الأمر يدور مدار مشيئة جزافية غير منتظمة أشار إلى دفعه بتبديل قولنا: ويهدي إليه من يشاء من قوله: { ويهدي إليه من أناب } فبين أن الأمر إلى مشيئة الله تعالى جارية على سنة دائمة ونظام متقن مستمر وذلك أنه تعالى يشاء هداية من أناب ورجع إليه ويضل من أعرض ولم ينب فمن تلبس بصفة الإنابة والرجوع إلى الحق ولم يتقيد بأغلال الأهواء هداه الله بهذه الدعوة الحقة ومن كان دون ذلك ضل عن الطريق وإن كان

مستقيماً ولم تنفعه الآيات وإن كانت معجزة وما تغن الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون. ومن هنا يظهر أن قوله: { إن الله يضل } الخ، على تقدير: إن الله يضل بمشيئته من لم ينب إليه ويهدي إليه بمشيئته من أناب إليه. ويظهر أيضا أن ضمير { إليه } في { يهدي إليه } راجع إليه تعالى وأن ما ذكره بعضهم أنه راجع إلى القرآن، وآخرون أنه راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير وجيه". انتهى.

كانت قريش لا تزال تطلب و بإلحاح شديد من محمد رسول الإسلام - حسب أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية - أن يصنع لهم معجزة خارقة لنواميس الطبيعة:

- معجزة من ربه يقترحها، أي معجزة كيفما كانت من اختياره.
- لولا أنزل على محمد علامة و معجزة.
- هلا انزل عليه آية (معجزة خارقة لنواميس الطبيعة) من ربه يقترحونها.
- لو أنزل على محمد رسول الإسلام آية (معجزة خارقة لنواميس الطبيعة) من ربه لاهتدوا به واستجابوا له وهم لا يعدون القرآن النازل إليه آية.

فأمر إله الإسلام محمد ان يجيب قريش - حسب أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية - بما يلي:

- إن الله يضل من يشاء عن طريق الجنة بسوء أفعاله وعظم معاصيه.
- الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس إليه، أولئك يهديهم إلى الإسلام.
- ان الله يحكم على من يشاء بالضلال اذا ضل عن طريق الحق.
- أن الله يحكم لمن رجع الى طاعة الله والعمل بها بالجنة ويهديه اليها.
- إن الله يضل بمشيئته من لم ينب إليه ويهدي إليه بمشيئته من أناب إليه.
- أن أمر الإِضلال والهداية ليس مرتبط بالآية (المعجزة الخارقة لنواميس الطبيعة) حتى يهتدوا بنزولها ويضلوا بعدم نزولها. بل أمر الإِضلال والهداية إلى الله سبحانه فهو الذي يضل من يشاء ويهدى من يشاء.

لذا أستطيع القول واثقاً و بكل تجرد، أن محمد رسول الإسلام لم يصنع أي معجزة. وهذا ما تبرهن لنا خلال سردنا - حتى الآن - لأحداث جرت بينه وبين قبيلة قريش. فكل وقائع تلك الأحداث تشهد أن قريش كانوا يسألونه، وبإلحاح شديد جداً، أن يصنع لهم آية (معجزة خارقة لنواميس الطبيعة). والمؤكد أنهم لم يسألوه آية (علامة أو إشارة) طبيعة أو كونية مثل تسخير

الشمس و القمر للإنسان. وذلك لأجل إثبات صحة نبوته. لأنها مما لا يصح الإستدلال به على صحة نبوة الأنبياء. ذلك أن الشمس و القمر لا يحتاجان معونة أحد من البشر في شروقها أو غروبها. ولم يسألوه أيضاً عن نظم آية قرآنية، لأنهم أهل اللغة و فطاحل الشعر والبلاغة والأدب العربي الفصيح. لكن الحقيقة الساطعة هي أنه ليس هنالك ثمة برهان قرآني واحد يثبت قيام محمد رسول الإسلام بصنع أي معجزة. بل أن العكس هو الصحيح، أي أن القرآن ذاته يثبت و يؤكد أن رسول الإسلام لم يصنع أي معجزة البتة. لذا ينبغي لكل شخص أمين مع نفسه أن يقبل ذلك. أو على الأقل أن يبحث بنفسه مؤكداً ببراهين قرآنية نقيض أو عكس ما أوردناه حتى الآن.

انشقاق القمر و الإسراء و المعراج

البعض يزعم بوجود بعض المعجزات لمحمد رسول الإسلام في القرآن، مثل شق القمر والإسراء والمعراج. لذا قمت بتحليل نصوص تلك الآيات التي يعتقد البعض أنها تشير أن رسول الإسلام قد صنع تلك المعجزات المزعومة. لذا تحليلي هو قائم ومبني فقط على تفاسير الشيعة الإمامية الإثناعشرية. و بعض المراجع الشيعية الأخرى.

أولاً: انشقاق القمر

وردت آية شق القمر في سورة مكية هي القمر، والتي تعد السورة السابعة والثلاثون من حيث الترتيب النزولي - رجاء أنظر جدول السور المكية في الصفحة ٢١٠ وما يليها- حيث يقول كاتب القرآن:

"اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ".

لقد ذهب أغلب المفسرين إلى أن محمد رسول الإسلام قد شق القمر إلى نصفين اثنين. فمعنى الآية ببساطة حسب جميع التفاسير الإسلامية الشيعية والسنية هو: أن أحدى علامات دنو واقتراب يوم القيامة انشقاق القمر.

فقد قال آية الله السيد الطباطبائي في كتابه الميزان في تفسير القرآن أن " قوله تعالى: «اقتربت الساعة و انشق القمر» الاقتراب زيادة في القرب فقوله: «اقتربت الساعة» أي قربت جدا، و الساعة هي الظرف الذي تقوم فيه القيامة. وقوله: { وانشق القمر } أي انفصل بعضه عن بعض

فصار فرقتين شقتين". ويذكر الشيخ علي بن ابراهيم القمي في كتابه تفسير القرآن أنه : "{ اقتربت الساعة } قال: قربت القيامة فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا القيامة وقد انقضت النبوة والرسالة." وقال الطبرسي في معنى اقترب أنه في" اللغة: في اقتربت زيادة مبالغة على قرب كما أن في اقتدر زيادة مبالغة على قدر".

وقال أبو جعفر محمد الطوسي شيخ الطائفة الشيعية في كتابه التبيان الجامع لعلوم القرآن أنه: " هذا اخبار من الله تعالى بدنو الساعة وقرب أوانها، فقوله { اقتربت } أي دنت وقربت وفي { اقتربت } مبالغة، كما أن في (اقتدر) مبالغة على القدرة، لأن اصل (افتعل) طلب اعداد المعنى بالمبالغة نحو (اشتوى) إذا أتخذ شوى في المبالغة في اتخاذه، وكذلك (اتخذ) من (اخذ). والساعة القيامة. وقال الطبري: تقديره اقتربت الساعة التي يكون فيها القيامة. وجعل الله تعالى من علامات دنوها انشقاق القمر المذكور معها، وفى الآية تقديم وتأخير، وتقديره انشق القمر و اقتربت الساعة." أما السيد الطبطبائي في تفسيره فعاد مرة أخرى يناقض نفسه فيما فسره من قبل، فقال " والآية لا تخلو من إشعار بأن انشقاق القمر من لوازم اقتراب الساعة". انتهى.

فبناءاً على هذا التفسير ينبغي أن نسلم أن تلك الآية كانت مجرد تنبأ أو اخبار بالغيب عن حادثة ستقع في المستقبل القريب جداً، وهي خاصة بحلول و اتيان يوم القيامة الوشيك الحدوث في ذلك الزمن. فهل مرور أكثر من ١٤٣٠ سنة من نزول تلك الآية كان يعني فعلاً أن القيامة كانت على وشك الاقتراب في حياة أو بعيد موت رسول الإسلام؟

ينبغي علينا أن نأخذ مفهوم الآية بشكل كامل و دون تجزئة معناها. فللإجابة على سؤالنا السابق: أقول إن كان هذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين فقد اخطأ كاتب القرآن في تنبأه باقتراب ودنو الساعة. لأنه قد مضى حتى الآن أكثر من ١٤ قرن من الزمن ولم يتحقق ما تنبأ عنه من أن يوم القيامة كان سيقع في وقت وشيك جداً بعيد شقه للقمر إلى نصفين - حسب زعم غالبية المفسرين. وبهذا لم تتحقق نبوءة كاتب القرآن. غير أن المعنى الصحيح للآية هو ما ذهب إليه جمع آخر من المفسرين المسلمين "منهم الحسن وعطاء والبلخي حيث قالوا: معنى قوله:{ انشق القمر} سينشقُّ القمر عند قيام الساعة وإنما عبر بلفظ الماضي لتحقق الوقوع(١)".

بل إن إله الإسلام قد أعلنها بكل صراحة و وضوح تام أنه لن تكون هناك معجزة لرسول الإسلام لسببين - حسب قول إله الإسلام - أولاهما هو: لأن تلك المعجزات التي قد أتت بها الأنبياء قبل محمد قد تـــم تكذيبها من قبل أقوامهم. و ثانيهما: أنه كان القصد من تلك المعجزات التي صنعها

١- الميزان في تفسير القرآن- آية الله السيد الطبطبائي - تفسير الآية: ١ ، سورة القمر.

الأنبياء - قبل رسول الإسلام - كان الهدف منها تخويف أقوامهم فحسب. حيث قال كاتب القرآن:

" وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا(١)".

لقد وردت هذه المعاني في الآية ٥٩ من سورة الإسراء، وهي السورة الخمسون من حيث الترتيب النزولي. أي أنها نزلت بعد سورة القمر التي تعد السابعة و الثلاثون من حيث الترتيب النزولي - وهي السورة التي فيها آية انشقاق القمر. و هذا يعني أن هنالك ١٢ سورة تفصل بين سورتي القمر و الإسراء. فهذه الآية بحق تنسف نسفاً الرأي القائل بحدوث انشقاق للقمر في حياة محمد رسول الإسلام. لأن هذه الآية أيضاً لم تعني أو تقصد أن قريش هم الذين قد كذبوا المعجزات - لأن محمد في الحقيقة لم يصنع لهم أي معجزة على الإطلاق. و إنما الآية تشير فقط إلى اقوام آخرين هم الذين عناهم القرآن بتكذيب أنبيائهم بعد إتيانهم بالمعجزات. وهذا ما قد فهمه و أكده المفسرون الشيعة بكل صراحة.

معنى الآية حسب أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية:

١- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال العلامة الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي أنه:" { وما منعنا أن نرسل بالآيات إلى أن كذب بها الأولون } ذكر فيه أقوال أحدها: أن التقدير ما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ومعناه إنا لم نرسل الآيات التي اقترحتها قريش في قولهم حوّل لنا الصفا ذهباً وفجّر لنا الأرض ينبوعاً إلى غير ذلك لأنا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة كما أنا لما أجبنا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذّبوا بها عذّبناهم بعذاب الاستئصال لأن من حكم الآية المقترحة أنه إذا كذّب بها وجب عذاب الاستئصال ومن حكمنا النافذ في هذه الآيات أن لا نعذبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولما يعلم في ذلك من المصلحة ولأن فيهم من يؤمن به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن أمته باقية وشريعته مؤبدة إلى يوم القيامة فلذلك لم نجبهم إلى ذلك وأنزلنا من الآيات الواضحات والمعجزات البينات ما تقوم به الحجة وتنقطع به المعذرة.

الثاني: أن معناه إنا لا نرسل الآيات لعلمنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون إنزالنا إياها عبثاً لا فائدة فيه كما أن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند إنزال الآيـــات والمعجزاتُ ضربان أحدهما: ما لا

١- الآية: ٥٩ ، سورة الإسراء.

يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لابدّ من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع والثاني: ما يكون لطفاً في الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه.

والثالث: أن المعنى أنا لا نرسل الآيات لأن آباءكم وأسلافكم سألوا مثلها ولم يؤمنوا عندها وأنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم عن أبي مسلم.

{ وآتينا ثمود الناقة مبصرة } أي بينة أراد آية مبصرة كما قال وجعلنا آية النهار مبصرة ومعناه دلالة واضحة ظاهرة وقيل ذات إبصار وقيل تبصرهم وتبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلالة وهي ناقة صالح المخرجة من الصخرة على الصفة التي اقترحوها { فظلموا بها } أي فكفروا بتلك الآية وجحدوا بأنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم بسببها وبعقرها { وما نرسل بالآيات إلاّ تخويفاً } أي لا نرسل الآيات التي نظهرها على الأنبياء إلا عظة للناس وزجراً أو تخويفاً لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا". انتهى.

٢- تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة

وقال سلطان العلماء محمد الجنابذي أنه:" { وَمَا مَنَعَنَآ أن نُّرْسِلَ بِٱلآيَاتِ } التي اقترحها قريش { إِلاَّ أن كَذَّبَ بِهَا ٱلأَوَّلُونَ } فأهلكوا واستوصلوا بتكذيبهم وما كنّا لنهلك امّة محمّد (ص) ومحمّد (ص) فيهم رحمة بهم، او المعنى انّ تكذيب الامم السّابقة بالآيات صار سبباً لمنع انزال الآيات لانّ هؤلاء من اسناخ الامم الماضية الا يرون الى ثمود { وَ } قد { آتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ } الّتي اقترحوها { مُبْصِرَةً } من أبصره، اذا جعله ذا بصيرةٍ، او من ابصر اذا وضح او صار ذا بصر او بصيرةٍ، فانّ النّاقة كانت مبصرةً بالبصر الظّاهر وبالبصر الباطن حيث كانت لا تتعدّى نوبتها في شرب يومها { فَظَلَمُواْ بِهَا } أي بسبب عقرها انفسهم { وَمَا نُرْسِلُ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً } فما لهم يتجرّئون على اقتراحها". انتهى.

٣- الميزان في تفسير القرآن

وقال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره لتلك الآية القرآنية:" قوله تعالى: { وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون } إلى آخر الآية قد تقدم وجه اتصال الآية بما قبلها ومحصله أن الآية السابقة افادت أن الناس - وآخروهم كأوليهم - مستحقون بما فيهم من غريزة الفساد والفسق لحلول الهلاك وسائر أنواع العذاب الشديد، وقد قضى الله على القرى أن تهلك أو تعذب عذاباً شديداً وهذا هو الذي منعنا أن نرسل بالآيات التي يقترحونها فإن السابقين منهم اقترحوها فأرسلناها إليهم فكذبوا بها فأهلكناهم، وهؤلاء اللاحقون في خلق سابقيهم فلو أرسلنا الآيات حسب اقتراحهم لكذبوا بها فحل الهلاك بهم لا محالة كما حل بسابقيهم، و ما يريد

الله سبحانه أن يعاجلهم بالعقوبة. وبهذا يظهر أن للآيتين ارتباطاً بما سيحكيه من اقتراحهم الآيات بقوله: { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً } الآية ٩٠ من السورة إلى آخر الآيات، وظاهر آيات السورة أنها نزلت دفعة واحدة. فقوله: { وما منعنا أن نرسل بالآيات } المنع هو قسر الغير عما يريد أن يفعله وكفه عنه، والله سبحانه يحكم ولا معقب لحكمه وهو الغالب القاهر إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، فكون تكذيب الأولين لآياته مانعاً له من إرسال الآيات المقترحة بعد ذلك كون الفعل بالنظر إلى ما ارتكز فيهم من خلق التكذيب خالياً عن المصلحة بالنسبة إلى أمة أراد الله أن لا يعاجلهم بالعقوبة والهلاك أو خالياً عن المصلحة مطلقاً للعلم بأن عامتهم لا يؤمنون بالآيات المقترحة. وإن شئت فقل: إن المنافاة بين إرسال الآيات المقترحة مع تكذيب الأولين وكون الآخرين سالكين سبيلهم المستتبع للاستئصال وبين تعلق المشيئة بإمهال هذه الأمة عبر عنها في الآية بالمنع استعارة. وكأنه للإشعار بذلك عبر عن إيتاء الآيات بالإرسال كأنها تتعاضد وتتداعى للنزول لكن التكذيب وتعرق الفساد في فطر الناس يمنع من ذلك. وقوله: { إلا أن كذب بها الأولون } التعبير عن الأمم الهالكة بالأولين المضايف للآخرين فيه إيماء إلى أن هؤلاء آخر أولئك الأولين فهم في الحقيقة أمه واحدة لآخرها من الخلق والغريزة ما لأولها، ولذيلها من الحكم ما لصدرها ولذلك كانوا يقولون:{ وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين } [القصص: ٣٦] ويكررون ذكر هذه الكلمة. وكيف كان فمعنى الآية أنا لم نرسل الآيات التي يقترحونها - والمقترحون هم قريش - لأنا لو أرسلناها لم يؤمنوا وكذبوا بها فيستحقوا عذاب الاستئصال كما أنا أرسلناها إلى الأولين بعد اقتراحهم إياها فكذبوا بها فأهلكناهم لكنا قضينا على هذه الأمة أن لا نعذبهم إلا بعد مهلة ونظرة كما يظهر من مواضع من كلامه تعالى. وذكروا في معنى الآية الكريمة وجهين آخرين: أحدهما: أنا لا نرسل الآيات لعلمنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون إنزالها عبثاً لا فائدة فيه كما أن من قبلهم لم يؤمنوا عند إنزال الآيات وهذا إنما يتم في الآيات المقترحة وأما الآيات التي يتوقف عليها ثبوت النبوة فإن الله يؤتيها رسوله لا محالة وكذا الآيات التي في نزولها لطف منه سبحانه فإن الله يظهرها أيضاً لطفاً منه، وأما غير هذين النوعين فلا فائدة في إنزالها. وثانيهما: أن المعنى أنا لا نرسل الآيات لأن آباءكم وأسلافكم سألوا مثلها ولم يؤمنوا به عند ما نزل وأنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم. والمعنى الثاني منقول عن أبي مسلم وتمييزه من المعنيين السابقين من غير أن ينطبق على أحدهما لا يخلو من صعوبة. وقوله: { وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها } ثمود هم قوم صالح ولقد آتاهم الناقه آية، والمبصرة الظاهرة البينة على حد ما في قوله تعالى:{وجعلنا آية النهار مبصرة }[الإسراء: ١٢]، وهي صفة الناقة أو صفة لمحذوف والتقدير آية مبصرة والمعنى وآتينا قوم ثمود الناقة حال كونها ظاهرة بينة أو حال كونها آية ظاهرة بينة فظلموا أنفسهم بسببها أو ظلموا مكذبين بها. وقوله: { وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً } أي ان الحكمة في الإرسال بالآيات التخويف والإنذار فإن كانت من الآيات التي تستتبع عذاب الاستئصال ففيها تخويف بالهلاك في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، وإن كانت من غيرها ففيها تخويف وإنذار بعقوبة العقبى. وليس من البعيد أن يكون المراد بالتخويف إيجاد الخوف والوحشة

بإرسال ما دون عذاب الاستئصال على حد ما في قوله تعالى: { أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم } [النحل: ٤٧] فيرجع محصل معنى الآية أنا لا نرسل بالآيات المقترحة لأنا لا نريد أن نعذبهم بعذاب الاستئصال وإنما نرسل ما نرسل من الآيات تخويفاً ليحذروا بمشاهدتها عما هو أشد منها وافظع ونسب الوجه إلى بعضهم". انتهى.

٤- تفسير القرآن

وقال الشيخ علي بن ابراهيم القمي أن:" قوله: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون } نزلت في قريش { وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً} فعطف على قوله وما منعنا أن نرسل بالآيات. وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: { وما منعنا أن نرسل بالآيات } وذلك أن محمداً صلى الله عليه وآله سأله قومه أن يأتيهم بآية فنزل جبرائيل قال إن الله يقول وما منعنا أن نرسل بالآيات إلى قومك إلا أن كذب بها الأولون وكنا إذا أرسلنا إلى قرية آية فلم يؤمنوا بها أهلكناهم فلذلك أخرنا عن قومك الآيات". انتهى.

٥- التبيان الجامع لعلوم القرآن

وقال شيخ الطائفة الشيعية أبو جعفر بن محمد الطوسي أنه: "{ وما منعنا أن نرسل بالآيات } يعني الآيات التي اقترحتها قريش من قولهم: حول لنا الصفا ذهباً وفجر لنا من الارض ينبوعا، وغير ذلك، فأنزل الله الآية إني إن حولته، فلم يؤمنوا لم امهلهم كسنتي فيمن قبلهم، وهو قول قتادة وابن جريج. والمنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه فكأنه قد منع منه، ولا يجوز إطلاق هذه الصفة في صفات الله، والحقيقة إنا لم نرسل بالآيات لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذّب من قبلهم، فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة. وقال قوم: يجوز أن يكون قوله تعالى { إلا أن كذب بها الأولون } تكون (إلا) زايدة، وتقديره ما منعنا ان نرسل بالآيات {أن كذب بها الأولون } أي لم يمنعنا ذلك من إرسالها بل أرسلناها مع تكذيب الاولين. ومعنى { أن كذب } هو التكذيب، كما تقول: أريد ان تقوم بمعنى أريد قيامك. ويحتمل ان يكون " إلا " بمعنى (الواو) كما قال { لئلا يكون للناس عليكم حجة إلاّ الذين ظلموا } معناه والذين ظلموا منهم، فلا حجة لهم عليهم. ويكون المعنى وما منعنا أن نرسل بالآيات وإن كذب بها الأولون أي لسنا نمتنع من إرسالها، وإن كذبوا بها و (أن) الاولى في موضع نصب بوقوع " منعنا " عليها. و (أن) الثانية رفع والمعنى، وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الاولين من الامم، والفعل لـ (أن) الثانية. وقوله { وآتينا ثمود الناقة مبصرة } معناه مبصرة تبصر الناس بما فيها من العبر، والهدى من الضلالة والشقاء من السعادة، ويجوز أن يكون المراد انها ذات إبصار، حكى الزجاج: مبصرة بمعنى مبينة، وبالكسر معناه تبين لهم، قال الفراء: مَبصرة مثل مَجبنة ومَنحلة، وكل (مَفعلة)

وضعته موضع (فاعل) أغنت عن الجمع والتأنيث، تقول العرب: هذا عشب ملبنة، مسمنة. والولد مجبنة منحلة. وان كان من الياء والواو، فاظهرهما، تقول سراب مبولة، وكلام مهينة للرجال قال عنترة: ومعنى مبصرة مضيئة، قال الله تعالى { والنهار مبصراً } اي مضيئاً. وقوله { فظلموا بها } يعني بالناقة [لأنهم نحروها وعصوا الله في ذلك، لانه نهاهم عن ذلك، فخالفوا ونحروها. وقيل: ظلموا بها] معناه ظلموا بتكذيبهم إياها بانها معجزة باهرة. وقوله { وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً } اي لم نبعث الآيات ونظهرها إلا لتخويف العباد من عقوبة الله ومعاصيه". انتهى.

تحليل الآية

معانى المقطع الأول لنص الآية "وَمَا مَنَعَنَا أن نُّرْسِلَ بالآيَاتِ إلاَّ أن كَذَّبَ بهَا الأَوَّلُونَ "، حسب أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية، هو التالي:

- ما منعنا إرسال الآيات (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة) التي سألوها إلا تكذيب الأولين.
- لأنا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة.
- أنا لما أجبنا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذّبوا بها عذّبناهم بعذاب الاستئصال.
- لم ننزل الآيات لأن من حكم الآية المقترحة أنه إذا كذّب بها وجب عذاب الاستئصال.
- لم نرسل الآيات (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة) لأن من حكمنا النافذ في هذه الآيات أن لا نعذبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمد.
- لم ننزل الآيات (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة) لما يعلم في ذلك من المصلحة ولأن فيهم من يؤمن به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن أمته باقية وشريعته مؤبدة إلى يوم القيامة.
- لم نرسل الآيات (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة) لعلمنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون إنزالنا إياها عبثاً لا فائدة فيه.
- لم ننزل الآيات لأن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند إنزال المعجزات.
- أنا لا نرسل الآيات لأن آباءكم وأسلافكم سألوا مثلها ولم يؤمنوا عندها وأنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم.
- لم ننزل الآيات لأنا ما كنّا لنهلك امّة محمّد (ص) ومحمّد (ص) فيهم رحمةً بهم.
- انّ تكذيب الامم السّابقة بالآيات صار سبباً لمنع انزال الآيات.
- لم ننزل الآيات لانّ هؤلاء من اسناخ الامم الماضية.

- قضى الله على القرى أن تهلك أو تعذب عذاباً شديداً وهذا هو الذي منعنا أن نرسل بالآيات (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة).
- لم نرسل الآيات لأن لو أرسلنا بالآيات حسب اقتراحهم لكذبوا بها فحل الهلاك بهم لا محالة كما حل بسابقيهم، وما يريد الله سبحانه أن يعاجلهم بالعقوبة.
- كون تكذيب الأولين لآياته مانعاً له من إرسال الآيات. (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة)
- أنا لا نرسل الآيات (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة) لعلمنا بأنهم لا يؤمنون.

هذا التفسير الصريح من مفسري الشيعة الإمامية الإثناعشرية يبرهن و يدلل إقرار إله الإسلام بامتناعه عن إنزال أو صنع أو الإتيان بالمعجز على يد محمد رسول الإسلام. و تعد هذه ضربة في مقتل لكل رأي يزعم أن محمد رسول الإسلام قد صنع معجزة، بما فيها معجزة شق القمر المزعومة. أيضاً فإن إله الإسلام لم يقل أنه قد امتنع عن تزويد أو مساندة رسوله بمعجزة فحسب، بل أنه أيضاً قد نفى أن يكون أقوام الأنبياء - قبل الإسلام - قد آمنوا برسلهم بسبب المعاجز الباهرة التي صنعوها لهم، حيث أيدهم الله سبحانه وتعالى بها مؤكداً صدق نبواتهم وصحة رسالاتهم منه سبحانه وتعالى.

و معانى المقطع الأخير من الآية: "وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا" حسب أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية، هي:

- لا نرسل الآيات (المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة) التي نظهرها على الأنبياء إلا عظة للناس وزجراً أو تخويفاً لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا.
- ان الحكمة في الإرسال بالآيات التخويف والإنذار.
- إيجاد الخوف والوحشة بإرسال ما دون عذاب الاستئصال.
- إنما نرسل ما نرسل من الآيات تخويفاً ليحذروا بمشاهدتها عما هو أشد منها وافظع.
- لم نبعث الآيات ونظهرها إلا لتخويف العباد من عقوبة الله ومعاصيه.

وهنا أيضاً يبدي إله الإسلام جهله بالمعاني السامية لإظهار المعجزات على يد أنبياء و رسل الله سبحانه وتعالى. فكل معجزات الأنبياء الذين سبقوا الإسلام كانت رحمة بالعباد وليست تخويف. فهناك فرق بين المعجزة التي هي رحمة للعباد، وبين عقاب سماوي الذي هو انتقام من العصاة. وقد اخفق إله الإسلام سواء في صنع معجزة يتيمة أو إنزال عقاب سماوي على قريش، وذلك بأدلة تاريخية وقرآنية.

الأنبياء يأتون بالمعجزات الباهرة

أوردت هنا أمثلة من القرآن تثبت قدرة الأنبياء - قبل الإسلام - على الإتيان بالمعجزات الباهرة والتي شهد على حدوثها و جريانها الألوف المؤلفة من البشر.

١- معجزة الخلق والشفاء واحياء الموتى و التنبؤ بالغيب[١]:

*** وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ.**

٢- نزول مائدة من السماء[٢]:

*** إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥).**

*** مع تحفظنا على صحة الروايات القرآنية و طريقة سردها التي تخالف الإنجيل المقدس– لكنا أتينا بها على مبدأ الزموهم بما ألزموا به أنفسهم.**

٢- تحدي النبي موسى سحرة فرعون و غلبته عليهم كما ورد في سورة الأعراف:

***قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ(١٠٨) قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالْواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِـــدِينَ**

١- سورة آل عمران - آية: ٤٩.
٢- سورة المائدة - الآيات: ١١٢ إلى ١١٥.

(١٢٠) قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢).

*حسب الرواية القرآنية - فإن سحرة فرعون آمنوا بالله بسبب المعجزة التي صنعها موسى لهم. فإن كانت تلك المعجزة قد أخافت السحرة و من ثم آمنوا بالله. فهذا السلوك هو ما كان يجب أن يسلكه إله الإسلام بصنع المعجزات على يد رسوله محمد، حتى يؤدي ذلك إلى إيمان كافة العرب به، ومن ضمنهم قبيلة قريش. فلو تحقق ذلك بطرق سلمية لما كان رسول بحاجة لاستعمال العنف والحروب لإرغام العرب باعتناق الإسلام.

لذا، فإن زعم كاتب القرآن من أن نزول الآيات أو صنع المعجزات على يد الأنبياء الصادقين قد أدى إلى تكذيبهم من قبل أقوامهم، هو قول غير دقيق. وهو بذلك يخالف ويجهل أو يتجاهل تاريخ الأنبياء أيضاً. فإذا كان التخويف هو الهدف الأساسي من إرسال المعجزات، فبماذا نفسر الآيات التي صنعها الأنبياء إذن. ففي الآية ١١٠من سورة المائدة، قال كاتب القرآن متحدثاً عن معجزات المسيح:

إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ.

و بنظرة سريعة على تلك المعجزات التي صنعها السيد المسيح، يتضح لنا جلياً أنها كانت خالية تماماً من أي تخويف لقومه أو لشعبه، حيث قال كاتب القرآن عن تلك المعجزات:

١- تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً

٢- تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا

٣- وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ

٤- وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى

٥- وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ

وأيضاً فان المعجزات التي صنعها موسى النبي لم تكن لأجل التخويف بتاتاً. وهذا ما يشهد به القرآن ذاته، حيث قال كاتب القرآن:

١- وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ.(١)

٢- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ.(٢)

٣- أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ.(٣)

٤- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ.(٤)

٥- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللَّهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ.(٥)

٦- فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوۤاْ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ.(٦)

٧- ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ.(٧)

وهكذا يتأكد لنا أن الزعم أو الرأي القائل بأن محمد قد شق القمر إلى نصفين هو محض كذب، لا تسانده و لا تعاضده آيات القرآن ذاته. بل أن القرآن نفسه يضرب ذلك الراي في مقتل. و هذا ما قمنا بدراسته وإثباته على بساط البحث. حيث لم نجد آية قرآنية وحيدة تعضد أو تثبت قيام رسول الإسلام بصنع معجزة. وما ينبغي ملاحظته أيضاً أن الشيخ الفضل الطبرسي قد قال سابقاً عند تفسيره للآية ٥٩ من سورة الإسراء أن:" المعجزاتُ ضربان، أحدهما: ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لابدّ من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع، والثاني: ما يكون لطفاً في الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه". أن إله الإسلام لم يُظهر أي معجزة لقريش في كلا من الحالتين التي ساقهما الشيخ الطبرسي. وهذا الذي جعل قبيلة قريش غير قادرة للإيمان بمحمد رسول الإسلام بسبب عدم صنعه لمعجزة تؤكد صحة نبوته، سواء أدت تلك المعجزة إلى الإيمان به أو لم تؤد إلى ذلك.

١- سورة البقرة - سورة ٢ ، آية: ٦٠.
٢- سورة هود - سورة ١١ ، آية: ٩٦.
٣- سورة الشعراء ، الآية: ٦٣.
٤- سورة غافر ، سورة ٤٠ - آية: ٢٣.
٥- سورة إبراهيم ، آية: ٥.
٦- سورة طه ، آية: ٧٠.
٧- سورة المؤمنون ، آية: ٤٥.

ثانياً: الإسراء و المعراج

ان جميع المسلمين يؤمنون إيماناً كاملاً ومطلقاً أن محمد رسول الإسلام قد أُسري به إلى بيت المقدس ثم عُرج به إلى السماء. وهناك نصوص صريحة وَ واضحة ولا جدال عليها وردت في القرآن تشير إلى ذلك.

لكن حتى يمكننا أن نطلق على هاتين الحادثتين مسمى معجزة، يجب أن نستحضر شروط صحة الإتيان بمعجزة التي وضعوها شيوخ الإسلام أنفسهم - والتي أشرت إليها سابقاً في الصفحة ١٩١ من هذا الكتاب . فإن أنطبق عليها كافة تلك الشروط قبلنا أنها معجزة فعلاً، وإلا فلا. هذه من ناحية ومن ناحية أخرى قد قمت بعمل مقارنة بين ما قاله كاتب القرآن عن تلك الحادثتين وبين شواهد تاريخية كان لها علاقة وثيقة بما قيل في القرآن. والهدف من ذلك هو تبيان صحة الرواية القرآنية من عدمها.

قال كاتب القرآن:

" سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١)".

معنى الآية حسب أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية:

١- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال العلامة الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي أنه:" فمن جملة الأخبار الواردة في قصة المعراج ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " أتاني جبرائيل (ع) وأنا بمكة فقال قم يا محمد فقمت معه وخرجت إلى الباب فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل وإسرافيل فأتى جبرائيل (ع) بالبراق وكان فوق الحمار ودون البغل خدّه كخدّ الإنسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الإبل عليه رحل من الجنة وله جناحان من فخذيه خطوة منتهى طرفه فقال اركب فركبت ومضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس " ثم ساق الحديث إلى أن قال " فلما انتهيت إلى بيت المقدس إذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند رب العزة وصليت في بيت المقدس، وفي بعضها، بشَّر لي إبراهيم في رهط من الأنبياء ثم وصف موسى وعيسى ثم أخذ جبرائيل (ع) بيدي إلى صخرة فأقعدني عليها فإذا معراج إلى السماء لم أر مثلها حسناً وجـــمالاً

١- سورة الإسراء - آية: ١.

فصعدت إلى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتها وملائكتها يسلّمون عليَّ، ثم صعد بي جبرائيل إلى السماء الثانية، فرأيت فيها عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فرأيت فيها إدريس، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون، ثم صعد بي إلى السادسة فإذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض وفيها الكروبيون، ثم صعد بي إلى السابعة فأبصرت فيها خلقاً وملائكة". وفي حديث أبي هريرة " رأيت في السماء السادسة موسى ورأيت في السماء السابعة إبراهيم (ع) قال ثم جاوزناها متصاعدين إلى أعلى عليين " ووصف ذلك إلى أن قال " ثم كلَّمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدرة المنتهى ثم رجعت إلى مكة فلما أصبحت حدثت به بالناس فكذَّبني أبو جهل والمشركون " وقال مطعم بن عدي: أتزعم أنك سرت مسيرة شهرين في ساعة أشهد أنك كاذب". ثم أضاف الشيخ الطبرسي قائلاً أن :" المعنى: { سبحان الذي أسرى بعبده } سبحان كلمة تنزيه وإبراء لله عزَّ اسمه عما لا يليق به من الصفات وقد يراد به التعجيب يعني سبحان الذي سيَّر عبده محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وهو عجيب من قدرة الله تعالى وتعجيب ممن لم يقدر الله حق قدره وأشرك به غيره وسرى بالليل وأسرى بمعنى وقد عدَّى هنا بالباء والوجه في التأويل أنه إذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فقيل سبح أي عجب { ليلاً } قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة.{ من المسجد الحرام } وقال أكثر المفسرين أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دار أم هانئ أخت علي بن أبي طالب وزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي وكان صلى الله عليه وآله وسلم نائماً تلك الليلة في بيتها وأن المراد بالمسجد الحرام هنا مكة ومكة والحرام كلها مسجد وقال الحسن وقتادة كان الإسراء من نفس المسجد الحرام: { إلى المسجد الأقصى } يعني بيت المقدس وإنما قال الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام { الذي باركنا حوله } أي جعلنا البركة فيما حوله من الأشجار والأثمار والنبات والأمن والخصب حتى لا يحتاجوا إلى أن يجلب إليهم من موضع آخر وقيل باركنا حوله أي جعلنا البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة عن مجاهد وبذلك صار مقدساً عن الشرك لأنه لما صار متعبداً للأنبياء ودار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك والتقديس التطهير فقد اجتمع فيه بركات الدين والدنيا. { لنريه من آياتنا } أي من عجائب حججنا ومنها إسراؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هناك ومنها أن أراه الأنبياء واحداً بعد واحد وأن عرج به إلى السماء وغير ذلك من العجائب التي أخبر بها الناس: { إنه هو السميع } لأقوال من صدَّق بذلك أو كذّب: { البصير } بما فعل من الإسراء والمعراج". انتهى.

٢- بيان السعادة في مقامات العبادة

وقال سلطان العلماء محمد الجنابذي أنه:" { سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً } بعض ليلٍ { مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى } الّذى فى بيت القدّس او الى المسجد الاقصى الّذى هو فى

السّماء الرّابعة المسمّى بالبيت المعمور الّذى المسجد الاقصى مظهره وهو ملكوته كما انّ المسجد الحرام او مظهره وهو ملكوته، والسُّرى والاسراء بمعنىً وهو السّير باللّيل فذكر اللّيل بعده مبنىّ على التّجريد، او التّأكيد، وتعديته بالباء فقط وليس من قبيل الجمع بين التّعدية بالباء والهمزة { ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ } فانّ حول بيت المقدّس الشّام ومصر وكلاهما ممتازان عن سائر البلاد بكثرة النّعم من كلّ جنس، والبيت المعمور الّذى هو فى السّماء الرّابعة معلوم كثرة بركات ما حوله". انتهى.

٣- الميزان في تفسير القرآن

وقال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره لتلك الآية القرآنية أن: " قوله تعالى:{سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً} إلى آخر الآية. سبحان اسم مصدر للتسبيح بمعنى التنزيه ويستعمل مضافاً وهو مفعول مطلق قائم مقام فعله فتقدير { سبحان الله } سبحت الله تسبيحاً أي نزهته عن كل ما لا يليق بساحة قدسه وكثيراً ما يستعمل للتعجب لكن سياق الآيات إنما يلائم التنزيه لكونه الغرض من البيان وأن أصر بعضهم على كونه للتعجب. والإسراء والسرى السير بالليل يقال: سرى وأسرى أي سار ليلاً وسرى وأسرى به أي سار به ليلاً، والسير يختص بالنهار أو يعمه والليل. وقوله: { ليلاً } مفعول فيه ويفيد من الفائدة أن هذا الإسراء تم له بالليل فكان الرواح والمجيء في ليلة واحدة قبل ان يطلع فجرها. وقوله: { إلى المسجد الأقصى } هو بيت المقدس بقرينة قوله: { الذي باركنا حوله } والقصى البعد وقد سمي المسجد الأقصى لكونه أبعد مسجد بالنسبه إلى مكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المخاطبين وهو مكة التي فيها المسجد الحرام. وقوله: { لنريه من آياتنا } بيان غاية الإسراء وهي إراءه بعض الآيات الإلهية - لمكان من - وفي السياق دلاله على عظمة هذه الآيات التي أراها الله سبحانه كما صرح به في موضع آخر من كلامه يذكر فيه حديث المعراج بقوله: { لقد رأى من آيات ربه الكبرى} [النجم: ١٨]. وقوله: { إنه هو السميع البصير } تعليل لإسرائه به لإراءة آياته أي إنه سميع لأقوال عباده بصير بأفعالهم وقد سمع من مقال عبده ورأى من حاله ما استدعى أن يكرمه هذا الإكرام فيسري به ليلاً ويريه من آياته الكبرى. وفي الآية التفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير في قوله: { باركنا حوله لنريه من آياتنا } ثم رجوع إلى الغيبة السابقة والوجه فيه الإشارة إلى أن الإسراء وما ترتب عليه من إراءه الآيات انما صدر عن ساحة العظمة والكبرياء وموطن العزة والجبروت فعملت فيه السلطنة العظمى وتجلى الله له بآياته الكبرى، ولو قيل: ليريه من آياته أو غير ذلك لفاتت النكتة. والمعنى: لينزه تنزيهاً من أسرى بعظمته وكبريائه وبالغ قدرته وسلطانه بعبده محمد في جوف ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس الذي بارك حوله ليريه بعظمتة وكبريائه آياتة الكبرى، وإنما فعل به ذلك لأنه سميع بصير علم بما سمع من مقاله ورأى من حاله أنه خليق أن يكرم هذه التكرمة". انتهى.

٤- تفسير القرآن

وقال الشيخ علي بن ابراهيم القمي أنه: " روى الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: بينا أنا راقد بالأبطح وعليٌّ عن يميني وجعفر عن يساري وحمزة بين يدي وإذا أنا بخفق أجنحة الملائكة وقائل منهم يقول إلى أيهم بعثت يا جبرائيل؟ فقال: إلى هذا وأشار إلي ثم قال: هو سيد ولد آدم وحواء وهذا وصيه ووزيره وختنه وخليفته في أمته وهذا عمه سيد الشهداء حمزة وهذا ابن عمه جعفر له جناحان خصيبان يطير بهما في الجنة مع الملائكة دعه فلتنم عيناه ولتسمع أذناه وليعي قلبه واضربوا له مثلاً ملك بنى داراً واتخذ مأدبة وبعث داعياً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: " فالملك الله والدار الدنيا والمأدبة الجنة والداعي أنا، قال ثم أدركه جبرائيل بالبراق وأسرى به إلى بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وآيات الأنبياء فصلى فيها ورده من ليلته إلى مكة فمر في رجوعه بعير لقريش وإذا لهم ماء في آنيه فشرب منه وأهرق باقي ذلك وقد كانوا أضلو بعيراً لهم وكانوا يطلبونه فلما أصبح قال لقريش إن الله قد أسرى بي في هذه الليلة إلى بيت المقدس فعرض علي محاريب الأنبياء وآيات الأنبياء وإني مررت بعير لكم في موضع كذا وكذا وإذا لهم ماء في آنية فشربت منه وأهرقت باقي ذلك وقد كانوا أضلوا بعيراً لهم، فقال أبو جهل لعنه الله: قد أمكنكم الفرصة من محمد سلوه كم الأساطين فيها والقناديل، فقالوا: يا محمد إن ههنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه؟ فجاء جبرائيل فعلق صورة البيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما سألوه فلما أخبرهم قالوا: حتى تجيء العير ونسألهم عما قلت، فقال لهم وتصديق ذلك أن العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جمل أحمر، فلما أصبحوا وأقبل ينظرون إلى العقبة ويقولون هذه الشمس تطلع الساعة فبينا هم كذلك إذ طلعت العير مع طلوع الشمس يقدمها جمل أحمر فسألوهم عما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: لقد كان هذا، ضل جمل لنا في موضع كذا وكذا ووضعنا ماءاً وأصبحنا وقد اهريق الماء فلم يزدهم ذلك إلاً عتواً". انتهى.

٥- التبيان الجامع لعلوم القرآن

وقال شيخ الطائفة الشيعية أبو جعفر بن محمد الطوسي أن: "معناه ليس شيء إلاً و فيه دلالة على تنزيه الله مما لا يليق به، وقولهم: سبح تسبيحاً أي قال سبحان الله، والسبح في التعظيم الجري فيه. والاسراء سير الليل، اسرى اسراء وسرى يسرى سرى لغتان، قال الشاعر:

وليلة ذات دجى سريت ولم يلتني عن سراها ليت

وقوله { ليلاً } معناه بعض الليل، على تقليل وقت الاسراء، ويقوي ذلك قراءة حذيفة، وعبد الله { من الليل } وروت أم هاني بنت ابي طالب: أن النبي صلى الله عليه وآله سلم كان في منزلها ليلة أسري به. وقال الحسن وقتادة: كان في نفس المسجد الحرام. وروي عن أم هاني أن الحرم

كله مسجد. والمسجد الاقصى هو بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود - في قول الحسن وغيره من المفسرين - وانما قيل له: الأقصى، لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام. وقال الحسن: صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم المغرب في المسجد الحرام. ثم أسري به الى بيت المقدس في ليلة ثم رجع، فصلى الصبح في المسجد الحرام، فلما اخبر به المشركين كذبوا ذلك، وقالوا: يسير مسيرة شهر في ليلة واحدة؟! وجعلوا يسألون عن بيت المقدس وما رأى في طريقه، فوصفه لهم شيئاً شيئاً بما يعرفونه. ثم اخبرهم انه رأى في طريقه قعباً مغطاً مملوءاً ماء فشرب الماء كله ثم غطاه كما كان، ووصف لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل المتاع، فقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق، فقعدوا في ذلك اليوم يستقبلونها، فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد أشرقت، ولم تأت. وقال آخر هذا والله العير يقدمها جمل اورق، كما ذكر محمد، فكان ذلك معجزة له باهرة، ودلالة واضحة لولا العناد، وكان نفس الاسراء حجة له صلى الله عليه وآله وسلم لا انه يحتاج إلى دلالة كغيره، ولذلك قال تعالى { لنريه من آياتنا } فكان الاسراء من جملة الآيات التي تأكد بها يقينه وازدادت به بصيرته، لأنه كان قد علم نبوته بما تقدم له من الآيات، فكان هذا على وجه التأكيد لذلك. وعند أصحابنا وأكثر أصحاب التأويل، وذكره الجبائي ايضاً: انه عرج به في تلك الليلة الى السماء وأت حتى بلغ سدرة المنتهى في السماء السابعة، واراه الله من آيات السموات والارض ما ازداد به معرفة ويقيناً، وكان ذلك في يقظته دون منامه، والذي يشهد به القرآن الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، والباقي يعلم بالخبر. وقوله { الذي باركنا حوله } يعني بالثمار ومجاري الانهار، وقيل { باركنا } حوله بمن جعلنا حوله من الانبياء والصالحين، ولذلك جعله مقدساً. {لنريه من آياتنا} من العجائب التي فيها اعتبار. و روي أنه كان رأى الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً. وقوله { إنه هو السميع البصير } اخبار منه تعالى أنه يجب أن يدرك المبصرات والمسموعات اذا وجدت، لأنه حي ولا يجوز عليه الآفات". انتهى.

تحليل الآية

محمد رسول الإسلام يروي تسلسل أحداث الإسراء والمعراج - حسب المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية، فيقو ما يلي:

- بينا أنا راقد بالأبطح.
- أتاني جبرائيل (ع) وأنا بمكة فقال قم يا محمد فقمت معه وخرجت.
- فأتى جبرائيل (ع) بالبراق.
- فقال اركب فركبت ومضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس.
- فلما انتهيت إلى بيت المقدس.

- **عرض علي محاريب الأنبياء وآيات الأنبياء فصليت فيها.**
- **ثم أخذ جبرائيل (ع) بيدي إلى صخرة فأقعدني عليها فإذا معراج إلى السماء.**
- **فصعدت إلى السماء الدنيا.**
- **ثم صعد بي جبرائيل إلى السماء الثانية.**
- **ثم صعد بي إلى السماء الثالثة.**
- **ثم صعد بي إلى السماء الرابعة.**
- **ثم صعد بي إلى السماء الخامسة.**
- **ثم صعد بي إلى السادسة.**
- **ثم صعد بي إلى السابعة.**
- **ثم كلَّمني ربي وكلمته.**
- **ثم رجعت إلى مكة.**
- **فلما أصبحت حدثت به بالناس فكذَّبني.**
- **قريش كانوا يسألوني عن بيت المقدس وما رأيت في طريقي.**
- **قال لهم:" أن لهم ماء في آنية فشربت منه وأهرقت باقي ذلك".**
- **اخبرهم انه:" رأى في طريقه قعباً مغطاً مملوءاً ماء فشرب الماء كله ثم غطاه كما كان".**
- **فقالوا: يا محمد إن ههنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه؟**
- **فجاء جبرائيل فعلق صورة البيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما سألوه.**
- **وصف لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل المتاع، وأنها تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس.**

والمكان الذي أسري منه محمد رسول الإسلام حسب المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية، هو أحد الأماكن التالية:

- **أسري به من دار أم هانئ أخت علي بن أبي طالب، و زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي وكان رسول الإسلام نائماً تلك الليلة في بيتها.**
- **مكة: كان الإسراء من نفس المسجد الحرام. و المراد بالمسجد الحرام هنا مكة.**
- **الأبطح: ويقصد به وادي من أودية المدينة. حسبما ذكر السيد علي الحسيني الميلاني في الصفحتين ٣٧٤ و ٣٧٥ من الجزء الثامن من كتابه (نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار)، حيث قال أنه :" إذ عرفت أن « الأبطح » اسم لمطلق المسيل الذي فيه دقاق الحصى ، وليس اسماً لمكان خاص بمكة الكريمة، لم يبق عندك ريب في صحة ما جاء**

في الحديث المذكور، وبطل ما أورده ابن تيمية من هذه الناحية، إذ لا مانع من إطلاق هذا الاسم على بعض الأودية بالمدينة المنورة".

- **المسجد الحرام. صلى المغرب في المسجد الحرام ثم أسري به الى بيت المقدس في ليلة ثم رجع، فصلى الصبح في المسجد الحرام. يعني أسري به من نفس المسجد الحرام.**

المسجد الأقصى - حسب المفسرين حسب المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية، هو ما يلي:

- **يعني بيت المقدس وإنما قال الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ومكة.**
- **المسجد الاقصى الّذى هو في السّماء الرّابعة.**
- **المسجد الاقصى هو بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود.**

ان حادثة الإسراء والمعراج قد وقعت ليلاً - بإجماع كل المفسرين – حيث لم يشاهدها أو يرها أحد. بل أن محمد رسول الإسلام هو نفسه الذي قد أخبر قومه عنها. فلم يكن هناك شاهد عيان وحيد على حدوثها، سواء كان ذلك من المسلمين أو سواهم من عرب قريش. و عند تطبيق شروط صحة الإتيان بالمعجزة - الواردة في صفحة ١٩١ من هذا الكتاب - على هذه الحادثة يتضح لنا جلياً وبدون ريب عدم إمكانية تسميتها بالمعجزة أبداً. لأنه لم ينطبق عليها أي شرط من الشروط الستة التي وضعها العلماء المسلمون بأنفسهم. هذا من جانب ومن جانب آخر فأن الآية ٥٩ من نفس السورة - الإسراء - التي وردت فيها حادثة الإسراء تكذب و تلغي أي رأي يزعم أن محمد كان قد أعطي معجزة في حياته. الرجاء مراجعة الصفحات من ٢٢٥ إلى ٢٣٠ من هذا الكتاب.

هناك أيضاً براهين تاريخية تنسف هذا الرأي من جذوره. حيث أن الرواية القرآنية تخالف السرد التاريخي الموثق لأحداث جرت لبيت المقدس - التسمية الإسلامية البديلة لهيكل سليمان- فبيت المقدس الذي تتحدث عنه أو تشير إليه كل كتب التفاسير الإسلامية، كان المقصود به هيكل الملك سليمان بن داوود، الذي سماه بعض المفسرين بمسجد سليمان بن داود. وقد أجمع كل المؤرخين أن ذلك الهيكل قد تم تدميره تدميراً كاملاً على يد القائد الروماني تيطس في سنة ٧٠م، حيث لم يبق له أي أثر البتة. و يأتي ذلك تحقيقاً لنبوءة تنبأ بها السيد المسيح عن دمار ذلك الهيكل - بيت المقدس - قبل نحو ٣٧ سنة من وقائع و أحداث ذلك التدمير(١).

١- رجاء راجع صفحة: ١٣٣ وما يليها من هذا الكتاب للمزيد من التفاصيل عن هذه النبوءة.

وقد أشار الشيخ علي الكوراني في كتابه عصر الظهور[١] إلى دمار بيت المقدس (هيكل سليمان في أورشليم)، فقال :" تذكر الأناجيل والمؤرخون الاضطرابات التي وقعت في القدس وفلسطين على عهد نيرون ٥٤ م - ٦٨ م والتي كانت بين اليهود والرومان، وبين اليهود أنفسهم، فقام القيصر فسبسيان (فسبازيان - Vespasian) بتعيين ابنه تيطس سنة ٧٠ م ملكا على المنطقة، وقام تيطس بحملة على القدس فتحصن فيها اليهود حتى نفدت مؤنهم وضعفوا، واخترق تيطس السور واحتل المدينة وقتل الألوف من اليهود، ودمر بيوتهم ودمر الهيكل وأحرقه و أزاله من الوجود تماما، بحيث لم يعد يهتدي الناس إلى موضعه، وساق الاحياء الباقين إلى روما. ويذكر المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف ص ١١٠ أن عدد القتلى في هذه الحملة بلغ من اليهود والمسيحيين ثلاثة آلاف ألف، أي ثلاثة ملايين". انتهى. كذلك ذكر آية الله الشيخ مكارم الشيرازي[٢] خلال حديثة عن دمار ذلك الهيكل، نقلاً عن بعض المفسرين، فقال: "بني فيها بيت المقدس على عهد ملوك الأخمنيين ليقوم بعد ذلك "طيطوس" الرومي بهدمه وخرابه (الملاحظ أن " طيطوس " يطابق " طرطوز " الذي ذكر في التفسير السابق) وقد بقي على خرابه إلى عصر الخليفة الثاني عندما فتح المسلمون فلسطين". انتهى.

اذن فالرواية التي ساقتها كتب بعض التفسير ومفادها أن قريش كانوا قد سألوا رسول الإسلام " فقالوا: يا محمد إن ههنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه؟ فجاء جبرائيل فعلق صورة البيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما سألوه"، كانت تلك الرواية مجرد خرافة من إبداع وخيال بعض المسلمين، وذلك للأسباب التالية:

أ- لم يكن بيت المقدس أو المسجد الأقصى - هيكل سليمان أو مسجد سليمان بن داود - موجوداً في ذلك الوقت، حيث أنه قد تم تدميره بشكل كامل و تام في عام ٧٠م ولم يبقى له أثر بعد ذلك على الإطلاق.

ب- لم يكن هناك اساطين أو قناديل أو محاريب عندما أدعى محمد رسول الإسلام بأنه رآها عندما أسري به إلى المسجد الأقصى، أو عندما أخبر قريش عنها بعد سؤالهم له عن ذلك.

ج- المسجد الأقصى الحالي قد تم بناءه من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في الفترة الواقعة ما بين (٩٠ - ٩٦ هجرية / ٧٠٩ - ٧١٤ ميلادية). أي بعد أكثر من ٩٠ سنة من حادثة الإسراء والمعراج المزعومة. وقد تم بنائه على انقاض المسجد الأقصى الأول (القديم) وهو ذاك الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هجرية/٦٣٤-٦٤٤ ميلادية). وقبل ذلك التاريخ لم يكن هناك أي مسجد أو هيكل أو معبد سوى هيكل سليمان الذي دمر بالكامل سنة ٧٠م.

١- كتاب عصر الظهور - الشيخ علي الكوراني العاملي ، الصفحة: ٧٠.

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ج ٨ ، الصفحة: ٤٠٧.

ولوضع النقاط على الحروف، دعونا نفتح عقولنا و أذهاننا لما يقول أهل فلسطين عن بلادهم، فكما يقال أهل مكة أدرى بشعابها. فيذكر المركز الفلسطيني للإعلام - على موقعه الإلكتروني - متحدثاً بإسهاب عن المسجد الأقصى، فيقول:

" لقد بات معروفاً بين الباحثين والمختصين في العمارة الإسلامية، أن مبنى المسجد الأقصى المبارك الحالي، هو المسجد الأقصى الثاني، باعتبار أن المسجد الأقصى الأول (القديم) هو ذاك الذي بناه الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هجرية/ ٦٣٤-٦٤٤ ميلادية)، بعد الفتح الإسلامي لبيت المقدس سنة ١٥هجرية/ ٦٣٦ ميلادية ،حيث كان يقوم في الجهة الجنوبية الشرقية للحرم الشريف والذي امتاز بناؤه بالبساطة المتناهية، وعلى ما يبدو أن هذا المسجد لم يصمد طويلاً أمام تقلبات العوامل الطبيعية المؤثرة وذلك لبدائية إنشائيته، حتى قام الأمويون بتأسيس وبناء المسجد الأقصى الحالي. بنى المسجد الأقصى المبارك الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ هجرية/ ٧٠٥-٧١٥ميلادية) ، في الفترة الواقعة ما بين (٩٠-٩٦ هجرية/ ٧٠٩-٧١٤ميلادية) فقد أكدت ذلك وثائق البردى (أوراق البردى) التي احتوت على مراسلات بين قرة بن شريك عامل مصر الأموي (٩٠-٩٦هجرية/ ٧٠٩-٧١٤ميلادية) وأحد حكام الصعيد، حيث تضمنت كشفاً بنفقات العمال الذين شاركوا في بناء المسجد الأقصى، مما يؤكد أن الذي بنى المسجد الأقصى هو الخليفة الوليد بن عبد الملك. يتألف المسجد الأقصى من رواق أوسط كبير يقوم على أعمدة رخامية ممتداً من الشمال إلى الجنوب، يغطيه جملون مصفح بألوان الرصاص وينتهي من الجنوب بقبة عظيمة الهيئة والمنظر، كروية الشكل تقوم على أربعة دعامات حجرية تعلوها أربعة عقود حجرية، نتج عنها أربعة مثلثات ركنية لتكون بمثابة القاعدة التي تحمل رقبة القبة والقبة نفسها والتي تتكون من طبقتين (قبتين: مثل قبة الصخرة المشرفة) داخلية وخارجية، زينت من الداخل بالزخارف الفسيفسائية البديعة، وأما من الخارج فقد تم تغطيتها بصفائح النحاس المطلية بالذهب (مثل قبة الصخرة)، ولكنها استبدلت حديثاً بألواح من الرصاص، وذلك للزوم أعمال الترميم التي تمت فيها على يدي لجنة إعمار قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك. ويحف الرواق الأوسط من كلا جانبيه الغربي والشرقي، ثلاثة أروقة في كل جانب جاءت موازية له وأقل ارتفاعاً منه. أما الأروقة الواقعة في القسم الغربي، فقد غطيت بالأقبية المتقاطعة المحمولة على العقود والدعامات الحجرية والتي تم إنشاؤها في الفترة المملوكية. وأما القسم الشرقي فقد غطي بسقوف خرسانية تقوم على أعمدة وعقود حجرية، تم ترميمها وإعادة بنائها على يدي المجلس الإسلامي الأعلى (١٩٣٨-١٩٤٣م). ويدخل إلى المسجد الأقصى من خلال أبوابه السبعة التي فتحت في واجهته الشمالية والذي يؤدي كل منها إلى إحدى أروقة المسجد السبعة، هذا ويتقدم الواجهة الشمالية المذكورة، واجهة أخرى عبارة عن رواق تمت إضافته في الفترة الأيوبية والذي يمتد من الشرق إلى الغرب، يتألف من سبعة عقود حجرية تقوم على دعامات حجرية. وعوضاً عن تلك الأبواب السبعة، فقد فتح بابان آخران في كل من الجهة الغربية والشرقية للمسجد، وباب واحد في الجهة الجنوبية وذلك في فترات

متأخرة". وأضاف المركز قائلاً أن :"الأمويون هم من بنى المسجد الأقصى المبارك. في ضوء الحفريات التي جرت في الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى، والتي كشفت النقاب عن المخطط المعماري لدار الإمارة الأموية في بيت المقدس، من خلال البقايا المعمارية والأثرية لخمسة مبان ضخمة عبارة عن قصور وقاعات كبيرة، دلت وأكدت تاريخ الأمويين العريق في بيت المقدس. ولقد غيرت هذه الاكتشافات الجديدة، نظريات و أراء عديدة فيما يخص تاريخ بعض المعالم الأثرية في الحرم الشريف، مثل الأثر الذي يعرف بإسطبل سليمان وباب الرحمة وغيرها، وكان قد علق في أذهان العديد من الباحثين والمختصين على أن تاريخ تلك المعالم يعود لفترات سبقت الفتح الإسلامي لبيت المقدس، ولكن ما أن ظهرت هذه المكتشفات الجديدة، حتى غيرت هذه الآراء والمفاهيم مما اضطر الباحثين إلى إعادة بحوثهم ودراساتهم في ضوء (دار الإمارة) الأموية. وانطلاقاً من هذا الواقع الجديد، لا بد لنا أن نقول، أن الأمويين لم يغفلوا ولو للحظة واحدة عن قدسية بيت المقدس ومكانتها في الإسلام. فنراهم ترجموا هذا الاهتمام بالفعل والعمل، وذلك من خلال مشاريعهم المعمارية الضخمة التي قاموا بتنفيذها في منطقة الحرم الشريف، حيث بدأ المسيرة المعمارية المباركة هذه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بناء قبة الصخرة المشرفة، وكأنه أوصى ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك، الذي امتاز عهده بالرخاء وكثرة البناء، حتى اشتهر بذلك، أوصاه لإكمال هذه المسيرة، فقام ببناء المسجد الأقصى ودار الإمارة ومعالم أخرى. ولسوء الحظ، أنه لم تسعفنا المصادر التاريخية في وصف المسجد الأقصى في الفترة الأموية، في حين أننا نجد الإشارات التاريخية العديدة التي تذكر اسم الخليفة الأموي الذي بنى المسجد الأقصى، فبعضهم أشار إلى الخليفة عبد الملك والبعض الآخر إلى ابنه الخليفة الوليد. ومهما يكن من أمر، سواء الذي بناه الخليفة عبد الملك أو ابنه الخليفة الوليد، أو بدئ البناء فيه في عهد عبد الملك وأكمل في عهد الوليد. فإن خلاصة القول أن الأمويين هم الذين اختطوا و بنوا المسجد الأقصى المبارك. ولقد كانت مساحة المسجد الأقصى المبارك في العهد الأموي أكبر بكثير مما هي عليه الآن، وقد ظل المسجد قائماً بتخطيطه الأصلي الأموي حتى سنة ١٣٠هجرية/ ٧٤٦ ميلادية، حيث تهدم جانبيه الغربي والشرقي جراء الهزة الأرضية التي حدثت في تلك السنة". انتهى.

بناء على ما تقدم من تحليل و دراسة مستفيضة لنصوص الآيات القرآنية ذات العلاقة بمزاعم البعض الذين يدعون أن رسول الإسلام قد صنع معجزة في حياته. والتي لم نجد أي دليل أو برهان من القرآن نفسه يعضد هكذا مزاعم. إذ قد تبين و تأكد لنا بالبراهين الساطعة حقيقة هامة وجوهرية، ألا وهي أن رسول الإسلام محمد لم يصنع أو يأتي بأي معجزة على الإطلاق. وإن كل ما قيل خلاف ذلك لا يسانده أي دليل قرآني. بل أن القرآن يضرب تلك الآراء في مقتل.

وقد ذكر آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي(١) أنه يتحتم و يجب على كل نبي صادق أن يفعل المعجز الخارق لنواميس الطبيعة كدليل وحيد على صدقه، وإن لم يستطع فعل ذلك فأنه يعد نبي كاذب. إذ يقول بالنص: "ومن الضروري أيضا أن السفارة الإلهية من المناصب العظيمة التي يكثر لها المدعون، ويرغب في الحصول عليها الراغبون، ونتيجة هذا أن يشتبه الصادق بالكاذب، ويختلط المضل بالهادي. وإذن فلا بد لمدعي السفارة أن يقيم شاهدا واضحا يدل على صدقه في الدعوى، وأمانته في التبليغ، ولا يكون هذا الشاهد من الافعال العادية التي يمكن غيره أن يأتي بنظيرها، فينحصر الطريق بما يخرق النواميس الطبيعية. وإنما يكون الاعجاز دليلا على صدق المدعي، لان المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية، فلا يمكن أن يقع من أحد إلا بعناية من الله تعالى، وإقدار منه، فلو كان مدعي النبوة كاذبا في دعواه، كان إقداره على المعجز من قبل الله تعالى إغراء بالجهل وإشادة بالباطل، وذلك محال على الحكيم تعالى. فإذا ظهرت المعجزة على يده كانت دالة على صدقه، وكاشفة عن رضا الحق سبحانه بنبوته". انتهى.

وهكذا يمكننا القول بأنه لا توجد هناك أي مصداقية لما زُعم أو قيل أيضاً من أن الإمام الحسين بن علي كانت له معجزات. لأنه إن كان محمد رسول الإسلام قد عجز أن يصنع معجزة خارقة لنواميس الطبيعة، حتى لو كانت تلك المعجزة وحيدة و يتيمة، فالأحرى أن لا يستطيع أن يفعلها شخص أخر، وأقصد بذلك الإمام الحسين بن علي.

إذن فلا مناص لكل باحث عن الحق إلا بتفتيشه للكتب - والقرآن بشكل خاص. ثم يذعن لذلك الحق الساطع بكل تواضع، لأنه بذلك سيمكنه من التحرر من أسر الجهل و من أغلال العبودية ولضمان الحياة الأبدية (السعادة في الدار الآخرة).

١- البيان في تفسير القرآن - آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، صفحة: ٣٥.

الباب الرابع: علم الإمام الحسين بن علي

عندما يتحدث المسلمون الشيعة عن علم الأئمة من أهل البيت الذي من ضمنهم الإمام الحسين بن علي، فهم يقصدون ويعتقدون بشمولية علمهم في كل شيء. مثل علمهم و إحاطتهم بالعلوم الشرعية الإسلامية، وعلمهم بأفكار و هواجس النفس البشرية، وعلمهم بلغات البشر، و كذلك علمهم بلغات الطيور والحشرات و الدواب، وعلمهم بالتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء، وعلمهم بالحقائق العلمية وعلمهم بالغيبيات.

فبالنسبة لعلم وإحاطة الإمام الحسين بالعلوم الشرعية الإسلامية فهي ليست بذات أهمية البتة لبسطها في كتابنا هذا. ذلك أن الإلمام الكامل بالعلوم الشرعية يعد أحد أهم المؤهلات الرئيسية التي يجب لعالم الدين المسلم الحيازة عليها. لذا لن نتطرق إلى ذلك لا من قريب أو بعيد.

أما بالنسبة لعلم الإمام الحسين بن علي باللغات فيقول الشيخ المفيد[١] في هذا المعنى أن:" القول في معرفة الأئمة (ع) بجميع الصنايع وساير اللغات وأقول: إنه ليس يمتنع ذلك منهم ولا واجب من جهة العقل والقياس و قد جاءت أخبار عمن يجب تصديقه بأن أئمة آل محمد (ص) قد كانوا يعلمون ذلك، فإن ثبت وجب القطع به من جهتها على الثبات. ولي في القطع به منها نظر".

أما بالنسبة لعلمه بلغات الحيوان فقد قال آية الله السيد حسن الشيرازي[١] أنه: "روي أنّ الحسين (عليه السلام) سئل في حال صغره عن أصوات الحيوانات لأن من شرط الامام أن يكون عالماً بجميع اللغات حتى أصوات الحيوانات فقال: على ما روى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن الحسين(عليه السلام) انه قال: إذا صاح النسر فانه يقول:(يا بن آدم عش ما شئت فآخره الموت) وإذا صاح البازي يقول:(يا عالم الخفيات و يا كاشف البليات) وإذا صاح الطّاووس يقول:(مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزينتي فاغفر لي).وإذا صاح الدرّاج يقول:(الرحمن على العرش استوى) وإذا صاح الديك يقول:(من عرف الله لم ينس ذكره) وإذا قرقرت الدجاجة تقول:(يا اله الحق أنت الحق وقولك الحق يا الله يا حقّ) وإذا صاح الباشق يقول:(آمنت بالله واليوم الآخر). وإذا صاحت الحدأة تقول:(توكّل على الله ترزق) وإذا صاح العقاب يقول:(من أطاع الله لم يشق) وإذا صاح الشاهين يقول:(سبحان الله حقاً حقاً) وإذا صاحت البومة تقول:(البعد من الناس انس) وإذا صاح الغراب يقول:(يا رازق، ابعث بالرزق الحلال) وإذا صاح الكركي[٢] يقول: (اللّهمّ

١- كلمة الإمام الحسين - آية الله السيد حسن الشيرازي، ص: ١٠٥ إلى ١٠٨.

٢- الكركي طائر يشبه مالك الحزين.

احفظني من عدوّي) و إذا صاح اللقلق يقول:(من تخلّى عن الناس نجى من أذاهم) وإذا صاحت البطّة تقول: (غفرانك يا الله غفرانك) وإذا صاح الهدهد يقول:(ما أشقى من عصى الله) وإذا صاح القمري(١) يقول: (يا عالم السرّ والنجوى يا الله) وإذا صاح الدبسي(٢) يقول:(أنت الله لا اله سواك يا الله) وإذا صاح العقعق(٣) يقول:(سبحان من لا يخفي عليه خافية) وإذا صاح الببغاء يقول: (من ذكر ربّه غفر ذنبه) وإذا صاح العصفور يقول:(استغفر الله ممّا يسخط الله) وإذا صاح البلبل يقول:(لا اله إلاّ حقاً حقاً) وإذا صاحت القبجة(٤) تقول:(قرب الحق، قرب) وإذا صاحت السماناة(٥) تقول:(يا بن آدم ما أغفلك عن الموت) وإذا صاح السوذنيق(٦) يقول:(لا إله إلا الله محمد سول الله وآله خير الله) وإذا صاحت الفاختة(٧) تقول:(يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد) وإذا صاح الشقراق(٨) يقول:(مولاي أعتقني من النار). وإذا صاحت القنبرة تقول:(مولاي تب على كل مذنب من المؤمنين) وإذا صاح الورشان يقول:(ان لم تغفر ذنبي شقيت) وإذا صاح الشفنين(٩) يقول:(لا قوة إلاّ بالله العلي العظيم) وإذا صاحت النعامة تقول:(لا معبود سوى الله) وإذا صاحت الخطافة فأنها تقرأ سورة الحمد وتقول:(يا قابل توبة التوابين يا الله لك الحمد) وإذا صاحت الزرافة(١١) تقول:(لا اله إلاّ الله وحده) وإذا صاح الحمل يقول:(كفى بالموت واعظاً). وإذا صاح الجدي يقول:(عاجلني الموت فقلّ ذنبي) وإذا زأر الأسد يقول:(أمر الله مهم مهمّ) وإذا صاح الثور يقول:(مهلاً مهلاً يابن آدم أنت بين يدي من يرى ولا يرى وهو الله) وإذا صاح الفيل يقول: (لا يغني عن الموت قوة ولا حيلة) وإذا صاح الفهد يقول:(يا عزيز يا جبار يا متكبر يا الله) وإذا صاح الجمل يقول:(سبحان مذّل الجبارين سبحانه) وإذا صهل الفرس يقول: (سبحان ربنا سبحانه) وإذا صاح الذئب يقول:(ما حفظ الله فلن يضيع أبداً) وإذا صاح ابن آوى(١٠) يقول:(الويل الويل للمذنب المصرّ) وإذا صاح الكلب يقول:(كفى بالمعاصي ذلاّ). وإذا صاح الأرنب يقول:(ولا تهلكني يا الله لك الحمد) وإذا صاح الثعلب يقول:(الدنيا دار غرور) وإذا صاح الغزال يقول:(نجّني من الاذى) وإذا صاح الكركدن يقول: (اغثني وإلاّ هلكت يا مولاي) وإذا صاح الايل يقول:(حسبي الله ونعم الوكيل حسبي) وإذا صاح النمر يقول:(سبحان من تعزز بالقدرة سبحانه) وإذا سبحّت الحية تقول: (ما أشقى من عصاك يا رحمن) وإذا سبحت العقرب تقول:(الشر شيء وحش). ثمّ قال(عليه السلام): ما خلق الله من شيء إلاّ وله تسبيح يحمد به ربّه ثمّ تلا هذه الآية (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)". انتهى.

١- القمري ، والقُمْرِيَّة، بالضم: ضَرْبٌ من الحَمَامِ.
٢- الدبسي: قسم من الحمام البري لونه الدكنة.
٣- العقعق: طائر من فصيلة الغرابيات.
٤- القبجة: طائرة تشبه الحجل، يقال لها بالفارسية: كبك.
٥- السامانات: لعله قصد طائر السمان وهو طائر صغير من رتبة الدجاجيات.
٦- السوذنيق: الصقر.
٧- الفاختة: نوع من الحمام.
٨- الشقراق: نوع من الطيور زاهي الألوان.
٩- الشفنين - بكسر الشين -: نوع من الحمام.
١٠- ابن آوى: حيوان من الفصيلة الكلبية.
١١- الزرافة لا يمكنها أن تصيح لأن ليس لها حبال صوتية، ولكنها تصدر أنين خفيف يصعب سماعه، أو أن تثغي بصوت واطي جداً.

وأما فيما يخص علم الأئمة من أهل بيت محمد رسول الإسلام، ومن ضمنهم الإمام الحسين بن علي بالتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء، فقد ذكر الكليني في كتابه الكافي[١] في (باب أن الائمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والانبياء والرسل عليهم لسلام) أن: " علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن القاسم، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى علمين: علما أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلما استأثر به فإذا بدا لله في شئ منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا". وقال الكليني[٢] أيضاً في (باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وانه لا يخفى عليهم الشئ صلوات الله عليهم)أنه:" أحمد بن محمد ومحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبد الله بن حماد، عن سيف التمار قال كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدا فقلنا: ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما، لان موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة". انتهى.

وكما يتبين ويظهر من فحوى تلك الروايات التي ساقها الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الذي يعتبر أحد أهم الرواة الثقاة لدى الشيعة. فمثله في ذلك كمثل البخاري ومسلم من الرواة السنة. فكل منهم قد جمع وألف أحاديث من بعد موت أصحابها بمئات السنين. لذا لا تعد تلك الروايات سوى مطابع و مكنة إعلامية كانت تسوق لبضاعة قديمة قد عفى عليها الزمن. ذلك أن لا دليل يعضد صحتها سوى أنها قيلت ودونت بعد وفاة صاحب الشأن بقرون طويلة من الزمن، بجانب وفاة جميع رواتها قبل تدوينها عدى الراوي الأخير الذي تم أخذ الرواية منه شفاهية.

لذا يعتبر القرآن أهم وثيقة إسلامية يمكن الإعتماد عليه عند تحليلنا لمواضيع عقائدية. وحيث أن من تلك المواضيع المهمة هو ما يعتقده الأحباء الشيعة بأن أئمة آل محمد رسول الإسلام كانوا يعلمون الغيب، ومن ضمنهم الإمام الحسين. وهذا ما يصرح به علانية بعض من علماء الشيعة الإمامية الإثناعشرية. إذ قال آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي في كتابه[٣] "من فقه الزهراء (عليها السلام)" خلال معرض حديثة عن علم فاطمة بنت محمد رسول الإسلام "أنها(صلوات الله عليها) تعلم الغيب كسائر المعصومين (عليهم السلام) حسب مشيئته سبحانه".

١- الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ، الجزء الأول ، الصفحة: ٢٥٥.

٢- الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ، الجزء الأول ، الصفحة:٢٦٠ وَ ٢٦١

٣- كتاب "من فقه الزهراء (عليها السلام)" - آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، صفحة ٦.

لذا أجد نفسي مرغماً أن أفحص القرآن نفسه مرة أخرى. والهدف من ذلك هذه المرة هو التيقن بصحة أو عدم صحة ما ذهبت إليه الشيعة وسواهم من الطوائف الإسلامية الأخرى إلى أن إله الإسلام قد منح أو وهب علمه بالغيب لآخرين من البشر، أو أن أهل البيت كان لهم القدرة على معرفة مكنونات النفس البشرية أو لغات الحيوان. ولكي نتأكد من صحة تلك الأقوال التي تزعم أن إله الإسلام قد وهب لمحمد وأهل بيته تلك العلوم أم لا، فقد فحصت بنفسي القرآن صفحة صفحة وآية آية وقارنتها بالحقائق العلمية والتاريخية والجغرافية. فإن كان ما تحدث به القرآن عن تلك العلوم كان صحيحاً ولم يشبه أي خطأ، قمنا بالخطوة التي تليها من فحص وتحليل لتلك الروايات على أساس منطقي. وإن ثبت لدينا العكس هو الصحيح صرفنا النظر عنها.

وقد قسمت هذا البحث إلى قسمين، هما كالتالي:

١- علم بالغيب.
٢- الحقائق العلمية الحديثة.

العلوم في القرآن

١- عِلْم الغَيْب

يقصد بالغيب هي الأمور الغير مشاهدة و الغير مرئية. فعلم الغيب هو مختص بالخالق سبحانه وتعالى. فهو القادر على معرفة الأمور المستورة و الغير ظاهرة للمخلوقات، عالماً بها علم ذاتي بأنها ستحدث مستقبلاً أو تلك التي بالفعل قد وقعت بالماضي، أو أنها تحدث الآن، ولكن ما من أحد يدركها أو يعلمها سواه تبارك اسمه. فالله سبحانه وتعالى هو العليم و المحيط بكل شيء و المدرك لكل أمر لأنها جميعاً حاضرة عند شخصه القدوس. فليس هناك ما يسمى بالمستقبل أو الحاضر أو الماضي أمام حضرته المباركة، لأنه خالق الزمن و فوق الزمن ولا يتجاوزه الزمن.

لقد قمت بسرد دليل واحد في هذا الكتاب من القرآن ذاته، حول إخبار إله الإسلام رسوله محمد بأمور غيبية تخص إيمان قريش بمكة. إذ كان من المفترض أن تتحقق تلك النبوءة بكل دقة. كما قمت بتحليل نصوص قرآنية أخرى زعم البعض من المسلمين أنها كانت نبوءة عن نشوئ دولة إسرائيل وظهور المقاومات الإسلامية.

إله الإسلام يخبر رسوله بمصير إيمان قبيلة قريش

لقد أعلم إله الإسلام رسوله محمد بخبر غيبي يتعلق بالمصير الحتمي و اليقيني لإيمان الأكثرية من قبيلة قريش. وقد ورد ذلك الخبر الغيبي في الآيتين (٧ وَ ٨) من سورة يس، حيث يقول كاتب القرآن:

"لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ".

وسورة يس هي سورة مكية. وتأتي في المرتبة الحادي والأربعون حسب تاريخ نزولها - رجاء مراجعة جدول السور المكية في صفحة ٢١٠. والملاحظ أن الغالبية العظمى من المسلمين لا يفقهون معنى هاتين الآيتين. بل كل همهم حين قراءتها هو الاستحصال على الثواب وحسب. فهما آيتان سجعيتان تتناغم مع السلم الموسيقى للآيات التي ما قبلها والتي ما بعدها. وقد جاءت الآية (١٠) تأكيداً لما ورد في الآيتين السابقتين (٧ وَ ٨) فكاتب القرآن يقول فيها (وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) يعني بذلك غالبية أهل مكة من قريش أنهم لا يؤمنون.

أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية

١- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال العلامة الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي أنه:" ثم بيَّن سبحانه الغرض في بعثته فقال { لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم} أي لتخوّف به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم لأنهم كانوا في زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام عن قتادة. وقيل: لم يأتهم نذير من أنفسهم وقومهم وإن جاءهم من غيرهم عن الحسن. وقيل: معناه لم يأتهم من أنذرهم بالكتاب حسب ما آتيت وهذا على قول من قال كان في العرب قبل نبينا صلى الله عليه وسلم من هو نبي كخالد بن سنان وقس بن ساعدة وغيرهما. وقيل: معناه لتنذر قوماً كما أنذر آباؤهم عن عكرمة { فهم غافلون } عما تضمنَّه القرآن وعمّا أنذر الله به من نزول العذاب والغفلة مثل السهو وهو ذهاب المعنى عن النفس. ثم أقسم سبحانه مرة أخرى فقال { لقد حق القول على أكثرهم } أي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم { فهم لا يؤمنون } ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله تعالى. وقيل: تقديره لقد سبق القول على أكثرهم أنهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون وذلك أنه سبحانه أخبر ملائكته أنهم لا يؤمنون فحقَّ قوله عليهم". انتهى.

٢- التبيان الجامع لعلوم القرآن

وقال شيخ الطائفة الشيعية أبو جعفر بن محمد الطوسي أن:" قوله {لتنذر قوماً} معناه إنه أنزل القرآن لتخوف به من معاصي الله قوماً {ما أنذر آباؤه } من قبل اراد به قريشاً أنذروا بنبوة محمد، وقيل: في معناه قولان: احدهما - قال عكرمة: معناه لتنذر قوماً مثل الذي أنذر آباؤهم. الثاني - قال قتادة: معناه لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم - يعني في زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام { فهم غافلون } عما تضمنه القرآن وعما أنذر الله من نزول العذاب. ومثل الغفلة السهو، وهو ذهاب المعنى عن النفس ومثله النسيان وهو ذهاب الشيء عن النفس بعد حضوره فيها. ثم اخبر تعالى مقسما انه { لقد حق القول على أكثرهم } اي وجب باستحقاق العقاب بإدخالهم النار { فهم لا يؤمنون } لذلك، وقد سبق في علم الله". انتهى.

٣- الميزان في تفسير القرآن

وقال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره لتلك الآية القرآنية أن:" قوله:{لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون } تعليل للإرسال والتنزيل و {ما} نافية والجملة صفة لقوله:{قوماً} والمعنى إنما أرسلك وأنزل عليك القرآن لتنذر وتخوف قوماً لم ينذر آباءهم فهم غافلون. والمراد بالقوم إن كان هو قريش ومن يلحق بهم فالمراد بآبائهم آباؤهم الأدنون فإن الأبعدين من آبائهم كان فيهم النبي إسماعيل ذبيح الله، وقد أرسل إلى العرب رسل آخرون كهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وإن كان المراد جميع الناس المعاصرين نظراً إلى عموم الرسالة فكذلك أيضاً فآخر رسول معروف بالرسالة قبله صلى الله عليه وآله وسلم هو عيسى عليه السلام وبينهما زمان الفترة. واعلم أن ما ذكرناه في تركيب الآيات هو الذي يسبق منها إلى الفهم وقد أوردوا في ذلك وجوهاً أخر بعيدة عن الفهم تركناها من أرادها فليراجع المطولات. قوله تعالى: {لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون} اللام للقسم أي أقسم لقد ثبت ووجب القول على أكثرهم، والمراد بثبوت القول عليهم صيرورتهم مصاديق يصدق عليهم القول". انتهى

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

وقال آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي أن:" الآية التالية تشرح الهدف الأصلي لنزول القرآن كما يلي ولتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون أي إنه لم يأت نذير لآبائهم. من المسلم أن المقصود بهؤلاء القوم هم المشركون في مكة" ثم أضاف قائلاً " ثم يتنبأ القرآن الكريم بما يؤول إليه مصير الكفار والمشركين فيقول تعالى: لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون. إحتمل المفسرون هنا العديد من الاحتمالات في المراد من "القول" هنا. الظاهر أنه ذلك الوعيد الإلهي لكل أتباع الشيطان بالعذاب في جهنم، فمثله ما ورد في الآية (١٣) من سورة السجدة ولكن حق

القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. كذلك في الآية (٧١) من سورة الزمر نقرأ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. على كل حال فإن ذلك يخص أولئك الذين قطعوا كل ارتباط لهم بالله سبحانه وتعالى، وأغلقوا عليهم منافذ الهداية بأجمعها، وأوصلوا عنادهم وتكبرهم وحماقتهم إلى الحد الأعلى، نعم فهم لن يؤمنوا أبدا، وليس لديهم أي طريق للعودة، لأنهم قد دمروا كل الجسور خلفهم". انتهى.

تحليل الآية

على الرغم من إثباتنا ببراهين قوية في عدم قدرة رسول الإسلام من صنع أي معجزة في حياته، وعلى الرغم من عدم وجود أي دليل قرآني يعضد الزعم القائل أنه قد كان لمحمد أو إلهه أي سيطرة أو قدرة على قريش، مثل إنزال عقاب إلهي من السماء عليهم، ومن ثم إبادتهم، أو أي أفعال أخرى تدل على قوة إلهية، سوى محاربتهم بقوة السيف والإغارة على قوافلهم التجارية، وهو ما كان يستطيع فعله حتى رجال العصابات المسلحة. إلا أننا نجد ان رجال التفسير ينشغلون بمليء صفحات كتبهم بالمزاعم الغير مبرهن على صحتها، إما لجهلهم بحقائق الأمور، أو لتبرير أفعال وتصرفات كاتب القرآن تجاه خصومه، أو لتضليل القارئ المسلم.

لذا قمت بطرح اسئلة جوهرية تمس حقيقة النبوءة التي تنبأ بها كاتب القرآن في الآيتين السابقتين حول إيمان قبيلة قريش. وذلك حتى يسهل و يتضح لنا جلياً الحقائق التي يحاول المفسرون اخفائها عن المسلمين، واسئلتي هي:

أ- هل الآيتان السابقتان تعد نبوءة عن مصير إيمان قبيلة قريش حسبما فهمه بعض المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية؟

الإجابة هي:

- **نعم، فقد قال أحد المفسرين الذين استشهدنا بتفسيره[1] آنفاً أنه:" يتنبأ القرآن الكريم بما يؤول إليه مصير الكفار والمشركين".**

ب- من هم الذين أرسل إليهم محمد رسول الإسلام حسبما فهمه اغلب المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية؟

الإجابة هي:

١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، الجزء: ١٤ ، الصفحة: ١٣٣.

- قريش ومن يلحق بهم.
- هم المشركون في مكة.

ج- ما معنى كلمة "القول" في الآيتين السابقتين حسبما فهمه اغلب المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية؟

الإجابة هي:

- وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم.
- وجب باستحقاق العقاب بإدخالهم النار.
- أنه ذلك الوعيد الإلهي لكل أتباع الشيطان بالعذاب في جهنم.

د- ما معنى "أكثرهم لا يؤمنون" حسبما فهمه اغلب المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية؟

الإجابة هي:

- يموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله تعالى.
- فهم لا يؤمنون وذلك أنه سبحانه أخبر ملائكته أنهم لا يؤمنون فحقَّ قوله عليهم.
- اي وجب باستحقاق العقاب بإدخالهم النار { فهم لا يؤمنون} لذلك، وقد سبق في علم الله.
- لقد ثبت ووجب القول على أكثرهم. والمراد بثبوت القول عليهم صيرورتهم مصاديق يصدق عليهم القول.
- لن يؤمنوا أبدا، وليس لديهم أي طريق للعودة، لأنهم قد دمروا كل الجسور خلفهم.

ويمكننا أن نختصر آراء الغالبية من المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية حول مفهومهم لمعنى الآيتين السابقتين، بالتالي:

لقد أرسل إله الإسلام محمد إلى مشركي قبيلة قريش، الذين لم يأتهم نبي منذ عيسى، وذلك من أجل أن ينذرهم و يخوفهم من معاصي إله الإسلام. و حيث أنهم غفلوا عما تضمنَّه القرآن وعمّا أنذر به من نزول العذاب - والغفلة هنا بمعنى السهو والنسيان- و لسبب تجاهلهم رسوله. لذا أقسم إله الإسلام بوجوب استحقاقهم الوعيد بإدخالهم جهنم. و فسيموت الغالبية منهم على غير ملة الإسلام، أي يموتون وهم غير مؤمنين. وإن ذلك كان في علم إله الإسلام السابق (علم الغيب) حيث أخبر ملائكته بعدم إيمان الأكثرية من مشركي مكة، فحق قسمه عليهم.

من الثابت تاريخياً ان العرب من قريش، والكثير من سكان الجزيرة العربية من المعاصرين

لرسول الإسلام قد آمنوا بإله الإسلام قبل موتهم. فالآية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار في أنها خاصة بالمشركين بمكة دون سواهم. فالسورة مكية باتفاق جميع الطوائف الإسلامية. وقد سلم بتلك الحقيقة الساطعة آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي(١) حيث قال" من المسلم أن المقصود بهؤلاء القوم هم المشركون في مكة".

والملاحظ كذلك أن المفسرين، بشكل عام، يتراجعون عن مواقفهم وآرائهم باختلاف الأدوار. وأقصد بـ "الأدوار" هو تغير مزاج كاتب القرآن. لذا هم لا يستقرون عند رأي محدد وثابت، بل نراهم يذهبون يمنة ويسرة. وفي اعتقادي أنهم يفعلون ذلك إما لجهلهم بحقائق الأمور، أو لأجل عيون كاتب القرآن، أو انهم يفعلون ذلك لأجل تشويش القارئ المسلم أو ربما تضليله. فدعونا نرى كيف يتراجع المفسرون في آرائهم، و لنأخذ على سبيل المثال لا الحصر، آية الله العظمى الشيرازي، الذي دائماً ما يغير رأيه، فهو يقول خلال تفسيره للآيتين (٧ وَ ٨) من سورة يس: " من المسلم أن المقصود بهؤلاء القوم هم المشركون في مكة"(٢). و قوله هذا يعني أن النبوءة تشمل كل فرد مشرك في مكة.

ثم ما لبث أن غير رأيه مائة وثمانون درجة، فيقول: "أن المقصود هم تلك الأكثرية من الرؤوس المشركة الكافرة التي لم تؤمن أبدا"(٣).و هذا يعني أن النبوءة تخص فقط سادات قبيلة قريش من المشركين في مكة دون سواهم.

ثم يخالف رأييه السابقين تماماً في موضع آخر، فيقول:

"أن المقصود بهم هم أئمة الكفر والنفاق وليس أكثرية المشركين"(٤). ومعني قوله هذا أن المقصود في الآيتين هم اليهود والمنافقون في المدينة، وليس أكثرية مشركي قريش بمكة. وهذا خطأ. فلم يكن هناك نفاق في مكة بل في المدينة، لذلك نزلت سورة المنافقون في المدينة.

وقال في موضع آخر:

" نعم فهم لن يؤمنوا أبدا، وليس لديهم أي طريق للعودة، لأنهم قد دمروا كل الجسور خلفهم. "(٥). وهذا يعني أن الغالبية من أفراد قبيلة قريش سيموتون على الشرك وليس على الإيمان.

١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج: ١٤ ، الصفحة: ١٣٣.
٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج: ١٤ ، الصفحة: ١٣٣.
٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج: ١٤ - الصفحة : ١٣٤.
٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ج: ١٤ ، الصفحة: ١٣٦.
٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج: ١٤ - الصفحة : ١٣٤.

لكنه سرعان ما يغير رأيه في ذلك، فيقول: "إن أكثر مشركي العرب أسلموا بعد فتح مكة"[١]. ويعني قوله هذا أن الغالبية من مشركي العرب، ومن ضمنهم قبيلة قريش، قد آمنوا برسول الإسلام محمد قبل موتهم.

لذا أستطيع أن أستنتج من آراء المفسرين أن كاتب القرآن قد تنبأ بالمصير الحتمي واليقيني لكفر غالبية أهل مكة، وهو ما قد أقسم وحلف عليه إله الإسلام. وهو الذي أيضاً قد اشهد ملائكته وأخبرهم بمصير كفر الأكثرية من أهل مكة حال موتهم. وتلك عقوبة على غفلتهم سهواً أو نسياناً بالنذير محمد رسول الإسلام. فكان عقوبتهم النار خالدين فيها، فأنهم ما كانوا ليؤمنوا أبداً و قد كان ذلك في علم إله الإسلام السابق (علم الغيب). لكن الحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، أن تلك النبوءة - التي يفترض أنها كانت من علم الغيب - قد فشلت فشل ذريعاً ولم تتحقق إطلاقاً. فقد شهد وسجل لنا التاريخ إيمان كافة أفراد قبيلة قريش في مكة، وخضوعهم لدين الإسلام في السنة الثامنة من الهجرة، وهي السنة التي تم فيها فتح مكة. فهم بالفعل قد ماتوا وهم مؤمنون برسول الإسلام. وهذا ما أكده آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي[٢] إذ قال:" إن أكثر مشركي العرب أسلموا بعد فتح مكة بمفاد قوله تعالى: يدخلون في دين الله أفواجا". بل أن آلاف من المكيين قد التحقوا بجيش محمد رسول الإسلام و شاركوه في غزواته وحروبه ضد القبائل العربية الأخرى. بقي أن نعرف أن سورة الفتح (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) هي سورة مدنية وتعد السورة المائة والثانية عشر حسب الترتيب النزولي للقرآن، أي ما قبل السورتين الأخيرتين - رجاء راجع جدول السور المدنية في الصفحة رقم ٢١٥ وما يليها. لذا فان سورة الفتح لم تتنبأ عن إيمان قريش، بل قالها كاتب القرآن بعد عدة سنوات من فتح مكة، وقبيل موت رسول الإسلام بوقت قصير. وبناءاً على هذا لم يكن لدى رسول الإسلام أو اهل بيته، ومن ضمنهم الإمام الحسين بن علي، أي إلمام - مهما ضئال حجمه - بعلم الغيب. لأنه إن كان كاتب القرآن قد فشل في التنبؤ بمصير إيمان قريش الذي كان يعتبر حادثة مستقبلية قريبة جداً بالنسبة لرسول الإسلام، فبالأحرى أن لا يتمكن شخص آخر غيره من أن ينال ذلك العلم. واقصد بذلك الإمام الحسين بن علي.

تنبؤ القرآن بنشؤ دولة إسرائيل و ظهور المقاومات الإسلامية

هناك من يزعم أن القرآن قد تنبأ بنشؤ دولة إسرائيل الحديثة، و كذلك ظهور المقاومة الإسلامية المضادة لتلك الدولة العبرية. والجدير ملاحظته أن هذا الزعم قد تم ترويجه في النصف الثاني

١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٤ - الصفحة ١٣٤.

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٤ - الصفحة ١٣٤.

من القرن العشرين الماضي. ومن المحتمل جداً أن سيد قطب(١) كان أول من زعم بذلك الرأي الشاذ، الذي لم يخالف فيه كل آراء المفسرين من المتقدمين والمتأخرين فحسب، بل وأيضاً خالف فيه رأي القرآن ذاته.

أننا قد تركنا الحكم في ذلك للقرآن نفسه. فإن فهم أحد من المفسرين - خاصة القدماء - أن القرآن قد تنبأ عن واقعة ستحدث في المستقبل، سلمنا بذلك وقبلناه. أما إذا تبين لنا أن القرآن كان يسرد فقط أحداث تاريخية قد وقعت فعلاً في الماضي الغابر، عندها قمنا بتوضيح هذا الأمر للقارئ الكريم. الجدير ذكره أن آية الله السيد الطباطبائي(٢) وصف سرد الأحداث عند تفسيره للآيات المذكورة أدناه بالقصة - وليست من علم الغيب - حيث قال:" وأما أصل القصة التي تتضمنها الآيات الكريمة فقد اختلفت الروايات فيها اختلافاً عجيباً يسلب عنها التعويل".

لقد ذكر كاتب القرآن الآيات التالية(٣): "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا".

أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية

١- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال العلامة الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي أنه:" المعنى: لمّا تقدم أمره سبحانه لبني إسرائيل عقَّب ذلك بذكر ما كان منهم وما جرى عليهم فقال: { وقضينا إلى بني إسرائيل } أي أخبرناهم وأعلمناهم { في الكتاب } أي في التوراة: { لتفسدن في الأرض مرتين } أي حقاً لا شك فيه أن خلافكم سيفسدون في البلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس، وأراد بالفساد الظلم وأخذ المال وقتل الأنبياء وسفك الدماء. وقيل: كان فسادهم الأول قتل زكريا. والثاني قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد، قالوا ثم سلّط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس في قتل زكريا وسلط عليهم في قتل يحيى بخت نصر وهو رجل خرج من بابل. وقيل

١- ظلال القرآن، سيد قطب (مفسر سني تم إعدامه بتهم سياسية و دينية مثل التطرف والتكفير في مصر)- الجزء الرابع - صفحة ٢٢١٤- ط ١٠.
٢- الميزان في تفسير القرآن ، آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي- تفسير الآيات من ١ إلى ٨ من سورة الإسراء.
٣- الآيات: ٤ إلى ٨ ، سورة الإسراء.

الفساد الأول قتل شعيا والثاني قتل يحيى وأن زكريا مات حتف أنفه عن محمد بن إسحاق. قال وأتاهم في الأول بخت نصر وفي الثاني ملك من ملوك بابل وقيل كان الأول جالوت فقتله داود(ع) والثاني بخت نصر عن قتادة. وقيل إنه سبحانه ذكر فسادهم في الأرض ولم يبين ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر عن أبي علي الجبائي. { ولتعلن علواً كبيراً } أي ولتستكبرن ولتظلمن الناس ظلماً عظيماً والعلو نظير العتو هنا وهو الجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه. { فإذا جاء وعد أولاهما } معناه فإذا جاء وقت أولى المرتين اللتين تفسدون فيهما والوعد هنا بمعنى الموعود ووضع المصدر موضع المفعول به أي إذا جاء وقت الموعود لإفسادكم في المرة الأولى { بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد } أي سلَّطنا عليكم عباداً لنا أولي شوكة وقوة ونجدة وخلّينا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاءً على كفركم وعتوكم وهو مثل قوله: { أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً } [مريم: ٨٣] عن الحسن. وقيل معناه أمرنا قوماً مؤمنين بقتالكم وجهادكم لأن ظاهر قوله تعالى عباداً لنا وقوله بعثنا يقتضي ذلك عن الجبائي، وقيل يجوز أن يكونوا مؤمنين أمرهم لله بجهاد هؤلاء ويجوز أن يكونوا كافرين فتألفهم نبي من الأنبياء لحرب هؤلاء وسلّطهم على نظرائهم من الكفار والفساق عن أبي مسلم. { فجاسوا خلال الديار } أي فطافوا وسط الديار يترددون وينظرون هل بقي منهم أحد لم يقتلوه عن الزجاج { وكان وعداً مفعولاً } أي موعوداً كائناً لا خلف فيه. { ثم رددنا لكم الكرة عليهم } أي رددنا لكم يا بني إسرائيل الدولة وأظهرناكم عليهم وعاد ملككم على ما كان عليه { وأمددناكم بأموال وبنين } أي وأكثرنا لكم أموالكم وأولادكم ورددنا لكم العدة والقوة { وجعلناكم أكثر نفيراً } أي أكثر عدداً وأنصاراً من أعدائكم. { إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم } معناه إن أحسنتم في أقوالكم وأفعالكم فنفع إحسانكم عائد عليكم وثوابه واصل إليكم تنصرون على أعدائكم في الدنيا وتثابون في العقبى { وإن أسأتم فلها } معناه وإن أسأتم فقد أسأتم إلى أنفسكم أيضاً لأن مضرة الإساءة عائدة إليها وإنما قال فلها على وجه التقابل لأنه في مقابلة قوله: { إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم } كما يقال أحسن إلى نفسه ليقابل أساء إلى نفسه ولأن معنى قولك أنت منتهى الإساءة وأنت المختص بالإساءة متقارب فلذلك وضع اللام موضع إلى وقيل إن قوله فلها بمعنى فعليها كقوله تعالى: { لهم اللعنة } [الرعد: ٢٥] أي عليهم اللعنة وقيل معناه فلها الجزاء والعقاب وإذا أمكن حمل الكلام على الظاهر فالأولى أن لا يعدل عنه وهذا الخطاب لبني إسرائيل ليكون الكلام جارياً على النسق والنظام ويجوز أن يكون خطاباً لأمة نبينا صلى الله عليه وسلم فيكون اعتراضاً بين القصة كما يفعل الخطيب والواعظ يحكي شيئاً ثم يعظ ثم يعود إلى الحكاية فكأنه لما بيِّن أن بني إسرائيل لما علوا وبغوا في الأرض سلّط عليهم قوماً ثم لما تابوا قبل توبتهم وأظفرهم على عدوهم خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع إحسانه وإليه ومن أساء عاد ضرره إليه ترغيباً وترهيباً. { فإذا جاء وعد الآخرة } أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين والمراد به جاء وعد الجزاء على الفساد في الأرض في المرة الأخيرة أو جاء وعد فسادكم في الأرض في المرة الأخيرة أي الوقت الذي يكون فيه ما أخبر الله عنكم من الفساد والعدوان على العباد. { ليسوؤوا وجوهكم } أي غزاكم أعداؤكم وغلبوكم ودخلوا دياركم ليسوؤوكم بالقتل

والأسر يقال سئته أسوءه مساءة ومسائية وسوائية إذا أحزنته وقيل معناه ليسؤوا كبراءكم ورؤساءكم وفي مساءة الأكابر وإهانتهم مساءة الأصاغر. { وليدخلوا المسجد } أي بيت المقدس ونواحيه فكنّى بالمسجد وهو المسجد الأقصى عن البلد كما كنّى بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء: { كما دخلوه أول مرة } دلَّ بهذا على أن في المرة الأولى قد دخلوا المسجد أيضاً وإن لم يذكر ذلك ومعناه وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مرة: { وليتبروا ما علوا تتبيراً } أي وليدمّروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً ويجوز أن يكون ما مع الفعل بتأويل المصدر والمضاف محذوف أي ليتبروا مدة علوهم. { عسى ربكم } يا بني إسرائيل: { أن يرحمكم } بعد انتقامه منكم إن تبتم ورجعتم إلى طاعته: { وإن عدتم عدنا } معناه وإن عدتم إلى الفساد عدنا بكم إلى العقاب لكم والتسليط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال إنهم عادوا بعد الأولى والثانية فسلّط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة: { وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً } أي سجنا ومحبساً عن ابن عباس. القصة: اختلف المفسرون في القصة عن هاتين الكرتين اختلافاً شديداً فالأولى أن نورد من جملتها ما هو الأهم على سبيل الإيجاز. قالوا لما عتا بنو إسرائيل في المرة الأولى فسلّط الله عليهم ملك فارس، وقيل بختنصر، وقيل ملكاً من ملوك بابل، فخرج إليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس، وقيل إن بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب وكان من جيش نمرود وكان لزانية لا أب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد وأحرق التوراة وألقى الجيف في المسجد وقتل على دم يحيى سبعين ألفاً وسبى ذراريهم وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى سبعين ألفاً وذهب بهم إلى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه وتعالى فردَّهم إلى بيت المقدس فأقاموا به مائة سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة، ثم عادوا إلى الفساد والمعاصي فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه أنطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله وقيل غزاهم ملك الرومية وسباهم عن حذيفة. وقال محمد بن إسحاق كان بنو إسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الأحداث والله يتجاوز عنهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أن الله تعالى بعث إليهم شعيا قبل مبعث زكريا، وشعيا هو الذي بشَّر بعيسى (ع) وبمحمد صلى الله عليه وسلم وكان لبني إسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدده فمرض الملك وجاء سنحاريب إلى باب بيت المقدس بستمائة ألف راية فدعا الله سبحانه شعيا فبرأ الملك ومات جمع سنحاريب ولم ينج منهم إلا خمس نفر منهم سنحاريب فهرب وأرسلوا خلفه من أخذه ثم أمر سبحانه بإطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فأطلقوه وهلك سنحاريب بعد ذلك بسبع سنين واستخلف بخت نصر ابن ابنه فلبث سبع عشرة سنة وهلك ملك بني إسرائيل ومرج أمرهم وتنافسوا في الملك فقتل بعضهم بعضاً فقام شعيا فيهم خطيباً ووعظهم بعظات بليغة وأمرهم ونهاهم فهمُّوا بقتله فهرب ودخل شجرة فقطعوا الشجرة بالمنشار فبعث الله إليهم أرميا من سبط هارون ثم خرج من بينهم لما رأى من أمرهم ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وفعل ما فعل ثم رجع إلى بابل بسبايا بني إسرائيل وكانت هذه الدفعة الأولى. وقيل أيضاً إن سبب ذلك كان

قتل يحيى بن زكريا وذلك أن ملك بني إسرائيل أراد أن يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى وبلغ أمها فحقدت عليه وبعثته على قتله وقيل إنه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلي حتى قتل بخت نصر منهم سبعين ألفاً أو اثنين وسبعين ألفاً ثم سكن الدم وذكر الجميع أن يحيى بن زكريا هو المقتول في الفساد الثاني. قال مقاتل كان بين الفساد الأول والثاني مائتا سنة وعشر سنين وقيل إنما غزا بني إسرائيل في المرة الأولى بخت نصر وفي المرة الثانية ملوك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائة وثمانين ألفاً وخرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خراباً حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي إلا خائفاً وقيل إنما غزاهم في المرة الأولى جالوت وفي الثانية بخت نصر والله أعلم". انتهى.

٢- التبيان الجامع لعلوم القرآن

وقال شيخ الطائفة الشيعية أبو جعفر بن محمد الطوسي، أن:" القضاء على أربعة أقسام: بمعنى الخلق والاحداث، كما قال { فقضاهن سبع سماوات } وبمعنى فصل الحكم كقوله { والله يقضي بالحق } وبمعنى الأمر كقوله { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه } وبمعنى الإخبار كقوله { وقضينا إلى بني إسرائيل } أي اخبرناهم واعلمناهم بما يكون من الامر المذكور، من انهم سيفسدون في الارض مرتين، ويعلون علواً كبيراً، اي عظيماً اي يتجبرون على عباد الله. قال ابن عباس وقتادة: المبعوث عليهم في المرة الاولى جالوت الى ان قتله داود، وكان ملكهم طالوت. وقال سعيد ابن المسيب: هو بخت نصر، وقال سعيد بن جبير: هو سنحاريب وقال الحسن: هم العمالقة، وكانوا كفاراً. والفساد الذي ذكره: هو قتلهم الناس ظلماً وتغلبهم على اموالهم قهراً واخراب ديارهم بغيا. والآية تدل على ان قضاء الله بالمعاصي هو اخباره انها تكون. وقوله { فلما جاء وعد أولاهما } يعني وقت فناء آجالهم ووقت عقوباتهم. والوعد هو الموعود به - ها هنا - ووضع المصدر موضع المفعول به. وقوله { بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد } قيل في معنى { بعثنا } قولان: احدهما - قال الحسن: انا خلّينا بينهم وبينكم، خاذلين لكم، جزاء على كفركم، ومعاصيكم، كما قال:{ أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّاً } الثاني - قال ابو علي: امرناهم بقتالكم. وقوله { فجاسوا خلال الديار } اي تردّدوا وتخللوا بين الدور، يقال: جست أجوس جوساً وجوساناً، قال حسان:

ومنا الذي لاقى بسيف محمد   فجاس به الاعداء عرض العساكر

معناه تخللهم قتلا بسيفه، وقيل: الجوس طلب الشيء باستقصاء. وقوله { وكان وعداً مفعولاً } أي كائناً لا محالة على ما أخبرنا به، ثم قال لهم { رددنا لكم الكرة عليهم } يعني الرجعة والنصرة عليهم { وأمددناكم بأموال وبنين } أي أعناكم وكثرناكم { وجعلناكم أكثر نفيراً } اي اكثر انصاراً، ونصبه على التمييز، قال الزجاج: يجوز أن يكون { نفيراً } جمع نفير كعبيد

وضنين ومعين. قال الفراء: زعموا أن رجلاً من همدان بعثه الله على بخت نصر، فقتله وعاد الملك إلى بني إسرائيل فعاشوا". وأضاف أيضاً قائلاً: "يقول الله تعالى لخلقه من المكلفين { إن أحسنتم } اي فعلتم الافعال الحسنة من الإنعام الى الغير، والافعال الجميلة التي هي طاعة { أحسنتم لأنفسكم } ، لان ثواب ذلك، واصل اليكم { وإن أسأتم } إلى الغير وظلمتموه { أسأتم } لانفسكم لأن وبال ذلك وعقابه واصل اليكم، وإنما قال { فلها } ليقابل قوله { أحسنتم لأنفسكم } والمعنى ان اسأتم فإليها، كما يقال: احسن إلى نفسه ليقابل اساء الى نفسه، على ان حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض اذا تقاربت معانيها، قال تعالى{ بأن ربك أوحى لها }. والمعنى اوحى اليها. ومعنى انت في منتهى الاساءة، وانت المختص بالاساءة، متقارب. { فإذا جاء وعد الآخرة } يعني وعد المرة الآخرة { ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد } يعني المبعوثين عليكم { كما دخلوه } في المرة الاولى يعنى غيرهم، لان هؤلاء بأعيانهم لم يدخلوها في الدفعة الاولى { وليتبروا ما علوا تتبيراً } فالتبار والهلاك، والدمار واحد، وكل ما انكسر من الزجاج والحديد والذهب تبر. ومعنى { ما علوا تتبيراً } ما غلبوا عليه، وجواب (اذا) محذوف وتقديره: فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم. وقيل: بعثناهم ليسؤوا". أنتهى.

٣- الميزان في تفسير القرآن

وقال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره لتلك الآيات القرآنية، أن:" قوله تعالى: { وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً } قال الراغب في المفردات: القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً، وكل واحد منهما على وجهين: إلهي وبشري فمن القول الإلهي قوله: { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه } أي أمر بذلك، وقال: { وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب } فهذا قضاء بالاعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جزماً وعلى هذا " وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع ". ومن الفعل الإلهي قوله: { والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء }. وقوله: { فقضاهن سبع سماوات في يومين} إشارة إلى إيجاده الإبداعي والفراغ منه نحو:{بديع السماوات والأرض}. قال: ومن القول البشري نحو قضى الحاكم بكذا فإن حكم الحاكم يكون بالقول، ومن الفعل البشري { فإذا قضيتم مناسككم } { ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم } انتهى موضع الحاجة. والعلو هو الارتفاع وهو في الآية كناية عن الطغيان بالظلم والتعدي ويشهد بذلك عطفه على الإفساد عطف التفسير، وفي هذا المعنى قوله: { إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً }. ومعنى الآية وأخبرنا وأعلمنا بني إسرائيل إخباراً قاطعاً في الكتاب وهو التوراة: أقسم وأحق هذا القول أنكم شعب إسرائيل ستفسدون في الأرض وهي أرض فلسطين وما يتبعها مرتين مرة بعد مرة وتعلون علواً كبيراً وتطغون طغياناً عظيماً. قوله تعالى: { فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا } الخ، قال الراغب: البؤس والبأس والبأساء الشدة والمكروه إلا

أن البؤس في الفقر والحرب أكثر والبأس والبأساء في النكاية نحو والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً. انتهى موضع الحاجة. وفي المجمع: الجوس التخلل في الديار يقال: تركت فلان يجوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم أي يطؤهم، قال أبو عبيد: كل موضع خالطته ووطأته فقد حسته وجسته قال: وقيل: الجوس طلب الشيء باستقصاء. (انتهى). وقال ايضاً": وقوله: { فإذا جاء وعد أولاهما } تفريع على قوله: { لتفسدن } الخ، وضمير التثنية راجع إلى المرتين وهما الإفسادتان فالمراد بها الإفسادة الأولى، والمراد بوعد أولاهما ما وعدهم الله من النكال والنقمة على إفسادهم فالوعد بمعنى الموعود، ومجيء الوعد كناية عن وقت إنجازه، ويدل ذلك على أنه وعدهم على إفسادهم مرتين وعدين ولم يذكرا إنجازاً فكأنه قيل: لتفسدن في الأرض مرتين ونحن نعدكم الانتقام على كل منهما فإذا جاء وعد المرة الأولى " الخ " كل ذلك معونة السياق. وقوله: { بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد } أي انهضناهم وأرسلناهم إليكم ليذلوكم وينتقموا منكم، والدليل على كون البعث للانتقام والإذلال قوله: { أولي بأس شديد } الخ. ولا ضير في عد مجيئهم إلى بني إسرائيل مع ما كان فيه من القتل الذريع والأسر والسبي والنهب والتخريب بعثاً إلهياً لأنه كان على سبيل المجازاة على إفسادهم في الأرض وعلوهم وبغيهم بغير الحق، فما ظلمهم الله ببعث أعدائهم وتأييدهم عليهم ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم. وبذلك يظهر أن لا دليل من الكلام يدل على قول من قال: إن المراد بقوله: { بعثنا عليكم } " الخ " أمرنا قوماً مؤمنين بقتالكم وجهادكم لاقتضاء ظاهر قوله: { بعثنا } قوله { عباداً } ذلك، وذلك لما عرفت أن عد ذلك بعثاً إلهياً لا مانع فيه بعد ما كان على سبيل المجازاة، وكذا لا مانع من عد الكفار عباداً لله مع ما تعقبه من قوله: { أولي بأس شديد }. ونظيره قول من قال: يجوز أن يكون هؤلاء المبعوثون مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء، ويجوز أن يكونوا كفاراً فتألفهم نبي من الأنبياء لحرب هؤلاء وسلطهم على أمثالهم من الكفار والفسّاق، ويرد عليه نظير ما يرد على سابقه. وقوله: { وكان وعداً مفعولاً } تأكيد لكون القضاء حتماً لازماً والمعنى فإذا جاء وقت الوعد الذي وعدناه على المرة الأولى من إفسادكم مرتين بعثنا وأنهضنا عليكم من الناس عباداً لنا أولي بأس وشدة شديدة فدخلوا بالقهر والغلبة أرضكم وتوسطوا في دياركم فأذلوكم واذهبوا استقلالكم وعلوكم وسؤددكم وكان وعداً مفعولاً لا محيص عنه. قوله تعالى: { ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً } قال في المجمع: الكرة معناه الرجعة والدولة، والنفير العدد من الرجال قال الزجاج: ويجوز أن يكون جمع نفر كما قيل: العبيد والضئين والمعيز والكليب، ونفر الإنسان ونفره ونفيره ونافرته رهطه الذين ينصرونه وينفرون معه (انتهى). ومعنى الآية ظاهر، وظاهرها أن بني إسرائيل ستعود الدولة لهم على أعدائهم بعد وعد المرة الأولى فيغلبونهم ويقهرونهم ويتخلصون من استعبادهم واسترقاقهم وأن هذه الدولة سترجع إليهم تدريجاً في برهة معتد بها من الزمان كما هو لازم إمدادهم بأموال وبنين وجعلهم أكثر نفيراً. وفي قوله في الآية التالية: { إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها } اشعار بل دلالة بمعونة السياق إن هذه الواقعة وهي رد الكرة لبني إسرائيل على أعدائهم إنما كانت لرجوعهم إلى الإحسان بعد ما ذاقوا وبال إساءتهم قبل ذلك كما أن إنجاز وعد الآخرة إنما كان

لرجوعهم ثانياً إلى الإساءة بعد رجوعهم هذا إلى الإحسان". وأضاف أيضاً قائلاً:" قوله تعالى: { فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا } التتبير الإهلاك من التبار بمعنى الهلاك والدمار. وقوله: { ليسوؤا وجوهكم } من المساءة يقال: ساء زيد فلاناً إذا أحزنه وهو على ما قيل متعلق بفعل مقدر محذوف للإيجاز، واللام للغاية والتقدير بعثناهم ليسوؤا وجوهكم بظهور الحزن والكآبة فيها وبدو آثار الذلة والمسكنة وصغار الاستعباد عليها بما يرتكبونه فيكم من القتل الذريع والسبي والنهب. وقوله: { وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة } المراد بالمسجد هو المسجد الأقصى - بيت المقدس - ولا يعبؤ بما ذكره بعضهم أن المراد به جميع الأرض المقدسة مجازاً، وفي الكلام دلالة أولاً أنهم في وعد المرة الأولى أيضاً دخلوا المسجد عنوة وإنما لم يذكر قبلاً للإيجاز، وثانياً أن دخولهم المسجد إنما كان للهتك والتخريب، وثالثاً يشعر الكلام بأن هؤلاء المهاجمين المبعوثين لمجازاة بني إسرائيل والانتقام منهم هم الذين بعثوا عليهم أولاً. وقوله: { وليتبروا ما علوا تتبيرا } أي ليهلكوا الذي غلبوا عليه إهلاكاً فيقتلوا النفوس ويحرقوا الأموال ويهدموا الأبنية ويخربوا البلاد، واحتمل أن يكون ما مصدرية بحذف مضاف وتقدير الكلام: وليتبروا مدة علوهم تتبيرا، والمعنى الأول أقرب إلى الفهم وأوفق بالسياق. والمقايسة بين الوعدين أعني قوله: { بعثنا عليكم عباداً لنا } الخ وقولة: { ليسوؤا وجوهكم } الخ يعطي أن الثاني كان أشد على بني إسرائيل وأمر وقد كادوا أن يفنوا ويبيدوا فيه عن آخرهم وكفى في ذلك قوله تعالى: { وليتبروا ما علوا تتبيرا }. والمعنى فإذا جاء وعد المرة الآخرة وهي الثانية من الإفسادتين بعثناهم ليسوؤا وجوهكم بظهور الحزن والكآبة وبدو الذلة والمسكنة وليدخلوا المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة وليهلكوا الذي غلبوا عليه ويفنوا الذي مروا عليه إهلاكاً وإفناء. قوله تعالى: { عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً } الحصير من الحصر وهو - على ما ذكروه - التضييق والحبس قال تعالى: { واحصروهم } [التوبة: ٥] أي ضيقوا عليهم. وقوله: { عسى ربكم أن يرحمكم } أي بعد البعث الثاني على ما يفيده السياق وهو ترج للرحمة على تقدير أن يتوبوا ويرجعوا إلى الطاعة والإحسان بدليل قوله: { وإن تعودوا نعد } أي وإن تعودوا إلى الإفساد والعلو، بعد ما رجعتم عنه ورحمكم ربكم نعد إلى العقوبة والنكال، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ومكاناً حابساً لا يستطيعون منه خروجاً. وفي قوله: { عسى ربكم أن يرحمكم } التفات من التكلم مع الغير إلى الغيبة وكأن الوجه فيه الإشارة إلى أن الأصل الذي يقتضيه ربوبيته تعالى أن يرحم عباده أن جروا على ما يقتضيه خلقتهم ويرشد إليه فطرتهم إلا أن ينحرفوا عن خط الخلقة ويخرجوا عن صراط الفطرة، والإيماء إلى هذه النكتة يوجب ذكر وصف الرب فاحتاج السياق أن يتغير عن التكلم مع الغير إلى الغيبة ثم لما استوفيت النكتة بقوله: { عسى ربكم أن يرحمكم } عاد الكلام إلى ما كان عليه". وأضاف كذلك قائلاً :" وأما أصل القصة التي تتضمنها الآيات الكريمة فقد اختلفت الروايات فيها اختلافاً عجيباً يسلب عنها التعويل، ولذلك تركنا إيرادها ها هنا من أرادها فليراجع جوامع الحديث من العامة والخاصة. وقد نزل على بني إسرائيل منذ استقلوا بالملك والسؤدد نوازل هامة كثيرة فوق اثنتين - على ما يضبطه تاريخهم - يمكن أن ينطبق ما

تضمنته هذه الآيات على اثنتين منها لكن الذي هو كالمسلم عندهم أن إحدى هاتين النكايتين اللتين تشير إليهما الآيات هي ما جرى عليهم بيد بخت نصر (نبو كد نصر) من ملوك بابل قبل الميلاد بستة قرون تقريباً. وكان ملكاً ذا قوة وشوكة من جبابرة عهده، وكان يحمي بني إسرائيل فعصوه وتمردوا عليه فسار إليهم بجيوش لا قبل لهم بها وحاصر بلادهم ثم فتحها عنوة فخرب البلاد وهدم المسجد الأقصى وأحرق التوراة وكتب الأنبياء وأباد النفوس بالقتل العام ولم يبق منهم إلا شرذمة قليلة من النساء والذراري وضعفاء الرجال فأسرهم وسيرهم معه إلى بابل فلم يزالوا هناك لا يحميهم حام ولا يدفع عنهم دافع طول زمن حياة بخت نصر وبعده زماناً طويلاً حتى قصد الكسرى كورش أحد ملوك الفرس العظام بابل وفتحه تلطف على الأسرى من بني إسرائيل وأذن لهم في الرجوع إلى الأرض المقدسة، وأعانهم على تعمير الهيكل - المسجد الأقصى - وتجديد الأبنية وأجاز لعزراء أحد كهنتهم أن يكتب لهم التوراة وذلك في نيف وخمسين وأربعمائة سنة قبل الميلاد. والذي يظهر من تاريخ اليهود أن المبعوث أولاً لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر وبقي خراباً سبعين سنة، والمبعوث ثانياً هو قيصر الروم إسبيانوس سير إليهم وزيره طوطوز فخرب البيت وأذل القوم قبل الميلاد بقرن تقريباً. وليس من البعيد أن يكون الحادثتان هما المرادتان في الآيات فإن الحوادث الأخرى لم تفن جمعهم ولم تذهب بملكهم واستقلالهم بالمرة لكن نازلة بخت نصر ذهب بجميعهم وسؤددهم إلى زمن كورش ثم اجتمع شملهم بعده برهة ثم غلب عليهم الروم وأذهبت بقوتهم و شوكتهم فلم يزالوا على ذلك إلى زمن ظهور الإسلام. ولا يبعده إلا ما تقدمت الإشارة إليه في تفسير الآيات أن فيها إشعاراً بأن المبعوث إلى بني إسرائيل في المرة الأولى والثانية قوم بأعيانهم وأن قوله: { ثم رددنا لكم الكرة عليهم } مشعر بأن الكرة من بني إسرائيل على القوم المبعوثين عليهم أولاً، وأن قوله: { فإذا كان وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم } مشعر برجوع ضمير الجمع إلى ما تقدم من قوله: { عباداً لنا }. لكنه إشعار من غير دلالة ظاهرة لجواز أن يكون المراد كرة من غير بني إسرائيل على أعدائهم وهم ينتفعون بها وأن يكون ضمير الجمع عائداً إلى ما يدل عليه الكلام بسياقة من غير إيجاب السياق أن يكون المبعوثون ثانياً هم المبعوثين أولاً". أنتهى.

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

وقال آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره، أنه:" بعد هذه الإشارة تدخل الآيات إلى تاريخ بني إسرائيل المليء بالأحداث، فتقول: وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا. كلمة " قضاء " لها عدة معان، إلا أنها استخدمت هنا بمعنى " إعلام " أما المقصود من " الأرض " في الآية - بقرينة الآيات الأخرى هي ارض فلسطين المقدسة التي يقع المسجد الأقصى المبارك في ربوعها. الآية التي تليها تفصل ما أجملته من إشارة إلى الإفسادين الكبيرين لبني إسرائيل والحوادث التي تلي ذلك على أنها عقوبة

إلهية فتقول: فإذا جاء وعد أولاهما وارتكبتم ألوان الفساد والظلم والعدوان بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد. وهؤلاء القوم المحاربون الشجعان يدخلون دياركم للبحث عنكم: فجاسوا خلال الديار. وهذا الأمر لا مناص منه: وكان وعدا مفعولا. ثم تشير بعد ذلك إلى أن الإلطاف الإلهية ستعود لتشملكم، وسوف تعينكم في النصر على أعدائكم، فتقول: ثم رددنا لكم الكرة عليكم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. وهذه المنة واللطف الإلهي بكم على أمل أن تعودوا إلى أنفسكم وتصلحوا أعمالكم وتتركوا القبائح والذنوب لأنه: إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها. إن الآية تعبر عن سنة ثابتة، إذ أن محصلة ما يعمله الإنسان من سوء أو خير تعود إليه نفسه، فالإنسان عندما يلحق أذى أو سوءا بالآخرين، فهو في الواقع يلحقه بنفسه، وإذا عمل للآخرين، فإنما فعل الخير لنفسه، أما بنو إسرائيل، فهم مع الأسف لم توقظهم العقوبة الأولى، ولا نبهتهم عودة النعم الإلهية مجددا، بل تحركوا باتجاه الإفساد الثاني في الأرض وسلكوا طريق الظلم والجور والغرور والتكبر. تقول الآية في وصف المشهد الثاني أنه حين يحين الوعد الإلهي سوف تغطيكم جحافل من المحاربين ويحيق بكم البلاء إلى درجة أن آثار الحزن والغم تظهر على وجوهكم: فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم. بل ويأخذون منكم حتى بيت المقدس: وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة. وهم لا يكتفون بذلك، بل سيحتلون جميع بلادكم ويدمرونها عن آخرها: وليتبروا ما علوا تتبيرا وفي هذه الحالة فإن أبواب التوبة الإلهية مفتوحة: عسى ربكم أن يرحمكم. وإن عدتم عدنا أي إن عدتم لنا بالتوبة فسوف نعود عليكم بالرحمة، وإن عدتم للإفساد عدنا عليكم بالعقوبة. وإذا كان هذا جزاؤكم في الدنيا ففي الآخرة مصيركم جهنم: وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا". انتهى.

٥- الصافي في تفسير كلام الله الوافي

وقال المولى محمد محسن بن مرتضى الملقب بالفيض الكاشاني في تفسيره أنه:" { (٤) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ } وأوحينا إليهم وحياً مقضيّاً مبتوتاً { فِي الْكِتَابِ } في التّوراة { لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ } افسادتين { وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً }. { (٥) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَـٰهُمَا } وعد عقاب أوليهما { بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا }. في الجوامع عن عليّ عليه السلام أنه قرأ عَبيداً لنا { أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ } ذوي قوّة وبطش في الحرب شديدٍ { فَجَاسُوا } تردّدوا لطلبكم { خِلاَلَ الدِّيَار } وسطها للقتل والغارة والسّبي { وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً } وكان وعد عقابهم لا بدّ أن يفعل. { (٦) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّة } الدولة والغلبة { عَلَيْهِمْ } على الذين بعثوا عليكم { وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً } ممّا كنتم والنّفير من ينفر مع الرّجل من قومه والمجتمعُون للذهاب إلى العدوّ. {(٧)إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ } لأنّ ثوابه لها { وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} فانّ وبالها عليها".
وأضاف أيضاً:" في الجوامع عن عليّ عليه السلام ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلا الآية قيل وإنّما ذكر باللام ازدواجاً. وفي العيون عن الرّضا عليه السلام وان أسأتم فلها ربّ يغفر

{ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخِرَةِ } وعقد عقوبة المرّة الآخرة { لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ } بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولاً عليه وقرىء ليسوء على التوحيد أي الوعد أو البعث وبالنّون { وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا } وليهلكوا { مَا عَلَوْا } ما غلبوه واستولوا عليه أو مدّة علوّهم { تَتْبِيراً }. { (٨) عَسَى رَبُّكُمْ أن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ } نوبة أخرى { عُدْنَا } مرّة ثالثة إلى عقوبتكم { وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً } محبساً لا يقدرون الخروج منها أبداً والعامّة فسّروا الافسادتين بقتل زكريّا ويحيى والعلّو الكبير باستكبارهم عن طاعة الله وظلمهم الناس والعباد أولي بأس بخت نصر وجنوده وردّ الكرة عليهم بردّبَهْمَنْ بن اسفنديار اسراءهم إلى الشام وتمليكه دانيال عليهم ووعده الآخرة بتسليط الله الفرس عليهم مرّة أخرى". انتهى.

٦- بيان السعادة في مقامات العبادة

وقال السلطان محمد الجنابذي الملقب بسلطان علي شاه في تفسيره:"{وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ} أي اخبرنا بنى اسرائيل بقضائنا { فِي ٱلْكِتَابِ } التّوراة او اخبار النّبوّة { لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا } وعد عقاب اوليهما { بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ } تنزيل الآية في بنى اسرائيل ومرّتي الافساد بقتل زكريّا (ع) وبقتل يحيى (ع)، والعلوّ الكبير استكبارهم وطغيانهم وخروجهم عن طاعة الانبياء (ع)، والعقوبة الاولى كانت على يد بختنصّر وجنوده وردّ الكرّة عليهم بردّ بهمن بن اسفنديار اساريهم وتمليكه دانيال عليهم وتبسّطهم فى البلاد وتسلّطهم على العباد ثانياً، والعقوبة الثّانية كانت بتسليط الفرس عليهم مرّة اخرى، كذا قيل، وعلى هذا فقوله عباداً لنا اولى بأسٍ شديد بختنصّر وجنوده { فَجَاسُواْ خِلاَلَ ٱلدِّيَارِ } تجسّسوا وتفحّصوا المواضع الخفيّة من دياركم للقتل والاسر والنّهب { وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً } حتماً". انتهى.

تحليل الآية

يعمد بعض العلماء والشيوخ من المسلمين بتضليل القارئ المسلم من خلال اقتطاع نصوص الآيات أو تجزئتها. فهم كمن يقرأ الآية (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاة) دون أي يكمل بقية المقطع الثاني من الآية (وَأَنْتُمْ سُكَارَى). لذلك ولسبب رغبتي بتوضيح الأمور المبهمة التي لها علاقة بتفسير الآيات آنفة الذكر، فقد طرحت عدة أسئلة ربما كانت تراود فكر القارئ الكريم. وقد أجبت عليها مستعيناً بما كتبه رجال التفسير من علماء الشيعة الإمامية الإثناعشرية.

• هل سبق كتاب سماوي القرآن في التنبؤ بفساد بني إسرائيل لمرتين متتاليتين، وما أعقبه من أحداث تاريخية بعد ذلك؟ وما هو ذلك الكتاب السماوي؟ وهل القرآن اعترف أنها كانت موجودة أصلاً في ذلك الكتاب؟

الإجابة على هذه الأسئلة هي:

• نعم، فكُتُب الأنبياء - (التوراة) كما يسميها رجال التفسير- و يقصد بذلك الكتاب المقدس، قد تنبأ عن تلك الأحداث وما تلاها من أحداث تراجيدية قد أحاطت باليهود في يهوذا والسامرة. و كان من ضمن تلك الأحداث الدامية دمار هيكل سليمان في أورشليم القدس (القدس الشريف) لمرتين متتاليتين. ونتيجة لذلك تشتت اليهود في أصقاع المعمورة. وقد أقر القرآن أن الله قد أخبر وأعلم بذلك اليهود مسبقاً(علم الغيب) في التوراة - الكتاب المقدس - التي يسميها القرآن بـ "الكتاب"، وذلك بنحو ٦٠٠ سنة قبل تحقق تلك النبوءات. وقد تحققت تلك النبوءات فعلاً بتمامها قبل مجيء الإسلام بأكثر من خمسة قرون. فتفاصيل أحداثها موجودة أصلاً في الكتاب المقدس باعتراف القرآن نفسه. فان بني إسرائيل لم يكونوا فقط على علم ودراية بتلك الأحداث، بل أنهم أيضاً كانوا شهود عيان في تحقق ما تنبأ به الانبياء اليهودي عنهم. فقد عاصروا وجربوا بكل مرارة قساوة وآلام السبي والقتل والتشرد والجوع ودمار بيوتهم و معابدهم، وعلى رأسها هيكل النبي سليمان، الذي تم تدميره وحرقة حتى لم يبقى له أثر البته. وإن كان هنالك ثمة إخبار بالغيب عن أمور ستجري في المستقبل المنظور أو البعيد لمنطقة أورشليم القدس، فالفضل اذن ينبغي أن يعود للأنبياء اليهود، الذين دونوا الوحي الإلهي في الكتاب المقدس، لا إلى كاتب القرآن الذي اقتبس مما كان فيه، ومنها بالطبع هذه الحوادث التاريخية.

• ما المقصود بالآية " وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْن وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا"؟ حسبما فهمه العلماء من المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية.

الإجابة على هذا السؤال، هو:

- أي أخبرناهم وأعلمناهم {في الكتاب} أي في التوراة: {لتفسدن في الأرض مرتين} أي حقاً لا شك فيه أن خلافكم سيفسدون في البلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس. (الطبرسي).
- بمعنى الإخبار كقوله { وقضينا إلى بني إسرائيل } اي اخبرناهم واعلمناهم بما يكون من الامر المذكور، من انهم سيفسدون في الارض مرتين، ويعلون علواً كبيراً، اي عظيماً اي يتجبرون على عباد الله. (الطوسي).
- أخبرنا وأعلمنا بني إسرائيل إخباراً قاطعاً في الكتاب وهو التوراة: أقسم وأحق هذا القول أنكم شعب إســـرائيل ستفسـدون في الأرض وهي أرض فلسـطين وما يتبعها مرتين مـرة بعد مرة

وتعلون علواً كبيراً وتطغون طغياناً عظيماً. (الطباطبائي).

- **أي اخبرنا بنى اسرائيل بقضائنا {فِي ٱلْكِتَابِ} التّوراة او اخبار النّبوّة{ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً}. (الجنابذي).**
- **{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} وأوحينا إليهم وحياً مقضيّاً مبتوتاً {فِي الْكِتَابِ} في التّوراة { لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ } افسادتين { وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً }. (الفيض الكاشاني).**
- **{ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب } فهذا قضاء بالاعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جزماً. (الطباطبائي).**

ج- ما المقصود بالآية " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا"؟ حسبما فهمها أغلب المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية.

الإجابة على هذا السؤال: كان من السهل جداً على المفسرين المسلمين لو رجعوا للوحي الإلهي الذي دونه الأنبياء اليهود في الكتاب المقدس، إذن لعرفوا الإجابة الصحيحة فوراً. لكنهم فضلوا الظلمة على النور، فجاءت تفسيراتهم لهذه الآية في غير محلها. إذ كان أغلبها يخالف الأحداث التاريخية الموثقة. وقد أدرك ذلك التخبط آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي، فقال:" وأما أصل القصة التي تتضمنها الآيات الكريمة فقد اختلفت الروايات فيها اختلافاً عجيباً يسلب عنها التعويل، ولذلك تركنا إيرادها ها هنا، من أرادها فليراجع جوامع الحديث من العامة والخاصة". لذا لا يمكننا التعويل على تفسيراتهم أيضاً، فقد قالوا العجب العجاب، مثل:

- **كان قتل يحيى بن زكريا وذلك أن ملك بني إسرائيل أراد أن يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى وبلغ أمها فحقدت عليه وبعثته على قتله وقيل إنه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلي حتى قتل بخت نصر منهم سبعين ألفاً أو اثنين وسبعين ألفاً ثم سكن الدم وذكر الجميع أن يحيى بن زكريا هو المقتول في الفساد الثاني.**
- **فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه أنطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله وقيل غزاهم ملك الرومية وسباهم.**
- **ملوك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائة وثمانين ألفاً وخرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خراباً حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي إلا خائفاً وقيل إنما غزاهم في المرة الأولى جالوت وفي الثانية بخت نصر والله أعلم.**
- **المبعوث إلى بني إسرائيل في المرة الأولى والثانية قوم بأعيانهم.**
- **جحافل من المحاربين ويحيق بكم البلاء إلى درجة أن آثار الحزن والغم تظهر على وجوهكم:**

فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم. بل ويأخذون منكم حتى بيت المقدس: وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة. وهم لا يكتفون بذلك، بل سيحتلون جميع بلادكم ويدمرونها عن آخرها.

- **وعده الآخرة بتسليط الله الفرس عليهم مرّة أخرى.**

✓ غلب عليهم الروم وأذهبت بقوتهم و شوكتهم فلم يزالوا على ذلك إلى زمن ظهور الإسلام(١). (هي الإجابة الصحيحة) الرجاء مراجعة الصفحات ١٣٣ وما يليها لمعرفة تفاصيل أحداث تدمير هيكل سليمان وما حل باليهود.

أستطيع القول بالمختصر المفيد أن القرآن كان يسرد قصة لأحداث تاريخية قد وقعت في الماضي البعيد. و كانت تلك فيما مضى نبوءات قد تنبأ بها أنبياء العهد القديم، والسيد المسيح أيضاً. فقد تحققت هذه النبوءات بأكثر من خمسة قرون قبل مجيء الإسلام. وقد أقر آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي(٢) بأن تلك كانت مجرد قصة – وليس من علم الغيب– حيث قال:" وأما أصل القصة التي تتضمنها الآيات الكريمة فقد اختلفت الروايات فيها اختلافاً عجيباً يسلب عنها التعويل".

١- الميزان في تفسير القرآن - آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي- تفسير الآيات من ١ إلى ٨ من سورة الإسراء.

٢- الميزان في تفسير القرآن - آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي- تفسير الآيات من ١ إلى ٨ من سورة الإسراء.

ولإعطاء المزيد من التوضيح للقارئ الكريم، فقد سردت أدناه أصل تلك النبوءات المتعلقة بالإفسادين الذي اقترفهما بنو إسرائيل، وكيف عاقبهم الله سبحانه. ويرجع تاريخ أقدم نبوءة عن تلكما الإفسادين إلى نحو ١٢٠٠ سنة قبل مجيء الإسلام، أو ٦٠٠ سنة قبل الميلاد. وقد ذكر القس عبد المسيح بسيط أبو الخير(١) أنه:" تنبأ أرميا النبي(٢) أن الله سيعاقب بنى إسرائيل بسبب خطاياهم بالسبي إلى بابل مدة سبعين سنة (لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِكَلاَمِي هَئَنَذَا أُرْسِلُ فَآخُذُ كُلَّ عَشَائِرِ الشِّمَالِ يَقُولُ الرَّبُّ... وَتَصِيرُ كُلُّ هَذِهِ الأَرْضِ خَرَاباً وَدَهَشاً وَتَخْدِمُ هَذِهِ الشُّعُوبُ مَلِكَ بَابِلَ سَبْعِينَ سَنَةً)(٣). وجاء نبوخذ نصر إلى أورشليم لينفذ ما قررته إرادة الله ومشيئته وحاصر أورشليم ثلاث مرات حتى دمرها وأحرق الهيكل. في سنة ٦٠٥ ق.م. أحتل المدينة وسمح للملك يهوياقيم أن يحكم باسمه وكتابع له وخاضع لسلطانه وأخذ بعض كنوز الهيكل وعددا من الفتية (مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ نَسْلِ الْمُلْكِ وَمِنَ الشُّرَفَاءِ)(٤). وكان من ضمنهم دانيال(٥) ورفاقه الفتية الثلاثة. وفى سنة ٥٩٧ ق.م. جاء نبوخذ نصر ثانية وأخذ بقية أواني الهيكل وكنوزه ونقلهم إلى بابل وأخذ الملك يهوياقيم و ١٠,٠٠٠ أمير وضابط ورجل شرطة وجميع الصناع والمهرة ولم يترك في يهوذا إلا مساكين الشعب. وكان من جملة الذين أخذهم حزقيال الكاهن والنبي(٦). وفي سنة ٥٨٦ ق.م. جاء للمرة الثالثة ليعاقب صدقيا الملك على تمرده عليه، فحاصر المدينة ثم كسر الأسوار(وَأَحْرَقَ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ وَكُلَّ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ)(٧)، وبعد أن أحرق المدينة بالكامل قتل أبناء صدقيا الملك وأخر ملوك يهوذا، وقلع عيني صدقيا نفسه وقاده إلى بابل مقيداً بالسلاسل والأغلال(٨)". انتهى.

١- إعجاز الوحى والنبوة في سفر دانيال - القس عبد المسيح بسيط أبو الخير ، صفحة: ٥ وَ٦.

٢- أرميا النبي: اسمه في العبرية: "يرمي يهو" ويعني: الله يعلي ويقيم- ولد حوالي سنة ٦٤٥ ق م، في قرية عناتوت الواقعة على مسافة خمس كيلومترات من الشمال الى شرقي اورشليم.

٣- الآيات:٨–١٢ - الإصحاح الخامس والعشرون ، سفر أرميا النبي: "لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِكَلاَمِي هَئَنَذَا أُرْسِلُ فَآخُذُ كُلَّ عَشَائِرِ الشِّمَالِ يَقُولُ الرَّبُّ وَإِلَى نَبُوخَذْنَصَّرَ عَبْدِي مَلِكِ بَابِلَ وَآتِي بِهِمْ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ وَعَلَى كُلِّ سُكَّانِهَا وَعَلَى كُلِّ هَذِهِ الشُّعُوبِ حَوَالَيْهَا فَأُحَرِّمُهُمْ وَأَجْعَلُهُمْ دَهَشاً وَصَفِيراً وَخِرَباً أَبَدِيَّةً. وَأُبِيدُ مِنْهُمْ صَوْتَ الطَّرَبِ وَصَوْتَ الْفَرَحِ صَوْتَ الْعَرِيسِ وَصَوْتَ الْعَرُوسِ صَوْتَ الأَرْحِيَةِ وَنُورَ السِّرَاجِ. وَتَصِيرُ كُلُّ هَذِهِ الأَرْضِ خَرَاباً وَدَهَشاً وَتَخْدِمُ هَذِهِ الشُّعُوبُ مَلِكَ بَابِلَ سَبْعِينَ سَنَةً".

٤- الآيات:١– ٦ - الإصحاح الأول ، سفر دانيال النبي:" فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ مُلْكِ يَهُويَاقِيمَ مَلِكِ يَهُوذَا ذَهَبَ نَبُوخَذْنَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرَهَا. وَسَلَّمَ الرَّبُّ بِيَدِهِ يَهُويَاقِيمَ مَلِكَ يَهُوذَا مَعَ بَعْضِ آنِيَةِ بَيْتِ اللَّهِ فَجَاءَ بِهَا إِلَى أَرْضِ شِنْعَارَ إِلَى بَيْتِ إِلَهِهِ وَأَدْخَلَ الآنِيَةَ إِلَى خِزَانَةِ بَيْتِ إِلَهِهِ. وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَشْفَنَزَ رَئِيسَ خِصْيَانِهِ بِأَنْ يُحْضِرَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ نَسْلِ الْمُلْكِ وَمِنَ الشُّرَفَاءِ فِتْيَاناً لاَ عَيْبَ فِيهِمْ حِسَانَ الْمَنْظَرِ حَاذِقِينَ فِي كُلِّ حِكْمَةٍ وَعَارِفِينَ مَعْرِفَةً وَذَوِي فَهْمٍ بِالْعِلْمِ وَالَّذِينَ فِيهِمْ قُوَّةٌ عَلَى الْوُقُوفِ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ فَيُعَلِّمُوهُمْ كِتَابَةَ الْكِلْدَانِيِّينَ وَلِسَانَهُمْ. وَعَيَّنَ لَهُمُ الْمَلِكُ وَظِيفَةَ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ مِنْ أَطَايِبِ الْمَلِكِ وَمِنْ خَمْرِ مَشْرُوبِهِ لِتَرْبِيَتِهِمْ ثَلاَثَ سِنِينَ وَعِنْدَ نِهَايَتِهَا يَقِفُونَ أَمَامَ الْمَلِكِ. وَكَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ بَنِي يَهُوذَا: دَانِيآلُ وَحَنَنْيَا وَمِيشَائِيلُ وَعَزَرْيَا".

٥- دانيال النبي: وُلد في أورشليم عام ٦١٨ ق.م وسُبي إلى بابل مثل حزقيال غير أن الأول سُبي في السبي الأول أيام يهوياقيم سنة ٦٠٦ ق.م، والثاني في الغزو الثاني. حُمل إلى بابل وهو شاب، وكان من سبط يهوذا إن لم يكن من البيت الملكي من نسل داود، تعلم الكلدانية مع الثلاثة فتية. يرى البعض أنه عاش حوالي ٨٤ عامًا و توفي سنة٥٣٤ ق.م.

٦- الآيات:١٤– ١٦- الإصحاح الرابع والعشرون ، سفر الملوك الثاني: "وَسَبَى كُلَّ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ الرُّؤَسَاءِ وَجَمِيعَ جَبَابِرَةِ الْبَأْسِ، عَشَرَةَ آلاَفِ مَسْبِيٍّ، وَجَمِيعَ الصُّنَّاعِ وَالأَقْيَانِ. لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلاَّ مَسَاكِينُ شَعْبِ الأَرْضِ. وَسَبَى يَهُويَاكِينَ إِلَى بَابِلَ. وَأُمَّ الْمَلِكِ وَنِسَاءَ الْمَلِكِ وَخِصْيَانَهُ وَأَقْوِيَاءَ الأَرْضِ سَبَاهُمْ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَابِلَ. وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الْبَأْسِ، سَبْعَةُ آلاَفٍ، وَالصُّنَّاعُ وَالأَقْيَانُ أَلْفٌ، وَجَمِيعُ الأَبْطَالِ أَهْلِ الْحَرْبِ، سَبَاهُمْ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى بَابِلَ".

٧- الآيات: ٩ – ١٠ - الإصحاح الخامس والعشرون ، سفر الملوك الثاني: " وَأَحْرَقَ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ. وَكُلَّ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ وَجَمِيعُ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ مُسْتَدِيراً هَدَمَهَا كُلُّ جُيُوشِ الْكِلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ مَعَ رَئِيسِ الشُّرَطِ".

٨- الآية:٧ - الإصحاح الخامس والعشرون - سفر الملوك الثاني: "وَقَتَلُوا بَنِي صِدْقِيَّا أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَقَلَعُوا عَيْنَيْ صِدْقِيَّا وَقَيَّدُوهُ بِسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بَابِلَ".

كان ذلك تفصيل بعض الشي للإفساد الأول الذي اقترفه بني إسرائيل وما نجم عنه من سبي وقتل وجوع وهدم لأورشليم وهيكل الملك سليمان بن داود. أما النبوءات المتعلقة بالإفساد الثاني وما نتج عنه من معاناة و تنكيل كان هذه المرة أنكى وأقسى على اليهود من سابقه. فقد أدت إلى اقصائهم من الأرض المقدسة بشكل تام في سنة ١٣٤م على يد الإمبراطور الرومانى هادريان. وكانت أورشليم قد دمرت وأحرق هيكلها بشكل كامل سنه ٧٠م على يد فسبسيان وولده تيطس الذي تمكن من إبادة نحو مليون يهودي عدا الأسرى. وقد تنبأ دانيال النبي[١] عن ذلك فقال:" فِي ابْتِدَاءِ تَضَرُّعَاتِكَ خَرَجَ الأَمْرُ وَأَنَا جِئْتُ لِأُخْبِرَكَ لأَنَّكَ أَنْتَ مَحْبُوبٌ. فَتَأَمَّل الْكَلاَمَ وَافهَمِ الرُّؤْيَا. سَبْعُونَ أُسْبُوعاً قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيل الْمَعْصِيَةِ وَتَتْمِيمِ الْخَطَايَا وَلِكَفَّارَةِ الإِثْمِ وَلِيُؤْتَى بالْبِرِّ الأَبَدِيِّ وَلِخَتْمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوَّةِ وَلِمَسْحِ قُدُّوس الْقُدُّوسِينَ. فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبَنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعاً يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الأَزْمِنَةِ. وَبَعْدَ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ أُسْبُوعاً يُقْطَعُ الْمَسِيحُ وَلَيْسَ لَهُ وَشَعْبُ رَئِيسٍ آتٍ يُخْرِبُ الْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ وَانْتِهَاؤُهُ بِغَمَارَةٍ وَإِلَى النِّهَايَةِ حَرْبٌ وَخِرَبٌ قُضِيَ بِهَا. وَيُثَبِّتُ عَهْداً مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ وَفِي وَسَطِ الأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدِمَةَ وَعَلَى جَنَاحِ الأَرْجَاسِ مُخَرَّبٌ حَتَّى يَتِمَّ وَيُصَبَّ الْمَقْضِيُّ عَلَى الْمُخَرَّبِ". وقد تنبأ بذلك أيضاً السيد المسيح بحولي ٣٧ سنة قبل دمار القدس و هيكل سليمان، حيث ورد في الإنجيل المقدس[٢]" ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!»[٣]".

٢- الحقائق العلمية الحديثة

في مواضيع سابقة أثبتنا بالدليل القاطع أن الإمام الحسين لم تكن له القدرة على صنع المعجز، ولم يؤتى علم من الغيب. وفي موضوعنا الحالي اكشف النقاب عن حقيقة طالما كثر فيها الهرج والمرج. وهي تعد القشة الأخيرة التي يحاول من خلالها علماء الإسلام، من السنة والشيعة بشكل بائس ومرير أن يُفهموا عامة المسلمين أن القرآن قد سبق العلم الحديث في الكثير من المعارف الحديثة، وذلك حتى يتمكنوا من كبح الأعداد الغفيرة من المسلمين بعدم ترك الإسلام. فقد زعموا أن القرآن قد سبق العالم بالمعارف والاكتشافات والحقائق العلمية الحديثة.

والشيعة الإمامية الإثناعشرية يؤمنون بالمطلق أن العترة من أهل البيت، ومن ضمنهم الإمام الحسين، هم القرآن الناطق. وقد أشار إلى ذلك العلامة السيد كمال الحيدري[٤] حيث قال

١- الآيات:٢٣-٢٧ من الإصحاح التاسع من سفر دانيال النبي، الكتاب المقدس.

٢- الآيتان:١ وَ ٢ من الإصحاح الرابع والعشرون ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

٣- رجاء مراجعة الصفحات: ١٣٣ وما يليها لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث.

٤- التقوى في القران: دراسة في الاثار الاجتماعية والوجودية ، العلامة السيد كمال الحيدري ، صفحة:١٥ وَ١٦.

:"ان التمسك بالعترة ليس شيئا وراء التمسك بالقران الكريم ، بل هما حقيقة واحدة ، لكن الفرق بينهما ان العترة هم القرآن الناطق، وان القرآن هو العترة الصامتة، لذا ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) في ظل قوله تعالى: «ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم» : «انه يهدي الى الإمام». ومنه يتضح معنى ما قاله امير المؤمنين (عليه السلام):«ذلك الكتاب الصامت، وانا الكتاب الناطق» . فلا يعني بذلك انه هو الناطق باسم القرآن، بل عنى أنه هو القرآن المتجسد".

ومما جاء في كلمة لآية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي(١) القاها بمناسبة عاشوراء عام ١٤٣٣هـ، قال فيها:" نحن حينما نريد أن نفهم بعض أسرار نهضة أبي عبد الله الحسين لابد أن نقرأ القرآن لماذا؟ لأن الإمام الحسين سلام الله عليه كان هو القرآن الناطق، فإذا أردت أن تعرفه فاقرأ القرآن الصامت وحاول أن تتدبر في آياته الكريمة، ثم حاول أن تجعل من هذا الكتاب الكريم كتاب رب العزة القرآن مرآة صافية لمعرفة خفايا قيام أبي عبد الله الحسين عليه السلام".

وها نحن نبحر مرة أخرى في رحلة جديدة، الهدف منها الوصول إلى معرفة الحقيقة دون سواها. فإن كان القول بوجود سبق علمي في القرآن الصامت ، حسب ما يطلق عليه بعض علماء الشيعة، هو قول صحيح، انتقلنا إلى الروايات المبسطة في كتب الحديث للشيعة الإمامية الإثناعشرية، التي تزعم بأن الرسول محمد و العترة من أهل بيته، ومن ضمنهم الإمام الحسين بن علي (القرآن الناطق)، قد كانوا عالمين ومحيطين بالعلوم والمعارف الحديثة، فنشبعها دراسة وتحليل. وإن تبين لنا أن ذلك كان مجرد زعم لا يقوم عليه دليل من القرآن، صرفنا عنه النظر، وتجاهلناه. لأنه كما قلنا سابقاً أن تلك الكتب قد تم تأليفها وتدوين الأحاديث فيها بعد مضي قرون طويلة من بعد وفاة الإمام الحسين بن علي.

والجدير ذكره أن الدين الحق لا يحتاج إلى حملات دعائية، أو ترويج قائم على تزوير الحقائق، ولا إلى لي أعناق الآيات لياً يسلبها المعنى الحقيقي، الذي فهمه العرب الأقحاح. فكاتب القرآن قد ذكر غير ما مرة أن القرآن قد كتب بلسان عربي واضح ومفهوم للناطقين بالعربية، ومع ذلك يفاجئنا الإعجازيون أنه لم يفهم المفسرون العرب وسواهم معانيه الحقيقة إلا في القرن العشرين وما تلاه. وهذا يخالف ما قاله وردده كاتب القرآن: "الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ(٢)"،"وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ(٣)"،"بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(٤)"، وقال أيضاً:" وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ

١- مقال بعنوان "المرجع المدرسي: الإمام الحسين سلام الله عليه هو القران الناطق"- الموقع الإلكتروني لشبكة مزن الثقافية. وجزء من ذلك المقال موجود ايضاً على الموقع الرسمي لآية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.
٢- الآية:١ ، سورة الحجر.
٣- الاية:١٠٣ ، سورة النحل.
٤- الآية:١٩٥ ، سورة الشعراء.

وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ(١)".

لقد كفل قانون الحريات الدولي للجميع حرية التعبير عن آرائهم الفكرية والدينية والسياسية، فكل إنسان له الحق الكامل والمطلق في الترويج لآرائه سواء كانت صائبة أم خاطئة، شريطة ألا تتنافى والأعراف والقيم والمبادئ التي قامت وتأسست لأجله هيئة الأمم المتحدة. لكن بكل تأكيد ليس من الأخلاق أو القيم الإنسانية النبيلة أن يروج الإنسان عن آراء خادعة وكاذبة وبطرق ملتوية.

فإذا وصل الأمر لمجموعة دينية أو سياسية أو فكرية متعصبة لدينها أو آرائها أو فكرها إلى درجة يخدعون فيها الآخرين لأغراض رخيصة، فينبغي حينها وضع اللوم وحده وحسب على تلك الفئة بعينها، وعدم تعميمه على الجمهور الذي لا حول لهم ولا قوة. و قد لاحظت أن تلك الفئة - المروجون للإعجاز العلمي المزعوم - قد وصلوا إلى مرحلة هستيرية، آلت بهم إلى تأليف قصص وهمية، إضافة إلى تزوير صور تم التقاطها مسبقاً بواسطة وكالات فضاء عالمية، أو علماء متخصصون في العلوم الحديثة. وكذلك تغيير فحوى رسومات جغرافية و تاريخية وعلمية بكافة التخصصات. كل ذلك عملوه من أجل أن يروجوا لبضاعتهم الفاسدة على السذج والبسطاء من المسلمين الأحباء.

إن الأشخاص الذين يؤمنون بصحة دين أو عقيدة أو فكر، ليسوا بحاجة إلى حملات تزوير و تدليس. لكن هذا لا ينطبق بالتأكيد على فريق الإعجاز العلمي - الوهمي - الذين يعملون كل ما يستطيعوا عمله بكل جد ومثابرة. فهم لم يألوا جهداً في الفبركة و التزوير، حتى أني لا استطيع وصف ذلك سوى أنه في الواقع يُعَبِّرْ عن حالة مرضية حرجة جراء الإحباط واليأس المرير، الذي أصيبوا به وهم يرون الآلاف المؤلفة من الأخوة والأخوات من أحبائنا المسلمين يقبلون الخلاص المجاني المعطى لهم من السيد المسيح.

لذلك فالحكم بتفسير المبهم في القرآن، إن وجد، هو اللغة العربية وحدها، وحسب ما فهمها العرب الذين عاصروا محمد رسول الإسلام وأصحابه. ويمكننا التأكد من ذلك من خلال أقوال المحدثين والمفسرين الذين هم على اضطلاع واسع بمعارف وقواعد وأدب اللغة العربية، اللغة ذاتها التي كتب بها القرآن، إضافة لمعرفتهم الكبيرة بمجريات الأحداث التاريخية في صدر الإسلام.

١- الآية:٦٩- سورة يس.

لقد ذكرت في هذا الكتاب بعض الأمثلة القليلة فقط من تلك الادعاءات، التي قمت بدراستها وتحليلها شخصياً، بغية تفنيد تلك الأوهام و المزاعم العلمية التي في القرآن، أو ما يطلق عليها البعض بالإعجاز العلمي. فكتابنا هذا لم يتطرق لسرد او تفنيد كل المزاعم والأوهام تلك. فمن يريد الاستزادة فيمكنه أن يطلع ويقرأ بقلب واعٍ وعيون متفتحة وذهن يقظ، تلك الكتب والابحاث التي قد قام بإعدادها علماء مؤهلون وأصحاب اختصاص. بعض أولئك العلماء من المسلمين أنفسهم، مثل الدكتور طارق منتصر الذي ألف كتاب أسماه (وَهْم الإِعْجَاز العِلْمِي) وهو يعد من أحد العلماء المسلمين من جمهورية مصر العربية. أيضاً الدكتور وليم كامبل الذي ألف كتاب مشهور في هذا المضمار أسماه (القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم) و هو يعد من أحد العلماء المسيحيين. وهناك كتب أخرى كتبها بعض الأخوة والأخوات بعد هجرهم للإسلام، وقبولهم الرب يسوع إلهاً ومخلصاً شخصي لحياتهم، مثل الأخ شاكر فضل الله النعماني، الذي ساهم بتثقيف ونشر الوعي بين الأخوة الأعزاء من المسلمين، من خلال مجهوداته الجادة والهادفة بتأليف الكتب التثقيفية والنقدية عن الإسلام. ومن ضمنها كتابه (إعجاز القرآن بين الحقيقة و البهتان) ، الذي تناول فيه موضوع الإعجاز العلمي المزعوم بشكل سلس وواضح وسهل الفهم. وقد دَعَّمَ جميع مؤلفاته بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية و اقوال الشراح من المحدثين والرواة والمفسرين من العلماء المسلمين.

لقد اكتفيت بذكر النزر القليل من تلك الأوهام المسماة بالإعجاز العلمي، مبرهنين فيما ذهبنا إليه سابقاً من أنه لا صحة على الإطلاق من أن الإمام الحسين بن علي (القرآن الناطق) كان يعلم المعارف الحديثة والاكتشافات العصرية، ذلك أن القرآن (الصامت) لا توجد فيه معلومة علمية وحيدة تفرد بها وحده عن الآخرين في نفس العصر أو الزمان الذي كتب فيه.

أ- جريان الشمس نحو نجم النسر الواقع

قال كاتب القرآن: " وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(١)".

يدعي فريق الإعجاز العلمي أن هذه الآية تدل على حركة وجريان الشمس نحو نجم "النسر الواقع" في مجرة درب التبانة. لكن القارئ والدارس اليقظ يدرك أنه لم يأت أو يتفوه أي مفسر أو محدث أو عالم من المسلمين القدماء بقول أو تفسير يعطي ذلك المعنى الذي زعمه فريق الإعجاز العلمي. فأنه من المسلم به أن تلك الحقائق تم اكتشافها بواسطة العلماء الغربيين الغير مسلمين في العصر الحديث.

١- سورة يس ، آية ٣٨.

ولفهم الآية السابقة ينبغي فهمها ضمن السياق التي أتت فيه. لذا يجب أن لا نقول "ويلٌ للمصلين" ثم نصمت بل نكمل بقيتها "الذين هم عن صلاتهم ساهون". وهذا ما يفعله فريق الإعجاز العلمي الذي يبرز آية وحيدة أو يقتطعها، دون أن يذكر السياق التي أتت به تلك الآية أصلاً. لذا قمت بسرد الآيات التي أتت قبل الآية المذكورة أعلاه، و ذلك من أجل أن يتمكن القارئ الكريم من فهم المعنى الصحيح و بشكل أفضل. فقد ورد في الآية ٣١ من نفس السورة قوله:" أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُون أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ"، وهنا يوجه كاتب القرآن كلامه للعرب من قريش. حيث فسر الشيخ الفضل الطبرسي(١) ذلك بقوله:" ثم خوَّف سبحانه كفار مكة فقال {ألم يروا} أي ألم يعلم هؤلاء الكفار {كم أهلكنا قبلهم من القرون} أي كم قرناً أهلكناهم مثل عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم". طبعاً قريش كانوا عالمين بما استفهم كاتب القرآن منهم. ثم يضيف كاتب القرآن فيقول في الآيتين ٣٣ و٣٤:" وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُون". ويقول الشيخ ابو علي الطبرسي في تفسيره لهذه الآية:" ثم قال سبحانه {وَآيَةٌ لَّهُمُ} أي ودلالة وحجة قاطعة لهم على قدرتنا على البعث { الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا} أي الأرض القحطة المجدبة التي لا تنبت أحييناها بالنبات {وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا} أي كل حبّ يتقوتونه مثل الحنطة والشعير والأرز وغيرها من الحبوب{فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} أي فمن الحب يأكلون.{وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ} أي بساتين{مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} وإنما خصَّ النوعين لكثرة أنواعهما ومنافعهما {وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُون} أي وفجَّرنا في تلك الأرض الميتة أو في تلك الجنات عيوناً من الماء ليسقوا بها الكرم والنخيل". وقد حاج كاتب القرآن قريش بما يمكنهم رؤيته والمشاهد لهم، فهو لم يحاججنهم بما لم يروه أو بما لم يشاهدوه بأم أعينهم، فهذه آية (علامة وإشارة) يحتج بها كاتب القرآن على قريش. وحتى الآن كل ما ذكرته تلك الآيات كان مجرد معلومات بدائية لا تضيف أي سبق علمي يفوق علم أي فرد في قبيلة قريش. ثم يسترسل كاتب القرآن فيقول:" سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ" وفي معنى هذه الآية يقول الشيخ افضل الطبرسي:" ثم نزَّه سبحانه نفسه وعظَّمها دالاً بذلك على أنه هو الذي يستحق منتهى الحمد وغاية الشكر فقال سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا} أي تنزيهاً وتعظيماً وبراءة عن السوء للذي خلق الأصناف والأشكال من الأشياء فالحيوان على مشاكلة الذكر للأنثى وكذلك النخل والحبوب أشكال والتين والكرم ونحوهما أشكال فلذلك قال {مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ} أي من سائر النبات {وَمِنْ أَنفُسِهِمْ} أي وخلق منهم أولاداً أزواجاً ذكوراً وإناثاً {وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ} مما في بطون الأرض وقعر البحار فلم يشاهدوه ولم يتّصل خبره بهم". وأرجو التكريز هنا على قوله (وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ) الذي يفيد أن قريش كانوا عالمين بكل ما كان يسرده كاتب القرآن من أمور ظاهرة ومرئية أمامهم، أما الأمور التي كانت غير مشاهدة فقد أقر كاتب القرآن أنها (مِمَّا لا يَعْلَمُونَ). ثم يقول كاتب القرآن في الآية ٣٧:" وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ" ويفسر الشيخ الطبرسي هذه الآية بقوله:" {وَآيَةٌ لَّهُمْ} أي ودلالة لهم أخرى { اللَّيْلُ

١- مجمع البيان في تفسير القرآن - العلامة الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي - تفسير الآيات: ٣١-٣٧ من سورة يس.

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} أي ننزع منه ونخرج ضوء الشمس فيبقى الهواء مظلماً كما كان لأن الله سبحانه يضيء الهواء بضياء الشمس فإذا سلخ منه الضياء أي كشط وأزيل يبقى مظلماً. وقيل: إنما قال سبحانه {نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} لأنه تعالى جعل الليل كالجسم لظلمته و جعل النهار كالقشر ولأن النهار عارض فهو كالكسوة و الليل أصل فهو كالجسم و قوله {فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} أي داخلون في الليل لا ضياء لهم فيه". وهذه أيضاً كانت معلومات بدائية، فهي معروفة ومحسوسة لأي فرد في تلك المجتمعات العربية في ذلك العصر، بحكم المشاهدة البصرية. ثم تأتي الآية موضوع البحث، فيقول كاتب القرآن ضمن احتجاجه على قبيلة قريش بعلامة وإشارة أخرى تثبت صحة ادعائه بالنبوة أنه:" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ".

أقوال المفسرين من الشيعة الإمامية الإثناعشرية

١- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال العلامة الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي أنه:"{والشمس تجري لمستقر لها} معناه ودلالة أخرى لهم الشمس وفي قوله { لمستقر لها } أقوال:

أحدها: أنها تجري لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجري حتى تنقضي الدنيا عن جماعة من المفسرين. قال أبو مسلم: ومعنى هذا ومعنى لا مستقر لها واحد أي لا قرار لها إلى انقضاء الدنيا.

وثانيها: أنها تجري لوقت واحد لا تعدوه ولا يختلف عن قتادة. وثالثها: أنها تجري إلى أقصى منازلها في الشتاء والصيف لا تتجاوزها والمعنى أن لها في الارتفاع غاية لا تتجاوزها ولا تنقطع دونها ولها في الهبوط غاية لا تتجاوزها ولا تقصر عنها فهو مستقرها { ذلك تقدير العزيز } أي القادر الذي لا يعجزه شيء { العليم } الذي لا يخفى عليه شيء { العليم } الذي لا يخفى عليه شيء". انتهى.

٢- التبيان الجامع لعلوم القرآن

وقال شيخ الطائفة الشيعية أبو جعفر محمد الطوسي في تفسيره لتلك الآية:" قال {والشمس تجري لمستقر لها} آية اخرى. وقيل في معنى المستقر ثلاثة اقوال:

احدها - لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا.

الثاني - قال قتادة: لوقت واحد لها لا تعدوه ولا تختلف.

الثالث - إلى ابعد منازلها في الغروب. وقال المبرد معنى { لمستقر لها } أي إلى. ومن قال الشمس لا تستقر بل تتحرك أبداً قال معنى { لمستقر لها } أنها كلما انتهت إلى منقلب الصيف عادت في الرجوع وإذا بلغت منقلب الشتاء عادت إلى الصعود. ثم قال {ذلك تقدير العزيز العليم} أي من قدر الشمس على ذلك إلا القادر الذي لا يضام، العالم بما يفعله؟، ثم قال {والقمر قدرناه} فمن رفع عطف على قوله { والشمس تجري } ومن نصب قدر له فعلا يفسره". انتهى.

٣- الميزان في تفسير القرآن

وقال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره لتلك الآية القرآنية أن:" قوله تعالى: { والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم } جريها حركتها وقوله: { لمستقر لها } اللام بمعنى إلى أو للغاية، والمستقر مصدر ميمي أو اسم زمان أو مكان، والمعنى أنها تتحرك نحو مستقرها أو حتى تنتهي إلى مستقرها اي استقرارها وسكونها بانقضاء أجلها أو زمن استقرارها أو محله. وأما جريها وهو حركتها فظاهر النظر الحسي يثبت لها حركة دورية حول الأرض لكن الأبحاث العلمية تقضي بالعكس وتكشف أن لها مع سياراتها حركة انتقالية نحو النسر الواقع. وكيف كان فمحصل المعنى أن الشمس لا تزال تجري ما دام النظام الدنيوي على حاله حتى تستقر وتسكن بانقضاء أجلها فتخرب الدنيا ويبطل هذا النظام، وهذا المعنى يرجع بالمآل إلى معنى القراءة المنسوبة إلى أهل البيت وغيرهم: { والشمس تجري لا مستقر لها } كما قيل. وأما حمل جريها على حركتها الوضعية حول مركزها فهو خلاف ظاهر الجري الدال على الانتقال من مكان إلى مكان. وقوله: { ذلك تقدير العزيز العليم } أي الجري المذكور تقدير وتدبير ممن لا يغلبه غالب في إرادته ولا يجهل جهات الصلاح في أفعاله". انتهى.

٤- تفسير صدر المتأهلين

وقال صدر المتأهلين في تفسيره للآية:" {وَٱلشَّمْسُ تَجْري لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ} المُسْتَقر: هو الحدّ المُوَقَّت المقدر، الذي تنتهي إليه حركة الشمس في فلكها آخر الدورة، كأول الحَمَل في كل سنة، عند من جعله أول الدور، أو غيره عند آخرين، ويحتمل أن يراد به نقطة الأوْج، التي فيها غاية بطء الحركة، وبُعْد الشمس عن الأبصار، وصغر جرمها عند الأنظار، أو مقابلها من نقطة الحضيض، أو يراد به نقطة المغرب، التي تتوجه إليها مدة حركتها فوق الأفق، حتى تبلغ إليها في مسيرها كلَّ يوم، ثم ترجع عنها في مرائي عيوننا، أو نقطة مقابلها من المشرق، فإذا حركتها في أحد النصفين من مدارها اليومي، تخالف حركتها في النصف الآخر، بالقياس إلى موضع الناظرين، ولا بد فيما بين الحركتين المختلفتين من حد معين، ومُستقرٍّ خاص تنتهي إليه وتبتديء منه، كمنزل المسافر المعهود لاستِقْراره. ويحتمل أن يراد به الحد،

الذي فيه غاية ارتفاعها في منتصف النهار، عند قطْع نصف مدارها الصاعد، وهو حدُّ بلوغها دائرة نصف النهار فوق الأفق، أو مقابله من نقطة تقاطع مدارها مع دائرة نصف الليل تحت الأفق. ويحتمل أن يكون مستقرُّها أجلها الذي أقرّ الله عليه مقدار جريها وكميّة سيرها، فاستقرّت عليه من غير تغيّر عما فطر الله عليه، وهو مقدار السنة. ويحتمل أيضاً أن يراد منها، تشابه حركتها المختصّة من غير رجوع وانعطاف، ولا اختلاف في السرعة والبطء، فكأنها على مستقر واحد، أو يراد ثبات وضعها من غير انحراف ولا استواء ولا سكون ولا هوى، إلى جانب السفل، ولا ارتفاع إلى جانب العلو، ليدل ثبات وضعها، وتشابه حركتها، على تدبير حافظ مديم، وتقدير عزيز عليم. وفي قراءة ابن مسعود: " لا مستقرَّ لها " أي: لا تزال تجري لا تستقر، لأن داعي حركتها ليس غرضاً حيوانياً شهوياً أو غضبياً، ولا التفاتاً بالسافل وانتفاع الكائنات بها، بل تشوُّقاً إلى بارئها، وتقرباً إلى الله زلفى، وطلباً لما عنده من الخيرات الدائمة والأنوار الغير المتناهية. وقرئ أيضاً: " لا مستقر لها " على أن يكون " لا " بمعنى " ليس ذلك ". وقيل: المستقر الوقت الذي يستقر فيه وينقطع جريها - وهو يوم القيامة - ذلك الجري والسير الحثيث، في طلب المبدء الأول على ذلك التقدير، والوجه الذي تكلُّ في حسابه الدقيق دقائق الافهام، وتتحير في استنباطه العقول والأوهام، وتترتب عليه مع نفع الكائنات السافلات، ونشوء الحيوان والنبات على هذا النظام، غايته الأصلية، التي هي التشبّه بالخير الأعظم، والتقرب إلى القيّوم المنّور بنور الوجود والكرم لحقائق العالم، المخرج لها عن ظلمة العدم، ما هو إلاّ بتقدير العزيز العليم، القاهر فوق عباده، والغالب على كل مقدور، والمحيط علماً بوجوه الخير والنظام في كل معلوم، وكل ما كانت قدرته كاملة، وعلمه شاملاً، فيجب أن تكون رحمته دائمة ونعمته باسطة، ويكون وجود الموجودات منه على غاية الخير في النظام، ونهاية الفضيلة والتمام والإستمرار والدوام". انتهى.

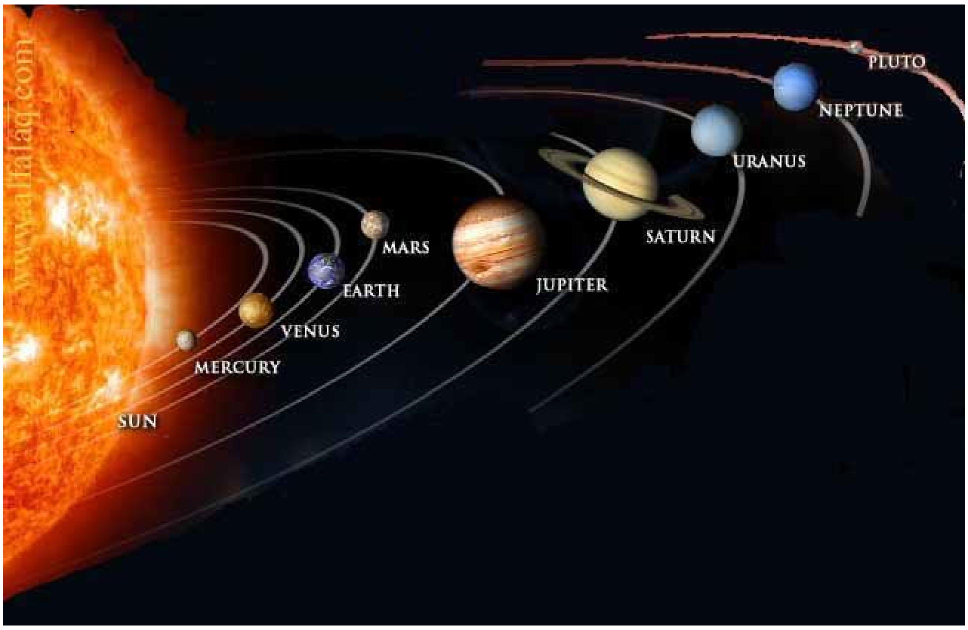
٥- الصافي في تفسير كلام الله الوافي

وقال المولى الفيض الكاشاني أن:" { (٣٨) وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا } لحدّ معيّن ينتهي اليه دورها. وفي المجمع عنهما عليهما السلام لا مستقرّ لها بنصب الرّاء اي لا سكون لها فانّها متحرّكة دائماً { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }". انتهى.

٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

وقال آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:" والشمس تجري لمستقر لها. هذه الآية تبين بوضوح حركة الشمس بشكل مستمر، أما ما هو المقصود من تلك الحركة؟ فللمفسرين أقوال متعددة: قال بعضهم: إن ذلك إشارة إلى حركة الشمس الظاهرية حول الأرض، تلك الحركة

التي ستستمر إلى آخر عمر العالم الذي هو نهاية عمر الشمس ذاتها. وقال آخرون: إنه إشارة إلى ميل الشمس في الصيف والشتاء نحو الشمال والجنوب على التوالي، لأننا نعلم بأن الشمس تميل عن خط اعتدالها في بدء الربيع بطرف الشمال، لتدخل في مدار(٢٣) درجة شمالا، وتعود مع بدء الصيف قليلا قليلا حتى تنتهي إلى خط اعتدالها عند بداية الخريف وتستمر على خط سيرها ذلك باتجاه الجنوب حتى بدء الشتاء، ومن بدء الشتاء تتحرك باتجاه خط اعتدالها حتى تبلغ ذلك عند بدء الربيع. وبديهي أن جميع تلك الحركات في الواقع ناجمة عن حركة الأرض حول الشمس وانحرافها عن خط مدارها، وإن كانت ظاهرا تبدو وكأنها حركة الشمس. وآخرون اعتبروا الآية إشارة إلى حركة الشمس الموضعية بالدوران حول نفسها، حيث أثبتت دراسات العلماء بشكل قطعي أن الشمس تدور حول نفسها. وآخر وأحدث التفاسير التي ظهرت بخصوص هذه الآية، هو ما كشفه العلماء أخيرا من حركة الشمس مع منظومتها باتجاه معين ضمن المجرة التي تكون المجموعة الشمسية جزءا منها، وقيل أن حركتها باتجاه نجم بعيد جدا أطلقوا عليه اسم " وجا ". كل هذه المعاني المشار إليها لا تتضارب فيما بينها، ويمكن أن تكون جملة " تجري" إشارة إلى جميع تلك المعاني ومعاني أخرى لم يصل العلم إلى كشفها، وسوف يتم كشفها في المستقبل. وعلى كل حال، فإن حركة كوكب الشمس الذي يعادل مليون ومائتي الف مرة حجم الأرض، بحركة دقيقة ومنظمة في هذا الفضاء اللامتناهي، ليس مقدورا لغير الله سبحانه الذي تفوق قدرته كل قدرة وبعلمه اللامتناهي، لذا فإن الآية تضيف في آخرها ذلك تقدير العزيز العليم. أما آخر ما قيل في تفسير هذه الآية فهو أن تعبير الآية يشير إلى نظام السنة الشمسية الناشئ عن حركة الشمس عبر الأبراج المختلفة، ذلك النظام الذي يعطي لحياة الإنسان نظاما وبرنامجا معينا يؤدي إلى تنظيم حياته من مختلف النواحي". انتهى.



تحليل الآية

من أجل إيصال الفهم الصحيح للقارئ الكريم قمت بطرح الأسئلة التالية والإجابة عليها مستعيناً بآراء المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية.

أ- هل أستشهد كاتب القرآن هذه الآية كدليل مشاهد ومرئي أي علامة و إشارة من ضمن العلامات والإشارات الأخرى(آية) للاحتجاج على قريش؟

الإجابة: نعم، وقد أورد المفسرون الأقوال التالية:

- **ودلالة أخرى لهم الشمس. (الشيخ الطبرسي).**
- **{والشمس تجري لمستقر لها} آية اخرى. (الشيخ الطوسي).**

ب- هل فهم المفسرون القدماء من الطائفة الشيعية الإمامية الإثناعشرية أن الشمس تجري وستذهب إلى نجم النسر الواقع؟

الإجابة: لا، لم يقل أي أحد من المفسرين القدماء هذا القول على الإطلاق، ولم يتبادر إلى ذهنهم هذا الأمر البتة، وذلك بسبب ورود روايات عن طريق أهل البيت تخالف وتعارض تلك الاكتشافات العلمية الحديثة. وقد بينت ذلك في السؤال - هـ - ، فليراجع.

ج- ماذا فهم المفسرون الشيعة الإمامية الإثناعشرية من منطوق الآية القرآنية" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا"؟

الإجابة: اختلف المفسرون في ذلك كثيراً، لكن لم يقل أي مفسر من مفسري الشيعة الإمامية الإثناعشرية عن وجود أي حقائق علمية حديثة سوى آرائهم التالية:

- **أنها تجري لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجري حتى تنقضي الدنيا. ومعنى هذا ومعنى - لا مستقر لها - واحد أي لا قرار لها إلى انقضاء الدنيا. (الطبرسي).**

- **أنها تجري لوقت واحد لا تعدوه ولا يختلف. (الطبرسي).**

- **أنها تجري إلى أقصى منازلها في الشتاء والصيف لا تتجاوزها والمعنى أن لها في الارتفاع غاية لا تتجاوزها ولا تنقطع دونها ولها في الهبوط غاية لا تتجاوزها ولا تقصر عنها فهو مستقرها. (الطبرسي).**

- **إلى ابعد منازلها في الغروب. (الطوسي).**

- **من قال الشمس لا تستقر بل تتحرك أبداً قال معنى { لمستقر لها } أنها كلما انتهت إلى منقلب الصيف عادت في الرجوع وإذا بلغت منقلب الشتاء عادت إلى الصعود. (الطوسي).**
- **أنها تتحرك نحو مستقرها أو حتى تنتهي إلى مستقرها اي استقرارها وسكونها بانقضاء أجلها أو زمن استقرارها أو محله. (الطباطبائي).**
- **جريها وهو حركتها فظاهر النظر الحسي يثبت لها حركة دورية حول الأرض. (الطباطبائي).**
- **أن الشمس لا تزال تجري ما دام النظام الدنيوي على حاله حتى تستقر وتسكن بانقضاء أجلها فتخرب الدنيا ويبطل هذا النظام، وهذا المعنى يرجع بالمآل إلى معنى القراءة المنسوبة إلى أهل البيت وغيرهم: {والشمس تجري لا مستقر لها} كما قيل.(الطباطبائي).**
- **المُسْتَقر: هو الحدّ المُوَقَّت المقدر، الذي تنتهي إليه حركة الشمس في فلكها آخر الدورة، كأول الحَمَل في كل سنة، عند من جعله أول الدور،أو غيره عند آخرين.(صدر المتأهلين).**
- **يراد به نقطة الأوْج، التي فيها غاية بطء الحركة، وبُعْد الشمس عن الأبصار، وصغر جرمها عند الأنظار، أو مقابلها من نقطة الحضيض. (صدر المتأهلين).**
- **يراد به نقطة المغرب، التي تتوجه إليها مدة حركتها فوق الأفق، حتى تبلغ إليها في مسيرها كلَّ يوم، ثم ترجع عنها في مرائي عيوننا، أو نقطة مقابلها من المشرق، فإذا حركتها في أحد النصفين من مدارها اليومي، تخالف حركتها في النصف الآخر، بالقياس إلى موضع الناظرين، ولا بد فيما بين الحركتين المختلفتين من حد معين، ومُستقرٍّ خاص تنتهي إليه وتبتدئ منه، كمنزل المسافر المعهود لاستِقْراره.(صدر المتأهلين).**
- **يراد به الحد، الذي فيه غاية ارتفاعها في منتصف النهار، عند قطْع نصف مدارها الصاعد، وهو حدُّ بلوغها دائرة نصف النهار فوق الأفق، أو مقابله من نقطة تقاطع مدارها مع دائرة نصف الليل تحت الأفق.(صدر المتأهلين).**
- **مستقرُّها أجلها الذي أقرّ الله عليه مقدار جريها وكميّة سيرها، فاستقرّت عليه من غير تغيّر عما فطر الله عليه، وهو مقدار السنة. (صدر المتأهلين).**
- **تشابه حركتها المختصّة من غير رجوع وانعطاف، ولا اختلاف في السرعة والبطء، فكأنها على مستقر واحد. (صدر المتأهلين).**
- **ثبات وضعها من غير انحراف ولا استواء ولا سكون ولا هوى، إلى جانب السفل، ولا ارتفاع إلى جانب العلو، ليدل ثبات وضعها، وتشابه حركتها.(صدر المتأهلين).**

- **في قراءة ابن مسعود: " لا مستقرَّ لها " أي: لا تزال تجري لا تستقر، لأن داعي حركتها ليس غرضاً حيوانياً شهوياً أو غضبياً، ولا التفاتاً بالسافل وانتفاع الكائنات بها، بل تشوُّقاً إلى بارئها، وتقرباً إلى الله زلفى، وطلباً لما عنده من الخيرات الدائمة والأنوار الغير المتناهية. (صدر المتأهلين).**
- **قيل: المستقر الوقت الذي يستقر فيه وينقطع جريها - وهو يوم القيامة.(صدر المتأهلين).**
- **لحدّ معيّن ينتهي اليه دورها.(الفيض الكاشاني).**
- **لا سكون لها فانّها متحرّكة دائماً.(الفيض الكاشاني).**
- **حركة الشمس الظاهرية <u>حول الأرض</u>، تلك الحركة التي ستستمر إلى آخر عمر العالم الذي هو نهاية عمر الشمس ذاتها.(الشيرازي).**
- **ميل الشمس في الصيف والشتاء نحو الشمال والجنوب على التوالي، لأننا نعلم بأن الشمس تميل عن خط اعتدالها في بدء الربيع بطرف الشمال، لتدخل في مدار (٢٣) درجة شمالا، وتعود مع بدء الصيف قليلا قليلا حتى تنتهي إلى خط اعتدالها عند بداية الخريف وتستمر على خط سيرها ذلك باتجاه الجنوب حتى بدء الشتاء، ومن بدء الشتاء تتحرك باتجاه خط اعتدالها حتى تبلغ ذلك عند بدء الربيع.(الشيرازي).**

د- هل اعترف أو لمح بعض المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية أن العلماء في الغرب (الغير مسلمين) هم من اكتشفوا الحقائق العلمية وليس كاتب القرآن؟

الإجابة: نعم، فقد أشار آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره إلى تلك الحقيقة التي مفادها أن الاكتشافات العلمية كان وراءاها علماء الغرب (وهم ليسوا مسلمين)، فيقول عن هذه الظاهرة:" بديهي أن جميع تلك الحركات في الواقع ناجمة عن حركة الأرض حول الشمس وانحرافها عن خط مدارها، وإن كانت ظاهرا تبدو وكأنها حركة الشمس. وآخرون اعتبروا الآية إشارة إلى حركة الشمس الموضعية بالدوران حول نفسها، حيث أثبتت دراسات العلماء بشكل قطعي أن الشمس تدور حول نفسها". ويضيف أيضاً قائلاً:" وآخر وأحدث التفاسير التي ظهرت بخصوص هذه الآية، هو ما كشفه العلماء أخيرا من حركة الشمس مع منظومتها باتجاه معين ضمن المجرة التي تكون المجموعة الشمسية جزءا منها، وقيل أن حركتها باتجاه نجم بعيد جدا أطلقوا عليه اسم " وجا ". انتهى.

هـ - هل رأي أهل البيت فيما يخص حركة الشمس يسانده ويعضده قول علماء الغرب:" المثبت علمياً بأن الشمس تتجه نحو نجم النسر الواقع"؟

الإجابة: أن آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي قد ذكر أقوال علماء الغرب المخالف لرأي أهل البيت بخصوص سير الشمس نحو نجم النسر الواقع، فأخذ برأي أهل البيت الخاطئ، و ضرب رأي علماء الغرب عرض الحائط ، على الرغم من صحته علمياً. ويعلل ذلك أن الشمس لا تسير نحو نقطة معينة ثم تستقر عندها، وإنما تجري ولا تستقر إلا بانقضاء أجلها وخراب الدنيا، أي لا قرار لها إلى انقضاء الدنيا حسب رأي العترة من أهل البيت (القرآن الناطق)، فقال" وأما جريها وهو حركتها فظاهر النظر الحسي يثبت لها حركة دورية حول الأرض لكن الأبحاث العلمية تقضي بالعكس وتكشف أن لها مع سياراتها حركة انتقالية نحو النسر الواقع. وكيف كان فمحصل المعنى أن الشمس لا تزال تجري ما دام النظام الدنيوي على حاله حتى تستقر وتسكن بانقضاء أجلها فتخرب الدنيا ويبطل هذا النظام، و هذا المعنى يرجع بالمآل إلى معنى القراءة المنسوبة إلى أهل البيت وغيرهم: { والشمس تجري لا مستقر لها } كما قيل". انتهى.

طبعاً السيد الطباطبائي يعد من المفسرين المتأخرين الذين اطلعوا على تلك النظرية العلمية الحديثة. لكن المفسرين القدماء يرون أن الشمس لا تستقر بل تظل تجري بشكل متواصل حتى يوم القيامة. وقد نقل المولى الفيض الكاشاني في تفسيره (الصافي في تفسير كلام الله الوافي) عن العترة من أهل البيت (القرآن الناطق) أنه:" عنهما عليهما السلام لا مستقرّ لها بنصب الرّاء اي لا سكون لها فانّها متحرّكة دائماً". انتهى.

مع أن سياق الآية لا يفهم منه ما قاله المفسرون المتأخرون من معاني قد أخلت فعلاً بسياق الآية التي بدأت بحرف العطف على ما سبقة من الآية السابقة:" وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ"، والتي على اساسها قال كلا من المفسرين (الشيخ الطوسي) و (الشيخ الطبرسي) أنها آية أخرى أي علامة وإشارة أخرى استدل بها كاتب القرآن على صحة ادعائه بالنبوة. فقد قال الفضل الطبرسي أنه:" {والشمس تجري لمستقر لها} معناه ودلالة أخرى لهم الشمس". وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي:" قال {الشمس تجري لمستقر لها} آية اخرى". وقد ذكر آية الله الشيرازي اقوال بعض المفسرين حسبما فهموه من سياق الآية، وهو يعطي المعنى الصحيح عن احتجاج كاتب القرآن على قريش بهذه العلامة التي كانوا يرونها بأم أعينهم، وليس جريان الشمس أو سيرها نحو نجم النسر الواقع، فقال: "حركة الشمس الظاهرية حول الأرض، تلك الحركة التي ستستمر إلى آخر عمر العالم الذي هو نهاية عمر الشمس ذاتها". فهذا هو مبلغ علم القرآن الناطق والصامت على السواء. فعلى كل متدبر أن يقرأ سورة يس من بدايتها حتى يعلم عين اليقين أن كاتب القرآن كان يحاج قريش، مستخدماً أدلة وعلامات وإشارات معلومة لهم مثل الحوادث التاريخية والظواهر الطبيعة والكونية، على صدق نبوته. فقد بدئت مطلع تلك السورة بهذه الآيات:" يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(١)".

١- آية: ١ - ٣ ، سورة يس.

و- هل فهم المفسرون الشيعة الإمامية الإثناعشرية من الآية "الشمس تجري" أنها تعني أو تدل على دوران الشمس حول مركزها ؟

الإجابة : لا، فقد ذكر آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي أن هذه الحقيقة العلمية لم تعنيها الآية حسبما فهمه للآية القرآنية، فقال:" وأما حمل جريها على حركتها الوضعية حول مركزها فهو خلاف ظاهر الجري الدال على الانتقال من مكان إلى مكان". انتهى.

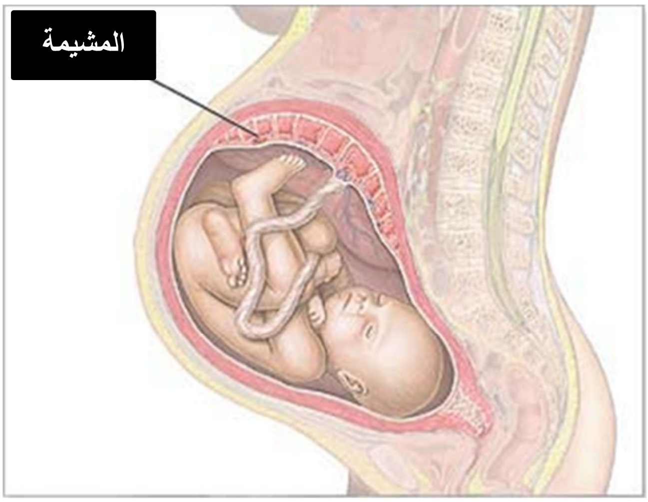
و- هل فهم بعض المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية من الآية "الشمس تجري" أنها تعني أو تدل أو تثبت على دوران الشمس حول الأرض، وهو نفس ما فهمته قريش وكاتب القرآن؟

الإجابة : نعم، فقد ذكر آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي أن هذه حقيقة ثابتة لكنها تعاكس الحقائق العلمية المكتشفة حديثاً، فقال:" وأما جريها وهو حركتها فظاهر النظر الحسي <u>يثبت</u> لها <u>حركة دورية حول الأرض</u> لكن الأبحاث العلمية تقضي بالعكس". أما آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فقد قال:" للمفسرين أقوال متعددة: قال بعضهم: إن ذلك إشارة إلى حركة الشمس الظاهرية حول الأرض، تلك الحركة التي ستستمر إلى آخر عمر العالم الذي هو نهاية عمر الشمس ذاتها".

ب- موضع الجنين في بطن أمه

لقد قال كاتب القرآن : " فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(١)".

وحتى بدون الاستعانة بأي تفسير، أو أقوال للعترة من أهل البيت (القرآن الناطق)، فالآية تبدوا واضحة جداً كوضوح الشمس في رابعة النهار. ومعناها حسب أقوال المحدثين والمفسرين: الجنين يتكون من ماءين، ماء الرجل يخرج من ظهره، وماء المرأة يخرج مما بين صدرها. لكن الثابت علمياً، أن الحيوان المنوي يتكون في خصية الرجل، ومهمته هو تلقيح وتخصيب البويضة الأنثوية في رحم المرأة، فيتكون بذلك الجنين. فالطب الحديث لا يعترف بما يسمى "ماء المرأة". وأيضاً البويضة لا تتكون أو تنتج في صدر المرأة، كما أن نطفة الرجل "الحيوان المنوي" لا يتكون أو ينتج في صلب أو ظهر الرجل. مع ذلك يدعي فريق الإعجاز العلمي (الوهمي) ان تلك الآيات الثلاث تدل على أسبقية القرآن في تحديد موضع الجنين في بطن أمه، حسب الصورة بالأسفل. (طبعاً فريق الإعجاز الوهمي قد زوروا حتى صورة الجنين داخل بطن أمه، لكنها ليست الصورة التي بالأسفل)، فهذه فضيحة من فضائحهم:



أيضاً لم يقف ذلك الفريق عند هذا الحد، بل تجاوزه بأشواط طويلة. فذهبوا إلى تأويل الآيات، ولي أعناقها لياً أخرجها من سياقها، وبشكل مقزز ومضحك في نفس الوقت. وفي محاولات بائسة ومريرة، قاموا بتدليس واضح لمعاني كلمات ومرادفات اللغة العربية، من أجل خداع العامة والأخوة الأعزاء من المسلمين البسطاء، أو لأجل اقناعهم بأن لا وجود لخطأ علمي في القرآن. لقد اتسع الخرق على الراقع، فلم تنفع تلك المحاولات البائسة، حيث الحقائق ساطعة جلية لكل ذي لب وعقل رشيد.

١- سورة الطارق، الآيات: ٥ إلى ٧.

أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية

١- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في تفسيره للآيات السابقة:" {فلينظر الإنسان} يعني المكذب بالبعث عن مقاتل {ممَّ خلق} أي فلينظر نظر التفكر والاستدلال من أيّ شيء خلقه الله وكيف خلقه وأنشأه حتى يعرف أن الذي ابتدأه من نطفة قادر على إعادته. ثم ذكر من أيّ شيء خلقه فقال { خلق من ماء دافق } أي من ماء مهراق في رحم المرأة يعني المني الذي يكون منه الولد عن ابن عباس قال الفراء: وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم نحو سّر كاتم وهمّ ناصب وليل نائم وقد ذكرناه قبل. ثم وصف سبحانه ذلك الماء فقال { يخرج من بين الصلب والترائب } وهو موضع القلادة من الصدر عن ابن عباس قال عطاء يريد صلب الرجل وترائب المرأة والولد لا يكون إلا من الماءين. وقيل: الترائب اليدان والرجلان والعينان عن الضحاك وسئل عكرمة عن الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثدييه. وقيل: ما بين المنكبين والصدر عن مجاهد والمشهور في كلام العرب أنها عظام الصدر والنحر". انتهى.

٢- التبيان الجامع لعلوم القرآن

وقال شيخ طائفة الشيعة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي للآيات السابقة:" وقوله {فلينظر الإنسان مم خلق} أمر من الله تعالى للمكلفين من الناس أن يفكروا ويعتبروا ممماذا خلقهم الله. ثم بين تعالى ممماذا خلقهم فقال { خلق من ماء دافق { فالدفق هو صب الماء الكثير باعتماد قوي، ومثله الدفع، فالماء الذي يكون منه الولد يكون دفقاً وهي النطفة التي يخلق الله منها الولد إنساناً أو غيره، وماء دافق معناه مدفوق، ومثله شرّ كاتم، وعيشة راضية. ثم بين ذلك من أي موضع يخرج هذا الماء، فقال { يخرج من بين الصلب والترائب } فالصلب هو الظهر، والترائب جمع تريبة وهو موضع القلادة من صدر المرأة - في قول ابن عباس - وهو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب.

قال المثقب:

ومن ذهب يشن إلى تريب　　　كلون العاج ليس بذي غصون

وقال آخر:

والزعفران على ترائبها　　　شرقاً به اللبات والنحر

وقيل: إن نطفة الرجل تخرج من ظهره، ونطفة المرأة من صدرها، فاذا غلب ماء الرجل خرج الولد إلى شبه أهل بيت أبيه وإذا غلب ماء المرأة خرج إلى شبه أهل بيت أمه". انتهى.

٣- الميزان في تفسير القرآن

وقال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره لتلك الآيات القرآنية أن:" قوله تعالى: {فلينظر الإنسان مم خلق} أي ما هو مبدأ خلقه؟ وما هو الذي صيره الله إنساناً؟ والجملة متفرعة على الآية السابقة وما تدل عليه بفحواها بحسب السياق ومحصل المعنى وإذ كانت كل نفس محفوظة بذاتها وعملها من غير أن تفنى أو ينسى عملها فليذعن الإنسان أن سيرجع إلى ربه ويجزي بما عمل ولا يستبعد ذلك ولينظر لتحصيل هذا الإذعان إلى مبدأ خلقه ويتذكر أنه خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب. فالذي بدأ خلقه من ماء هذه صفته يقدر على رجعه وإحيائه بعد الموت. وفي الإتيان بقوله: {خلق} مبنياً للمفعول وترك ذكر الفاعل وهو الله سبحانه إيماء إلى ظهور أمره، ونظيره قوله: {خلق من ماء} الخ. قوله تعالى: {خلق من ماء دافق} الدفق تصبب الماء وسيلانه بدفع وسرعة والماء الدافق هو المني والجملة جواب عن استفهام مقدر يهدي إليه قوله: {مم خلق}. قوله تعالى: {يخرج من بين الصلب والترائب} الصلب الظهر، والترائب جمع تريبة وهي عظم الصدر. وقد اختلفت كلماتهم في الآية وما قبلها اختلافاً عجيباً، والظاهر أن المراد بقوله: {بين الصلب والترائب} البعض المحصور من البدن بين جداري عظام الظهر وعظام الصدر". انتهى.

٤- الصافي في تفسير كلام الله الوافي

وقال المولى الفيض الكاشاني للآيات آنفة الذكر:" { (٥) فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِقَ } ليعلم صحّة اعادته فلا يملي على حافظه الاّ ما ينفعه في عاقبته. { (٦) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ } الدّفق صبّ فيه دفع القمّي قال النطفة التي تخرج بقوّة. { (٧) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ } بين صلب الرّجل وترائب المرأة وهي صدرها". انتهى.

٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

وقال آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي أن:" فلينظر الإنسان مم خلق. وبهذا.. أخذ القرآن الكريم بأيدي الجميع وأرجعهم إلى أول خلقهم، مستفهما عما خلق منه الإنسان. وبدون أن ينتظر الجواب من أحد يجيب القرآن على استفهامه: خلق من ماء دافق، وهو ماء الرجل الذي تسبح فيه الحيامن، ويخرج بدفق. ويستمر في تقريب المراد: يخرج من بين الصلب والترائب." الصلب

": الظهر: و " الترائب ": جمع (تريبة)، وهي - على ما هو مشهور بين علماء اللغة - عظام الصدر العليا وضلوعه. وكما يقول ابن منظور في لسان العرب: قال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القلادة من الصدر. وذكرت معان أخرى للترائب، منها: إنها القسم الأمامي للإنسان (في قبال الصلب، الذي هو ظهر الإنسان)، إنها اليدان والرجلان والعينان، إنها عظام الصدر، أو ما يلي الترقوتين منه، وقيل: أربعة أضلاع من يمين الصدر وأربعة من يساره. وأدناه، نذكر بعض الآراء الكثيرة للمفسرين بخصوص المراد من " الصلب والترائب " الواردة في الآية المباركة.
١ - " الصلب " إشارة إلى الرجال، و " الترائب " إشارة إلى النساء، لأن في الرجال مظهر الصلابة، وفي النساء مظهر الرقة واللطافة. وعليه، فالآية بصدد ذكر حيمن الرجل وبويضة المرأة، ومنهما تتشكل نطفة خلق الإنسان. ٢ - " الصلب " إشارة إلى ظهر الرجل، و " الترائب " إشارة إلى صدره، فيكون مراد الآية نطفة الرجل التي تقع ما بين ظهره وصدره. ٣ - إرادة، خروج الجنين من رحم امه، لأنه يكون بين ظهرها والجزء الأمامي لبدنها. ٤ - قيل: إن في الآيتين سرا من أسرار التنزيل، ووجها من وجوه الأعجاز، إذ فيهما معرفة حقائق علمية لم تكن معروفة حينذاك وقد كشف عنها العلم أخيرا. وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا هذه الآيات، التي حيرت الألباب، فقد ثبت أن خصية الرجل ومبيض المرأة في بداية ظهورهما في الجنين يقعان في مجاورة كلية الجنين، أي بين وسط الفقرات (الصلب) والاضلاع السفلى للصدر (الترائب) ثم مع نمو الجنين ينتقلان تدريجيا إلى الأسفل، وبما أن تكون الإنسان يمثل تركيبا من نطفة الرجل والمرأة والمحل الأصلي لجهاز توليد النطفة فيهما هو بين الصلب والترائب، أختار القرآن لذلك هذا التعبير. وهذا ما لم يكن معروفا حينذاك. وبعبارة أخرى: إن كل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلي ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريبا ومقابل أسفل الضلوع. ويشكل على هذا التفسير بـ: إن القرآن إنما يقول: ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب، فهو يمر من بينهما حال الخروج، في حين لا يقول التفسير المذكور ذلك، ويشير إلى محل توليده بينهما أثناء النمو الجنيني، بالإضافة إلى أن تفسير " الترائب " بأسفل الضلوع لا يخلو من نقاش. ٥ - مراد الآية، هو المني، لأنه في الحقيقة مأخوذ من جميع أجزاء البدن، ولذا عندما يقذف إلى الخارج فإنه يقترن مع انفعال وهيجان البدن كله وبعده فتور البدن بأجمعه، فيكون مقصود " الصلب " و " الترائب " في هذه الحال تمام قسمي بدن الإنسان، الإمامي والخلفي. ٦ - وقيل أيضا: إن المصدر الأساس لتكوين المني هو النخاع الشوكي الواقع في ظهر الإنسان، ثم القلب والكبد، فالأول يقع تحت أضلاع الصدر، والآخر بين المكانين المذكورين، وعلى هذا الأساس قالت الآية: من بين الصلب والترائب. ويكفينا الرجوع إلى الآيات المبحوثة لدفع الغموض الحاصل، فالآيات تشير إلى ماء الرجل دون المرأة، بقرينة " ماء دافق "، وهذا لا يصدق إلا على الرجل، وعليه يعود الضمير في " يخرج ". وعليه، فينبغي إخراج المرأة من هذه الدائرة، ليكون البحث منصبا على الرجل فقط، وهو المشار إليه في الآية. و " الصلب والترائب " هما ظهر الرجل وقسمه الأمامي، لأن ماء الرجل إنما يخرج من هاتين المنطقتين. وهذا التفسير واضح، خال من أي

تكلف، ينسجم مع ما ورد في كتب اللغة بخصوص المصطلحين. كما ويمكن أن تكون الآية قد أشارت إلى حقيقة علمية مهمة لم يتوصل إلى اكتشافها بعد، وربما المستقبل سيكشف ما لم يكن بالحسبان". انتهى.

٦- بيان السعادة في مقامات العبادة

وقال سلطان العلماء الجنابذي أن:" { فَلْيَنظُرِ ٱلإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ } أي فلينظر الى مادّته وانّها كانت اضعف موجود واخسّه حتّى يعلم انّ له خالقاً قادراً عليماً حكيماً، ويعلم انّ خالقه يقدر على اعادته فيعمل لحال اعادته. { خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ } دفق الماء صبّه بقوّة فالدّافق بمعنى المدفوق، او المعنى ماء دافع بقوّة الرّطوبات البلّيّة البدنيّة بالتّبخير والتّعريق، وقيل: استعمل دفق الماء لازماً فيكون الدّافق بمعنى المنصب بقوّةٍ. { يَخْرُجُ مِن بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ } الصّلب بالضّمّ والصّلب بالتّحريك العظم الّذى من لدن الكاهل الى العُجب، والتّرائب عظام الصّدر او ما ولى التّرقوتين منه، او ما بين الثّديين والتّرقوتين، او اربع اضلاعٍ من يمنة الصّدر واربع من يسرته، او اليدان والرّجلان والعينان، او موضع القلادة. اعلم، انّ التّحقيق كما عليه معظم الحكماء انّ النّطفة فضلة الهضم الرّابع وهى تفضل فى جميع البدن وتنزل الى البيضتين فهى تخرج من جميع اجزاء البدن لا اختصاص لها بالصّلب والتّرائب، لكن لمّا كان الكليتان ادخل فى اصلاح النّطفة في الرّجل والثّديان في المرأة قال يخرج من بين صلب الرّجل وبين ترائب المرأة، او المقصود انّ النّطفة تخرج من اجواف الرّجل والمرأة وهى محلّ كثافات البدن، او المنظور انّ الصّلب والتّرائب في الرّجل والمرأة ادخل في اصلاح النّطفة فكأنّه تخرج النّطفة من بين صلب الرّجل ومن بين ترائبه، ومن بين صلب المرأة ومن بين ترائبها". انتهى.

تحليل الآيات

هناك تفاوت ما بين المفسرين في العصور القديمة والعصور الحديثة، ومرجع ذلك تأثر المفسرين المعاصرين للإعجازيين. لكن كما يقال حبل الكذب قصير. لذا ولأجل إفهام القارئ الكريم وتنبيهه لتلك المغالطات التي يحاول الإعجازيين جعلها صحيح والصحيح غلط. لذا أجد نفسي ملزم أخلاقياً بتوضيح تلك الأمور ووضع النقاط على الحروف.

الآيات القرآنية في الحقيقة فيها اخطاء علمية واضحة، لكن الإعجازيين قلبوا الأمر، حيث حولوا الخطاء العلمي إلى كشف وسبق علمي. ذلك لا ينطوي على العقلاء من المسلمين وسواهم وإنما على البسطاء من البشر.

لذا سأقوم كالعادة بتوجيه بعض الأسئلة التي من الممكن أن تراود فكر القارئ المسلم، وأجيب عليها من منطلق فهم المفسرين الشيعة الإمامية لمنطوق تلك الآيات التي سردناها آنفاً.

أ- ما المقصود بالماء في الآية (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ)، بمعنى هل هو المني (النطفة) أم الإنسان؟

الإجابة على هذا السؤال، يذكر المفسرون الإجابات التالية:

- **أي من ماء مهراق في رحم المرأة يعني المني. (الطبرسي).**
- **{خلق من ماء دافق} فالدفق هو صب الماء الكثير باعتماد قوي، ومثله الدفع، فالماء الذي يكون منه الولد يكون دفقاً وهي النطفة. (الطوسي).**
- **{خلق من ماء دافق} الدفق تصبب الماء وسيلانه بدفع وسرعة والماء الدافق هو المني. (الطباطبائي).**
- **{(٦) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ} الدّفق صبّ فيه دفع القمّي قال النطفة التي تخرج بقوّة. (الفيض الكاشاني).**
- **خلق من ماء دافق، وهو ماء الرجل الذي تسبح فيه الحيامن، ويخرج بدفق. (الشيرازي).**
- **المعنى ماء دافع بقوّة الرّطوبات البلّيّة البدنيّة بالتّبخير والتّعريق، وقيل: استعمل دفق الماء لازماً فيكون الدّافق بمعنى المنصب بقوّةٍ. (الجنابذي).**

مما سبق يتضح لنا جلياً أن كل المفسرين الشيعة أجمعوا أن المعنى في الآية (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ) هو المني (النطفة)، وليس الإنسان.

ب- ما المقصود من المقطع الأول من الآية (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)، بمعنى هل الذي (يخرج) المقصود به هنا هو المني (النطفة) أم الإنسان؟

الإجابة على هذا السؤال، يذكر المفسرون الإجابات التالية:

- **وصف سبحانه ذلك الماء فقال {يخرج من بين الصلب والترائب}. (الطبرسي).**
- **بين ذلك من أي موضع يخرج هذا الماء، فقال {يخرج من بين الصلب والترائب}. (الطوسي).**
- **وقد اختلفت كلماتهم (المفسرون) في الآية وما قبلها اختلافاً عجيباً. (الطباطبائي).**
- **فالآيات تشير إلى ماء الرجل دون المرأة، بقرينة "ماء دافق"، وهذا لا يصدق إلا على الرجل، وعليه يعود الضمير في "يخرج". (الشيرازي).**
- **انّ النّطفة فضلة الهضم الرّابع وهي تفضل في جميع البدن وتنزل الى البيضتين فهي**

تخرج من جميع اجزاء البدن لا اختصاص لها بالصّلب والتّرائب، لكن لمّا كان الكليتان ادخل في اصلاح النّطفة في الرّجل والثّديان في المرأة قال يخرج من بين صلب الرّجل وبين ترائب المرأة. (الجنابذي).

- **المقصود انّ النّطفة تخرج من اجواف الرّجل والمرأة وهى محلّ كثافات البدن. (الجنابذي).**
- **المنظور انّ الصّلب والتّرائب في الرّجل والمرأة ادخل في اصلاح النّطفة فكأنّه تخرج النّطفة من بين صلب الرّجل ومن بين ترائبه، ومن بين صلب المرأة ومن بين ترائبها. (الجنابذي).**

مما سبق يتضح لنا جلياً أن كل المفسرين الشيعة، عدا السيد الطباطبائي الذي لم يدلو بدلوه بشكل واضح، قد أجمعوا أن معنى المقطع الأول من الآية (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) هو المني (النطفة)، وليس الإنسان.

ج- بعد أن عرفنا أن المفسرين الشيعة قد أجمعوا أن الذي (يَخْرُجُ) راجع للماء (المني)، فما المقصود بالصلب والترائب الذي يخرج منه ذلك الماء (المني أو النطفة)؟

الإجابة على هذا السؤال، يذكر المفسرون الإجابات التالية:

- **الترائب: هو موضع القلادة من الصدر عن ابن عباس. (الطبرسي).**
- **اليدان والرجلان والعينان عن الضحاك. (الطبرسي).**
- **الترائب: ما بين المنكبين والصدر عن مجاهد. (الطبرسي).**
- **الترائب: المشهور في كلام العرب أنها عظام الصدر والنحر. (الطبرسي).**
- **الصلب هو الظهر، والترائب جمع تريبة وهو موضع القلادة من صدر المرأة - في قول ابن عباس. (الطوسي).**
- **المحصور من البدن بين جداري عظام الظهر وعظام الصدر. (الطباطبائي).**
- **بين صلب الرّجل وترائب المرأة وهي صدرها. (الفيض الكاشاني).**
- **الصلب ": الظهر: و " الترائب ": جمع (تريبة)، وهي - على ما هو مشهور بين علماء اللغة - عظام الصدر العليا وضلوعه. وكما يقول ابن منظور في لسان العرب: قال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القلادة من الصدر.(الشيرازي).**
- **الصّلب بالضّمّ والصّلب بالتّحريك العــظم الّذى من لدن الكاهــل(١) الى العُجب(٢)، والتّرائب**

١ـ الكاهِلُ مقدَّم أعلى الظهر مما يَلي العُنُق وهو الثُّلث الأعلى فيه سِتُّ فِقر. (لسان العرب : ابن منظور).

٢ـ العجب: العظم الذي في أسفل الصُّلب عند العَجُز، وهو العَسِيبُ من الدَّوابِّ. (لسان العرب : ابن منظور).

عظام الصّدر او ما ولى التّرقوتين منه. (الجنابذي).

- ما بين الثّديين والتّرقوتين. (الجنابذي).
- اربع اضلاعٍ من يمنة الصّدر واربع من يسرته. (الجنابذي).
- اليدان والرّجلان والعينان. (الجنابذي).
- موضع القلادة. (الجنابذي).

من الواضح أن المفسرين لم يتفقوا على معنى واحد. لكن فقهاء اللغة العربية، وهم وحدهم من يستطيع أن يحكم في هذه المسألة بالذات، لقول كاتب القرآن:" وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ[١]". وقد صرح آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بذلك، فقال:" " الصلب ": الظهر: و " الترائب ": جمع (تريبة)، وهي - على ما هو مشهور بين علماء اللغة - عظام الصدر العليا وضلوعه. وكما يقول ابن منظور في لسان العرب: قال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القلادة من الصدر". انتهى.

إذن الصلب هو الظهر. والترائب، جمع تريبة، وهي موضع القلادة من صدر المرأة.

د- هل أقر بعض المفسرين تلميحاً أن القرآن خاطئ في تلك المسألة؟ مسألة تكون المني وخروجه من ظهر الرجل أو تكون وخروج ماء المرأة من صدرها؟

الإجابة على هذا السؤال، يذكر المفسرون الإجابات التالية:

نعم، فالمفسر الجنابذي خالف القرآن في تلك المسألة بكل وضوح، فقال:" اعلم، انّ التّحقيق كما عليه معظم الحكماء انّ النّطفة فضلة الهضم الرّابع وهى تفضل في جميع البدن وتنزل الى البيضتين فهي تخرج من جميع اجزاء البدن لا اختصاص لها بالصّلب والتّرائب". ومع ذلك فأن المني يتكون في الخصيتين وليس من جميع البدن. فكاتب القرآن قد أخطأ في تلك المسألة التي كانت من المسلمات في عصره. وقد سبق أبقراط (أبو الطب) وأرسطو بهذه الأقوال محمد رسول الإسلام بعشرة قرون من الزمن، فقد ذكر صدر المتألهين الشيرازي خلال شرحة للآية (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)، فقال[٢]:" اختلف الحكماء والأطبّاء في انفصال المني عن جميع الأعضاء أو عن الأنثيين فقط، وفي كون المني متشابه الأجزاء أو مختلف الأجزاء، فأرسطو وشيعته ذهبوا إلى تشابه الأجزاء لانفصاله من الأنثيين، وذهب أبقراط وشيعته إلى أنّه ليس متشابه الأجزاء، لأنّه يخرج من كلّ البدن، فيخرج من اللحم شبيه به، ومن العظم شبيه به، وهكذا في جميع الأجزاء، فأجزاؤه غير متشابهة الحقيقة، بل حقائقها متخالفة حسب اختلاف

١- تفسير صدر المتألهين - ملا صدرا محمد بن إبراهيم الشيرازي، المشهور بصدر المتألهين الشيرازي - تفسير الآية: ٧، سورة الطارق.

٢- الاية:١٠٣ ، سورة النحل.

حقائق ما ينفصل عنها، فهو غير متشابه الأمشاج، بل متشابه الامتزاج متّصل عند الحسّ". انتهى.

هـ - من أين أتت فكرة الإعجاز العلمي في هذه الآيات؟

وللإجابة على هذا السؤال، يمكنني القول أنه قد تناسى الإعجازيون ومن تبنى فكرهم مثل آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي أن ما قد اتفق عليه المفسرون هو خروج ماء (المني) من بين ظهر الرجل وصدر المرأة، ولم يكن المعنى في ذلك خروج الإنسان، وقد أثبتنا ذلك من تفاسيرهم. لكن الإعجازيون لووا عنق الآية بحيث جعلوها تشير إلى مكان الجنين في بطن أمه عوضاً عن ذلك الماء (ماء الرجل وماء المرأة) فقال:" قيل: إن في الآيتين سرا من أسرار التنزيل، ووجها من وجوه الأعجاز، إذ فيهما معرفة حقائق علمية لم تكن معروفة حينذاك وقد كشف عنها العلم أخيرا. وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا هذه الآيات، التي حيرت الألباب، فقد ثبت أن خصية الرجل ومبيض المرأة في بداية ظهورهما في الجنين يقعان في مجاورة كلية الجنين، أي بين وسط الفقرات (الصلب) والاضلاع السفلى للصدر (الترائب) ثم مع نمو الجنين ينتقلان تدريجيا إلى الأسفل، وبما أن تكون الإنسان يمثل تركيبا من نطفة الرجل والمرأة والمحل الأصلي لجهاز توليد النطفة فيهما هو بين الصلب والترائب، أختار القرآن لذلك هذا التعبير". طبعاً كاتب القرآن لم يكن يقصد ذلك المعنى على الإطلاق. والشي المضحك قول الشيخ الشيرازي" والمحل الأصلي لجهاز توليد النطفة فيهما هو بين الصلب والترائب". وهذا رأي خاطئ علمياً أيضاً. والشيخ الشيرازي أيضاً لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه بأشواط، متأثراً بهلوسة الإعجازيين، فقال:" ويمكن أن تكون الآية قد أشارت إلى حقيقة علمية مهمة لم يتوصل إلى اكتشافها بعد، وربما المستقبل سيكشف ما لم يكن بالحسبان".

على أن الشيخ الشيرازي يعود مرة أخرى ليناقض نفسه فيما ذكر سابقاً، فيذكر أن معنى (يخرج) راجع إلى ماء (مني) الرجل وحده، فيقول:" فالآيات تشير إلى ماء الرجل دون المرأة، بقرينة "ماء دافق"، وهذا لا يصدق إلا على الرجل، وعليه يعود الضمير في " يخرج ". وعليه، فينبغي إخراج المرأة من هذه الدائرة، ليكون البحث منصبا على الرجل فقط، وهو المشار إليه في الآية. و "الصلب والترائب" هما ظهر الرجل وقسمه الأمامي، لأن ماء الرجل إنما يخرج من هاتين المنطقتين. وهذا التفسير واضح، خال من أي تكلف، ينسجم مع ما ورد في كتب اللغة بخصوص المصطلحين". انتهى.

ج - تطور الجنين

لقد قال كاتب القرآن:" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(١).

أقوال المفسرين الشيعة الإمامية الإثناعشرية

١- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في تفسيره للآيات السابقة:" المعنى: ثم قال سبحانه على وجه القسم {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين} المراد بالإنسان ولد آدم (ع) وهو اسم الجنس فيقع على الجميع عن ابن عباس ومجاهد وأراد بالسلالة الماء يسل من الظهر سلاً من طين أي من طين آدم لأنها تولدت من طين خلق آدم منه. قال الكلبي: يقول من نطفة سلت تلك النطفة من طين. وقيل: أراد بالإنسان آدم (ع) لأنه استل من أديم الأرض عن قتادة. {ثم جعلناه} يعني ابن آدم الذي هو الإنسان {نطفة في قرار مكين} يعني الرحم مكن فيه الماء بأن هُيَّأَ لاستقراره فيه إلى بلوغ أَمَده الذي جعل له. {ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة} مفسّر في سورة الحج {فخلقنا المضغة عظاماً} أي جعلنا تلك المضغة من اللحم عظاماً {فكسونا العظام لحماً} أي فأنبتنا اللحم على العظام كاللباس. بيَّن سبحانه تنقل أحوال الإنسان في الرحم حتى استكمل خلقه لينبّه على بدائع حكمته وعجائب صنعته وكمال نعمته {ثم أنشأناه خلقاً آخر} أي نفخنا فيه الروح عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي والضحاك. وقيل: هو نبات الشعر والأسنان وإعطاء الفهم عن قتادة. وقيل: يعني ثم أنشأناه ذكراً وأنثى عن الحسن {فتبارك الله أحسن الخالقين} أي تعالى الله ودام خيره وثبت. وقيل: معناه استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل ولا يزال لأنه مأخوذ من البروك الذي هو الثبوت. وقال أحسن الخالقين لأنه لا تفاوت في خلقه وأصل الخلق التقدير، يقال خلقت الأديم إذا قسته لتقطع منه شيئاً. وقال حذيفة في هذه الآية تصنعون ويصنع الله وهو خير الصانعين وفي هذا دليل على أن اسم الخلق قد يطلق على فعل غير الله تعالى إلا أن الحقيقة في الخلق لله سبحانه فقط فإن المراد من الخلق إيجاد الشيء مقدراً تقديراً لا تفاوت فيه وهذا إنما يكون من الله سبحانه وتعالى ودليله قوله {ألا له الخلق والأمر} [الأعراف: ٥٤] وروي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما بلغ إلى قوله {خلقاً آخر} خطر بباله فتبارك الله أحسن الخالقين فلما أملاها رسول الله كذلك. قال عبد الله: إن كان نبياً يوحى إليه فأنا نبيٌّ يوحى إليّ فلحق بمكة مرتداً ولو صحَّ هذا فإن هـذا القدر لا يكون معجزاً ولا يمتنع أن يتفق ذلك مـن الواحـد منا لكن هذا الشـقي

١- سورة المؤمنون ، الآيات: ١٢- ١٤.

إنما اشتبه عليه أو شبّه على نفسه لما كان في صدره من الكفر والحسد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم". انتهى.

٢- التبيان الجامع لعلوم القرآن

وقال شيخ طائفة الشيعة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي للآيات السابقة:" يقول الله تعالى على وجه القسم، انه: خلق {الإنسان من سلالة من طين} فقال ابن عباس ومجاهد: المراد بالإنسان كل انسان، لأنه يرجع إلى آدم الذي خلق من سلالة. وقال قتادة: المراد بالإنسان آدم، لأنه استل من أديم الأرض. وقيل: استل من طين. والسلالة صفوة الشيء التي تخرج منه، كأنها تستل منه. والسلالة صفوة الشيء التي تجري قبل ثفله، وكدره، لأنها متقدمة على ثفله، كتقديم السلف والاجر على الآخرة. وقد تسمى النطفة سلالة والولد أيضاً سلالة وسليلة. والجمع سلالات، وسلائل، قال الشاعر:

وهل كنت إلا مهرة عربية　　　سليلة أفراس تجللها بغل

وقال آخر:

فجاءت به عضب الاديم غضنفرا　　　سلالة فرج كان غير حصين

وقال آخر:

يقذفن في أسلابها بالسلائل

وقال آخر:

إذا نتجت منها المهارى تشابهت　　　على القود لا بالأنوف سلائله

وفي الآية دلالة على أن الانسان هو هذا الجسم المشاهد، لأنه المخلوق من نطفة، والمستخرج من سلالة، دون ما يذهب اليه قوم: من انه الجوهر البسيط، او شيء لا يصح عليه التركيب والانقسام، على ما يذهب اليه معمر وغيره. وقوله {ثم جعلناه نطفة في قرار مكين} المعنى جعلنا الانسان، وهو من ولد من نسل آدم {نطفة} وهي القطرة من ماء المني التي يخلق الله منها الحيوان، على مجرى العادة في التناسل، فيخلق الله من نطفة الانسان إنساناً ومن نطفة كل حيوان ما هو من جنسه. ومعنى {مكين} أي مكين لذاك، بأن هيئ لاستقراره فيه الى بلوغ أمده الذي جعل له. وقوله {ثم خلقنا النطفة علقة} فالعلقة القطعة من الدم إذا كانت جامدة، فبين الله تعالى أنه يصير تلك النطفة علقة، ثم يجعل العلقة مضغة، وهي القطعة من اللحم. ثم اخبر انه يجعل المضغة {عظاماً}. وقرئ " عظماً " وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر عن عاصم. فمن قرأ {عظاماً} أراد ما في الانسان من أقطاع العظم. ومن قرأ " عظماً " فلأنه اسم جنس يدل على

ذلك. ثم بين تعالى انه يكسو تلك {العظام لحماً} ينشئه فوقها، كما تكسى الكسوة. وقوله ثم {انشأناه خلقاً آخر} يعني بنفخ الروح فيه - في قول ابن عباس ومجاهد - وقيل: نبات الأسنان والشعر، واعطاء العقل والفهم. وقيل {خلقاً آخر} معناه ذكر او انثى. ثم قال {فتبارك الله أحسن الخالقين} ومعنى {تبارك} استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل، ولا يزال، وهو مأخوذ من البروك، وهو الثبوت. وقوله {أحسن الخالقين} فيه دلالة على ان الانسان قد يخلق على الحقيقة، لأنه لو لم يوصف بخالق إلا الله، لما كان لقوله {أحسن الخالقين} معنى. وأصل الخلق التقدير، كما قال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري". انتهى.

٣- الميزان في تفسير القرآن

وقال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره لتلك الآيات القرآنية أن:" قوله تعالى: {ثم جعلناه نطفة في قرار مكين} النطفة القليل من الماء وربما يطلق على مطلق الماء، والقرار مصدر أريد به المقر مبالغة والمراد به الرحم التي تستقر فيها النطفة، والمكين المتمكن وصفت به الرحم لتمكنها في حفظ النطفة من الضيعة والفساد أو لكون النطفة مستقرة متمكنة فيها. والمعنى: ثم جعلنا الإنسان نطفة في مستقر متمكن هي الرحم كما خلقناه أولاً من سلالة من طين أي بدلنا طريق خلقه من هذا إلى ذاك. قوله تعالى: {ثم خلقنا النطفة علقة} إلى قوله {فكسونا العظام لحماً} تقدم بيان مفردات الآية في الآية ٥ من سورة الحج في الجزء السابق من الكتاب وفي قوله: {فكسونا العظام لحماً} استعارة بالكناية لطيفة. قوله تعالى: {ثم أنشأناه خلقاً آخر} الإنشاء - كما ذكره الراغب - إيجاد الشيء وتربيته كما أن النشء والنشأة إحداثه وتربيته كما يقال للشاب الحديث السن ناشئ. وقد غير السياق من الخلق إلى الإنشاء فقال: {ثم أنشأناه خلقاً آخر} دون أن يُقال: ثم خلقناه الخ، للدلالة على حدوث أمر حديث ما كان يتضمنه ولا يقارنه ما تقدمه من مادة فإن العلقة مثلاً وإن خالفت النطفة في أوصافها وخواصها من لون وطعم وغير ذلك إلا أن في النطفة مكان كل من هذه الأوصاف والخواص ما يجانسه وإن لم يماثله كالبياض مكان الحمرة وهما جميعاً لون بخلاف ما أنشأه الله أخيراً وهو الإنسان الذي له حياة وعلم وقدرة فإن ما له من جوهر الذات وهو الذي نحكي عنه بأنا لم يسبق من سنخه في المراحل السابقة أعني النطفة والعلقة والمضغة والعظام المكسوة لحماً شيء، ولا سبق فيها شيء يناظر ما له من الخواص والأوصاف كالحياة والقدرة والعلم فهو منشأ حادث مسبوق بالعدم. والضمير في {أنشأناه} - على ما يعطيه السياق - للإنسان المخلوق عظاماً مكسوة باللحم فهو الذي أنشئ وأحدث خلقاً آخر أي بدل وهو مادة ميتة جاهلة عاجزة موجوداً ذا حياة وعلم وقدرة، فقد كان مادة لها صفاتها وخواصها ثم برز وهو يغاير سابقته في الذات والصفات والخواص، فهو تلك المادة السابقة فإنها التي صارت إنساناً، وليس بها إذ لا يشاركها في ذات ولا صفات، وإنما له

نوع اتحاد معها وتعلّق بها يستعملها في سبيل مقاصدها استعمال ذي الآلة للآلة كالكاتب للقلم. وهذا هو الذي يستفاد من مثل قوله: {وقالوا أئذا ضللنا في الأرض إنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم}[السجدة: ١٠-١١]، فالمتوفى والمأخوذ عند الموت هو الإنسان، والمتلاشي الضال في الأرض هو البدن وليس به. وقد اختلف العطف في مفردات الآية بالفاء وثم، وقد قيل في وجهه أن ما عطف بثم له بينونة كاملة مع ما عطف عليه كما في قوله: {ثم جعلناه نطفة} {ثم خلقنا النطفة علقة} ، {ثم أنشأناه خلقاً آخر} ، وما لم يكن بتلك البينونة والبعد عطف بالفاء كقوله: {فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً}. قوله تعالى: {فتبارك الله أحسن الخالقين} قال الراغب: أصل البرك - بالفتح فالسكون - صدر البعير. قال: وبرك البعير ألقى ركبه واعتبر منه معنى اللزوم. قال: وسمي محبس الماء بركة - بالكسر فالسكون - والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء قال تعالى: {لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} وسمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة، والمبارك ما فيه ذلك الخير. قال: ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة. انتهى. فالتبارك منه تعالى اختصاصه بالخير الكثير الذي يجود به ويفيضه على خلقه وقد تقدم أن الخلق في أصله بمعنى التقدير فهذا الخير الكثير كله في تقديره وهو إيجاد الأشياء وتركيب أجزائها بحيث تتناسب فيما بين أنفسها وتناسب ما وراءها ومن ذلك ينتشر الخير الكثير". انتهى.

٤- الصافي في تفسير كلام الله الوافي

وقال المولى الفيض الكاشاني للآيات آنفة الذكر:" {(١٢) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِن طِينٍ}.القمّي قال السلالة الصفوة من الطعام والشراب الذي يصير نطفة والنطفة اصلها من السلالة والسلالة هو من صفو الطعام والشراب والطعام من اصل الطين فهذا معنى قوله جلّ ذكره من سُلاَلَةٍ مِن طِينٍ. {(١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ } قال يعني في الانثيين ثمّ في الرّحم. {(١٤) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً} قد سبق تفسرها في اوايل سورة الحج وقرء العظم على التوحيد فيهما {ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ}.القمّي عن الباقر عليه السلام قال هو نفخ الرّوح فيه {فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}. في التوحيد عن الرضا عليه السلام انه سئل وغير الخالق الجليل خالق قال ان الله تبارك وتعالى قال تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ وقد أخبر انّ في عباده خالقين وغير خالقين منهم عيسى بن مريم خلق من الطّين كيهئة الطّير باذن الله والسّامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوارٌ". انتهى.

٥- بيان السعادة في مقامات العبادة

وقال سلطان العلماء الجنابذي أن:" عطف على قد افلح المؤمنون ووجه المناسبة بينهما انّ فلاح المؤمن عبارة عن خلاصه عن نقائص المادّة وشوائب العدم وخروجه عن القوّة الى الفعليّة واوّل مراتب خلقته ايضاً خلاص من العدم وعن نقائص المادّة وخروج من القوى الى الفعليّات فكأنّه علّل صحّة فلاحة بهذا العطف وقال: انّ فلاحة مثل خلقته المشهودة لكم بحسب آثارها فانّ النّشأة الآخرة مثل النّشأة الدّنيا، ويجوز ان يكون حالاً بهذا المعنى، والسّلالة ما انسلّ من الشّيء ونكّر السّلالة والطّين للاشعار بانّهما كانا نوعين خاصّين من السّلالة والطّين، ومن الاولى ابتدائيّة متعلّقة بخلقنا والثّانية بيانيّة او تبعيضيّة متعلّقة بمحذوفٍ صفة لسلالةٍ، او ابتدائيّة متعلّقة بسلالةٍ، او بمحذوفٍ صفة لسلالة، او هي مع ما بعدها بدل من قوله من سلالة، والمراد بالإنسان الجنس وبالسّلالة النّطفة قبل انفصالها من الاصلاب والتّرائب وقبل ان تسمّى نطفةً، وبالطّين طين آدم او الغذاء مطلقاً او الغذاء المهضوم في المعدة او الكبد او العروق او الاعضاء فانّ الكلّ بوجهٍ تراب خليط بالماء خلطة اتمّ وابلغ من الطّين المعروف، وقيل: المراد بالإنسان آدم (ع) ابو البشر، وبالسّلالة التّراب المأخوذ من اديم الارض. {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً} مستقرّاً {فِي قَرَارٍ} القرار والقرارة بفتحهما ما يستقرّ فيه الشّيء {مَّكِينٍ} من المكان بمعنى الموضع او من المكانة بمعنى المنزلة عند الملك، او من التّمكّن بمعنى الاقتدار، والمراد بالقرار المكين الرّحم. {ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ} أي صيّرنا النّطفة {عَلَقَةً} او خلقنا من النّطفة علقةً {فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً} اتى بثمّ في الفقرة الاولى للإشارة الى امتداد الزّمان من اوّل استقرار النّطفة في الرّحم الى صيرورتها دماً منعقداً بخلاف صيرورة العلقة مضغةً فانّه لا تراخى بين العلقة والمضغة {فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً} يعنى صيّرنا وصوّرنا اوّلاً صورة العظام فانّه ما لم يتميّز العظام في بدن الجنين لا يتصوّر تصوير اللّحوم فانّ اللّحوم في كلّ موضع بنحوٍ مخصوصٍ وليس تميّزها وخصوصيّاتها الاّ بتميّز محالّها الّتي هي العظام وخصوصيّاتها { فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ } اتى بثمّ للاشعار بتراخي مرتبة الانشاء عن الخلق فانّ الخلق يستعمل في المكوّنات المادّيّات، والانشاء فى المجرّدات، وقد يخصّ الخلق بما يحتاج الى مادّة ومدّة كالمواليد، والاختراع بما يحتاج الى المادّة دون المدّة كالسّماوات والعناصر، والانشاء بالمتقدّرات المجرّدة عن المادّة والمدّة، والابداع بالمجرّدات عن الكلّ وبكلا المعنيين يكون الانشاء اعلى درجةً من الخلق، وللاشارة الى انّ انشاء نفس الانسان ليس كصيرورة العلقة مضغةً بلا فرجة بل لا يكون انشاء نفس الانسان ممتازة عن بدنه الاّ آخر ايّام الحمل او اوّل ايّام الوضع فيكون بين كسوة العظام لحماً وبين انشائه نفساً تراخ { فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ } بمعنى تنزّه وتقدّس وهذه كلمة خاصّة بالله بهذا المعنى يقال فى مقام التّعجّب من الشّيء وتعظيمه وان كان اصله من البركة بمعنى النّماء والزّيادة فى الخيرات، عقّب الانشاء بهذه الكلمة للاشارة الى انّ انشاء نفس الانسان امر عظيم ينبغى ان يتعجّب منه وينزّه منشئه عن وصمة النّقص، والتفت من التّكلّم الى الغيبة ولم يقل تباركنا لانّ هذه الكلمة صارت كالأمثال في مخاطباتهم ولا تتغيّر { أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ } يعنى انّ الخالقيّة الحقيقيّة ان كانت منحصرة في الله فوسائطه لخلقه من الملائكة والقوى والصّنّاع كثيرة

والله تعالى احسن الكلّ لعدم احتياجه فى خلقه الى شيءٍ من مثالٍ سابق ومادّةٍ ومددٍ وآلةٍ وقوىً وجوارح واعضاء". انتهى.

أن مراحل تكون الجنين الواردة في القرآن لا تقرها الحقائق العلمية الحديثة. فقد وقع كاتب القرآن في اخطاء علمية كثيرة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون كاتب القرآن له علاقة بالخالق الوحيد، العالم بتكوين الجنين ومراحل خلقه.

المسلمون يقبلون فقط الروايات الصحيحة المروية من رجال ثقات، حتى لو كانت تلك الروايات تحمل في طياتها أخطاء علمية وجغرافية وتاريخية ولاهوتية. بعض المسلمين في أيامنا الحالية انفصلوا عن طوائفهم الرسمية، واطلقوا على أنفسهم القرآنيين، أي الذين لا يقبلون الحديث النبوي جملة وتفصيلاً. لكن ماذا لو أن القرآن نفسه يحمل أخطأ علمية وجغرافية وتاريخية ولغوية واملائية ولاهوتية، فهل سيرفضه المسلمون جملة وتفصيلاً؟

طائفة المسلمون الشيعة مثلهم في ذلك مثل جماعة أهل السنة الجماعة، فلديهم كتب حديث موثوقة ورجال ثقات. لكن كل من الطائفتين لا تأخذان أو تسلمان بصحة الحديث المروي من الطائفة الأخرى. لأجل ذلك قمت بالاستشهاد بروايات من كتب الحديث الخاصة بالطائفة الشيعية الإمامية الإثناعشرية، التي تكون موضوعاتها ومعانيها واحدة أو متشابهة إلى حد بعيد بتلك الروايات الموجودة في صحيحي البخاري ومسلم. فمن الجانب السني روى البخاري في كتاب القدر باب في القدر، فقال :" حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك حدثنا شعبة أنبأني سليمان الأعمش قال سمعت زيد بن وهب عن عبد الله قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي أو سعيد فوالله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها قال آدم إلا ذراع". انتهى.

والشاهد من تلك الرواية السابقة، هو التالي:

- **إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما (نطفة).**
- **ثم علقة مثل ذلك. أي بعد أربعين يوم أخرى، أي ٨٠ يوم.**
- **ثم يكون مضغة مثل ذلك. أي بعد أربعين يوم أخرى، أي ١٢٠ يوم.**

و من الجانب الشيعي الإمامي الإثناعشري، فقد روى ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني في الكافي(١):" محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجل يضرب المرأة فتطرح النطفة؟ فقال: عليه عشرون دينارا، فقلت: يضربها فتطرح العلقة؟ فقال: عليه أربعون دينارا، قلت: فيضربها فتطرح المضغة؟ قال: عليه ستون دينارا، قلت: فيضربها فتطرحه وقد صار له عظم؟ فقال: عليه الدية كاملة، وبهذا قضى أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: فما صفة خلقة النطفة التي تعرف بها؟ فقال: النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة فتمكث في الرحم إذا صارت فيه أربعين يوما ثم تصير إلى علقة، قلت: فما صفة خلقة العلقة التي تعرف بها؟ فقال: هي علقة كعلقة الدم المحجمة الجامدة تمكث في الرحم بعد تحويلها عن النطفة أربعين يوما، ثم تصير مضغة، قلت: فما صفة المضغة وخلقتها التي تعرف بها؟ قال: هي مضغة لحم حمراء فيها عروق خضر مشتبكة، ثم تصير إلى عظم، قلت: فما صفة خلقته إذا كان عظما؟ فقال: إذا كان عظما شق له السمع والبصر ورتبت جوارحه فإذا كان كذلك فإن فيه الدية كاملة". انتهى.

وروى أيضاً، فقال(٢):" علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: سألت علي بن الحسين عليهما السلام عن رجل ضرب امرأة حاملا برجله فطرحت ما في بطنها ميتا فقال: إن كان نطفة فإن عليه عشرين دينارا، قلت فما حد النطفة؟ فقال: هي التي إذا وقعت في الرحم فاستقرت فيه أربعين يوما، قال: وإن طرحته وهو علقة؟ فإن عليه أربعين دينارا، قلت: فما حد العلقة؟ فقال: هي التي إذا وقعت في الرحم فاستقرت فيه ثمانين يوما، قال: وإن طرحته وهو مضغة فإن عليه ستين دينارا، قلت: فما حد المضغة؟ فقال: هي التي إذا وقعت في الرحم فاستقرت فيه مائة وعشرين يوما، قال: وإن طرحته وهو نسمة مخلقة له عظم ولحم مزيل الجوارح قد نفخ فيه روح العقل فإن عليه دية كاملة، قلت له: أرأيت تحوله في بطنها إلى حال أبروح كان ذلك أو بغير روح؟ قال: بروح عدا الحياة القديم المنقول في أصلاب الرجال وأرحام النساء ولولا أنه كان فيه روح عدا الحياة ما تحول عن حال بعد حال في الرحم وما كان إذا على من يقتله دية وهو في تلك الحال". انتهى.

بالنسبة للراوي علي بن إبراهيم الذي حدث بالرواية الثانية، فقد قال عنه السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي في كتابه نقد الرجال(٤) تحت رقم: ٤/٣٤٧٤ :" علي بن إبراهيم بن هاشم: القمي، أبو الحسن القمي، ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنف كتباً ، وأضرّ(٣) في وسط عمره، رجال النجاشي. له كتب، روى عنه : علي بن الحسين

١- الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني - ج ٧ ، الصفحة: ٣٤٥.
٢- الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني - ج ٧ – الصفحة: ٣٤٧.
٣- بمعنى أصبح ضريراً، أي أصيب بالعمى في منتصف عمره.
٤- نقد الرجال، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي - الجزء الثالث، الصفحة: ٢١٨.

وأبو محمّد الحسن بن حمزة العلوي الطبري ومحمّد بن علي بن ماجيلويه، الفهرست. وهذا هو الذي روى عنه محمّد بن يعقوب الكليني كثيراً كما يظهر من كتب الأخبار".

وفيما يخص الراوي محمد بن يحيى الذي حدث بالرواية الأولى، فقد قال عنه السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي في كتابه نقد الرجال(١) تحت رقم: ٥١٦٧/ ٨١١:" محمّد بن يحيى: أبو جعفر العطّار القمّي، شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة، عين، كثير الحديث، له كتب، أخبرني: عدّة من أصحابنا، عن ابنه أحمد، عن أبيه، رجال النجاشي. روى عنه : الكليني، قمي، كثير الرواية ، في من لم يرو عن الأئمّة (عليهم السّلام)، رجال الشيخ".

قد يختلف بعض علماء الرجال في بعض الأشخاص الآخرين المروي عنهم تلك الروايتين، لكن تلكما الروايتان قد وافقتا ما قاله البخاري في صحيحه، والذي سبق أن ذكرناه في الصفحة ٢٩٧. لذا مما سبق يتضح لنا التالي:

- **مدة مكوث النطفة في رحم المرأة أربعين يوم.**
- **مدة مكوث العلقة في رحم المرأة أربعين يوم آخر أي ٨٠ يوم.**
- **مدة مكوث المضغة في رحم المرأة أربعين يوم غير الثمانين يوم الأخرى، أي ١٢٠ يوم.**

وأضع الاستنتاج الأخير للدكتور وليم كامبل مؤلف كتاب (القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم)، حيث يقول:" جاءت كلمة (علقة) (بصيغة المفرد) خمس مرات في القرآن، وجاءت بصيغة الجمع (عَلَق) مرة واحدة، في خمس آيات قرآنية، لتصف مرحلة من مراحل نمو الجنين. تقول سورة القيامة ٧٥ الآيات :٣٧-٣٩ (من العهد المكي المبكر): " أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى". وتقول سورة غافر ٤٠ الآية:٦٧ (من العهد المكي المتأخر):"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ". وتضيف سورة الحج ٢٢ الآية ٥ (من العهد المكي والمتأخر والعهد المدني المبكر) بعض المعلومات، فتقول:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ". ولكن سورة المؤمنون ٢٣ الآية ١٢- ١٤ تقدم أكثر الآيات معالجة للموضوع (وهي من العهد المكي المتأخر) :" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا

الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ". ويعرف كل دارس للأحياء أن لا وجود لمرحلة (العلقة) في تكوين الجنين، وهذا يخلق مشكلة علمية كبرى. قال الراغب الأصفهاني في كتابه (معجم مفردات ألفاظ القرآن) عن علقة (الدم الجامد، ومنه العلقة التي يتكون منها الولد، وعلِقت المرأة حبلت والعَلَق التشبُّث بالشيء). وكان أول ما أنزل على محمد من القرآن في مكة سورة العلق ٩٦:١ و٢، وتقول فاتحتها (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ). ويقول د بوكاي: (علق تشير إلى ما يعلُق (ما يتشبَّث بالشيء) ذلك هو المعنى الأول وجلطة الدم معنى مشتق من هذا المعنى) (ص ٢٣١). وينتقد د بوكاي مترجمي القرآن إلى الإنكليزية والفرنسية في ترجمتهم لكلمة (علقة) فيقول: (فأكثر ما يُضل الباحث هنا أيضاً هو مشكلة المفردات فالواقع أن ترجمات وتفسيرات بعض الفقرات التي ما زالت منتشرة في عصرنا تعطي لرجال العلم الذين يقرأونها فكرة مغلوطة تماماً عن الآيات الخاصة بهذا الموضوع على سبيل المثال تقول معظم هذه التفسيرات بتشكُّل الإنسان ابتداءً من (جلطة دم) أو ابتداءً من (التحام) وهذه المقولة لا يقبلها مطلقاً العالِم المتخصص في هذا الميدان مثل هذه الملاحظة تجعلنا نتصوَّر الأهمية الكبرى لاقتران المعارف اللغوية والمعارف العلمية للوصول إلى إدراك معنى المقولات القرآنية عن التناسل) (ص ٢٢٦ و٢٢٧). فكيف يريد د بوكاي أن يترجموا كلمة (علقة) للإنكليزية أو الفرنسية؟ يريدهم أن يترجموها (التحام) أو (ما يعلق) أو (ما يتشبَّث بالشيء) ويقول (يتحقق استقرار البويضة بالرحم بواسطة امتدادات حقيقية، كما لو كانت بذوراً تضرب في الأرض وهذه الامتدادات هي التي تجعل البويضة تتعلق بالرحم) (ص ٢٣٠). وهذا الكلام ممكن، وهو أقرب لحقائق العلم ولكن أين ذِكر البويضة؟ إن (ما يتشبث بالشيء) لا يتكون من السائل المنوي وحده، بل من اندماج نواة المني ونواة البويضة وبالطبع فإن إغفال ذكر أمر ليس بالضبط ارتكاب خطإ، ولكنه ينتقص من الحقيقة. وثانياً: إن (ما يتشبث بالشيء) لا يتوقف عن التعلُّق حتى يصبح (مُضغة)، ولكنه يستمر (عالقاً) مدة ثمانية أشهر ونصف حتى يولد. وثالثاً: تقول تلك الآيات إن (المضغة) تصبح عظاماً، ثم يغطيها اللحم (العضلات) وهذا ما يتكرر في سورة البقرة ٢:٢٥٩ (وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا) ويتضح من هذا أن الهيكل العظمي يتكون أولاً، ثم يكسوه اللحم، والحقيقة أن العظام واللحم يأخذان في التكوُّن في وقت واحد، وفي نهاية الأسبوع الثامن يكون الجنين قادراً على الإتيان ببعض الحركات العضلية، لأن الضلوع تصبح غضروفية، وتتواجد العضلات، ويبدأ تكوين العظام عند أطراف الضلوع وتنتشر في العمود إلى أن تصل إلى أطراف الغضروف في الشهر الرابع وتكون العضلات قادرة على الحركة ببداية الأسبوع الثامن، ولو أنها منذ الأسبوع العاشر إلى الثاني عشر تتطور وتنمو. فلو قلنا إن العلقة تصبح مضغة في الأسبوع الرابع، فإن العضلات تكون موجودة مع العظام، ولا تكسو عظاماً كانت موجودة من قبل، كما يقول القرآن وتبقى المشكلة بغير حل. ونكرر سؤالنا: هل كانت فكرة العلقة ثم المضغة المخلّقة معروفة مفهومة عند أهل مكة والمدينة لتكون لهم (آية)؟ إن المرء لا يرى الجنين عند الإجهاض المبكر، ولا يرى ما يشبه المضغة إلا المشيمة البالغة من العمر شهرين ترى ماذا فهم أهل مكة والمدينة

من كل هذا ليدفعهم ويقنعهم ليؤمنوا بالقيامة؟ (حديثان يذكران العلقة) الحديث الأول: عن أنس بن مالك أن جبريل أتى رسول الله وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه، فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء، فقال: هذا حظ الشيطان ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمَه، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني مرضعته حليمة) فقالوا: إن محمداً قد قُتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس: وقد كنتُ أرى أثر ذلك المخيط في صدره (السيرة الحلبية ١:٢٣١). ويظهر من هذا الحديث استعمالٌ مبكر لكلمة (علقة) استُخدمت لتعني كتلة دم سوداء، ولكنها لا تثبت المعاني المقترحة من د تركي ولا د بوكاي، ولا محمد أسعد. أما الحديث الثاني فعن زيد بن وهب، قال عبد الله: حدّثنا رسول الله، وهو الصادق المصدوق، قال (إن أحدكم يُجمَع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله مَلَكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويُقال له: اكتُب عمله ورزقه وأجَله وشقيٌّ أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما تكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة) (البخاري، كتاب بدء الخلق ج ٤ ص ١٣٥ ط دار الشعب بالقاهرة - ومشكاة المصابيح حديث رقم ٨٢ - متفق عليه). وهذا الحديث عن محمد، وقد رواه البخاري ومسلم، وأخطاؤه واضحة في القول إن المني يبقى ٤٠ يوماً، ثم العلقة ٤٠ يوماً (ومجموعهما ٨٠ يوماً) ثم المضغة ٤٠ يوماً (ومجموعهم ١٢٠ يوماً) وقد أثبت العلم الحديث أن الجرثومة المنوية تبقى حية لمدة أقل من أسبوع داخل المرأة، وأن في مدة ٧٠ يوماً تكون أعضاء الجنين قد نمت وتطورت، ما عدا المخ والعظام ولكن هذا الحديث يقول إن الجنين لا يصير مضغة إلا بعد ٨٠ يوماً، وهو خطأ علمي ويذكر د بوكاي هذا الحديث ويقول (وصف تطور الجنين في هذا الحديث لا يتفق مع المعلومات العلمية الحديثة) (ص ٢٨١). ولا يساعدنا هذا الحديث في تحديد معنى كلمة (علقة) ولكنه يرينا ما كان العامة يؤمنون به في عصر محمد، ولو أنه يواجهنا بمشاكل فقهية متعددة". ويضيف الدكتور وليم كامبل فيقول متسائلاً:" هل الأخطاء العلمية في حديث تضعف التعاليم الفقهية الواردة فيه؟ وإن كان حديث ما ضعيفاً أو مدسوساً، فكيف نضمن صدق أي حديث آخر؟ وكيف نتأكد أن النقل صحيح لأي حديث؟ وماذا نقبل من الحديث إن كان ذلك الحديث لا يقدم إلا معرفة محمد ومداركه العلمية؟؟". انتهى.

د- نزول الحديد

قال كاتب القرآن:" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاس وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(١)".

١- سورة الحديد، آية: ٢٥.

يزعم علماء الإعجاز العلمي، ان تلك الآية تثبت أن الحديد قد أتى إلى الأرض من نجوم تسمى المستعرات، وهي نجوم هائلة الحجم وتعادل حجم بعضها حجم شمسنا بآلاف المرات، لأن مادة الحديد لا يمكن أن تنتج من شمسنا. لكن القرآن يقول عكس تلك النظرية العلمية. لكن بعد أن قرأنا التفاسير وجدنا أن علماء الإعجاز العلمي لم يكونوا صادقين البتة.

أقوال المفسرين من الشيعة الإمامية الإثناعشرية

١- مجمع البيان في تفسير القرآن

قال الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي في تفسيره للآية السابقة:" ثم أقسم سبحانه فقال {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات} أي بالدلائل والمعجزات {وأنزلنا معهم الكتاب} المكتوب الذي يتضمن الأحكام وما يحتاج إليه الخلق من الحلال والحرام كالتوراة والإنجيل والقرآن {والميزان} أي وأنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذي يوزن به عن ابن زيد والجبائي ومقاتل بن سليمان. وقيل: معناه أنزلنا صفة الميزان {ليقوم الناس} في معاملاتهم {بالقسط} أي بالعدل والمراد وأمرنا بالعدل كقوله {الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان} [الشورى: ١٧] عن قتادة ومقاتل بن حيان. {وأنزلنا الحديد} روي عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح " وقال أهل المعاني معنى أنزلنا الحديد أنشأناه وأحدثناه كقوله {وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} [الزمر: ٦] وإلى هذا ذهب مقاتل فقال: معناه بأمرنا كان الحديد وقال قطرب: معنى أنزلنا هنا هيّأنا وخلقنا من النُزُل وهو ما يهيأ للضيف أي أنعمنا بالحديد وهيأناه لكم. وقيل: أنزل مع آدم من الحديد العلاة وهي السندان والكلبتان والمطرقة عن ابن عباس { فيه بأس شديد } أي يمتنع به ويحارب به عن الزجاج والمعنى أنه يتخذ منه آلتان آلة للدفع وآلة للضرب كما قال مجاهد: فيه جنّة وسلاح {ومنافع للناس} يعني ما ينتفعون به في معاشهم مثل السكين والفأس والإبرة وغيرها مما يتخذ من الحديد من الآلات. وقوله {وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب} معطوف على قوله ليقوم الناس بالقسط أي ليعاملوا بالعدل وليعلم الله نصرة من ينصره موجودة وجهاد من جاهد مع رسوله موجوداً وقوله {بالغيب} أي بالعلم الواقع بالاستدلال والنظر من غير مشاهدة بالبصر {إن الله قوي} على الانتقام من أعدائه {عزيز} أي منيع من أن يعترض عليه في أرضه وسمائه. النظم: وجه اتصال قوله {وما أصاب من مصيبة} الآية بما قبلها أنه سبحانه لما بيّن الثواب على الطاعات عقّبه ببيان الأعواض على مقاساة المصائب والملمّات فقال: لا يذهب علينا عوض من أصابته مصيبة مّا فإن كانت من فعلنا نعوضه بالأضعاف من جزائنا وإن كان من فعل عبادنا فباستيفائنا ذلك منهم ثم أكّد ذلك بقوله {لكيلا تأسوا} الآية لأن المصيبة لو كانت بغير عوض في العاقبة لازداد الأسى والحزن فإن الحزن كل الحزن في الخسران الذي ليس

له جبران ثم عقب ذلك بقوله {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات} الآية فبيَّن أنه سبحانه لطف لعباده بما يدعو إلى الخشوع والخضوع وترك الخيلاء". انتهى.

٢- التبيان الجامع لعلوم القرآن

وقال شيخ طائفة الشيعة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في تفسيره للآية السابقة:" ثم اقسم تعالى فقال {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات} يعني الدلائل والحجج الواضحة {وأنزلنا معهم الكتاب} أي مكتوباً فيه ما يحتاج الخلق اليه كالتوراة والانجيل والقرآن {والميزان} أي وانزلنا الميزان وهو ذو الكفتين. وقيل: المراد به العدل {ليقوم الناس بالقسط} يعني بالعدل فى الامور {وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد} إخبار من الله تعالى انه الذي انزل الحديد. وروي ان الله تعالى أنزل مع آدم العلاءة - يعني السندان والمطرقة والكليتين - من السماء، وهذا صحيح ولا بد منه، لان الواحد منا لا يمكنه أن يفعل آلات من حديد وغيرها إلا بآلات قبلها، وينتهي إلى آلات يتولى الله صنعها تعالى الله علواً كبيراً. وقوله {فيه بأس شديد} أي يمتنع به ويحارب به {ومنافع للناس} أي وفيه منافع للناس كأدواتهم وآلاتهم وجميع ما يتخذ من الحديد من آلات ينتفع بها كالسكين وغيرها {وليعلم الله من ينصره ورسله} أي فعلت ذلك لما لهم فيه من النفع به، وليعلم الله من ينصره بنصرة موجودة، ومن يجاهد مع نبيه جهاداً موجوداً {بالغيب} أي ينصر الله ورسله ظاهراً وباطناً {إن الله قوي عزيز} أي قادر على ما يصح أن يكون مقدوراً له لا يقدر احد على قهره ولا على منعه. وقيل: فى جواب قوله {الذين يبخلون} قولان: أحدهما - إنه محذوف كما حذف فى قوله { ولو أن قرآناً سيرت به الجبال } وتقديره الذين يبخلون فهم يستحقون العذاب والعقوبة. وقيل: أيضاً جوابه جواب قوله {ومن يتولى} فعطف بجزاءين على جزاء واحد، وجعل جزاءيهما واحد، كما تقول: إن تقم وتحسن آتك إلا انه حذف الجواب". انتهى.

٣- الميزان في تفسير القرآن

وقال آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره للآية القرآنية السابقة أن:" قوله تعالى: {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط} الخ، استئناف يتبين به معنى تشريع الدين بإرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان وأن الغرض من ذلك قيام الناس بالقسط وامتحانهم بذلك وبإنزال الحديد ليتميز من ينصر الله بالغيب ويتبين أن أمر الرسالة لم يزل مستمراً بين الناس ولم يزالوا يهتدي من كل أمة بعضهم وكثير منهم فاسقون. فقوله: {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات} أي بالآيات البينات التي يتبين بها أنهم مرسلون من جانب الله سبحانه من المعجزات الباهرة والبشارات الواضحة والحجج القاطعة. وقوله: {وأنزلنا معهم الكتاب} وهو الوحي الذي يصلح أن يكتب فيصير كتاباً، المشتمل على معارف الدين من اعتقاد

وعمل وهو خمسة: كتاب نوح وكتاب إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن. وقوله: {والميزان ليقوم الناس بالقسط} فسَّروا الميزان بذي الكفتين الذي يوزن به الأثقال، وأخذوا قوله: {ليقوم الناس بالقسط} غاية متعلقة بإنزال الميزان والمعنى: وأنزلنا الميزان ليقوم الناس بالعدل في معاملاتهم فلا يخسروا باختلال الأوزان والنسب بين الأشياء فقوام حياة الإنسان بالاجتماع، وقوام الاجتماع بالمعاملات الدائرة بينهم والمبادلات في الأمتعة والسلع، وقوام المعاملات في ذوات الأوزان بحفظ النسب بينها وهو شأن الميزان. ولا يبعد - والله أعلم - أن يراد بالميزان الدين فإن الدين هو الذي يوزن به عقائد أشخاص الإنسان وأعمالهم، وهو الذي به قوام حياة الناس السعيدة مجتمعين ومنفردين، وهذا المعنى أكثر ملائمة للسياق المتعرض لحال الناس من حيث خشوعهم وقسوة قلوبهم وجدهم ومساهلتهم في أمر الدين. وقيل: المراد بالميزان هنا العدل وقيل: العقل. وقوله: {وأنزلنا الحديد} الظاهر أنه كقوله تعالى: {وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} [الزمر: ٦]، وقد تقدم في تفسير الآية أن تسمية الخلق في الأرض إنزالاً إنما هو باعتبار أنه تعالى يسمي ظهور الأشياء في الكون بعد ما لم يكن إنزالاً لها من خزائنه التي عنده ومن الغيب إلى الشهادة قال تعالى: {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم} [الحجر: ٢١]. وقوله: {فيه بأس شديد ومنافع للناس} البأس هو الشدة في التأثير ويغلب استعماله في الشدة في الدفاع والقتال، ولا تزال الحروب والمقاتلات وأنواع الدفاع ذات حاجة شديدة إلى الحديد وأقسام الأسلحة المعمولة منه منذ تنبه البشر له واستخرجه. وأما ما فيه من المنافع للناس فلا يحتاج إلى البيان فله دخل في جميع شعب الحياة وما يرتبط بها من الصنائع. وقوله: {وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب} غاية معطوفة على محذوف والتقدير وأنزلنا الحديد لكذا وليعلم الله من ينصره الخ، والمراد بنصره ورسله الجهاد في سبيله دفاعاً عن مجتمع الدين وبسطاً لكلمة الحق، وكون النصر بالغيب كونه في حال غيبته منهم أو غيبتهم منه، والمراد بعلمه بمن ينصره ورسله تميزهم ممن لا ينصر. وختم الآية بقوله: {إن الله قوي عزيز} وكأن وجهه الإشارة إلى أن أمره تعالى لهم بالجهاد إنما هو ليتميز المتمثل منهم من غيره لا لحاجة منه تعالى إلى ناصر ينصره إنه تعالى قوي لا سبيل للضعف إليه عزيز لا سبيل للذلة إليه". انتهى.

٤- الصافي في تفسير كلام الله الوافي

وقال المولى الفيض الكاشاني للآية آنفة الذكر:" {(٢٥) لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ} بالحجج والمعجزات {وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ}. في الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية الكتاب الاسم الأكبر الذي يعلم به عليم كلّ شيء الذي كان مع الانبياء قال وانّما عرف مما يدعى الكتاب التوارة والانجيل والفرقان فيها كتاب نوح وفيها كتاب صالح وشعيب وابراهيم فأخبر الله عزّ وجلّ انّ هذا لفي الصّحف الاولى صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام فأين صحف ابراهيم

عليه السلام إنما صحف إبراهيم الاسم الأكبر وصحف موسى عليه السلام الاسم الأكبر {وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} بالعدل القمّي قال الميزان الامام عليه السلام. وفي الجوامع روي انّ جبرئيل نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مُرْ قومك يزنوا به {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} فانّ الآت الحروب متّخذة منه. وفي التوحيد عن امير المؤمنين عليه السلام يعني السلاح. وفي الاحتجاج عنه انزاله ذلك خلقه له {وَمَنَافِعُ لِلنَّاس} اذما من صنعة الاّ والحديد آلتها. في المجمع عن النبيّ صلّى الله عليه وآله انّ الله عزّ وجلّ انزل اربع بركات من السماء الى الأرض انزل الحديد والنار والماء والملح {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكافر والعطف على محذوف دلّ عليه ما قبله فانّه يتضمّن تعليلاً {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ} على إهلاك من اراد اهلاكه {عَزِيزٌ} لا يفتقر الى نفسه وانّما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه". انتهى.

٥- بيان السعادة في مقامات العبادة

وقال سلطان العلماء الجنابذي في تفسيره للآية السابقة:" {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ} أي بأحكام الرّسالة او المعجزات الدّالّة على صدقهم فمن اراد الايمان فليقبل عليهم {وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ} أي كتاب النّبوّة والكتب التّدوينيّة والملل الالهيّة صورها ولهذا ورد عن الصّادق (ع) فى هذه الآية الكتاب الاسم الاكبر الّذى يعلم به علم كلّ شيءٍ الّذى كان مع الانبياء (ع) قال: وانّما عرف ممّا يدعى كتاب التّوراة والانجيل والفرقان فيها كتاب نوحٍ وفيها كتاب صالح وشعيب وابراهيم (ع) فأخبر الله عزّ وجلّ {إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ} (ع) [الأعلى:١٨-١٩] فاين صحف ابراهيم؟ انّما صحف ابراهيم (ع) الاسم الاكبر وصحف موسى (ع) الاسم الاكبر {وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ} الميزان كلّما يقاس به شيءٌ آخر من ذوى الكفّتين والقبان وخيوط البنّائين وسيرة السّلاطين في سلطنتهم واحكام الشّرائع القالبيّة الملّيّة والعقل والرّسول والرّسالة والولىّ والولاية والكتب السّماويّة، لكنّ الميزان الّذى يقوم النّاس به بالقسط هو الولاية وقبولها واحكامها وولىّ الامر فانّ كلّما سواها ميزانٌ لقيام النّاس بالقسط بشرط اتّصاله بها، فالمراد بالكتاب الّذى مع الرّسل هو النّبوّة والرّسالة وهما الاسم الاكبر الّذى كلّ شيءٍ فيه وشرائع الرّسل وكتبهم صورتهما، والمراد بالميزان هو الولاية الّتي نزلت من مقامها العالى الى بشريّة الرّسل وظهرت بعدهم فى اوصيائهم ليقوم النّاس بها بالقسط، ولمّا كانت الولاية الّتي هي ميزان العدل والنّبوّة والرّسالة اللّتان هما ميزانان بالولاية من اعظم اسباب قيام النّاس بها بالقسط أتى بهذه الغاية قبل ذكر الحديد واضاف الحديد بعدها فقال {وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ} يعنى مع الرّسل او مطلقاً لكن لمّا كان المنظور من ذكر الحديد ترتّب غاية نصرة الرّسل عليه وعلى ما سبقه فالاولىٰ ان يقال: وانزلنا الحديد مع الرّسل، ومعنى انزال الحديد مع انّه يتكوّن فى المعادن ايجاده، او المقصود انّ كلّ موجودٍ في هذا العالم كان موجوداً

في عالم المثال وفى العوالم الّتي فوقه ثمّ نزل من تلك العوالم الى عالم الكون والفساد {فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ} كما يرى من قطع الاعضاء والمفاصل من الحيوان به وقطع حياة الحيوان والانسان به {وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاس} لانّ منه آلات اكثر الصّنّاع والصّنائع {وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ} حالكون النّاصر بالغيب من الله، او حالكون الله بالغيب من النّاصر، او هو ظرف لينصره وقوله تعالى ليعلم عطف على قوله ليقوم النّاس وقد مضى وجه تأخيره عن نزول الحديد {إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ} لا حاجة له الى نصرتكم لأنّه قوىّ يقدر على كلّ ما اراد عزيز لا مانع له من مراده ولا غالب عليه وانّما اراد اختباركم بذلك وامتياز الكافر والمنافق من المؤمن الموافق". انتهى.

٦- تفسير صدر المتألهين

وقال صدر المتألهين الشيرازي:" أقسم سبحانه أنه أرسل الرسل المبعوثين منه - وهم الملائكة والأنبياء عليهم التقديس والتسليم - بالحجج والمعجزات الباهرة، وأنزل معهم الوحي والميزان. والأول للهداية إلى العلوم والتعليمات، والثاني للإرشاد إلى الأعمال والمعاملات، ولهذا عقّبه بقوله: ليقومَ الناس بالقسط - أي: في معاملتهم بالعدل. روي أن جبرائيل (عليه السلام) نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال: " مُرْ قَوْمَكَ يَزِنُوا به ". وعن ابن زيد والجبائي. ومقاتل بن سليمان معناه: وأنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفّتين يوزن به - وفيه سر -. وعن قتادة ومقاتل بن حيان: معناه أنزلنا صفة الميزان، أي أمرنا الناس بالعدل، كقوله: { ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَ } [الشورى:١٧]. وأنزلنا الحديد - الذي يتخذ منه آلات الحروب للذبّ عن بيضة الإسلام، ولبأس أهل الفساد ومنفعة الناس، إذ ما من منفعة به الناس ديناً ودنياً إلاّ والحديد آلتها كالكتابة والزراعة وغيرهما. روى ابن عمر عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: " إن الله - عز وجل - أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد والماء والنار والملح ". ومعنى الإنزال عند أهل المعنى: الإنشاء منها، لأن الحوادث الكونية إنما تخلق من الله بتوسط الأسباب الفاعلة السماوية، والمواد القابلة الأرضية، فمعنى قوله: أنزلنا الحديد: أنشأناه وأحدثناه، كقوله: { وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ } [الزمر:٦]. وعلى هذا المعنى أيضاً يُحمل أمثال قوله: { وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ } [الفرقان:٤٨] فإن السموات ليست حياضاً وغدراناً للمياه ولا اصطبلاً للدواب، وإلى شبه هذا ذهب مقاتل فقال: " معناه: بأمرنا كان الحديد ". وقال قطرب: معنى " أنزلنا " ها هنا " هيّأنا " من النُزل، وهو ما يُهيّأ للضيف، أي: أنعمنا بالحديد وهيأنا، لكم. وقيل: " نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد: السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة ". وروي: ومعه المرّ والمسحاة. وقوله: ليعلم الله من ينصره ورسوله -، معطوف على قوله: ليقوم الناس بالقسط - أي: ليعاملوا بالعدل، وليعلم الله نصرة من ينصره ورسلَه باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح. ويحتمل أن يكون معطوفاً على محذوف دلّ عليه ما قبله، فإنه حال متضمن تعليلاً، واللام صلة لمحذوف، أي: أنزله ليعلم الله -.

وقوله: بالغيب - حال من المستكنّ في: " ينصره " ، أي: ينصره ورسله غائباً عنهم بمجرد العلم الواقع بالنظر والاستدلال من غير مشاهدة حسيّة، كما قال ابن عباس: ينصرونه ولا يبصرونه. ان الله قوي -، على إهلاك من أراد إهلاكه، - عزيز -، منيع لا يفتقر إلى نصرة، وإنما كلفهم الجهاد لينتفعوا به في العاجل، ويستوجبوا الثواب بامتثال الأمر به في الآجل، وليجمعوا بين الرحمة في الدنيا والمغفرة في الآخرة". انتهى.

تحليل الآية

أجمع اغلب المفسرين أن معنى إنزال الحديد هو مشابه لإنزال الأنعام {وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} [الزمر: ٦]. فهل يضن فريق الإعجاز العلمي - الوهمي - أن البهائم أو الأنعام قد نزلت من السماء أو من نجوم/نيازك أخرى؟ أو أنه مثلما روي عن محمد رسول الإسلام، حيث قال:" إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح". أو "نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد: السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة".

فإنزال الحديد كما فهمه العلماء الشيعة وغيرهم من الطوائف الإسلامية، هو ما يلي:

- معنى أنزلنا هنا هيّأنا وخلقنا من النُزُل وهو ما يهيأ للضيف أي أنعمنا بالحديد وهيأناه لكم.(الطبرسي).
- وقيل: أنزل مع آدم من الحديد العلاة وهي السندان والكلبتان والمطرقة عن ابن عباس. (الطبرسي).
- روي ان الله تعالى أنزل مع آدم العلاءة - يعني السندان والمطرقة والكليتين - من السماء، وهذا صحيح ولا بد منه، لان الواحد منا لا يمكنه أن يفعل آلات من حديد وغيرها إلا بآلات قبلها، وينتهي إلى آلات يتولى الله صنعها تعالى الله علواً كبيراً. (الطوسي).
- وقوله: {وأنزلنا الحديد} الظاهر أنه كقوله تعالى: {وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} [الزمر: ٦]]، وقد تقدم في تفسير الآية أن تسمية الخلق في الأرض إنزالاً إنما هو باعتبار أنه تعالى يسمي ظهور الأشياء في الكون بعد ما لم يكن إنزالاً لها من خزائنه التي عنده ومن الغيب إلى الشهادة قال تعالى: {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم} [الحجر: ٢١]. (الطبطبائي).
- انزاله ذلك خلقه له. (الفيض الكاشاني).

- {وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ} يعنى مـع الرّسل او مطلقاً لكـن لمّا كان المنـظور من ذكـر الحديد ترتّب

غاية نصرة الرّسل عليه وعلى ما سبقه فالاولىٰ ان يقال: وانزلنا الحديد مع الرّسل، ومعنى انزال الحديد مع انّه يتكوّن في المعادن ايجاده، او المقصود انّ كلّ موجودٍ في هذا العالم كان موجوداً في عالم المثال وفى العوالم الّتي فوقه ثمّ نزل من تلك العوالم الى عالم الكون والفساد. (الجنابذي).

- ومعنى الإنزال عند أهل المعنى: الإنشاء منها، لأن الحوادث الكونية إنما تخلق من الله بتوسط الأسباب الفاعلة السماوية، والمواد القابلة الأرضية، فمعنى قوله: أنزلنا الحديد: أنشأناه وأحدثناه، كقوله: { وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } [الزمر:٦]. وعلى هذا المعنى أيضاً يُحمل أمثال قوله: { وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً } [الفرقان:٤٨] فإن السموات ليست حياضاً وغدراناً للمياه ولا اصطبلاً للدواب، وإلى شبه هذا ذهب مقاتل فقال: " معناه: بأمرنا كان الحديد ". وقال قطرب: معنى " أنزلنا " ها هنا " هيّأنا " من النُزل، وهو ما يُهيّأ للضيف، أي: أنعمنا بالحديد وهيأنا، لكم. (صدر المتألهين).

- وقيل: " نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد: السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة ". وروي: ومعه المرّ والمسحاة.(صدر المتألهين).

وهكذا لا صحة لما روجه فريق الإعجاز العلمي - الوهمي -، لأنه لم يتفوه أي مفسر يفهم ويفقه اللغة العربية بذلك القول الغير صحيح، أي نزول الحديد من المستعرات.

ولم يكتفي فريق الإعجاز العلمي - الوهمي بذلك بل استمروا في التدليس والتزوير فزعموا غير صادقين أن في الآية (٢٥) من سورة الحديد إعجاز رقمي. ويسرني أن أنقل ما كتبته أيديهم في هذا المضمار، وهو ما يلي:

"أن الوزن الذري للحديد هو على التقريب (٥٧) والعجيب أن رقم سورة الحديد في القرآن هو (٥٧) أيضاً!! أما عدد الإلكترونات في ذرة الحديد فهو (٢٦) إلكتروناً، وهذا ما يسمى بالعدد الذري وهو عدد ثابت لكل عنصر من عناصر الطبيعة. والعجيب أن الآية التي ذكر فيها الحديد في سورة الحديد، رقم هذه الآية مع البسملة هو (٢٦) نفس العدد الذري للحديد". انتهى.

بإمكان أي شخص أن يتأكد بنفسه بخطأ هذه المعلومات التي ساقها ذلك الفريق البائس. فالوزن الذري للحديد قد تم وزنه بكل دقة وهو يساوي بكل دقة وتأكيد ٥٥,٨٤٥. أما عدد الإلكترونات في الحديد فهو ٢٦ وليس ٢٥. ومن المتعارف عليه أن من قام بترتيب سور وآيات المصحف

الحالي هو الخليفة الإسلامي عثمان بن عفان، وهناك آيات وسور قد تم حذفها بأكملها من المصحف في أيامه. وكتابنا هذا لن يسرد تلك الأمور لأنها خارجة عن موضوعنا.

وهكذا يتجلى لنا أنه ليس المفسرين فقط الذين يجهلون أو يخالفون الاكتشافات العلمية الحديثة، بل وأيضاً القرآن (الصامت) والعترة من أهل البيت (القرآن الناطق). فالاكتشافات العلمية الحديثة في واد والقرآن، سواء الناطق أو الصامت، في واد آخر.

لذا يمكننا القول بأنه لا توجد هناك أي مصداقية لما زُعم أو قيل أيضاً من أن الإمام الحسين بن علي كان يعلم الغيب أو أنه يعلم لغات الحيوان أو المعارف الحديثة. لأنه إن كان كاتب القرآن أو محمد - رسول الإسلام - لم يكن يعلم بذلك، فالأحرى أن لا يعلم ذلك شخص أخر، وأقصد بذلك الإمام الحسين بن علي.

الباب الخامس: حروب الإمام الحسين بن علي

غزواته:

الإمام الحسين بن علي لم يشارك الغزوات أو السرايا الإسلامية في حياة جده محمد رسول الإسلام بسبب صغر سنه في ذلك الوقت. لكنه شارك الحملات الإسلامية على البلدان غير المسلمة وذلك بعد أن شب وتعلم فنون القتال والفروسية. وشارك أيضاً الحروب التي دارت بين والده الإمام علي وخصومه مثل: الخوارج، ومعاوية بن أبي سفيان، وعائشة بنت أبي بكر.

لقد قال حجة الإسلام الشيخ باقر شريف القرشي يصف الإمام الحسين: "إنّ الإمام أبا الأحرار من ألمع القادة المصلحين الذين حقّقوا المعجز على مسرح الحياة، وقادوا المسيرة الإنسانية نحو أهدافها وآمالها، ودفعوا بها إلى إيجاد مجتمع متوازن تتحقّق فيه الفرص المتكافئة التي ينعم فيها الناس على اختلاف قوميّاتهم وأديانهم(١)". استغرابي الوحيد هو أن ذلك الشيخ لم يأتي بدليل واحد يدعم رأيه فيما ذهب إليه، أو كيف توصل لذلك الاستنتاج الغريب. كنت أود أن اسأله التالي: لو طبقت ومورست عليه وعائلته الفاضلة القوانين الإسلامية التي ذكرناها في الصفحات من ٢٢ إلى ٥٨، فهل كان سيرضى لو بيعت ابنته وحفيدته في سوق النخاسة؟ وهل سيرضى لو أن أحد اولاده الذي لا يتجاوز ١٦ عاماً أن يقتل أسيراً بعد القبض عليه من الخصوم؟ أو هل سيرضى أن يتخلى عن معتقده أويتم ضرب عنقه بالسيف البتار؟ أو هل سيرضى لو احتلت بلاده بدعوى نشر دين غير الإسلام؟ أو هل سيرضى لو تم نهب مقدرات شعبه ولم يسمح لهم بتقرير مصيرهم؟ ... الخ. أني أتمنى من كل أعماق قلبي أن يصل إليه كتابي هذا حتى يعرف كيف أن الإمام الحسين قد ساهم بشكل كبير في جعل ملايين من البشر في ثلاث قارات من العالم، يرزحون تحت نير احتلال لم يكن يفقه ويفكر سوى الحصول على الثروة وملكات اليمين. وقد برهنا على ذلك بالدليل الذي يقبله كافة اتباع مذهب أهل البيت، فليراجع الصفحات: ٢٢- ٥٨.

أن ما يهمني هنا هو مشاركة الإمام الحسين حملات احتلال البلدان الغير مسلمة بحجة نشر دين لا يحترم أبسط حقوق الإنسان وحرياته. فقد غزى واحتل بلدان تقع في ثلاث قارات مختلفة، هي: قارة آسيا وقارة افريقيا، وقارة أوروبا. وقد ذكر حجة الإسلام الشيخ باقر شريف القرشي أن الحسين قد شارك فيما سماه فتح طبرستان، فقال(٢):" انضمّ إلى الجيش الإسلامي الــذي اتّجه

١- حياة الأمام الحسين - حجة الإسلام الشيخ باقر شريف القرشي، الجزء الأول ، صفحة: ١٠.

٢- حياة الأمام الحسين - حجة الإسلام الشيخ باقر شريف القرشي، الجزء الأول ، صفحة: ٣٩٤.

إلى فتح طبرستان سنة (٣٠ هـ)، وكان على قيادته سعيد بن العاص ، فأبلى الجيش بلاءً حسناً وفتح الله على يده ورجع ضافراً". وقد وافقه في ذلك جعفر البياتي، فقال(١): " وقد اشترك سلام الله عليه في فتح طبرستان". وأورد مؤلف كتاب شرح إحقاق الحق السيد المرعشي في ذيل الصفحة الأولى من الجزء السابع والعشرون بأن الإمام الحسين كان: "ينتقل مع جيوش المسلمين إلى أقطار الأرض في فتح إفريقية وغزو جرجان وطبرستان وقسطنطينية." وفي نفس الصفحة أيضاً يقول السيد المرعشي أن الإمام الحسين: " غزا القسطنطينية في الجيش التي اجتاز بحلب في طريقه من دمشق إليه". انتهى.

خارطة توضح مشاركة الإمام الحسين في احتلال بلدان تقع في ثلاث قارات مختلفة



وأود أن أذكر القارئ الكريم أن السيد المسيح لم يسمح لتلامذته ورسله باستخدام العنف في نشر تعاليمه. فالمسيح بريء تماماً من أي أعمال حربية أو عدائية أو إرهابية، قام بها في الماضي، أو يقوم بها في الحاضر أي شخص باسم المسيح، سواء كان ذلك من الغرب أو الشرق، ومن ضمنهم الصليبيين. فقد زجر السيد المسيح له كل المجد بطرس الرسول عندما أراد الدفاع عنه، فقال مقولته الشهيرة(٢):"«رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!".

١- كتاب الأخلاق الحسينية - جعفر البياتي ، الصفحة:١٣١.

٢- الآية:٥٢- الإصحاح السادس والعشرون، الإنجيل المقدس كما دونه متى البشير.

وفي حادثة غريبة تؤيد وتؤكد صحة ما قاله السيد المسيح بهذا الشأن، أي من يأخذ بالسيف بالسيف يهلك، يروي لنا اليعقوبي(١) ما جرى بعد مقتل الإمام الحسين بن علي في معركة الطف سنة ٦١هـ، فيقول:" قال بعضهم: دخلت على عبد الملك بن مروان، وبين يديه رأس مصعب ابن الزبير، فقلت: يا أمير المؤمنين! لقد رأيت في هذا الموضع عجبا! قال: وما رأيت؟ قلت: رأيت رأس الحسين بن علي بين يدي عبيد الله بن زياد! ورأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد، ورأيت رأس المختار بن أبي عبيد بين يدي مصعب بن الزبير، ورأيت رأس مصعب بن الزبير بين يديك. قال: فخرج من ذلك البيت، وأمر بهدمه. وكان قتل مصعب بن الزبير في ذي القعدة سنة ٧٢".

أسباب مقتل الإمام الحسين بن علي

قتل الإمام الحسين بن علي في معركة الطف في اليوم العاشر من محرم سنة ٦١هـ الموافق ١٠ اكتوبر ٦٨٠م. حيث وقعت تلك المعركة على مقربة من النواويس فيما يطلق عليه الآن مدينة كربلاء في جمهورية العراق. لقد بالغ المؤرخون الشيعة في حادثة مقتله، بل وتم تغيير بعض المصطلحات واستبدالها كي يكون لها تأثير نفسي أكبر على البسطاء من المسلمين الشيعة. مثل إطلاق مفردة "مسبية" على السيدة زينب بنت الإمام علي (اخت الإمام الحسين) بدلاً من "أسيرة"، وقد وضحت هذا الأمر في الصفحة ٣٤ فليراجع.

يعتقد الشيعة أن السبب الوحيد الذي أدى إلى مقتله هو رفض الإمام الحسين مبايعة يزيد بن معاوية الخليفة الأموي. لكن هناك أمر هام يخفيه علماء الشيعة، وهو رغبة الإمام الحسين في اعتلائه عرش الخلافة الإسلامية، حيث تم مبايعته من قبل عشرات الآلاف من شيعته بالكوفة. فقد ترك المدينة وارتحل إلى هناك بصحبة عائلته وشيعته لأجل ذلك الهدف. لكن الشيعة في الكوفة خذلته هناك فلم، يتبقى له من خيارات سوى الرجوع إلى المدينة، أو الوصول إلى الكوفة لبناء قاعدة عسكرية لمحاربة الأمويين من هناك، وتنصيب نفسه خليفة شرعي للمسلمين. أما الخيار الثالث فهو أن يستمر في مشاركة قوات الاحتلال الإسلامية المتواجدة هنا وهناك.

وحتى يكون حديثي بهذا الشأن له مصداقية ومستند على أدلة وبراهين، فقد بدئت بسرد ما حدث للإمام الحسين، باختصار شديد، مع بعض التعليقات. و يقول آية الله السيد حسن الشيرازي(٢):" لمّا أشار محمد بن الحنفية على أخيه الحسين (عليه السلام) برأيه أجابه (عليه السلام) وقال: يا

١- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي - الجزء الثاني ، الصفحة: ٢٦٥.
٢- كلمة الإمام الحسين(ع) - السيد حسن الشيرازي، ص: ٢٤٢ وَ ٢٤٣. الطبعة الثانية (١٤٢١هـ -٢٠٠٠م).

أخي والله لولم يكن ملجأ، ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية، فقطع محمد بن الحنفيّة الكلام وبكى، فبكى الحسين (عليه السلام) معه ساعة ثمّ قال: يا أخي جزاك الله خيراً، فقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج إلى مكّة، وقد تهيّأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأمّا أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً لا تخفي عنّي شيئاً من امورهم. ثمّ دعا الحسين (عليه السلام) بدواة وبياض وكتب هذه الوصيّة لأخيه محمد: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى أخيه محمّد المعروف بابن الحنفيّة أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في امّة جدّي (صلى الله عليه وآله) اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن ابي طالب (عليه السلام) فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيّتي يا أخي إليك وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه انيب. قال: ثم طوى الحسين (عليه السلام) الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودّعه وخرج في جوف الليل".

الملاحظ في هذه الرواية هو طلب الإمام الحسين من أخيه ابن الحنفية، قبيل توجهه نحو مكة، ومن ثم العراق، ان يكون مراقب للأمور وعما سيحدث في المدينة، فقد أمره أن يخبره بما يستجد من أمور هناك، حيث قال له" فتكون لي عيناً لا تخفي عنّي شيئاً من امورهم". أما الأمر الثاني فهو رغبة الإمام الحسين أن يسير بالأمة الإسلامية كما فعل من كان قبله كجده محمد وأبيه الإمام علي. ولا يتأتى ذلك إلا من خلال قيادته السياسية للأمة كخليفة للمسلمين وحسب، حيث قال:" أسير بسيرة جدّي وأبي علي بن ابي طالب (عليه السلام) فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق". رغبة الإمام الحسين تلك في تولي الخلافة الإسلامية كانت حتى قبل مبايعته من شيعة الكوفة وسواهم.

ومن المعلوم أن معاوية بن أبي سفيان والإمام الحسن قد تصالحا على أمر الخلافة، حيث تنازل الإمام الحسن عن عرش الخلافة الإسلامية لصالح معاوية على أن تعود تلك الخلافة إليه مجددا أو لأخيه الإمام الحسين فور وفاة معاوية. لكن معاوية نكث بتلك بالمعاهدة وأوصى بالخلافة من بعده ليزيد أبنه عوضاً عن ذلك. ولهذا السبب طمح الحسين في استعادة عرش الخلافة مجدداً لبني هاشم. وقد ذكر آية الله العظمى السيد عبد الحسين شرف الدين نص تلك المعاهدة، حيث قال(١):" واليك هي صورة المعاهدة التي وقعها الفريقان، المادة الأولى: تسليم الامر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله (صلى الله عليه وآله)، وبسيرة الخلفاء الصالحين.

١- صلح الحسن (ع) - آية الله العظمى السيد شرف الدين الموسوي العاملي، الصفحات: ٢٥٩ إلى ٢٦٢.

المادة الثانية: أن يكون الامر للحسن من بعده، فان حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

المادة الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر عليا الا بخير.

المادة الرابعة: استثناء ما في بيت المال الكوفة، وهو خمسة آلاف الف فلا يشمله تسليم الامر. وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام الفي الف درهم، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين الف الف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار ابجرد.

المادة الخامسة:" على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وان يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحدا بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق باحنة". " وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحدا من شيعة علي بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وان لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لاحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا..". " وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لاحد من أهل بيت رسول الله، غائلة، سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم، في أفق من الآفاق". ويضيف آية الله السيد شرف الدين، فيقول في نفس المصدر:" قال ابن قتيبة: (ثم كتب عبد الله بن عامر - يعني رسول معاوية إلى الحسن (ع) - إلى معاوية شروط الحسن كما أملاها عليه، فكتب معاوية جميع ذلك بخطه، وختمه بخاتمه، وبذل عليه العهود المؤكدة، والايمان المغلظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام، ووجه به إلى عبد الله ابن عامر، فأوصله إلى الحسن). وذكر غيره نص الصيغة التي كتبها معاوية في ختام المعاهدة فيما واثق الله عليه من الوفاء بها، بما لفظه بحرفه:" وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك، عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه. وكان ذلك في النصف من جمادى الأولى سنة ٤١ - على أصح الروايات". انتهى.

لقد كان للإمام الحسين طموح كبير بأن يصبح خليفة للمسلمين، فأخذ يتهيأ ويستعد لها حتى قبل وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان. إذ لم يكن لديه أي نية أو علم مسبق أن يقتل كالقتلة التي ستكون في كربلاء. أما الروايات التي قيلت أن جده محمد – رسول الإسلام – قد أخبره أنه سيقتل في العراق فكلها ينقصها المصداقية، ولا يوجد دليل وحيد على مصداقيتها. أما أدلتنا على عدم مصداقية تلك الروايات فقد سردناها بالتفصيل في الصفحات من ٢٤٨ إلى ٢٥٤. وقد برهنا خلالها على عدم قدرة محمد - رسول الإسلام - أو إله الإسلام على التنبؤ بالغيب، فليراجع.

ولي تعليق على بعض النقاط الواردة في تلك المعاهدة، حيث تلزم المادة الأولى معاوية بن أبي سفيان أن يحتذي "بسيرة الخلفاء الصالحين"، وورد كذلك في وصية كتبها الإمام الحسين لأخية ابن الحنفية أنه سيحتذي بسيرة من كان قبله، فيقول فيها" أسير بسيرة جدّي وأبي علي بن ابي طالب (عليه السلام)". وهذا يعني ويؤكد ما ذهبت إليه سابقاً من أنه لا يمكن للإمام الحسين بن علي ان يسير بالأمة الإسلامية دون أن يكون قائدها السياسي وخليفة لها وذلك باعتلائه عرش الخلافة الإسلامية. وما يجعل ذلك الأمر أكثر تأكيد هو منطوق المادة الثانية من تلك المعاهدة، حيث نصت على :" أن يكون الامر للحسن من بعده، فان حدث به حدث فلأخيه الحسين".

أما تعليقي على المادة الرابعة من تلك الوثيقة فهو يتعلق بتقسيم ثروات البلدان المحتلة إسلامياً، حيث نصت تلك المادة على: " استثناء ما في بيت المال الكوفة، وهو خمسة آلاف الف فلا يشمله تسليم الامر". فذلك المبلغ هو مال مستحصل من أهل الكتاب - السكان الأصليين - جراء فرض الجزية عليهم، وكانت مبلغ كبير. ولمن لا يعرف قيمة الدرهم في ذلك الزمن، يذكر السيد موسى الحسيني المازندراني في كتابه العقد المنير(١)، فيقول :"ويقدرون وزن الدينار أيضا باثنين وسبعين حبة شعير، أي ستة آلاف حبة خردل من الوسط، وهذا يساوي ثمانية دوانق، ويعد الدانق قيراطين ونصفا، ويساوي ٤/٢٦٥ غراما أي ٦٦ حبة والدرهم ٢/٩٨٥ غراما". أي أن درهم واحد تعادل قيمته ٢,٩٨٥ جرام من الذهب الخالص (عيار٢٤ قيراط).

وتبلغ قيمة جرام واحد من الذهب الخالص (عيار٢٤ قيراط)، وقت كتابة هذه السطور، مبلغ قدره ٥١ دولار أمريكي. إذن ٥،٠٠٠،٠٠٠ درهم يعادل ٧٦١،١٧٥،٠٠٠ دولار أمريكي. كل ذلك المبلغ الضخم سيأخذه الإمام الحسن، وبغض النظر عما سيفعل به لاحقاً. وذلك يعطي فكرة قلناها سابقاً في الفقرة (٩) من الباب الثالث من الفصل الأول من هذا الكتاب. فالرجاء مراجعة الصفحات: ٥٣ إلى ٥٨ للمزيد من التفاصيل. أما نصيب الإمام الحسين من ذلك التنازل فهو نصيب الأسد كما يقال، فقد خصص له مبلغ ٢،٠٠٠،٠٠٠ درهم سنوياً، وهذا ما ذكرته المادة الرابعة من تلك الوثيقة، حيث نصت أنه:" على معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام الفي الف درهم". فذلك المبلغ يعادل في أيامنا الراهنة ٣٠٤،٤٧٠،٠٠٠ دور أمريكي سنوياً. لذا فتنازل أهل البيت عن الخلافة، بشكل مؤقت، لم يكن مجاني أو لأجل سواد عيون عامة المسلمين. إذ لو كان ذلك الأمر من أجل مصلحة البسطاء من المسلمين لما تقاضى الإمامان الحسن والحسين هذه المليارات من الدولارات من أجل التنازل المؤقت عن عرش الخلافة. وأود أن أطرح السؤال التالي على كل إنسان يمتلك ضمير حي، و على كل شخص يرغب أن يعيش بحرية وكرامة وعدالة: لو أن أمير في زماننا هذا، ولنفترض أنه في السعودية، قد تم تخصيص مبلغ سنوي له، يعادل نفس المبلغ الضخم الذي كان يتسلمه الإمام الحسين بن علي في كل سنة، بمجرد أنه أمير

١- العقد المنير - السيد موسى الحسيني المازندراني ، الصفحة ٩٦.

أو لمجرد تنازله عن إمارة، ألن ينظر الشعب السعودي إلى ذلك الأمير ومن يقوم بتخصيص ذلك المبلغ الضخم له على أنهم جماعة من الظلمة ولصوص؟ أم جماعة نزيهة وعادلة؟!! في زماننا هذا يعتبر ذلك المبلغ ضخم وحسب. لكن قبل ١٤ قرن من الزمن كان ذلك المبلغ يعتبر ميزانية ضخمة بحد ذاتها، إذ كان يمكن أن يدير بلاد بأكملها. فهل يمكن أن يكون الإمام الحسين قدوة للبشر وهو يتلقى مبلغ ضخم كهذا من غير جهد أو استحقاق؟ ومن أين؟ من أموال مجبية من مستضعفين في الأرض لا حول لهم ولا قوة، فإما أن يدفعوها مرغمين أو يقتلوا. وهل من الممكن أيضا أن يسمى الإمام الحسين بسيد للأحرار أو أبي الأحرار، بعد كل هذا. من جانب آخر عاش السيد المسيح عيشة الفقراء لدرجة أنه لم يكن يمتلك بيت يخلد فيه إلى الراحة، إذ يقول الوحي الإلهي(١):" فَتَقَدَّمَ كَاتِبٌ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ»**".**

ويعلق مفسر العهد الجديد خادم الرب وليم ماكدونالد على الآيتين السابقتين بقوله:" عندما كان يسوع يستعدّ لعبور بحر الجليل من كفر ناحوم إلى الجانب الشرقي، تقدّم إليه كاتب واثق من نفسه، متعهّدًا أن يتبعه كل الطّريق. وفي جوابه له طالبه الرب بأن يحسب حساب النفقة، أي حياة إنكار النفس. «فقال له يسوع: للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأمّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه». ففي خدمة الرب يسوع العلنيّة لم يكن له بيت خاص به، لكن كانت توجد بيوت مفتوحة للترحيب به حيث كان يجد عادة مكانًا للنوم". انتهى. فعلاً لا توجد مقارنة بين السيد المسيح والإمام الحسين في كل جوانب الحياة، خاصة الروحية والأخلاقية". انتهى.

وفي المادة الرابعة أيضاً دليل يثبت رغبة أهل البيت بالاحتفاظ بثروة هائلة من بيت المال (فيما يسمى ببيت مال المسلمين) على حساب الآخرين. وهذا يثبت خطأ ما ذهب إليه حجة الإسلام الشيخ باقر شريف القرشي الذي قال، ضمن تمجيده الإمام الحسين ودوره الإصلاحي المزعوم في المجتمع(٢):" إيجاد مجتمع متوازن تتحقق فيه الفرص المتكافئة التي ينعم فيها الناس على اختلاف قوميّاتهم وأديانهم". فما اسهل الكلام الإنشائي الذي يعوزه الدليل، فلقد اشترط أهل البيت على معاوية - في تلك المعاهدة "أن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس". ليس ذلك فحسب بل أن أهل البيت اشترطوا أيضاً على معاوية أن:" أن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين الف الف درهم". بمعنى أن أهل البيت قد خلقوا طبقية اجتماعية تكون الأفضلية مبنية على اساس من قاتل في معركة على معركة أخرى. فياله من فكر غريب تأباه النفوس الحرة و الأبية التي تنأى بنفسها عن تلك الممارسات العنصرية. أما المقطع الأخير من المادة الرابعة من تلك المعاهدة، فقد نصت على:"

١- الآيتان:١٩ وَ ٢٠ - الإصحاح الثامن، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى. ٢- حياة الأمام الحسين - الشيخ باقر القرشي، الجزء ١ ، ص: ١٠.

أن يجعل ذلك من خراج دار ابجرد". وفي تعريفه لِـ (دار ابجرد) يذكر آية الله العظمى السيد عبدالحسين شرف الدين في حاشية الصفحة ٢٦٠ من كتابه صلح الحسن(ع)، فيقول:" (دار ابجرد) ولاية بفارس على حدود الأهواز. وجرد أو جراد: هي البلد أو المدينة بالفارسية القديمة والروسية الحديثة، فتكون دار ابجرد بمعنى (مدينة دار ابجرد)". ويعني هذا أن أهل البيت قد اشترطوا على معاوية أن يمول قيمة مصروفات أولاد قتلى معركة صفين وأولاد قتلى معركة الجمل، الذين كان آباؤهم موالين للإمام علي، من بيت مال مدينة دار ابجرد، الذي بدوره كان يستحصل أو يجبي أمواله من السكان الأصلين المستضعفين من أهل الكتاب هناك (اليهود، النصارى، الصابئة والمجوس الذين تم احتلال ديارهم بقوة السيف) وذلك من خلال فرض جزية باهظة عليهم. فلماذا لم ينفق أهل البيت على أيتام قتلاهم من أموالهم الخاصة بدلاً من أخذها من المستضعفين هناك، خاصة أنهم كانوا يمتلكون ثروات تعادل مليارات من الدولارات الأمريكية؟!!

تلك هي تعاليم أهل البيت التي لا تختلف إطلاقاً عن تعاليم محمد - رسول الإسلام - التي تنتهك بكل صراحة حقوق وحريات الإنسان. وقد وضحنا بعض من تلك الانتهاكات في الفصل الأول من هذا الكتاب. ففكر أهل البيت لا يقبله أي إنسان حر يريد العيش بعزة وكرامة مصان الدم والمال والعرض. لذا أود أن أطرح الأسئلة التالية: هل يقبل شخص نزيه أن تأتي قوة خارجية تغزو بلاده وتحتله؟ فتفرض عليه ضريبة، شريطة أن تكون عوائدها من نصيب قوات الاحتلال؟ فتذهب في دفع قيمة نفقاته، مثل: إعانة أسر و أطفال جنود العدو؟ وإن رفض ذلك الشخص دفع تلك الضريبة، المفروضة عليه، يتم ضرب عنقه، أو يتنازل عن دينه ومعتقده كارهاً؟

فليفكر المسلم فيما لو أتت قوة اجنبية غازية و محتلة، وفعلت ذلك به وبعائلته وأطفاله وأقاربه وكامل شعبه وبلاده، فماذا سيكون ردة فعله؟ فقط فليفكر بقلب واع وضمير حي وعقل يقض، قبل أن يجيب، ربما بعاطفة. فليترك لنفسه فرصة للتأمل في ذلك، وليتذكر الحكمة القائلة "أحب لنفسك ما تحب لغيرك".

أما المادة الخامسة من تلك المعاهدة فقد اشترط أهل البيت على معاوية بن أبي سفيان بعدم الاعتداء أو التنكيل بالمسلمين الشيعة خاصة، وهذا ما نصت عليه تلك المادة :" وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحدا من شيعة علي بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وان لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لاحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا.. ". " وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لاحد من أهل بيت رسول الله، غائلة، سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم، في أفق من الآفاق". وتعليقي على هذه الفقرة من تلك

المعاهدة هو أنه ينبغي على أي مسلم أن يعلم ويعي أن أي أنسان آخر غير مسلم بحاجة ماسة أيضاً للأمان "على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وان لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لاحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه". فليس للمسلم وحده الحق بالتمتع بذلك دون سواه من أصحاب الديانات الأخرى. لكن يتضح من شروط أهل البيت في تلك المادة، أنهم قد حصروها في المسلمين فقط، وخاصة الشيعة منهم. فالإسلام لا يحترم حقوق وحريات أي شخص غير مسلم، وقد ذكر آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي(١) نقلاً عن رأي أفتى به آية الله العظمى السيد الخوئي، مفاده أن أموال النصارى غير واجب حفظها، فقد قال:" سؤال ١٢٨٩: النصارى الذين يعيشون مع المسلمين، هل يجب على المسلمين حفظهم وحفظ أموالهم، بحيث يعتبر ذلك نوعا من أنواع حفظ النظام؟ الخوئي: لا يجب الحفظ لها". كذلك أفتى آية الله الخوئي بأنه لا يوجد في الإسلام أي احترام لحياة النفس البشرية للإنسان الكتابي، إذ يجوز قتله - بحجة السرقة - مالم يكن هناك مفسدة أو ترتب على ذلك إخلال بالنظام، فقال(٢):" سؤال ١٢٦٧: لو فاجأ المسلم النصراني أو اليهودي وهو يسرق ماله، فهل يحل للمسلم قتله؟ (اليهودي أو النصراني). الخوئي: الكافر غير الكتابي والكتابي غير الذمي، وإن لم يكن له احترام في الاسلام إلا أنه لا يجوز قتله فيما إذا ترتب عليه الاخلال بالنظام أو مفسدة أخرى، والله العالم". انتهى.

ونعرج مرة إلى أصل موضوعنا، فنقول ان الإمام الحسين قد حاول جذب أكبر عدد من النفوس لتأييده ومساندته في استعادة عرش الخلافة الإسلامية مجددا لبني هاشم. فقد بدأ ذلك حتى قبيل موت معاوية. ويذكر آية الله السيد حسن الشيرازي أن عامل معاوية في المدينة مروان بن الحكم قد كتب لمعاوية يخبره بأنه في حالة توجس من أن يثور الإمام الحسين عليه، فيقول(٣):" روي أنّ مروان بن الحكم كتب إلى معاوية وهو عامله على المدينة: أمّا بعد، فإنّ عمرو بن عثمان ذكر أنّ رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي، وذكر أنّه لا يأمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنّه لا يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده فاكتب إليّ برأيك في هذا، والسلام". فكتب معاوية إلى عامله مروان بن الحكم(٤):" أمّا بعد، فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإيّاك أن تعرّض للحسين في شيء، واترك حسيناً ما تركك، فإنّا لا نريد أن نعرّض له في شيء ما وفى ببيعتنا، ولم ينزل على سلطاننا، فاكمن عنه مالم يبد لك صفحته، والسلام". ثم أرسل معاوية بكتاب إلى الإمام الحسين يقول فيه(٥):" أما بعد فقد انتهت إليّ امور عنك إن كانت حقّاً فقد أظنّك تركتها رغبة فدعها، ولعمر الله إنّ من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإن كان الّذي بلغني باطلاً فإنّك انت أعزل الناس لذلك، وعظ نفسك فاذكره، ولعهد الله أوف، فإنك متى ما تنكرني أنكرك، ومتى ما

١- صراط النجاة - الميرزا جواد التبريزي - ج ٢ - الصفحة ٤١٨.
٢- صراط النجاة - الميرزا جواد التبريزي - ج ٢ - الصفحة ٤١١.
٣- كلمة الإمام الحسين (عليه السلام)- آية الله السيد حسن الشيرازي، صفحة: ٢٢٧.
٤- كلمة الإمام الحسين (عليه السلام)- آية الله السيد حسن الشيرازي، صفحة: ٢٢٧.
٥- كلمة الإمام الحسين (عليه السلام)- آية الله السيد حسن الشيرازي، ص: ٢٢٧ و ٢٢٨.

تكدني أكدك، فاتّق شقّ عصا هذه الامة، وأن يردّهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولامّة محمد (صلى الله عليه وآله) ولا يستخفنّك السفهاء والذين لا يعلمون". فرد الإمام الحسين على معاوية في كتاب مطول، يعنفه ويأنبه على عمليات الاغتيالات التي قامت بها فرق الموت الأموية بحق الموالين للإمام علي، ومما جاء في ذلك الكتاب المطول ما يلي[1]:" وقلت فيما قلت: (إنّي إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكدني) فكدني ما بدا لك، فإنّي أرجو أن لا يضرّني كيدك فيّ، وأن لا يكون عليّ أحد أضرّ منه على نفسك لانّك قد ركبت جهلك وتحرّصت على نقض عهدك ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين. قتلتهم بعد الصلح والإيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلاّ لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقّنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلّك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا. فأبشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أنّ لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على التهم ونفيك أوليائه من دورهم إلى دار الغربة وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث، يشرب الخمر ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلاّ وقد خسّرت نفسك وتبرّت دينك وغششت رعيّتك وأخربت أمانتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل وأخفت الورع التقيّ لأجلهم، والسلام". انتهى.

طبعاً لم يكن باستطاعة الإمام الحسين أن يجهر أو يقر لمعاوية بمحاولاته السرية في ترتيب صفوفه لمواجهة الدولة الأموية. لكن كتابه إلى معاوية يوضح أنه كان معارض لمعاوية خاصة في نقضه لشروط وثيقة الصلح المعقودة بينه وبين الإمام الحسن. وأكثر ما يشدني في كتاب الإمام الحسين استنكاره الشديد لفرق الموت الأموية التي اغتالت بعض الموالين له. لكن جده محمد - رسول الإسلام - كانت له فرق موت أيضاً ، حيث كانت تغتال خصومه بأمر منه، وقد كان الإمام علي بن أبي طالب عضو فعال في تلك الفرق. وقد ذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي ذلك في تاريخه، حيث أشار إلى قيام رسول الإسلام ببعث بعض أصحابه لتنفيذ عمليات الاغتيال تلك، فيقول:" وبعث قوما من أصحابه في قتل قوم من المشركين. فوجه عمرو بن أمية الضمري بقتل أبي سفيان بن حرب فلم يقتله. وبعث محمد بن مسلمة وأبا نائلة سلكان بن سلامة وعباد بن بشر وأبا عبس بن جبر والحارث بن أوس في قتل كعب بن الأشرف اليهودي فقتلوه في النضير. وبعث عبد الله بن رواحة إلى اليسير بن رزام اليهودي الخيبري فقتله. وبعث عبد الله بن عتيك وأبا قتادة ابن ربعي وخزاعي بن الأسود ومسعود بن سنان وابن عتيك أميرهم في قتل سلام بن أبي الحقيق فقتلوه بخيبر. وبعث في قتل ابن أبي حدعه وقال للموجه: إن أصبته حيا فاقتله وأحرقه بالنار، فأصابه قد لسعته حية فمات. وبعث عبد الله بن أبي حدرد في قتل رفاعة بن قيس

١- كلمة الإمام الحسين (عليه السلام)- آية الله السيد حسن الشيرازي، ص: ٢٢٩.

٢- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي - الجزء الثاني ، الصفحة ٧٨. عده السيد الأمين من أعيان الشيعة في الجزء الثاني ، صفحة: ٢٧٤ تحت رقم٩٢٥، حيث قال عنه:" ابن واضح اسمه أحمد بن أبي يعقوب واضح المعروف باليعقوبي صاحب التاريخ".

الجشمي فقتله، وبعث علي بن أبي طالب في قتل معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية فقتله". أنتهى.

فها هو رسول الإسلام قد سبق الأمويين في اغتيال خصومه، فما الفرق بينهما إذن. غريب أن يستنكر الإمام الحسين أفعال معاوية المشينة تلك في حين يغض الطرف او يتجاهل عما صنع جده رسول الإسلام بخصومه، حيث أنه قد سبق الأمويين في ارتكاب تلك الأفعال المشينة؟!! أيضاً الإمام الحسين يستنكر فعل معاوية الآثم بنفي بعض الموالين له، متناسياً أن جده رسول الإسلام قد نفى قبيلة كاملة من بلادها كذلك، وذلك بعد أن صادر واحتل حصونهم وعقاراتهم وممتلكاتهم - رجاء راجع الصفحة: ٤٥ وما يليها لمزيد من التفاصيل عن تلك الحوادث البشعة، التي لم بادر فيها رسول الإسلام بعمليات إبادة جماعية ضد مدنيين أبرياء. في تصوري أن الشخص الذي يجب أن يكون سيد للأحرار ينبغي عليه أن يتحلى بالعدالة والنزاهة في جميع الأمور، وأن يعامل الناس بمعيار واحد فلا يكيل بمكيالين. فإن كان الإمام الحسين قد أدان تصرفات معاوية الإرهابية تلك بحق المسلمين، فما له قد التزم الصمت تجاه تصرفات وأفعال جده محمد - رسول الإسلام - بحق غير المسلمين، التي يشيب لها الولدان؟!! فالمسلم وغير مسلم لهم أحاسيس إنسانية لا تقل عن الآخر.

وبعد موت معاوية بن أبي سفيان في الأول من رجب سنة ٦٠هـ، بادرت شيعة أهل البيت بالعراق بإرسال الرسل والكتب للإمام الحسين يعلنون فيها مساندتهم الكاملة له في استرجاع كرسي الخلافة الإسلامية. وقد اشار إلى ذلك الشيخ المفيد، حيث قال(١):" بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية فأرجفوا بيزيد، وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه من بيعته، وما كان من ابن الزبير في ذلك، وخروجهما إلى مكة، فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان ابن صرد، فذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله عليه، فقال سليمان: إن معاوية قد هلك، وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه (فأعلموه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل في نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، قال:) ، فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي عليهما السلام من سليمان بن صرد، والمسيب ابن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر ، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة: سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين (جبابرتها وأغنيائها) ، فبعدا له كما بعدت ثمود. إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق؟ والنعمان بن بشير في قصر الإمـــارة لسنا نجمع معه في جمعة ولا

١- الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ ، الصفحة: ٣٦ وَ ٣٧.

نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله. ثم سرحوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله ابن وال، وأمروهما بالنجاء(١)، فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين عليه السلام بمكة ، لعشر مضين من شهر رمضان". انتهى.

وقد كتبت إلى الإمام الحسين مجموعات أخرى كثيرة أيضاً من شيعة الكوفة، حيث يقول الشيخ المفيد(٢) ان أهل الكوفة قد:" أنفذوا قيس بن مسهر الصيداوي و (عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي) وعمارة ابن عبد السلولي إلى الحسين عليه السلام ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة. ثم لبثوا يومين آخرين وسرحوا إليه هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين. أما بعد: فحي هلا، فإن الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل، والسلام. وكتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رويم و (عروة بن قيس) ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي و (محمد بن عمرو التيمي): أما بعد: فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار، فإذا شئت على جند لك مجند، والسلام. وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس". ثم قرر الإمام الحسين إيفاد ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة - عاصمة والده الإمام علي - ذات الكثافة الشيعية، وذلك لأجل أخذ البيعة له منهم هناك. فكتب الإمام الحسين لشيعته بالكوفة(٣): " بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين. أما بعد: فإن هانئا وسعيدا قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم: أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله. فلعمري ما الإمام إلا الحكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام". انتهى.

وقال الشيخ المفيد أنه وفور صول رسول الحسين مسلم بن عقيل الكوفة "نزل في دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعى اليوم دار سلم بن المسيب. وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين بن علي عليهما السلام وهم يبكون، وبايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفا، فكتب مسلم رحمه الله إلى الحسين عليه السلام يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفا ويأمره بالقدوم. وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيل رضي الله عنه حتى علم مكانه(٥)". أنتهى.

١- النجاء: السرعة .
٢- الإرشاد - الشيخ المفيد ، الجزء الثاني ، الصفحة: ٣٧- ٣٨.
٣- الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ ، الصفحة: ٣٩.
٤- الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ ، الصفحة: ٤١.

وكان ضمن من أخبر الخليفة الأموي يزيد بذلك حليف بني أمية عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي، وقد ورد في كتابه ذلك:" أما بعد: فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، فبايعته الشيعة للحسين بن علي، فإن يك لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا، ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف(١)". انتهى.

كانت خطة الإمام الحسين على وشك أن تنجح، فقد دعاه ابن عمه ابن عقيل أن يقدم إلى الكوفة بعد أن بايعه ثمانية عشر ألف رجل من شيعته هناك، حيث يقول في كتابه الذي بعثه إليه(٢): "أمّا بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وأنّ جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابي هذا، والسلام". أصبحت الأمور تتسارع وتيرتها فبدء يزيد يتشاور في أمر الإمام الحسين مع مولى معاوية – سرجون – الذي أشار على يزيد أن يولي عبيد الله بن زياد على الكوفة بدلاً من عامله النعمان بن بشير، فكتب يزيد إلى ابن زياد(٣):" أما بعد: فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة، يخبروني أن ابن عقيل بها يجمع الجموع ويشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام". وبعدما وصل عبيد الله بن زياد الكوفة واستقر بها هناك فعل أفاعيله فتمكن من إخافة الشيعة من قدوم الجيش الأموي، وقد نجح في تفريق صفوف الشيعة الموالين للإمام الحسين وإبعادهم عن رسوله ابن عمه مسلم بن عقيل، ويذكر الشيخ المفيد(٤) أن عبيد الله بن زياد قد بعث إلى أشراف الكوفة "فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس فمنوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، و خوفوا أهل العصيان الحرمان والعقوبة، وأعلموهم وصول الجند من الشام إليهم. وتكلم كثير حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهدا: لئن تممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم (أن يحرم) ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي الشام، وأن يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حتى لا تبقى له بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جنت أيديها. وتكلم الأشراف بنحو من ذلك. فلما سمع الناس مقالهم أخذوا يتفرقون، وكانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجئ الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غدا يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر؟ انصرف، فيذهب به فينصرف. فما زالوا يتفرقون حتى أمسى ابن عقيل وصلى المغرب وما (معه إلا ثلاثون) نفسا في المسجد، فلما رأى أنه قد أمسى وما معه إلا أولئك النفر، خرج من المسجد متوجها نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان". فجميع شيعة الكوفة الذين بايعوا الإمام الحسين لديه بالأمس قد هجروه و تركوه وحيداً.

١- الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ ، الصفحة: ٤٢.
٢- مثير الأحزان - الشيخ ابن نما الحلي: ٢١.
٣- الإرشاد - الشيخ المفيد - الجزء ٢ ، الصفحة: ٤٢ - ٤٣.
٤- الإرشاد - الشيخ المفيد - الجزء ٢ ، الصفحة: ٥٣ - ٥٤.

ثم جرت الأحداث سراعاً، فقبيل مقتل مسلم بن عقيل في اليوم التاسع من ذي الحجة سنة٦٠هـ، طلب مسلم من محمد ابن الأشعث أن يحمل وصيته و رسالته الشفهية التالية إلى الإمام الحسين(١):" إن ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم، لا يرى أنه يمسي حتى يقتل، وهو يقول: ارجع فداك أبي وأمي بأهل بيتك ولا يغرك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وليس لمكذوب رأي". كان الإمام الحسين لا يعلم ما قد جرى لرسوله ابن عقيل. إذ لم يأته أي خبر أو كتاب من الكوفة تزوده بآخر المستجدات هناك، حيث أنه خلال مدة أقامته بمكة كان لا يزال يطمح بالمزيد من المنظمين تحت لواءه، وذلك ضمن جهوده المضنية في استرجاع كرسي الخلافة الإسلامية مجدداً لبني هاشم، فقد ذكر الشيخ المفيد(٢):" توجه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة - وهو يوم التروية - بعد مقامه بمكة بقية شعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وثماني ليال خلون من ذي الحجة سنة ستين، وكان قد اجتمع إليه مدة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة، انضافوا إلى أهل بيته ومواليه". وأضاف الشيخ المفيد(٣):" ولما أراد الحسين عليه السلام التوجه إلى العراق، طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وأحل من إحرامه وجعلها عمرة، لأنه لم يتمكن من تمام الحج مخافة أن يقبض عليه بمكة فينفذ إلى يزيد بن معاوية، فخرج عليه السلام مبادرا بأهله وولده ومن انضم إليه من شيعته، ولم يكن خبر مسلم قد بلغه لخروجه يوم خروجه على ما ذكرناه". انتهى.

إن الإمام الحسين لم يكن يعلم الغيب، مثله في ذلك كمثل أي شخص في العالم، حيث لم يعلم حتى بما كان يجرى لابن عمه ابن عقيل بالكوفة. بل أنه لم يعلم ذلك إلا قبيل وصوله العراق بزمن قصير جداً، حيث كتب إلى أهل الكوفة خلال مسيره إليها، فقد سجل لنا الشيخ المفيد(٤) نص ذلك الكتاب:" بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله". وأضاف الشيخ المفيد(٥):" وكان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، وكتب إليه أهل الكوفة: إن لك هاهنا مائة ألف سيف فلا تتأخر. فأقبل قيس بن مسهر إلى الكوفة بكتاب الحسين عليه السلام حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فأنفذه إلى عبيد الله بن زياد". انتهى.

١- الإرشاد - الشيخ المفيد - الجزء ٢ ، الصفحة: ٥٩ - ٦٠.
٢- الإرشاد - الشيخ المفيد - الجزء ٢ ، الصفحة: ٦٦.
٣- الإرشاد - الشيخ المفيد - الجزء ٢ ، الصفحة: ٦٧.
٤- الإرشاد - الشيخ المفيد - الجزء ٢ ، الصفحة: ٧٠.
٥- الإرشاد - الشيخ المفيد - الجزء ٢ ، الصفحة: ٧١.

لقد علم الإمام الحسين بمقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة عن طريق رجل كوفي من بني أسد، ويذكر لنا الشيخ المفيد تفاصيل ذلك الحدث، فيقول[1]:" روى عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديان قالا: لما قضينا حجنا لم تكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق، لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل بنا نياقنا مسرعين حتى لحقنا بزرود، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام، فوقف الحسين كأنه يريده ثم تركه ومضى، ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا لنسأله فإن عنده خبر الكوفة، فمضينا حتى انتهينا إليه فقلنا: السلام عليك، فقال: وعليكم السلام، قلنا: ممن الرجل؟ قال: أسدي، قلت: ونحن أسديان، فمن أنت؟ قال: أنا بكر بن فلان، وانتسبنا له ثم قلنا له: أخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ورأيتهما يجران بأرجلهما في السوق. فأقبلنا حتى لحقنا الحسين صلوات الله عليه فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسيا، فجئناه حين نزل فسلمنا عليه فرد علينا السلام، فقلنا له: رحمك الله، إن عندنا خبرا إن شئت حدثناك علانية، وإن شئت سرا، فنظر إلينا وإلى أصحابه ثم قال: " ما دون هؤلاء ستر " فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلته عشي أمس؟ قال: (نعم، وقد أردت مسألته) فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منا ذو رأي وصدق وعقل، وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهانئ، ورآهما يجران في السوق بأرجلهما: فقال: " إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما". هكذا عرف الحسين مقتل ابن عقيل، فلم يكن يعلم الغيب، كما زعم الكليني في الكافي من أن الإمام يعلم إذا أراد أن يعلم. فكل ذلك كلام إنشائي يحتاج إلى المصداقية، ولا توجد مصداقية في ذلك، للأسف الشديد.

وقد أخذت بالحسين وبني عمومته الحمية والعزة بالثأر من قتلة مسلم بن عقيل، ذكر ذلك الشيخ المفيد، حيث يقول[2]:" فنظر إلى بني عقيل فقال: "ما ترون؟ فقد قتل مسلم" فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق، فأقبل علينا الحسين عليه السلام وقال: "لا خير في العيش بعد هؤلاء". قال الطبرسي أنه أثناء مسيره نحو الكوفة، واجه الإمام الحسين وأصحابه "الحر بن يزيد التميمي، فجاء حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حر الظهيرة، وكان مجيء الحر بن يزيد من القادسية، يقدم الحصين بن نمير في ألف فارس.. فحضرت صلاة الظهر، فصلى الحسين عليه السلام وصلى الحر خلفه، فلما سلم انصرف إلى القوم وحمد الله وأثنى عليه وقال:(أيها الناس إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أبيتم إلا الكراهة لنا، والجهل بحقنا، وكان رأيكم الان غير ما أتتني به ، كتبكم، وقدمت به علي رسلكم انصرفت عنكم).فقال له الحر: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب التي تذكر! فقال الحسين عليه السلام لبعض أصحابه: (يا عقبة بن

١- الإرشاد - الشيخ المفيد - الجزء الثاني ، الصفحات: ٧٣-٧٤.
٢- الإرشاد - الشيخ المفيد - الجزء الثاني ، الصفحة:٧٥.

سمعان اخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلي).فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنثرت بين يديه، فقال له الحر: لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدم بك الكوفة على عبيد الله. فقال له الحسين عليه السلام: (الموت أدنى إليك من ذلك) ثم قال لأصحابه: (قوموا فاركبوا) فركبوا، فقال: (انصرفوا). فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الحسين عليه السلام للحر: (ثكلتك أمك يا ابن يزيد).قال الحر: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل، ولكن والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه. فقال الحسين عليه السلام: (فما تريد؟) قال: أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله. قال: (إذا والله لا أتبعك).قال: إذا والله لا أدعك. وترادا القول، فلما كثر الكلام بينهما قال الحر: إني لم أومر بقتالك، إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدم بك الكوفة، فتياسر ههنا عن طريق العذيب والقادسية حتى أكتب إلى الأمير ويكتب إلى عبيد الله لعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلى بشيء من أمرك. فسار الحسين عليه السلام وسار الحر في أصحابه يسايره وهو يقول له: إني أذكرك الله قي نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن. فقال الحسين عليه السلام: (أفبالموت تخوفني؟! وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخوفه ابن عمه وقال: إنك مقتول فقال: سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبورا وودع مجارما) فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه(١)". ويتحدث الشيخ الطبرسي عما حدث بعد ذلك، فيقول(٢):"فإذا راكب على نجيب له، فلما انتهى إليهم سلم على الحر ولم يسلم على الحسين عليه السلام وأصحابه، ودفع إلى الحر كتابا من عبيد الله بن زياد، فإذا فيه: أما بعد: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ولا تنزله إلا بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام".

لقد كان الجو حارا لكن الماء لم يكن شحيح في تلك المناطق، لكن الخطة التي وضعها عبيد الله بن زياد كانت تؤتي أكلها. وهذا ما ترك أثره النفسي على الإمام الحسين، حيث بدأ يغير في قرارته بشكل متسارع فلم يكن له خيارات إلا قليلة. ويتابع الشيخ الطبرسي الحوار الذي جرى بين الحر بن يزيد وبين الإمام الحسين، وتجاهله نصيحة زهير بن القين له، فقال(٣):" فأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقال له الحسين: (دعنا ويحك ننزل في هذه القرية أو هذه) - يعني نينوى و الغاضرية -. قال: لا والله لا أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث عينا(٤) علي". ويضيف الشيخ الطبرسي قائلاً(٥):" فقال زهير بن القين: إني والله ما أراه يكون بعد هذا الذي ترون إلا أشد ما ترون، يا ابن رســول الله إن قتال هؤلاء الساعة أهــون علينا من

١- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي ، المجلد الأول ، الصفحات: ٤٤٨ -٤٥٠.
٢- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي ، الجزء الأول ، الصفحة:٤٥٠.
٣- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي ، الجزء الأول ، الصفحة:٤٥١.
٤- عين: أي جاسوس قد بعثه عبيد الله بن زياد لمراقبة الأوضاع هناك.
٥ - إعلام الورى بأعلام الهدى ، الطبرسي ، ج١ ، الصفحة:٤٥١.

قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا بعدهم من لا قبل لنا به. فقال الحسين عليه السلام: (ما كنت لأبدأهم بالقتال) ثم نزل، وذلك في يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين". وفي اليوم الذي يليه، أي يوم الجمعة وصل جيش قوامة أربعة آلاف فارس بقيادة عمر بن سعد، فنزل في قرية نينوى، بينما الإمام الحسين كان محصور في منطقة بعيدة عن مورد الماء. ويذكر الشيخ الطبرسي أن عمر بن سعد بعث برسوله قرة بن قيس الحنظلي إلى الإمام الحسين يسأله عن سبب توجهه نحو الكوفة، فأجابه الحسين[١]:" (كتب إلي أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذا كرهوني فأنا أنصرف عنكم). فلما سمع عمر هذه المقالة قال: أرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله، وكتب إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله: أما بعد: فإني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي فسألته عما أقدمه وماذا يطلب، فقال: كتب إلي أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم يسألوني القدوم فأما إذ كرهوني فأني منصرف عنهم. فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال: الان إذ علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص وكتب إلى عمر بن سعد: أما بعد: فقد بلغني كتابك وفهمته، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه، فإذا هو فعل ذلك رأينا رأينا والسلام".

كان ذلك رأي حصيف من الإمام الحسين أن يتقهقر بدلاً من المواجهة وسفك دمائه ودماء أهله وأطفاله لا لأجل شيء. لكن قراره ذلك جاء متأخر نوعاً ما. فقد وقع بين شقي رحى، فعبيد الله بن زياد داهية وماكر ولا يوجد في قلبه رحمة، تماماً كأي قائد آخر غزى واحتل بلدان العالم. فالآن على الإمام الحسين بن علي أن يجلس على طاولة المفاوضات شاء ذلك أم أبى. ويخبرنا الشيخ الطبرسي بما جرى بعد ذلك، فيقول[٢]:" فلما ورد الجواب قال عمر بن سعد: قد خشيت أن لا يقبل ابن زياد العافية[٣]، وورد كتاب ابن زياد في الأثر إليه: أن حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فالا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان!!". كانت نية ابن سعد التفاوض من أجل حل سلمي يرضي جميع الأطراف، لكن العداء الفاحش بين بني أمية وبين بني هاشم أكبر من ذلك بكثير. فها هو ابن زياد يريد الثأر والانتقام لمقتل الخليفة عثمان الذي لقي مصرعه في بيته عطشان. مع ذلك لم يكن ابن سعد قوي الشخصية بل أداة طيعة في يد ابن زياد فقد نفذ توجيهاته بكل دقة، ويقول الشيخ الطبرسي[٤]:" بعث ابن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة[٥] وحالوا بين الحسين وأصحابه أن يستقوا منه، وذلك قبل قتل الحسين عليه السلام بثلاثة أيام".

١- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي ، ج ١ ، الصفحة: ٤٥١.

٢- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي ، ج ١ – الصفحة: ٤٥٢.

٣- العافية: معناها هنا حسب سياق الحديث: الهدنة. وفي لسان العرب لابن منظور: الواحدُ من العافية عافٍ، وهو كلُّ من جاءَك يطلُب فضلاً أو رزقاً فهو عافٍ ومُعْتَفٍ.

٤- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي – الجزء الأول ، الصفحة: ٤٥٢.

٥- الشَّريعةُ والشِّراعُ والمَشْرَعةُ: المواضعُ التي يُنْحَدر إلى الماء منها. والشِّرْعةُ والشَّريعةُ في كلام العرب: مَشْرَعةُ الماء وهي مَوْردُ الشاربةِ التي يَشْرَعُها الناس فيشربون منها ويَسْتَقُونَ، وربما شَرَّعوها دوابَّهم حتى تَشْرَعها وتشرَب منها، والعرب لا تسميها شَريعةً حتى يكون الماء عِدًّا لا انقطاع له (لسان العرب - ابن منظور).

ثم يسرد الشيخ الطبرسي ما كان يحدث من جانب معسكر الإمام الحسين، فيقول[١]:" ولما رأى الحسين عليه السلام نزول العساكر مع عمر بن سعد و مددهم لقتاله أنفذ إلى عمر بن سعد: (أني أريد لقاءك) فاجتمعا فتناجيا[٢] طويلا". لقد جلس القائدان في اجتماع سري فأخذا يتفاوضان حول إيجاد طريقة تنهي الوضع المتأزم. وكما قلت آنفاً أن الحسين أصبح يتقلب في صنع قراراته. هنا يقلب علماء الشيعة الحقيقة ويفسرونها للبسطاء الشيعة بطريقة ملتوية، فهم يجعلون المسلم الشيعي يعتقد ان الحسين خرج لمصلحة إحقاق الحق لجميع البشر، وأنه لو حكم لعاش الناس في عزة وكرامة. في الواقع ان الإمام الحسين كان مجرد شخصية ثرية من اثرياء بني هاشم أراد أن يكون خليفة، حسب الاتفاق المبرم ما بين معاوية والإمام الحسن، فيما سمي بصلح الحسن. فالإسلام لا يقر ولا يعترف بحرية الإنسان الغير مسلم في بناء معابده أو تربية أطفاله حسب ما يدين به. ففكر وثقافة الإمام الحسين لا تتعدى هذا الإطار. وهنا أنقل بعض الفتاوي التي تعبر عن فكر أهل البيت، ومن ضمنهم الإمام الحسين: فقد أفتى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي[٣]:" يشترط على أهل الذمة أن لا يربوا أولادهم على الاعتناق بأديانهم - كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو نحوها - بأن يمنعوا من الحضور في مجالس المسلمين ومراكز تبليغاتهم والاختلاط مع أولادهم، بل عليهم تخلية سبيلهم في اختيار الطريقة، وبطبيعة الحال أنهم يختارون الطريقة الموافقة للفطرة وهي الطريقة الاسلامية، وقد دلت على ذلك صحيحة فضيل بن عثمان الأعور عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: " ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه، وإنما أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذمة وقبل الجزية عن رؤوس أولئك بأعيانهم على أن لا يهودوا أولادهم ولا ينصروا، وأما أولاد أهل الذمة اليوم فلا ذمة لهم" ". وبناء على تلك الفتوى، قال في الفتوى التي تليها بجواز قتل أهل الذمة، أو سبي نسائهم وذراريهم، أو استرقاقهم لمجرد أنهم علموا أولادهم دينهم الذي ولدوا عليه!، فيقول في المسألة (٨٢)[٤]:" إذا أخل أهل الكتاب بشرائط الذمة بعد قبولها خرجوا منها، وعندئذ هل على ولي الأمر ردهم إلى مأمنهم أو له قتلهم أو استرقاقهم؟ فيه قولان: الأقوى هو الثاني حيث إنه لا أمان لهم بعد خروجهم عن الذمة، ويدل على ذلك قوله عليه السلام في ذيل صحيحة زرارة المتقدمة آنفا: " فمن فعل ذلك منهم برئت منه ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم " فإن ظاهر البراءة هو أنه لا أمان له، ومن الظاهر أن لزوم الرد إلى مأمنه نوع أمان له. فإذن، على ولي الأمر أن يدعوهم إلى الاعتناق بالإسلام فإن قبلوا فهو، وإلا فالوظيفة التخيير بين قتلهم وسبي نسائهم وذراريهم، وبين استرقاقهم أيضا". وقد أفتى بعدم جواز بناء الكنائس أو ترميم المنهدم منها، فقال في المسألة (٨٥)[٥]:"لا يجوز لأهل الذمة إحداث الكنائس والبيع والصوامع وبيوت النيران في بلاد الاسلام، وإذا أحدثوها خرجوا

١- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي - ج ١ ، الصفحتان: ٤٥٢-٤٥٣.
٢- النَّجْوُ: السِّرُّ بين اثنين، يقال: نَجَوْتُه نَجْواً أي سارَرْته، وكذلك ناجَيْتُه، والاسم النَّجْوى. وانْتَجى القومُ وتَناجَوْا: تَسارُّوا. (لسان العرب- ابن منظور).
٣- منهاج الصالحين - السيد الخوئي - ج ١ ، الصفحة ٣٩٨.
٤- منهاج الصالحين - السيد الخوئي – الجزء الأول ، الصفحتان:٣٩٨ وَ ٣٩٩.
٥- منهاج الصالحين - السيد الخوئي - ج ١ ، الصفحتان: ٣٩٩ وَ٤٠٠.

عن الذمة فلا أمان لهم بعد ذلك. هذا إذا اشترط عدم إحداثها في ضمن العقد، وأما إذا لم يشترط لم يخرجوا منها، ولكن لولي الأمر هدمها إذا رأى فيه مصلحة ملزمة. وأما إذا كانت هذه الأمور موجودة قبل الفتح فحينئذ إن كان إبقاؤها منافيا لمظاهر الاسلام وشوكته فعلى ولي الأمر هدمها وإزالتها، وإلا فلا مانع من إقرارهم عليها، كما أن عليهم هدمها إذا اشترط في ضمن العقد". انتهى.

ونعود مجدداً إلى صلب الموضوع، فبعد أن انتهى الطرفان من التفاوض، يقول الشيخ الطبرسي كتب القائد ابن سعد إلى عبيد الله بن زياد بما توصلا إليه. وأود أن أذكر القارئ الكريم أن ما يذكره الطبرسي يعتبر دليل إضافي يثبت ويؤكد أن الإمام الحسين قد غير رأيه لأجل حقن دمه ودم أطفاله وأصحابه. ولك ليس عيباً في حد ذاته، لكن ذلك يؤكد أن الحسين لم يكن كما يصوره مشايخ الشيعة بأنه المصلح والمحرر وسيد الأحرار، بجانب الكثير من تلك الشعارات الطنانة التي ليس لها حقيقة ولا مصداقية، سوى أنه ناشئ من وهم تولد من رغبة بني العباس وبني أبي طالب في استرجاع الخلافة في آخر أيام الدولة الأموية. على كل يقول الشيخ الطبرسي(١):" ثم رجع عمر إلى مكانه وكتب إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد: فإن الله تعالى قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة، هذا حسين أعطاني عهدا أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو أن يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلا من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لك رضا وللأمة صلاح". ونتيجة ذلك التفاوض، كان الإمام الحسين بين أحد الخيارات التالية:

١- رجوعه للمدينة،
٢- التحاقه بقوات الاحتلال الإسلامية المتواجدة في ثلاث قارات من قارات العالم.
٣- التفاوض المباشر مع الخليفة يزيد بن معاوية.

طبعاً الشيوخ لا يريدون تصديق أن الإمام الحسين يمكن أن يضع يده بيد يزيد. فهم يتناسون أن الإمام الحسن قد وضع يده بيد معاوية بن أبي سفيان، وقد بارك ذلك الوضع الإمام الحسين نفسه. وأيضاً جده محمد - رسول الإسلام - قد وضع يده بيد أشراف مكة عندما توصلوا إلى هدنة و إبرام صلح الحديبية. أوليس علي بن أبي طالب قد تصالح مع الخلفاء ممن كانوا قبله، حيث كان يقدم لهم النصائح، خاصة العسكرية. فلا يوجد دليل عقلي يمنع ذلك إذن.

لكن ابن زياد لما قرأ كتاب ابن سعد ذهل، ويقول الشيخ الطبرسي(٢):" فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب ناصح مشفق على قومه". أن الحقد الذي كان يملأ قلب ابن زياد تجاه الهاشميين

١- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي - ج ١ ، ص: ٤٥٣.
٢- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي - ج ١ ، ص: ٤٥٣.

جداً، فيبدو واضحاً أنه لم تعجبه نتائج تلك المفاوضات التي توصل إليها ابن سعد مع الإمام الحسين، لذا كتب إلى ابن سعد يأمره أن ينزل الحسين على حكمه، ومما ورد في كتابه ذلك يقول الطبرسي(١):" إني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنيه السلامة، ولا لتعتذر له، ولا لتكون له عندي شافعا، انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إلي سلما، لي ان أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتلت الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق ظلوم!! ولست أرى أن هذا يضر بعد الموت شيئا ولكن على قول قد قلته: لو قد قتلته لفعلت هذا به". انتهى.

أن ابن زياد كان يريد الانتقام والثأر من أحداث قد جرت في الماضي، ربما بما جرى على أسلافه في بدر على ايد بني هاشم. فقد بادر محمد - رسول الإسلام - بالتمثيل بقتلى قريش في بدر وذلك برمي جثثهم في بئر هناك، ويذكر الشيخ الطبرسي(٢):" أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تلقى القتلى في قليب بدر". وقبل ذلك منع رسول الإسلام مقاتلي قريش من مورد الماء مما أدى إلى عطشهم وهزيمتهم بسهولة. لقد كان محمد - رسول الإسلام - مثال عسكري جيد في نظر ابن زياد فيما يبدو ، فتصرفاته تطابق تصرفات محمد رسول الإسلام. ويذكر آية الله الشيخ جعفر السبحاني(٣) أنه:" تقدم «الحباب بن منذر» وكان فارساً مجرباً وعسكرياً محنكاً باقتراح إلى النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إذ قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل منزلا أنزلكهُ الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «بَل هو الرأيُ والحربُ والمكيدة». فقال: يا رسول الله فانَ هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتّى أدنى ماء من القوم، فننزله فنغوّر (اي ندفن العين) ما وراء القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشربَ ولا يشربون . فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ لقد أشرتَ بالرأي. فنهض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ومَن مَعه فسار حتّى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب (الآبار) فغوّرت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملى ماءً ثم قذفوا فيه الآنية". و فعلاً قد أخذ العطش مأخذه في المقاتلين من جيش قريش، الذي جاءوا أساساً للدفاع عن قوافلهم التجارية من سطو محمد رسول الإسلام وأصحابه. فهو ليس كما يروجه له مشايخ الإسلام من أن قريش كانت هي المعتدية، فهذا مالا يوجد عليه دليل تاريخي حتى من المصادر الإسلامية، نعم يوجد تبريرات لا يقبلها عقل لكن لا يوجد دليل على ذلك. ومن تلك التبريرات المبنية على الوهم المصطنع ما ذكره آية الله الشيخ جعفر السبحاني، حيث يقول(٤):" وحيث إنّ أموال المسلمين كانت قد صودرت في مكة على أيدي قريش، فإنّ الوقت كان مناسباً للمسلمين لاستعادة أموالهم، بالاحتفاظ بأموال قريش إلى أن

١- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي - ج ١ - الصفحة ٤٥٣.
٢- إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ الطبرسي - ج ١ - الصفحة ١٧١
٣- سيد المرسلين - آية الله الشيخ جعفر السبحاني ، الجزء الثاني، صفحة:٦٩.
٤- السيرة المحمّدية - آية الله الشيخ جعفر السبحاني، ص:١٢٠ وَ ١٢١.

يعيدوا إليهم أموالهم المصادرة، وإلاّ فإنّهم يتصرفون في هذا المال كغنائم حرب يقسمونها فيما بينهم". وطبعاً لا يوجد دليل وحيد يفيد أن قريش قد صادرت أموال للمسلمين في مكة. و مما يؤكد ذلك أن محمد رسول الإسلام قد أمر ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب بإرجاع الأمانات التي كانت بحوزته إضافة إلى تسديد الديون المستحقة عليه، ويذكر السيد زهير الاعرجي ذلك، فيقول(١)" عندما هاجر النبي (ص) الى يثرب أمر علياً (ع) بالبقاء في مكة عدة أيام من أجل رد الودائع، وقضاء الديون، ثم الاستعداد للهجرة الى المدينة أيضاً". ويقول أيضاً في نفس المصدر" ولم يترك علي (ع) مكة ما لم يختمها بمنقبة من مناقبه العظيمة، فقد اقام (ع) بمكة بعد هجرة النبي (ص) اياماً يردّ الودائع ويقضي الديون". وطبعاً مسألة تسديد الديون تحتاج إلى أموال لقضائها، فمن أين للإمام علي أن يسددها لو أن أموال المسلمين فعلاً قد تم مصادرتها؟ من جانب آخر لا يوجد دليل تاريخي يفيد أن محمد - رسول الإسلام - قد قام بإعادة الأموال المنهوبة من قوافل قريش التجارية لأصحابها، بعد احتلاله مكة بقوة السلاح. ويذكر آية الله الشيخ السبحاني أن قيمة ما تحمله تلك القافلة التجارية كانت تقدر بخمسين ألف دينار، فيقول(٢):" إنّ المعلومات التي تجمعت لدى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تؤكد أنّ قافلة كبرى لقريش شارك فيها كلّ أهل مكّة بأموالهم، ويحمل بضائعها ألف بعير، وتقيّم بخمسين ألف دينار، ويقودها أبو سفيان بن حرب، في أربعين رجلاً". أي أن قيمتها تعادل ١٠،٨٧٥،٧٥٠ دولار أمريكي.

ولم يكن رسول الإسلام الشخص الوحيد الذي انفرد بالإغارة ونهب القوافل التجارية، فقد قام الإمام الحسين كذلك بالاقتداء بسيرة جده محمد، حيث قام بالسطو أيضاً على قافلة قادمة من اليمن باتجاه دمشق، كانت تخص الخليفة معاوية بن أبي سفيان. وقد ذكر أحداثها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، فيقول(٣):" كان مال حمل من اليمن إلى معاوية فلما مر بالمدينة وثب عليه الحسين بن علي (عليه السلام)، فأخذه وقسمه في أهل بيته ومواليه، وكتب إلى معاوية: من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد، فإن عيرا مرت بنا من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا وطيبا إليك لتودعها خزائن دمشق وتعل بها بعد النهل بنى أبيك، وإني احتجت إليها فأخذتها. و السلام. فكتب إليه معاوية: من عند عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسين بن علي: سلام عليك، أما بعد، فإن كتابك ورد عليَّ تذكر أن عيرا مرت بك من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا وطيبا إليَّ لأودعها خزائن دمشق، وأعل بها بعد النهل بنى أبى، وأنك احتجت إليها فأخذتها ولم تكن جديرا بأخذها إذ نسبتها إليَّ لأن الوالي أحق بالمال، ثم عليه المخرج منه، وأيم الله لو ترك ذلك حتى صار إليَّ، لم أبخسك حظك منه، ولكني قد ظننت يا بن أخي أن في رأسك نزوة وبودي أن يكون ذلك في زماني فأعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكني والله أتخوف أن تبتلى بمن لا ينظرك فواق ناقة، وكتب في أسفل كتابه:

١- الصديق الاكبر: السيرة الاجتماعية للامام علي بن أبي طالب (ع) - السيد زهير الاعرجي.
٢- السيرة المحمّدية - آية الله الشيخ جعفر السبحاني، صفحة:١٢٠.
٣- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ، ج ١٨ - الصفحة ٤٠٩.

يا حسين بن علي أو ليس ما جئت بالسائغ يوما في العلل
أخذك المال ولم تؤمر به إن هذا من حسين لعجل
قد أجزناها ولم نغضب لها واحتملنا من حسين ما فعل
يا حسين بن علي ذا الامل لك بعدي وثبة لا تحتمل
وبودي أنني شاهدها فأليها منك بالخلق الاجل
إنني أرهب أن تصلى بمن عنده قد سبق السيف العذل". انتهى.

بعض علماء الشيعة اعتبر بصحة تلك الرواية وسلم بها، والبعض استشاط غضباً، فقاموا كالعادة بوضع تبريراتهم بعدم صحتها، تلك التبريرات التي لا يقبلها عقل عاقل. ومن ضمن أولئك العلماء السيّد محمّد مهدي بحر العلوم، الذي يقول(١):" قلت: والحكاية الثانية - عندنا - من الأكاذيب الباطلة، فان مقام الحسين - عليه السلام - يجل عن هذه الدنية ويأبى تصديق تلك القضية، فان الدنيا كلها، وان كانت له وليس لمعاوية في العير ولا في غيرها فتيل ولا نقير، إلا أن الحال قد كانت حال مسالمة وموادعة، والتوثب على اخذ المال شنيع في مثل هذه الحال. وليس ذلك كتعرض النبي - ص - لعير قريش، ولا كتعرضه (ع) للورس المحمول إلى يزيد من اليمن، فإنهما قد وقعا حال المباينة والاختلاف، بخلاف الأولى، ولو لم يمنع من ذلك إلا كف ألسنة المخالفين له والمبتغين سبيل الطعن عليه لكفى إلا أن يسلك بذلك سبيل المطايبة والمعابثة. وفيه حزازة أخرى". وتعليقي البسيط على تبريرات السيد بحر العلوم وسواه، هو أن محمد رسول الإسلام قد أتى بصنيع جدير أن يقتديه أي شخص مسلم بسيط ، فكيف والحال ذلك بشخص يعتبر إمام يريد ان يسير بسيرة جده حسب ما نص هو بنفسه على ذلك، فقد قال، ضمن وصيته لأخيه ابن الحنفية: " وأسير بسيرة جدّي" - راجع صفحة: ٣١٣. ومن جانب آخر لم يكن الوضع أو الحال وقت مسالمة وموادعة، كما أدعى بذلك السيد بحر العلوم من غير تقديمه لدليل. ويكفينا برهان ذلك ما ورد في كتاب أرسله الإمام الحسين لمعاوية يعنفه ويؤنبه فيه على قتل الشيعة الموالين لأهل البيت، ومما قال في ذلك الكتاب المطول(٢):" وقلت فيما قلت: (إنّي إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكدني) فكدني ما بدا لك، فإنّي أرجو أن لا يضرّني كيدك فيّ، وأن لا يكون عليّ أحد أضرّ منه على نفسك لانّك قد ركبت جهلك وتحرّصت على نقض عهدك ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلاّ لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقّنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلّك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا. فأبشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أنّ لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على التهم ونفيك أوليائه من دورهم إلى دار الغربة وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث، يشرب الخمر ويلعب بالكلاب، لا

١- الفوائد الرجالية - السيد بحر العلوم ، ج ٤ ، الصفحة: ٤٨.
٢- كلمة الإمام الحسين (عليه السلام) - آية الله السيد حسن الشيرازي، ص: ٢٢٩.

أعلمك إلاّ وقد خسّرت نفسك وتبرّت دينك وغششت رعيّتك وأخربت أمانتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل وأخفت الورع التقيّ لأجلهم، والسلام".

ونرجع إلى سرد أسباب مقتل الإمام الحسين بن علي، فبعد أن كتب ابن زياد كتابه لعمر بن سعد يأمره على إنزال الحسين على حكمه أو قتله والتمثيل بجسده. بمعنى الاستسلام الكامل ومن غير شروط ، ويقول الشيخ الطبرسي(١): " فاقبل شمر بكتاب عبيد الله إلى عمر بن سعد، فلما قرأه قال له: مالك؟ لا قرب الله دارك، قبح الله ما قدمت به علي، لا يستسلم والله حسين، إن نفس أبيه لبين جنبيه، قال شمر: اخبرني ما أنت صانع، امض أمر أميرك وإلا فخل بيني وبين الجند، قال: لا، ولا كرامة لك، ولكن أنا أتولى ذلك وكن أنت على الرجالة".

لقد رفض الإمام الحسين بن علي أن يستسلم لعبيد الله بن زياد، لإدراكه أنه سوف يقتل نفس القتلة التي نالها ابن عمه مسلم بن عقيل. لأجل ذلك ضحى بأهله وأطفاله وأقاربه وأصحابه. إذ لو سلم نفسه للسلطات الأموية لسلمت عائلته وأطفاله وأقاربه وأصحابه دون الحاجة لسفك دمائهم. ويقول المؤرخون الشيعة أن أهل بيته وأصحابه قد فدوه بأنفسهم وارواحهم. أما السيد المسيح فقد ضحى بنفسه المباركة لأجلنا ولأجل تحريرنا لأنه أحبنا محبة أبدية، فقد فدانا بنفسه المباركة إذ لا يستطيع أحد أن يفدي إنسان آخر سوى المخلص الفادي يسوع المسيح، الذي قال: " لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟(٢)". وقد غلب الرب يسوع الموت وصعد إلى السماء ليعد لنا مكاناً عنده هناك، فهو الحي الذي يعطي ويهب الحياة الأبدية، لمن آمن به. أما الإمام الحسين بن علي فهو ميت، لا يمكن أن يعطي الحياة لغيره، وكان عاجز عن تحرير نفسه، فكيف يستطيع أن يحرر آخرين؟ وكما يقال "فاقد الشيء لا يعطيه".

تم بنعمة ومشيئة المسيح إتمام تدوين
هذا الكتاب في يوم الثلاثاء الخامس
من شهر يونيو عام
٢٠١٢م.

١- إعلام الورى بأعلام الهدى – الشيخ الطبرسي ، الجزء الأول، صفحة: ٤٥٤.
٢- الآية:٢٦ - الإصحاح السادس عشر ، الإنجيل المقدس كما دونه البشير متى.

مراجع البحث حسب تسلسل ورودها في الكتاب

١) الكتاب المقدس.
٢) القرآن.
٣) معجم لسان العرب - ابن منظور.
٤) الصحاح في اللغة - الجوهري.
٥) مقاييس اللغة - ابن فارس.
٦) موسوعة ويكيبيديا- الموسوعة الحرة.
٧) قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالمعاهدات والمواثيق الخاصة بحقوق وحريات الإنسان.
٨) نهج البلاغة - الشريف الرضي.
٩) مجمع البيان في تفسير القرآن- الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي .
١٠) التبيان الجامع لعلوم القرآن - شيخ الطائفة ابو جعفر محمد الطوسي.
١١) الميزان في تفسير القرآن - آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي.
١٢) منهاج الصالحين - المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي.
١٣) بحار الأنوار - الشيخ محمد باقر المجلسي.
١٤) منهاج الصالحين - المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني.
١٥) تكملة منهاج الصالحين - آية الله العظمى السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي.
١٦) الكامل في التاريخ - ابن الأثير- الجزء الثاني.
١٧) صحيح مسلم.
١٨) المنهاج - شرح صحيح مسلم للإمام النووي.
١٩) الكافي - الشيخ محمد يعقوب الكليني.
٢٠) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق.
٢١) الصافي في تفسير كلام الله الوافي - الشيخ المولى الفيض الكاشاني.
٢٢) سيد المرسلين - آية الله الشيخ جعفر السبحاني ، الجزء الثاني.
٢٣) تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي.
٢٤) العقد المنير - السيد موسى الحسيني المازندراني.
٢٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ابن عبد البر.
٢٦) الموقع الإلكتروني لمار نرساي الكلدانية الكاثوليكية.
٢٧) تفسير العهد الجديد من الكتاب المقدس - هنري أ. أيرونسايد.
٢٨) تفسير العهد الجديد من الكتاب المقدس - وليم ماكدونالد.
٢٩) تفسير العهد الجديد من الكتاب المقدس - متى بهنام.
٣٠) تفسير العهد الجديد من الكتاب المقدس - بنيامين بنكرتن.

٣١) تفسير العهد الجديد من الكتاب المقدس - هلال أمين.
٣٢) تفسير الكتاب المقدس - تادرس يعقوب ملطي.
٣٣) الموقع الإلكتروني للأنبا تكلا.
٣٤) إعجاز الوحى والنبوة في سفر دانيال - القس عبد المسيح بسيط أبو الخير.
٣٥) تفسير الكتاب المقدس - القمص تادرس يعقوب.
٣٦) تفسير الكتاب المقدس - القس أنطونيوس فكري.
٣٧) تفسير الكتاب المقدس - ناشد حنا.
٣٨) أوائل المقالات - الشيخ المفيد.
٣٩) كتاب الحكومة الاسلامية- آية الله العظمى الإمام روح الله الموسوي الخميني.
٤٠) مسند الإمام أحمد - الجزء الأول.
٤١) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي ، الجزء السابع والعشرون.
٤٢) مقال بعنوان " الرّباب بنت امرئ القيس زوجة الإمام الحسين (ع)" بقلم الإعلامية و الكاتبة الدكتورة أليس كوراني.
٤٣) كتاب أنساب الأشراف - البلاذري.
٤٤) كشف الغمة في معرفة الأئمة - لأبى الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي.
٤٥) الكامل - المبرد.
٤٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي.
٤٧) تاريخ أيران الإجتماعي - الدكتور سعيد نفيسي.
٤٨) كتاب الأمالي - الشيخ الصدوق.
٤٩) حلية الأبرار - السيد هاشم البحراني.
٥٠) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- الدكتور جواد علي.
٥١) كتاب "الأصنام" - لأبي هشام محمد بن محمد الكلبي.
٥٢) موسوعة الأساطير - موقعها الإلكتروني.
٥٣) بيان السعادة في مقامات العبادة - السلطان محمد الجنابذي.
٥٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٥٥) البيان في تفسير القرآن – آية الله العظمى السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي.
٥٦) كتاب التمهيد في علوم القرآن - سماحة حجة الإسلام الشيخ محمد هادي معرفة.
٥٧) تفسير القرآن - الشيخ علي بن ابراهيم القمي.
٥٨) كتاب عصر الظهور - سماحة الشيخ علي الكوراني العاملي.
٥٩) المركز الفلسطيني للإعلام - موقعه الإلكتروني.
٦٠) كلمة الإمام الحسين - آية الله السيد حسن الشيرازي.
٦١) الكافي - ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٦٢) كتاب "من فقه الزهراء (عليها السلام)" - آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي.
٦٣) التقوى في القران: دراسة في الاثار الاجتماعية والوجودية - حجة الإسلام العلامة السيد كمال الحيدري.
٦٤) مقال بعنوان "المرجع المدرسي: الإمام الحسين سلام الله عليه هو القران الناطق" ، الموقع الإلكتروني لشبكة مزن الثقافية. وجزء من ذلك المقال موجود ايضاً على الموقع الرسمي لآية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.
٦٥) تفسير صدر المتأهلين - صدر المتأهلين.
٦٦) صحيح البخاري - البخاري.
٦٧) نقد الرجال، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي.
٦٨) القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم - الدكتور وليم كامبل.
٦٩) حياة الأمام الحسين - حجة الإسلام الشيخ باقر شريف القرشي.
٧٠) كتاب الأخلاق الحسينية - جعفر البياتي.
٧١) صلح الحسن (ع) - آية الله العظمى الإمام السيد شرف الدين الموسوي العاملي.
٧٢) صراط النجاة - آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي.
٧٣) أعيان الشيعة - آية الله العظمى السيد محسن الأمين.
٧٤) الإرشاد - الشيخ المفيد.
٧٥) مثير الأحزان - الشيخ ابن نما الحلي.
٧٦) إعلام الورى بأعلام الهدى - الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي.
٧٧) السيرة المحمّدية - آية الله الشيخ جعفر السبحاني.
٧٨) الصديق الاكبر: السيرة الاجتماعية للإمام علي بن أبي طالب ع- السيد زهير الاعرجي.
٧٩) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد.
٨٠) الفوائد الرجالية - السيد بحر العلوم.

للمراسلة أو الاستفسار عن محتويات هذا الكتاب

أرجو الكتابة إلى عنوان البريد الإلكتروني الموضح بالأسفل.

مع الإشارة إلى اسم الكتاب واسم المؤلف في رسائلكم:

jclsoww@yahoo.co.uk

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

تنويه

لكل الأخوة والأخوات الجادين بالبحث عن الحق
لهم الحق بالاقتباس من هذا الكتاب
وطبعه ونشره وتوزيعه.
المؤلف.